المعهد العالمي للفكر الإسلامي

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

علم النفس
في التراث الإسلامي

الجزء الثاني

د. إبراهيم شوقي عبد الحميد
د. أسامة سعد أبو سريع
د. الحسين محمد عبد المنعم
د. جمعة سيد يوسف
د. شعبان جاب الله رضوان
د. طريف شوقي محمد
د. عبد اللطيف محمد خليفة
د. عبد المنعم شحاته محمود
د. محمد أحمد شابي
د. محمد نجيب الصبوة
د. معتز سيد عبد الله

إشراف وتقديم
أ. د. محمد عثمان نجاتي
أ. د. عبد الحليم محمود السيد

مكتبة
مؤمن قريش

علم النفس

في التراث الإسلامي

الجزء الثاني

د. إبراهيم شوقي عبد الحميد

د. أسامة سعد أبو سريع

د. الحسين محمد عبد المنعم

د. جمعة سيد يوسف

د. شعبان جاب الله رضوان

د. طريف شوقي محمد

د. عبد اللطيف محمد خليفة

د. عبد المنعم شحاتة محمود

د. محمد أحمد شلبي

د. محمد نجيب الصبوة

د. معتز سيد عبد الله

إشراف وتقديم

أ. د. محمد عثمان نجاتي

أ. د. عبد الحليم محمود السيد

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

مكتبة
مؤمن قريش

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

الطبعة الأولى
لدار السلام
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

علم النفس في التراث الإسلامي / إبراهيم شوقي عبد الحميد ... [وآخ] ؛ إشراف وتقديم / محمد عثمان نجاتي ، عبد الحليم محمود السيد . ط ١ . - القاهرة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ؛ المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ٢٠٠٨م .
٣ مج ؛ ٢٤ سم .
تدمك ٥ ٦٥٠ ٣٤٢ ٩٧٧
١ - علم النفس الإسلامي .

٢١٠,١٩

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م
تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عشر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي مواز لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس محتويات الجزء الثاني

الموضوع [1] | الصفحة

- ابن الهيثم (ت ٤٣٢هـ)
• مقالة عن ثمرة الحكمة ٥٦٧
- الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)
• طيف الخيال ٥٧٤
- ابن بطلان (ت ٤٤٤هـ)
• رسائل ابن بطلان ٥٧٨
- الماوردي (ت ٤٥٠ هـ)
• أدب الدنيا والدين ٥٨٢
• نصيحة الملوك ٥٩١
- ابن بختشيوع (ت ٤٥٣هـ)
• الروضة الطبية ٥٩٧
- ابن رضوان (ت ٤٥٣هـ)
• رسائل ابن رضوان ٦٠٢
- ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)
• طوق الحمامة ٦٠٥
• الأخلاق والسير في مداواة النفوس ٦١٢
- الجرجاني ، عبد القاهر (ت ٤٧١هـ)
• أسرار البلاغة في علم البيان ٦١٧

---

(١) رتبت الأسماء تبعًا لتاريخ الوفاة .

- دلائل الإعجاز في علم المعاني ٦٢٥

- الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)

- الطب الروحاني ٦٢٩

- الأنصاري الهروي (ت ٤٨١هـ)

- منازل السائرين إلى الحق عزَّ شأنه ٦٣٧

- المبشر بن فاتك (ت ٤٨٧هـ)

- مختار الحكم ومحاسن الكلم ٦٤٧

- المرادي الحضرمي (ت ٤٨٩هـ)

- السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة ٦٥٧

- السراج (ت ٥٠٠هـ)

- مصارع العشاق ٦٦٤

- الراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ)

- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ٦٦٨
- الذريعة إلى مكارم الشريعة ٦٧٨

- الغزالي ، أبو حامد (ت ٥٠٥هـ)

- إحياء علوم الدين ٦٨٦
- معارج القدس في مدارج معرفة النفس ٧٢٢
- المحبة والشوق والأنس والرضا ٧٢٧
- فاتحة العلوم ٧٣١
- الاقتصاد في الاعتقاد ٧٣٦
- ميزان العمل ٧٤٠
- المنقذ من الضلال ٧٤٨
- التبر المسبوك ٧٥٢
- مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علَّام الغيوب ٧٥٨
- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء اللّٰه الحسنى ٧٦٤

- منهاج العابدين ٧٧١
- بداية الهداية ٧٨٠
- منهاج المتعلم ٧٨٧
- مجموعة رسائل الغزالي (١) ٧٩٠
- مجموعة رسائل الغزالي (٢) ٧٩٧
- مجموعة رسائل الغزالي (٣) ٨٠٩
- مجموعة رسائل الغزالي (٤) ٨٢١
- مجموعة رسائل الغزالي (٥) ٨٢٨

– ابن باجة (ت ٥٣٣هـ)
- رسائل جديدة ٨٣٤

– الجيلاني (ت ٥٦١هـ)
- الفتح الرباني والفيض الرحماني ٨٣٨

– السمعاني (ت ٥٦٢هـ)
- المذهب التربوي عند السمعاني ٨٤٣

– السهروردي (ت ٥٦٣هـ)
- آداب المريدين ٨٥٢

– ابن ظفر الصقلي (ت ٥٦٥هـ)
- السلوانات في مسامرة الخلفاء والسادات ٨٦١

– ابن طفيل (ت ٥٧١هـ)
- حي بن يقظان ٨٦٥

– ابن رشد (ت ٥٩٥هـ)
- فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ٨٧٢
- تلخيص كتاب النفس ٨٧٧
- رسالة الاتصال ٨٨٠

- ابن الصائغ ، أبو بكر (ت ٥٩٧هـ)
- رسالة الاتصال ٨٨١
- ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)
- صيد الخاطر ٨٨٢
- الطب الروحاني ٩٠٣
- ذم الهوى ٩٠٩
- الأذكياء ٩١٧
- بر الوالدين ٩٢٣
- روح الأرواح ٩٢٨
- أخبار الظرفاء والمتماجنين ٩٣١
- أخبار الحمقى والمغفلين ٩٣٥
- تلبيس إبليس ٩٤٠
- الرازي (ت ٦٠٦هـ)
- لباب الإشارات ٩٤٥
- الفراسة ٩٤٩
- المطالب العالية من العلم الإلهي ٩٥٤
- الطب الروحاني ٩٧٩
- شرح الإشارات ٩٨٦
- عجائب القرآن ٩٩١
- ابن قدامة (ت ٦٢٠هـ)
- كتاب « التوابين » ١٠٠١
- ذم الموسوسين ١٠٠٥

* * *

ابن الهيثم
أبو علي الحسن (ت ٤٣٢هـ)
مقالة عن ثمرة الحكمة [1]

عرض : د. جمعة سيد يوسف

التعريف بالمؤلف :

تقع حياة ابن الهيثم بين حوالي عام (٣٥٤هـ و ٤٣٢هـ) ، وهذه فترة ازدهار علم الكلام المعتزلي وبلوغه ذروة عالية في مؤلفات القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت ٤١٥هـ أو ٤١٦هـ) ، والمرحلة الأولى من ازدهار علم الكلام الأشعري على يد القاضي أبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) .

وكان ابن الهيثم معاصرًا لابن مسكويه (ت ٤٢١هـ) وابن سينا (ت ٤٢٨هـ) وأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت ٤٤٠هـ) لكنه كان في أول أمره بالبصرة ، وأقام في الشام حينًا ، ثم استقر في مصر على عهد الحاكم بأمر اللّٰه الفاطمي (ت ٤١١هـ) ، وفيها توفي إلى رحمة اللّٰه ، ولا يوجد بين أسماء مؤلفاته الكثيرة ما يدل على اهتمامه بمذاهب فلاسفة الإسلام المعاصرين له ، ومن الواضح أنه وجَّه كلَّ اهتمامه - رغم كل شروحه وتلخيصاته لمؤلفات اليونان - إلى علوم الرياضيات والفلك والهيئة وفيها تجلَّى نبوغه .

لكن ابن الهيثم لم يكن منقطع الصلة بحياة الفكر الإسلامي في عصره من ناحية معينة ، هي ناحية العقيدة ومنهج إثباتها ، فرغم قوة الفكر الديني عند المتكلمين والفلاسفة ، إلا أنه كانت هناك اتجاهات مغايرة ، عُني باتخاذ موقف إزاء هذه

(١) تحقيق وتقديم محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ، د.ن ، (١٩٩١م) ، (ص ٣٧) .

الاتجاهات ، فألف في الرد على ابن الراوندي وعلى الرازي (الطبيب محمد بن زكريا) وآرائه في العلم الإلهي وفي النبوات ، كما ردَّ على المعتزلة في بعض آرائهم .

يذكر من بين مصنفات ابن الهيثم « مقالة في حساب الخطأين » وفي الرسالة التي نقدمها ذكر هذا النوع من الحساب (مصدر الترجمة : مقالة عن ثمرة الحكمة ، تحقيق محمد بن عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ، ١٩٩١م) .

عرض المقالة :

تقع المقالة في ٣٧ صفحة من القطع الكبير ، وبدأ الحسن بن الهيثم مقالته بقوله : « الحكمة علم كل حق ، وعمل كل نافع ، وعمل النافع عسير جدًّا إلا لمن لطف حِسهُ ، واعتدلت قوة النفس الناطقة بحركتها فيه ؛ وذلك أن بدن الإنسان آلة لثلاث قوى نفسانية :

قوى النفس :

إحداها : القوة المنسوبة إلى الذات ، وهي القوة التي يشترك فيها جنس النامي ، وهو نوعان : النبات والحيوان ، وبها تكون الشهوة في الحيوان ، فهي تسمى القوة الشهوانية ، وترتبط هذه القوة بمفهوم الدوافع البيولوجية (ص ١٧) .

والأخرى : هي القوة المنسوبة إلى الظفر والغلبة ، وتلك القوة هي التي ينفرد بها جنس الحيوان وهو فصلان : غير ناطق ، وناطق ، وتسمى القوى الغضبية ، وترتبط هذه القوة بمفهوم الانفعالات والدوافع وبخاصة العدوان والغلبة (ص ١٧) .

والثالثة : (القوة) المنسوبة إلى السعادة ، وهي القوة التي يحس بها الناطق من الحيوان ، وتسمى القوة الناطقة ، وترتبط هذه القوة بمفهوم التفكير أو العمليات العقلية (ص ١٧) .

وكل واحد من هذه القوى لها في الحركة وسط وطرفان ؛ لأن الشوق إنما هو حركة إلى المتشوق إليه ، كحركة الحديد إلى الهرقلي ، والهرقلي هو الحجر الذي تسميه العامةُ المغناطيس .

وكل واحد من القوى الثلاث المقدم ذكرها هي تستعمل بدن الإنسان بإحدى الحركات الثلاث : إما بالوسط ، وهو الاعتدال ، وإما بأحد الطرفين وهو الإفراط والضعف .

فالشهوانية : اعتدال حركتها في الإنسان يسمى عِفة ، وإفراط حركتها فيه يسمى

شرهًا ، وضعفها يسمى كلال الشهوة .

والغضبية : اعتدالُ حركتها فيه يسمى شجاعة ، وإفراطها يسمى هوجًا ، وضعفها حُمقًا (ص ١٧) .

أصول الحكمة وقواعدها :

وللحكمة أصول موضوعة وقواعد مقررة يحتاج الطالب للحكمة إلى النظر فيها ، والارتياض بها وأخذ نفسه بأن يتصورها ، وإقامتها في فكره والصبر على ما اعتاص منها في فهمه حتى يظهر ، بمواصلة النظر في ذلك والتفهم له ، ما خفي عليه بأمر ، ومتى استعمل هذا ولم ينفر عنه عند خفائه كان واصلًا إليه لا محالة ؛ وذلك حتى تظهر ثمرة الحكمة على أصولها ، ويتمكن الجميع ، وبخاصة المبتدئين من الاستفادة بملابستها (ص ١٨) .

النفس الناطقة وقواها :

وذلك أن الإنسان هو نوع من أنواع الحيوان الأرضي المخصوص بالنفس الناطقة ، والنفس الناطقة هي ثلاث قوى : تخيل ، وذكر ، وفكر ، فأما التخيل فهو : بقية الحس وذلك أن تصور الإنسانِ ما أحسه أو ما أحس مثله من غير حضور ذلك المحسوس كالذي يشاهد مِصْرًا من الأمصار ، وهذه القوى من قوى النفس الناطقة يقال لها القوة المصورة وبها تستعمل النفس الناطقة بدن الإنسان في حال نومه .

نظرية الأحلام :

فتصور له الأشياء بحسب ما عليه مزاج ذلك البدن من الاعتدال المخصوص به ، والخروج عن ذلك الاعتدال إلى أحد طرفيه ، أريد : أن القوة المصورة إذا صادفت مزاج البدن على حال الاعتدال المخصوص به أمكنها أن تصور له الأشياء الماضية والآتية على ما هي عليه فيثبتها ؛ ولأن الاعتدال في الأمزجة يكون على رتب متفاضلة فكلما كان الاعتدال أفضل كان فعل القوة المصورة أبين وأصح وأوضح حتى ينتهي فعلها إلى الحال التي تسميها العوام : الوحي .

فإذا صادفت مزاج البدن زائلًا إلى أحد الطرفين كان من الممكن لها فيه ثلاثة أفعال :

أحدها : فيما هو أقربها إلى الاعتدال ، وهو أن يرى من له تصور الأشياء الماضية والآتية ، كالذي يرى في منامه أنه يطير ، فإن ذلك رمز له بالسفر .

والآخر : فيما هو أبعد من ذلك عن الاعتدال ، وهو أن تُصَورَ له الأشياء الماضية

والآتية بأضدادها ، كالذي يرى في منامه أنه في أمر يحزنه فيأتيه ما يفرحه .

والثالث : فيما هو بعيد في الغاية عن الاعتدال ، وهو على رُتب مختلفة تكون أفعال القوة المصورة في ذلك مختلفة ؛ كتصورها الأشياء المفزعة والأشياء الملهية والأشياء الممتنعة ، كالذي يرى نفسه كأنه قد مات أو قُتِل أو صار بهيمة وما شاكل ذلك .

والذكر : هو إحضار ما تقدم وجوده في النفس .

والفكر : هو سلوك النفس الناطقة في إدرَاك حقائق الموجودات ، وهو الذي يختص باسم العقل .

والإدراك : هو تَصوُّر نفس المدرِك لصورة المدرك ، ويرتبط الجزء السابق بمجموعة المفاهيم السيكولوجية هي : تفسير الأحلام (ص ١٨ ، ١٩) ، والاعتدال (ص ١٩) ، والتخيل (ص ١٨) ، والتذكر (ص ١٩) ، والتفكير (ص ١٩) ، والإدراك (ص ١٩) .

العقل وقواه :

وللعقل ست قوى ذاتية وثلاث قوى عرضية .

فقوى العقل الذاتية : هي التصور العقلي ، والحفظ ، والذهن ، والذكاء ، والرأي ، واليقين فالتصور العقلي : هو حضور صورة الموجودات في النفس ملخصة ، والحكم على كل واحد منها بما هو كذلك .

والحفظ : هو ثبات صورة المعقولات والمحسوسات في النفس .

والذهن : هو جودة التمييز بين الأشياء .

والذكر : هو سرعة المعرفة والعلم بما يلابسه الفكر .

وذلك أن المعرفة : هي تصورٌ ما حسيٌّ ، والعلم هو تصورٌ ما عقليٌّ ، والمعرفة هي إدراك صورة الأشياء بما تتميز به عن غيرها ، والعلم هو إدراك حقائق الأشياء .

والرأي : هو نهاية الفكر .

واليقين : هو مطابقة العقل معقوله .

أما قوى العقل العرضية ، فهي الظن والتوهم والشك : فأما الظن فهو تحاذي الرأيين .

التوهم : هو موافقة الظن من غير إثبات الحكم .

والشك : هو تردد النفس بين الإثبات والنفي .

وهذه الثلاث إنما تكون للعقل بتوسط ضعفه عن الوقوف على حقيقة مطلوبه ، ويرتبط الجزء السابق بمجموعة مهمة من المفاهيم السيكولوجية التي قدم المؤلف تعريفات تقترب إلى حدٍّ كبير من التعريفات الحديثة (ص ١٩) .

والعقل هو الذي من شأن الجزء منه أن يصير كُلًّا ، أريد : أن من شأن عقل شخص واحد من أشخاص الناس ، الذي هو جزء العقل الكلي ، أن يدرك جميع المعقولات إذا سَلِم من الموانع العرضية .

الإنسان والخير والسعادة :

والإنسان بقوة العقل معرَّض مهيأ لطلب السعادة ، وهي إدراك الخير على الحقيقة ، والخير على الحقيقة هو ما يؤثر لذاته ؛ لأن الخير على المجاز هو ما يؤثر لأجل ما يؤثر لذاته .

والشيء المأثور لذاته هو الذي لا يُكره في حال من الأحوال ؛ فإذن السعادة : هي إدراك الذي لا يكره في حال من الأحوال .

والمأثور الذي لا يُكره في حال من الأحوال هو الراحة من غير ألم ؛ وذلك أن الإنسان له راحتان : راحة من ألم وراحة من غير ألم (ص ١٩) .

نظرية اللذة والألم :

فالراحة من الألم : هي التي يشترك فيها الحيوان الأرضي الناطق وغير الناطق ؛ مثل الشبع ؛ فإنه راحة من ألم الجوع ، والرِّي ؛ فإنه راحة من ألم العطش ، وكذلك سائر ما يفيده الإنسان بالقوتين الشهوانية والغضبية إنما هو لذيذ بالإضافة إلى المؤلم ، كالفرح : إنما هو لذيذ بالإضافة إلى الحزن ، والأمن : إنما هو لذيذ بالإضافة إلى الخوف ، والحزن والخوف مؤلمان .

وذلك أن الراحة إنما تؤثر مع وجود ضدها الذي هو الألم ، فإذا عدم الألم فليست مما يؤثر ، ولكن هي مكروهة ، فإن الإنسان إنما يؤثر الطعام مع وجود الجوع ، فأما مع عدمه فهو مكروه لا محالة ، لكن يكره أن يزداد طعامًا مع وجود الشبع ، كذلك سائر ما ذكرناه . ويرتبط الجزء السابق بمفاهيم اللذة والألم والانفعالات ؛ (مثل : الفرح والحزن والخوف (ص ٢٠) .

الراحة الإنسانية :

والراحة من غير ألم هي ما يختص به الحيوان الناطق فقط ، وهو العلم بكل حق بعد الجهل به والعمل لكل نافع بعد الإلغاء له ، أي بعد اعتقاده أنه لغو ؛ لأن العلم والعمل إنما هما علم وعمل بالإضافة إلى الجهل والإلغاء ، والجهل والإلغاء ليسا بمؤلمين .

والعلم بكل حق ، والعمل لكل نافع هما جزءا الحكمة ، فإذًا إدراك الحكمة هو الراحة من غير ألم ؛ وذلك أن هذه الراحة هي التي تؤثر مع وجود ضدها وعدمه جميعًا ، فهي لا تكره في حال من الأحوال ؛ فإن الإنسان الجاهل يؤثر أن يعلم ، والعالم يؤثر أن يزداد علمًا ، فلذلك لزم أن يكون الإنسان فقط مُهيئًا لطلب المأثور الذي لا يُكره في حال من الأحوال ، وهو العلم بكل حق ، والعمل لكل نافع .

فواجب أن يكون إدراك هذا هو السعادة ؛ لأن الإنسان يتميز عن سائر الحيوان الأرضي بالعقل ، فالعقل لا بد أن يتميز عن سائر غيره من الحيوان بما لا يشاركه سائر الحيوان الأرضي فيه ، وما لا يشارك الإنسان غيره من الحيوان الأرضي فيه هو إدراك الحكمة ، ويرتبط الجزء السابق بمفهوم الراحة النفسية أو الاستقرار الانفعالي ، وكذلك مفهوم القيم العلمية (ص ٢٠ - ٢١) .

الإنسان الحقيقي :

وقد لزم من هذا الشرح أن يكون الإنسان الجاهل بعلم كلِّ حقٍّ ، الملْغى لعلم كل نافع إنما هو إنسان بالقوة ، أريد : أنه يمكن أن يكون إنسانًا ، فإذن الإنسان الذي ليس بحكيم هو إنسان ناقص ؛ لأنه غير مميز من الحيوان الذي ليس بناطق بما أفرده به العقل .

والإنسان الحكيم هو الإنسان بالفعل ، أريد به : الإنسان التام ؛ لأنه تميز عن الحيوان الذي ليس هو بناطق بما أفرده من العقل (ص ٢١) .

أقسام الفلسفة وفوائدها :

الحكمة جزءان مركبان هما علم كل حق ، وعمل كل نافع ، فجزء العلم منها ينقسم ثلاثة أقسام : رياضي ، وطبيعي ، وإلهي ، بينما ينقسم جزء العمل إلى قسمين : أحدهما : حفظ الصحة ، والآخر : حيلة البُرء (ص ٢١) .

الإنسان التام بالسعادة مع الحكمة :

وهنا يوضح المؤلف أن الإنسان يتم معنى الإنسانية فيه باستكماله إنسانًا ، وهو أن يدرك ما إليه تشوق النفس الناطقة ، وهو السعادة التي ذكرنا أنها الراحة من غير ألم ، وهذا إنما هو الحكمة ، يكون ثمرة ذلك له : أن يعلم حقائق الموجودات ومبادئها وعللها وأسبابها وتشبه من أفعاله بالله تعالى ذكره ، وهو استعمال فعل العدل الذي هو الخير المحض ؛ ولذلك حُدَّت الحكمة فقيل : الحكمة هي التشبه بالله (تعالى ذكره) في أفعاله بمبلغ طاقة الإنسان ، ويرتبط الجزء السابق بمفهوم الانفعالات وبخاصة السعادة (ص ٢١) .

فوائد الحكمة وفضائلها :

يستفيد بالحكمة معنيين : أحدهما في ذاته ، وهو الفضل ، والآخر فيما يعانيه ، وهو العدل ، وفضائل الحكمة ثلاث : **نظرية** : وهي استعمال البرهان في إدراك حقائق الموجودات ، **وخُلقية** : وهي تهذيب الأخلاق ، واستعمال التلطف والتأني في الحكم في جميع الأمور **وسياسية** : وهي تهذيب أمور العوام وضبطهم عن فعل القبيح ، وكفُّهم عن التغالب ، وقمعهم عن التجاهل بأبلغ صنع يؤدي إلى إصلاحهم ، وردع قويهم عن ضعيفهم ، والإنصاف لمظلومهم من ظالمهم ، وما شاكل ذلك .

المنهج للوصول إلى الحكمة :

والسلوك إلى إدراك الحكمة ، وهي علم الحقائق ، وعمل النافع ، طريق شرعها الحكماء وأوضحوها وشيدوا أعلامها ، وأصول ومبادئ رتبوها وأحكموا ترتيبها ترتيبًا يتلو بعضها بعضًا ، لا يمكن الوقوف على الثاني منها حتى يُوقف على الأول ، وجعلوا مبدأها والمدخل إليها صناعتين : صناعة الهندسة والأخرى صناعة المنطق ، والهندسة : هي صناعة يعلم بها خواص المقادير علمًا برهانيًا ، والمنطق : هو صناعة يُميز بها بين الصدق والكذب في الأقاويل والحق ، والباطل في الاعتقادات ، والخير والشر في الأفعال ، وقد قدم المؤلف على مدار بقية الرسالة تفصيلًا شاملًا لكل صناعة من هاتين الصناعتين (ص ٢٢ - ٣٤) .

أوجه الاستفادة من المقالة في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذه الرسالة في مجال علم النفس العام .

* * *

الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)
طيف الخيال [١]

عرض : د. جمعة سيد يوسف

التعريف بالمؤلف :

هو أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى الملقب بالمرتضى ، ولد ببغداد (٣٥٥هـ) ، وبدأ حياته الدراسية بحفظ القرآن على يدي أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري الفقيه المالكي ، ثم درس على أبي عبد الله محمد بن النعمان الفقيه الإمامي ، الملقب بالشيخ المفيد ، وبابن المعلم بمسجده بالكرخ .

وكان المفيد المتوفى (سنة ٤١٣هـ) فقيه الشيعة الإمامية في عصره ، متبحرًا في كثير من العلوم ، مبجلًا محترمًا ، صاحب منزلة رفيعة عند الملوك ، والأمراء البويهيين ، ومن تلاميذه : الرضي ، والمرتضى ، وأبي جعفر الطوسي .

وتلقى المرتضى الاعتزال على يد قاضي القضاة ، عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار ، أحد شيوخ المعتزلة في عصره ، ومؤلف كتاب « المغني » الذي عرض فيه لتاريخ أبي بكر وعمر وعثمان ، وقد ألف كتابًا أسماه « الشافي » ردًّا على كتاب « المغني » وقد تضمن هذا الكتاب ، فيما يروى ، مطاعن فاحشة في الخلفاء الثلاثة بلغت حد إخراجهم من زمرة المسلمين .

أما النحو وعلوم اللغة فقد تلقاها عن أبي علي الفارسي المتوفى (سنة ٣٧٧هـ) ، وابن

---

(١) تحقيق محمد سيد كيلاني ، ط. ١ ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، (١٩٥٥م) ، (ص ١٢٣) .

السيرافي المتوفى سنة ٣٨٥هـ ، وابن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ ، وعلي بن عيسى الربعي المتوفى سنة ٤٢٠هـ .

وكان المرتضى على جانب من الثراء ، مكن له من التفرغ للعلم ، وقد آلت إليه نقابة الطالبين بعد وفاة أخيه الرضي ، وقد ذكر ياقوت عن أبي جعفر الطوسي أنه قال : توحد المرتضي في علوم كثيرة ، مجمع على فضله ، مقدم في العلوم مثل علم الكلام ، والفقه وأصول الفقه ، والأدب ، والنحو ، والشعر ، ومعاني الشعر ، واللغة ، وله ديوان شعر يزيد عن عشرة آلاف بيت .

ومن مؤلفات المرتضى التي وصلت إلينا ، الأمالي وهو أشهر كتبه ، والشهاب في الشيب والشباب (طبع في الأستانة سنة ١٣٠٢هـ ، والكتاب الذي بين أيدينا استمدت هذه الترجمة مما ورد في مقدمة محقق الكتاب الحالي) .

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ١٢٣ صفحة من القطع الصغير ، ويحتوي على إهداء الكتاب للدكتور طه حسين من المحقق ، ومقدمة المحقق ، ومقدمة المؤلف ، ثم ما جاء في طيف الخيال في شعر أبي تمام والبحتري ، وما أخرجه المؤلف من شعر أخيه الشريف الرضي في طيف الخيال ، وما أخرجه المؤلف من شعره هو في طيف الخيال . وخاتمة ، ثم فهرس الموضوعات ، وفهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن ، وفهرس القوافي .

وكتاب طيف الخيال ، منشور عن نسخة شمسية محفوظة بدار الكتب المصرية ، مأخوذة عن نسخة خطية بمكتبة الأسكوريال ، وقد سجلته دار الكتب في فهارسها على أنه للشريف الرضي ، غير أن المحقق يجزم بأنه للشريف المرتضى .

موضوع هذا الكتاب هو « طيف الخيال » الذي أكثر الشعراء من ذكره في قصائدهم الغزلية ، وهو موضوع طريف حقًّا ، وقد كان الشاعر العاشق الولهان ، الذي حالت الظروف بينه وبين محبوبته ، يظل مشغولاً بهذه المحبوبة ، دائم التفكير فيها ؛ فلذلك كان يراها في النوم ، وينال منها ما يشاء ، ثم يتحدث عن ذلك في شعره ، فالحديث عن طيف الخيال ، هو حديث عن أحلام كل شاعر بمحبوبته ، وقد كثر هذا في الشعر العربي ، حتى صار موضوعًا يحتاج إلى دراسة مستقصية منظمة ، ولعل المرتضى أول من تناول هذا الموضوع في كتاب مستقل ، ولكنه لم يستقص كل ما ورد في الشعر عن طيف الخيال ، بل قصر كلامه على شعر أبي تمام ، والبحتري ، وشعره ، وشعر أخيه

الرضي ، وإن كان قد أشار إلى أبيات قليلة لبعض شعراء آخرين ؛ مثل قيس بن الخطيم ، والنمر بن تولب ، ووازن بين معاني هذه الأبيات وبين ما ورد عند البحتري وأبي تمام .

ويبدو في ذلك كله محللًا ومعقبًا ، مستعينًا على توضيح ما يريد بالأمثلة ، ولا يقتصر تحليله على المعاني والصور ، وإنما يمتد للعبارة والكلمة ، أو بالأحرى للجملة اللغوية .

ويلفت المرتضى النظر إلى مبررات إخراجه لهذا الكتاب ، ويرى أن من فوائده أن « الطيف » قد يوصف بالمدح تارة ، وبالذم تارة أخرى ، ولمدحه وجوه متشعبة ، فمما يمدح به : أنه يعلل المشتاق المغرم ، ويمسك رمق المَغنِي المُسْقَم ، ويكون الاستمتاع به ، والانتفاع به ، وهو زور وباطل ، كالانتفاع لو كان حقًّا يقينيًا .

ومما يمدح به ، أنه زيارة من غير وعد يخشى مطله ، ويخاف لَيُّهُ وفوته ، واللذة التي لم تحتسب ، ولم ترتقب ، يتضاعف بها الالتذاذ ، والاستمتاع ، وأنه وصل من قاطع ، وزيارة من هاجر ، وعطاء من مانع ، وبذل من ضنين ، وجود من بخيل ، وللشيء بعد ضده من النفوس موقع معروف غير مجهول (ص ١٤ - ١٥) .

ومن مليح مدحه وغريبه أنه لقاء واجتماع لا يشعر الرقباء بهما ، ولا يخشى منع منهما ، ولا اطلاع عليهما ، والتهمة بهما زائلة ، والريبة عنهما عادلة ، وأنه تمتع وتلذذ لا يتعلق بهما تحريم ، ولا يقترب منهما تأثيم ، ولا عيب فيهما ولا عار (ص ١٥) .

ويوضح الشريف المرتضى أنه سابق لغيره في تقديم هذه المعاني لـ « طيف الخيال » ؛ حيث لم يسبقه أحد إلى ذلك ، سواء في لغة الشعراء أو في لغة النثر ، ثم يفسر بعد ذلك سبب تعجب الشعراء كثيرًا من زيارة الطيف على بُعد الدار ، وشَحْط المزار ، ووَعْرَة الطرق واشتباه السبل ، واهتدائه إلى المضاجع من غير هادٍ يرشده ، وعاضد يعضده ، وكيف قطع بعيد المسافة بلا حافر ولا خف في أقرب مدة ، وأسرع زمان والسبب - كما يراه الشريف المرتضى - لأن الشعراء فرضوا أن زيارة الطيف حقيقة ، وأنها في النوم كاليقظة .

أما ذم الطيف ، فإنه قد يذم بأنه باطل وغرور ، ومحال وزور ، ولا انتفاع بما لا أصل له ، وإنما هو كالسراب اللامع ، وكل تخيل فاسد . وربما ذم بأنه سريع الزوال ، وشيك الانتقال ، وبأنه يهيج الشوق الساكن ، ويضرم الوجد الخامد ، ويذكر بغرام كان صاحبه عنه لاهيًا وساهيًا .

وهذه المعاني في مدح وذم الخيال قد تتشعب ، وتتركب وتمتزج ، فيتولد بينها من المعاني ما لا ينحصر ، ولا يمكن خطه ، بحسب قوة طباع الشاعر ، وصحة قريحته ، وصفاء ذهنه .

ومن خلال استعراض الشريف المرتضى لأبيات الشعر وتحليلها ، يرد على الآمدي عند تعرض الأخير للنفس ، ويرى أنها في اللغة العربية عبارة عن أشياء كثيرة منها الدم ، وسميت النفساء بهذا الاسم لأجل الدم ، ويُعَبَّر بالنفس عن الذات ، ويقال : فعلت ذلك بنفسي ، وجاء زيد نفسه ، ونفسي تتوق إلى كذا وكذا ، أي أنا تائق إليه . ثم ينتقد أيضًا قول الفلاسفة بأن النفس جوهر بسيط ونسبة الأفعال إليها . ويبين أن الفاعل المميز الحي الناطق هو الإنسان الذي هو هذا الشخص المشاهد ، دون جزء فيه أو جوهر بسيط يتعلق به (ص ٣٨ ، ٣٩) .

ولن نناقش بالطبع آراءه في النفس ، وإنما ما يلفت النظر هنا أنه كان ذا رأي في النفس وأحوالها ، وما يدل على أخذه ذلك مأخذ الجد التصدي للفلاسفة محاولًا تفنيد أقوالهم فيها .

ورغم أن موضوع الكتاب يقتصر على تحليل لأبيات شعرية لمؤلفين عدة ، لاستخراج ما يتعلق بطيف الخيال ومعانيه وما قيل فيه ، فإن الفائدة التي يمكن تحصيلها هنا بالنسبة لعلم النفس ، هي فائدة غير مباشرة ، فقد أصبح لعلماء النفس في الوقت الحاضر اهتمام مباشر بدراسة الخيال دراسات علمية تجريبية ، بل إن هناك كتبًا كاملة خصصت لمناقشة هذا الموضوع سواء في اللغة العربية (وهي قليلة إلى حدٍّ ما) أو في بعض اللغات الأجنبية هذا مع تحفظ نذكره هنا ، وهو أن معنى الخيال يدرس في إطار دراسات الإبداع ، وكيف تؤدي عمليات التخيل إلى إنتاجات إبداعية . وتُعَرَّف الصور الخيالية بأنها النشاط الخاص بالتصور التخطيطي الداخلي للأشياء ، وكذلك عملية تحويل هذه التصورات الداخلية وإنتاجها ، وللصور العقلية ارتباط بالمخ خاصة نشاط النصف الأيمن من المخ .

وبالتالي فإن هذا الكتاب يكشف عن اهتمام مبكر بالخيال ، وإن لم يكن هذا الاهتمام اهتمامًا علميًا كما هو في الوقت الراهن .

* * *

ابن بطلان البغدادي (ت ٤٤٤هـ)
رسائل ابن بطلان البغدادي [١]

عرض : د. جمعة سيد يوسف

التعريف بالمؤلف :

هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان ، نصراني من أهل بغداد ، وكان قد اشتغل على أبي الفرج عبد الله بن الطيب ، وتتلمذ له وأتقن عليه قراءة كثير من الكتب الحكيمة وغيرها ، ولازم أيضًا أبا الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحراني الطبيب ، واشتغل عليه وانتفع به في صناعة الطب وفي مزاولة أعمالها ، وكان ابن بطلان معاصرًا لعلي بن رضوان الطبيب المصري وكانت بين ابن بطلان وابن رضوان المراسلات العجيبة ، والكتب البديعة الغريبة ، ولم يكن أحد منهم يؤلف كتابًا ولا يبتدع رأيًا إلا ويرد الآخر عليه ويسفه رأيه فيه .

وقد زار ابن بطلان مصر لمشاهدة علي بن رضوان ؛ والاجتماع به ، وقد مكث في مصر ثلاث سنين ، وكان ابن بطلان أعذب ألفاظًا ، وأكثر ظرفًا ، وأميز في الأدب ، وما يتعلق به ، وكان ابن رضوان أطلب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها ، وقد سافر ابن بطلان من مصر مُغْضِبًا على ابن رضوان وورد أنطاكية (وفي رواية أخرى ذهب إلى القسطنطينية وأقام بها سنة وعرضت في زمنه أوباء كثيرة) ونزل بعض أديرة أنطاكية ، وترهب وانقطع إلى العبادة شهور إلى أن توفي بها سنة أربع وأربعين وأربعمائة .

---

(١) القاهرة ، الجامعة المصرية ، كلية الآداب ، (د.ت) ، (ص ٩١) ، سلسلة كلية الآداب ، المؤلف رقم (١٣) ، نسخة مصورة ، رسائل ابن بطلان من مجموعة رسائل ابن بطلان وابن رضوان ؛ تقديم : يوسف شخت .

ولابن بطلان من الكتب : كناس الأديرة والرهبان ، وشراء العبيد وتقليب المماليك والجواري ، وتقويم الصحة ، ومقالة في شرب الدواء المسهل ، ومقالة إلى علي بن رضوان ، وكتاب دعوة الأطباء ، ووقعة الأطباء ، ودعوة القسوس ، ومقالة في مداواة صبي عرضت له حصاة .

(هذه الترجمة مما ورد في مقدمة المحققين نقلاها عن تاريخ الحكماء لابن القفطي ، وعن كتاب عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة) .

ولابن بطلان في هذه الرسائل الخمس ، رسالتان ، الأولى في أن الفرُّوج أحر من الفرخ (ولا نجد لها فائدة مباشرة بما نبغيه هنا وبالتالي سنتجاوزها ونركز على رسالته الثانية) .

نص الرسائل :

هذه المجموعة من الرسائل عبارة عن خمس رسائل ؛ اثنتين منها لابن بطلان وثلاث لابن رضوان .

وتقع هذه المجموعة كلها في حوالي ٤٤ صفحة ، طبعت معًا ، والرسالة الأولى لابن بطلان في أن الفروج أحر من الفرخ (وليس لها فائدة مباشرة بما نبغيه هنا وبالتالي سنتجاوزها) ، والثانية هي رسالة في مناقضات علي بن رضوان وأسماها المقالة المصرية ، وسوف نعرضها فيما يلي .

وقد سميت هذه الرسالة بهذا الاسم ؛ لأن صاحبها صنفها بالفسطاط في سنة إحدى وأربعين أربعمائة ، أودع فيها مسائل ومحاورات هي أجوبة عما فعله ابن رضوان في رسالته التي ناقضه بها .

ويستهل مقالته هذه ببيان سبب وضعها فيقول : (الانتساب إلى الصنائع والاشتراك في البضائع مُرُوَّات وذمم ، وحرمات وعِصَم ، أدنى حقوقها بذل الإنصاف ، وأحد فروضها اجتناب الحيف والإشراف ، ويتصل بي عن مولاي الشيخ الفاضل (أدام اللَّه توفيقه ، وأوضح إلى الحق طريقه) ، بلاغات إذا قايستها بما ألفته من حدة طباعه ، كدت أصدق بها وإن عزوتها إلى ما خصه اللَّه به من العلم قطعت بكذبها) . وهذه المقالة تضم سبعة فصول :

الفصل الأول : في العلل التي لأجلها صار المتعلم من أفواه الرجال أفضل وأسهل من المتعلم من الصحف إذا ما كان قبولهما واحدًا ؛ وعلة ذلك أن وصول المعاني يجري من النسيب إلى النسيب والنسيب الناطق ، وهو المتعلم والمعلم ، وغير النسيب جماد وهو

الكتاب ، وبعد الجماد من الناطق مطيل لطريق الفهم وقرب الناطق من الناطق مسهل للفهم ، فالفهم من المعلم أسهل (ص ٥٠) كذلك فإن المتعلم إذا استعجم عليه ما يفهمه المعلم من اللفظ نقله إلى لفظ آخر ، والكتاب لا ينقل من لفظ إلى غيره (ص ٥٠) .

من علل ذلك أيضًا أن النفس العالمة علامة بالفعل وصدور الفعل عنها يقال له تعليم ، والنفس المتعلمة علامة بالقوة وقبول التعليم فيها يقال له تعلم (ص ٥٠ - ٥١) ، والعلم موضوعه اللفظ ، واللفظ على ثلاثة ضروب ، قريب من العقل : وهو الذي صاغه العقل مثالًا لما عنده من المعاني ، ومتوسط : وهو المتلفظ به بالصوت ، وهو مثال لما صاغه العقل ، وبعيد : وهو المثبت في الكتب (ص ٥١) ، ومن العلل أيضًا أن قراءة المتعلم الكتاب على المعلم يوصل إليه العلم من حاسة السمع بلفظ المعلم ومن حاسة البصر من خط الكتاب (ولعل ابن بطلان في حديثه السابق قد مسَّ بعض موضوعات علم النفس مسًّا مباشرًا أولها ما ينطوي تحت ما يسمى بسيكولوجية اللغة Psycholinguistics سواء من حيث فهم اللغة أو إنتاجها ، وكذلك موضوع التخاطب ، خاصة التخاطب اللفظي Verbal Communication ويدخل ضمن اهتمامات علم النفس الاجتماعي ، ويقترب كذلك من موضوع التعلم Learning وهو أحد الموضوعات الرئيسية الواسعة في علم النفس الحديث ، والتي تدرس مستقلة وفيها نظريات كثيرة وأساليب متعددة ، كما تناول أيضًا موضوع العلاقة بين الفكر (العقل وما به من معانٍ) وبين اللغة ، وهي قضية قديمة حديثة ما تزال تشغل بال علماء النفس اللغويين ، وأخيرًا يلفت النظر إلى موضوع الإدراك السمعي Auditory Perception والإدراك البصري Visual Perception والتآزر بينهما ودورهما في عملية التعليم (ص ٤٨ - ٥٣) .

وبعد ذلك يَعبُر ابن بطلان (أو الناقل عنه) الفصلين الثاني والثالث ، ثم يحدثنا في الفصل الرابع في أن من عادات الفضلاء إذا قرأوا كتابًا من كتب القدماء أن لا يقطعوا في علمائها بظن دون معرفة الأمر على الحقيقة ، ويستدل على التأني في الطلب ، وعدم التسرع برصد أرسطو للقوس الكائن عن القمر أكثر عمره ، وجالينوس واظب على طلب السكون الذي بعد الانقباض سنين كثيرة إلى أن أدركه ، ثم يحاول تبرئة نفسه مما نسب إليه بسبب بعض ما اقترحه من علاجات لبعض الأمراض سيرًا على الطريقة البيقراطية (كما سماها) ، وأن هذه الأدوية إن كانت تصلح في بغداد فإنها لا تصلح في مصر لاختلاف الجو (ص ٥٣ - ٥٤) ؛ ولذلك يعرض ابن بطلان ليصف بغداد وصفًا

دقيقًا ، وكيف أنها تختلف عن مصر ، وأن أهلها يختلفون كذلك عن أهل مصر .

والفصل الخامس : في مسائل مختلفة صادرة عن براهين صحيحة من مقدمات صادقة ، ويلتمس أجوبتها بالطريقة البرهانية ، والمسألة الأولى وهي تتعلق بالبلاد والأهوية ، والمسألة الثانية تتعلق بالسماع .

والفصل السادس : في تصفح مقالته (يقصد ابن رضوان) التي طلب من ابن بطلان فيها أن يسأله ألف مسألة على أن يسأله ابن رضوان مسألة واحدة (كنوع من التحدي) ويرد ابن بطلان على ذلك التحدي ويفرق بين طريق الخطباء والأطباء والفلاسفة في المحاورة ، وبين طريق الشعراء في الذم والهجاء . وكيف أن ابن رضوان أخرج نقده وهو تحت تأثير القوة الغضبية دون الناطقة (وهو هنا يبدو متأثرًا بابن سينا في التمييز بين قوى النفس) والقوة الغضبية تقابل انفعال الغضب والدافعية .

(وهو من موضوعات علم النفس العام) والقوة الناطقة وتقابل العقل أو التفكير ويدرس في علم النفس العام ، كما يدرس في علم النفس الإكلينيكي حال اضطرابه (ص ٦٣) ، ويتعرض في ثنايا هذا الرد كذلك للأخلاط الرديئة التي تتبع رداءة المزاج ؛ لأن النفس تابعة للمزاج (وهنا إشارة إلى الجانب المزاجي من الشخصية ، وهو جانب مهم في اهتمامات علماء النفس المحدثين (ص ٦٤) ، كما يذكر مرض الماليخوليا (وهي تقابل ما يسمى في الطب النفسي الحديث بمرض الاكتئاب Depression وهو من الأمراض النفسية والعقلية التي يعنى بها علماء النفس الإكلينيكيون من بعض الوجوه (ص ٦٤) . ويذكر أيضًا ، حديثًا سريعًا ومختصرًا عن الحواس المختلفة ، وعلاقتها بالإدراك (وهو باب من أبواب علم النفس العام وأعني الإحساس Sensation والإدراك الحسي Sensory Perception (ص ٦٦) .

والفصل السابع : في تتبع مقالته في النقطة الطبيعية ، وكشف ما دخل عليه فيها من الشبهة . ويذكر فيها - بشكل عابر - بعض المفاهيم ذات الخلفية السيكولوجية مثل القوة الناطقة (أو العقل وقد سبقت الإشارة إليها) والغضب ، والغباء (وهو يقابل ضعف الذكاء وإن كان علماء النفس المحدثون قد تخلوا عن استخدامه) وفساد العقل بمواصلة السكر (وهو من موضوعات علم النفس الحديث ذات الأهمية القصوى (ص ٩٩) .

* * *

الماوردي (ت ٤٥٠هـ)
أدب الدنيا والدين [1]

عرض : د. إبراهيم شوقي عبد الحميد

التعريف بالمؤلف :

- هو علي بن محمد بن حبيب البصري المعروف بالماوردي ، نسبةً إلى بيع ماء الورد .
- فقيه وأصولي ومفسر وأديب وسياسي .
- فقيه شافعي ، يميل إلى مذهب الاعتزال .
- أخذ الفقه عن أبي القاسم الصيمري بالبصرة ، ثم عن الشيخ أبي حامد الإسفرايني ببغداد .
- وولي بالقضاء ببلدان كثيرة ، وبلغ منزلة عند الملوك وكبار الأمراء ورقي لمنصب « أقضى القضاة » في أيام القائم بأمر اللّٰه العباسي .
- توفي في آخر سنة ٤٥٠هـ ببغداد ، وعمره ست وثمانون سنة .
- من تصانيفه في الفقه والأدب :

الحاوي الكبير في فروع الفقه الشافعي .

أدب الدنيا والدين .

قانون الوزارة .

قوانين الوزارة .

---

(١) الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية (١٩٨٧م) ، (ص ٣١٨) .

سياسة الملك .

نصيحة الملوك .

تفسير القرآن الكريم .

النكت والعيون .

الأحكام السلطانية .

(انظر معجم المؤلفين لكحالة ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، والأعلام للزركلي) .

عرض الكتاب :

يقع هذا الكتاب في ٣١٨ صفحة من القطع المتوسط ، ويشمل خطبة الكتاب ، ثم أبواب الكتاب وفصوله ، وفهرس موضوعاته .

● **الباب الأول : في فضل العقل وذم الهوى :**

وفيه ينقسم العقل إلى نوعين ؛ عقل غريزي وهو ذكاء بالطبع ، ومكتسب وهو ذكاء بالخبرة ، ويعرض للفروق والعلاقات التي تسود بينهما (ص ٦ - ١٢) ، ثم يعرض لفضائل العقل ورذائل الحمق (ص ١٢ - ١٦) ويشير بعد ذلك إلى الهوى وماهيته ومضاره ووجوب جهاده (ص ١٧ - ٢٣) .

وينفرد هذا الباب بدلالة مهمة ، تتمثل في تقسيم العقل إلى غريزي ومكتسب ، ويشير الذكاء الغريزي إلى الاستعداد Aptitude الذي نمي بالخبرة والتجربة فصار قدرة Ability أو ذكاء بالخبرة ، بعد أن كان ذكاء بالاستعداد ، ونجد في أن الذكاء Intelligence محصلة لإسهامات كل من الوراثة والبيئة ، كذلك نجد في نفس الباب أن وظيفة العقل كف الدوافع الفطرية ، ويقصد بها الغرائز .

● **الباب الثاني : باب أدب العلم :**

وفيه يعرض لفضل العلم على المال ، وفضل العلماء على الأغنياء والأمراء . كما يفاضل بين العلوم . فمن أفضلها علوم الدين ، خاصة الفقه ؛ لأن العبادة دون علم بها قد لا تكون عبادة . ثم يعرض لكيفية طلب العلم ووسائله كالتدرج واستخدام الرموز بين العلماء ، ثم يعرض لمشكلات التواصل بينهم وأسبابها كوجود علة في الرسالة ذاتها ، أو علة في المستمع كالبلادة أو عدم صبره على طلب الفهم ، أو عدم القدرة على الحفظ ، والتي يمكن علاجها بكثرة الدرس وإدامة النظر ، كما يشير إلى أهمية تسجيل العلم كتابة لعدم

نسيانه . ثم يعرض للأسباب التي تحول دون فهم معنى الكلام سواء أكان لفظًا أو خطًا .

كما يتناول أهم واجبات المتعلم نحو معلمه (الخضوع والطاعة والتوقير لمعلمه) ؛ لذلك يعرض لآداب العالم كعدم التفاخر بما تعلمه وعدم الفتوى دون علم (ص ٥٩ - ٦١) وهو ما يمثل بعض أشكال السلوك الأخلاقي للمعلم Moral Behavior كما يحث على مراعاة قدرات المتعلمين حتى لا يثار الملل لدى الأذكياء أو الضجر في عقول البلداء الجاهلين ، وهو ما يؤكده علماء النفس التربوي Educational Psychology (ص ٤٣ - ٤٤) .

وفي هذا الباب نلمح فكرة التدرج في طلب العلم والمران Training (ص ٣٦ - ٣٨) . ودور الاستبصار كطرق للتعلم Learning ، كما يعرض لمشكلات التواصل Communication ومنها عيوب أو اضطرابات الذاكرة والدافعية للتواصل والبلادة (انخفاض الذكاء ص ٤٢ - ٤٦) ويشير إلى علاج مشكلات الذاكرة بكثرة الدرس ، وإدامة النظر وهي نصيحة تختص بعملية تثبيت المعلومات Fixation في الذاكرة حتى يسهل استدعاؤها Recall (ص ٤٥) كما يحث في نفس الباب على إثارة دافعية التعليم عن طريق الامتناع عن استخدام العقاب Punishment أو التوبيخ أو التعنيف للمتعلمين (ص ٦٩) كذلك نجده يذم المتعلم دون فهم ، ويشار إليه حديثًا بالذاكرة الصماء Rote Memory (ص ٤٥) .

● **الباب الثالث : باب أدب الدين .**

ويعرض لجوانب التكليف الإلهي للعباد التي تشمل الأوامر والنواهي ، سواء على مستوى الاعتقاد أو الفعل . كما يعرض للفرائض وفقًا لأولوية فرضها ، وأهمية كل فريضة والمفاضلة فيما بينها . كما يشير لفكرة التدرج في التكليف ، والحث على الصبر وعلى فعل الطاعات ، والصبر عن فعل المعاصي .

ثم يعرض لأقسام موقف الإنسان من العبادات : وهي الاكتمال أو التقصير أو الزيادة فيما كلف . وبعد ذلك يحذر من الافتتان بالدنيا والانشغال بملذاتها . ثم يعرض لأفكار نظرية ونماذج من الصحابة الذين لا يخشون الموت ويتوقعونه في أي لحظة ، فتوقع الموت ينم عن عدم الاكتراث بالدنيا والإعداد للآخرة .

ويلاحظ أن المؤلف يشير إلى أن البعض يمارس العبادة بالزيادة عما كلف اقتداءً بغيره من الأخيار (ص ٨٧ ، ٨٨) وفي ذلك إشارة إلى مفهوم الاقتداء أو النمذجة Modeling

وهي أحدث أساليب التعلم الاجتماعي Social Learning ، كذلك في الحث على كف الشهوات نجد الإشارة إلى قمع الشهوات والسيطرة عليها . كما نجد إشارة صريحة إلى الخوف من الموت وهو يمثل أحد أنواع القلق ويسمى قلق الموت Anixety Of Death أما عن مظاهره السلوكية والوجدانية فقد وردت في هذا الباب (ص ٩٥ - ١٠٦) .

● **الباب الرابع : أدب الدنيا :**

وفي هذا الباب يشير المؤلف إلى أن الإنسان مخلوق عاجز بالنسبة لبقية المخلوقات ، لديه العديد من الحاجات التي تتطلب الإشباع ، وهو بالتالي أكثر حاجة إلى خالقه . ويعرض أيضًا لقواعد صلاح الدنيا هي : الدين المتبع ، وسلطان قاهر ، وعدل شامل ، وأمن عام ، وخصب دائم وأمل فسيح ، ثم يعرض لقواعد صلاح حال الإنسان وهي النفس المطيعة والألفة الجامعة (المؤاخاة) والمادة الكافية : ويقصد بها أن الإنسان قوامًا أو مادة يلزمها الكسب لكي تدوم له حياته ويستقيم له دينه ، ويلي ذلك عرض لمصادر الكسب وأنواع الصناعة ، ودواعي الإفراط في طلب المال .

وفي هذا الباب نجد الإشارة إلى عجز الإنسان وكثرة حاجاته Needs ودوافعه Motives (ص ١٠٧) ، ويشير أيضًا إلى الحاجة إلى الأمن Needs Of Security وهي أحد الحاجات النفسية التي تتطلب إشباعًا ، كما يشير إلى تباين شدة هذه الحاجات بين الأفراد (ص ١١٠) . وهي ظاهرة عامة يشار إليها بالفروق الفردية Individual Differences . أما بالنسبة لأفكاره عن أسباب الألفة والمؤاخاة (الدين - النسب - المصاهرة .. إلخ) (ص ١٤١ - ١٤٣) . فهي ترتبط بمجال العلاقات الاجتماعية بين الأفراد Interpersonal Relationship أما بالنسبة للخصائص الإيجابية والسلبية للبشر ومحكات اختيار الأصدقاء (ص ١٤١ - ١٤٣) فهي تشير إلى سمات الشخصية Personality Traits وفي ثنايا الحديث عن البِرِّ نلمح أفكارًا عن سيكولوجية العطاء (الكرم وحسن الثقة) وسيكولوجية البخل (الشره وسوء الظن) وهو ما يتصل بدافع التملك Possessiveness كما يعرض لدوافع جمع المال ويحث على القناعة Satisfaction ويعرض لمستوياتها (ص ١٥٥ - ١٧٨) . كما يشير إلى طرق الكسب ، ومنها المهن والصناعة فيعرض لأنواعها ودرجاتها ، وهو تقسيم يهم دارسي علم النفس الصناعي والمهني Occupationals Industrial Psychology (ص ١٧٩ - ١٨٩) .

• الباب الخامس : أدب النفس :

يعرض الماوردي لنوعين من التأديب ؛ هما :

١ - تأديب الوالد لولده في صغره وهو ما يتصل بمفهوم التنشئة الاجتماعية Socialization .

٢ - أدب يلزم الإنسان عند نشأته وكبره (ص ١٩٨ ، ١٩٩) .

ويعرض للنوع الأخير في شقين ؛ هما :

أ - أدب المواضعة والاصطلاح : أي اتباع ما استقر عليه العقلاء واستحسنه الأدباء .

ب - أدب الرياضة والاستصلاح : وهو أدب لا يختلف العقلاء في صحته أو خطئه ؛ لأنه يقوم على صحة الدليل والحجة . ويلاحظ أن هذا النوع من التأديب يتصل بمفهوم المجاراة الاجتماعية Social Conformity التي قد تهدف إلى تحقيق التوافق الاجتماعي Social Adjustment (ص ١٩٩ ، ٢٠٠) .

ويعرض الماوردي لأدب الرياضة والاستصلاح من خلال ستة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول : في مجانبة الكبر والإعجاب :

وفيه يذم الكبر والمدح ويعرض لأحاديث وروايات وحكايات وأشعار عن مضار الكبر ، ويتصل ما ورد في ذلك بمفهوم صورة الذات Self Image (ص ٢٠٢ - ٢٠٧) .

الفصل الثاني : في حسن الخلق :

وفيه يعرض لمترتبات حسن الخلق أو سوئه ثم للأسباب التي تغير من الخلق أو الطباع كالولاية والعزل والغنى والفقر والهموم والأمراض وكبر السن ، باعتبار أنها التي تساعد على تغير المزاج والطباع وهو ما يتصل بتغير الشخصية (ص ٢٠٧ - ٢١١) .

الفصل الثالث : في الحياء :

وفيه يحث المؤلف على الحياء ؛ لأنه رادع لأهواء النفس ، ويقسم الحياء إلى حياء من الله ، وحياء من الناس ، وحياء من النفس . ونجد في هذا الفصل بعض الدلالات التي تتصل بعدد من الأرجاع الانفعالية Emotional Reactions كالشعور بالذنب Guilty Feeling والخجل Shame (ص ٢١١ - ٢١٥) .

الفصل الرابع : في الحلم والغضب :

وفيه يحث على الحلم باتخاذ أفضل أسبابه وهي رحمة الجهال ، والقدرة على

الانتصار ، وحسن الثقة ، والترفع عن السباب والاستهانة بالمسيء ، والاستحياء من جزاء الجواب ، والخوف من العقوبة ، والوفاء ، والمكر وغيرها .

كذلك يذم فقدان الغضب في الأشياء المغضبة ، ثم يعرض لمقارنة بين الحزن والغضب ، يتبعه ذكر لوسائل تسكين الألم كذكر اللّه ، والخوف منه ، والطاعة له ، وتذكر مترتبات الغضب ، وتذكر ثواب العفو والصفح .

ويتصل ما ورد في هذا الفصل بالاضطرابات الانفعالية Emotional Reactions مثل التبلد الانفعالي Blunting or Flattening Emotion وشدة الانفعال والذي يشار إليه حديثًا بعدد من المفاهيم النفسية ؛ مثل سرعة الانفعال Irritability or Nervousnecs وطاقة الاستثارة Excitatory Potential (ص ٢١٥ - ٢٢٣) .

الفصل الخامس : في الصدق والكذب :

وفيه يعرض لدواعي الصدق (وهي العقل والدين) ودواعي الكذب (اجتلاب النفع واستدفاع الضر والتشفي من عدو) ويذكر علامات الكذاب يتبعه حديث عن الصدق الذي يقوم مقام الكذب في القبح كالغيبة والنميمة والسعاية (ص ٢٢٤ - ٢٣١) ويتصل ما ورد في هذا الفصل بالسلوك غير الأخلاقي Immoral Behavior .

الفصل السادس : في الحسد والمنافسة :

ويعرض فيه لمضار الحسد وأسبابه ، كفضل المحسود على الحاسد وبغض المحسود ، أو شح في الحاسد وبخله . كما يعرض لطرق مقاومة الحسد (ومن أهمها اتباع الدين والعقل) ثم يذكر مترتبات الإخفاق في مقاومة الحسد ، كسقام الجسد ، وانخفاض المكانة بين الناس ومقتهم له ، إلى جانب اجتناب الأوزار في مخالفة اللّه تعالى ، ومعارضته لقضائه .

وتعد الغيرة Tealousy والحسد Covetousness من الانفعالات المركبة التي تشتمل على عديد من الانفعالات كالغضب والخوف ، بجانب الشعور بالنقص والكآبة ، وللحسد مترتباته النفسية والاجتماعية تعرض لذكرها الماوردي في فصل الحسد والمنافسة ، ويتعرض المؤلف إلى طرق علاج اضطرابات الانفعال كالحسد عن طريق الدين والعقل ، ويقترب ذلك من أسلوب العلاج السلوكي المعرفي الذي يتبعه المعالجون السلوكيون المحدثون (ص ٢٣١ - ٢٣٦) .

• **الباب السادس : أدب المواضعة :**

ويضم ثمانية فصول ؛ هي :

الفصل الأول : في الكلام والصمت :

وفيه يعرض لأهمية الكلام كوسيلة للتعبير عن مستودعات الضمائر ، ويعرض أيضًا لشروط الكلام وهي : أن الكلام لداعٍ يدعو إليه ، وأن يأتي في موضعه ، وأن يقتصر منه على قدر حاجته ، وأن يتخير اللفظ الذي يتكلم به .

ثم يعرض لأوجه صحة المعاني ، ويليها أوجه فصاحة الألفاظ ، ثم يختتم هذا الفصل بذكر آداب الكلام ، كعدم التجاوز في المدح وفي الذم ، وعدم الاسترسال في وعد أو وعيد ، وأن يكتمل القول بالفعل والعمل .

وفي هذا الفصل نجد الإشارة إلى دور الكلام Speech كأحد وسائل التخاطب في توصيل المعاني بين الأفراد ، ويشير أيضًا إلى دوافع سلوك الكلام ، ومنها أن يكون الكلام لداع ، فإن لم يكن لداعٍ فقد معناه (ص ٢٣٧) وهو ما يسمى اللغو وقد يسمى بالإنجليزية Verfegeration وفي عرضه لأوجه صحة المعاني ، يشير إلى علم دراسة المعنى أو الدلالة Semantics وهو أحد فروع علم اللغة الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرموز حتى تكتسب القدرة على نقل المعنى وهو الهدف الأساسي للغة (ص ٢٣٧ - ٢٤٧) .

الفصل الثاني : في الصبر والجزع :

وفيه يعرض لأقسام الصبر ؛ وهي . الصبر على الأوامر ، والصبر على المكاره ، والصبر على ما فات إدراكه ، والصبر فيما يخشى حدوثه ، والصبر فيما يتوقعه من رغبة (ص ٢٤٨ - ٢٥٢) ويجدر بالذكر أن بعض أنواع الصبر كالصبر على الأوامر والصبر على المكاره تتصل بمفهوم نفسي وهو المثابرة Persistence وإن كان مفهوم الصبر أكثر عمومية من المثابرة ، فليس كل صبر مثابرة ، وإنما المثابرة تعد بعض أقسام الصبر .

ثم يعرض بعد ذلك لأسباب تسهيل المصائب وتخفيف الشدائد ، ومنها العلم بأن الحال لا يدوم وأن الشدائد ستنجلي وأنها لا تقصر بجزع ، ولا تطول بصبر ، وهو ما يتصل بطرق العلاج السلوكي المعرفي لتحقيق التوافق النفسي والاجتماعي (ص ٢٥٢ - ٢٦٠) .

الفصل الثالث : في المشورة .

وفيه يحث على مشورة ذوي الرأي الناصح ، والعقل الراجح ؛ خشية الندامة

أو الملامة بعد اتخاذ قرار ما . ثم يذكر خصال أهل المشاورة الواجب استشارتهم ومنها العقل الكامل ، والدين ، والتقوى ، والنصح ، والود ، وسلامة الفكر من الهم ، والحياد ، يلي ذلك عرض لواجبات أهل الشورى ، كالإخلاص في تقديم النصح وعدم تقديم المشورة إلا بعد طلبها (ص ٢٦٠ - ٢٦٦) .

أما الفصل الرابع .

يحث فيه الماوردي على كتمان الأسرار لما له من فوائد ، ويذم مَن لا يكتمون سرًّا ؛ حيث يكون لهم ثلاثة أحوال ؛ هي : ضيق الصدر وقلة الصبر ، والغفلة عن تحذير العقلاء ، والسهو عن يقظة الأذكياء ، وما ارتكبه من الغرر واستعمله من الخطر . ثم يعرض للمقارنة بين حفظ الأموال الخاصة بالغير ، وحفظ الأسرار ، ويستخلص أن الأول أيسر من الثاني ؛ ولذا فإن الأخير يتسم بالندرة بالمقارنة بالأول . كما يعرض لصفات أمناء السر ، ومنها العقل ، والتدين ، والود والكتمان بالطبع ، ثم يحذر بعد ذلك من كثرة المستودعين لسر الشخص ، فكثرتهم سبب الإذاعة وطريق الإشاعة (ص ٢٦٦ - ٢٦٩) .

ويتصل الفصلان السابقان بعملية التشاور Consultation وهي أحد أساليب اتخاذ القرار في مجال علم النفس الصناعي والإداري ، كما يلاحظ أن الصفات التي ذكر الماوردي أنه يجب أن يتحلى بها الشخص الذي يقدم المشورة هي نفس الصفات التي يجب أن يتحلى بها المرشد النفسي (ص ٢٦٠ - ٢٦٦) .

الفصل الخامس : في المزاح والضحك .

وفيه يذكر أن المزاح إزاحة عن الحقوق ، ويؤدي إلى القطيعة والعقوق ، وينصح بأن يكون المزاح في حدود إيناس المصاحبين ، والتودد إليهم بجميل القول ، ومستحسن الفعل ؛ لأن الإكثار في الضحك يفقد الهيبة والوقار ، ويورد بعض الأحاديث النبوية والأشعار والحكايات التي تتصل بهذا الجانب ، ويتصل هذا الفصل بمجال السلوك الأخلاقي خاصة في السياق الاجتماعي (ص ٢٧٠ - ٢٧٤) .

الفصل السادس : في الطيرة والفأل .

وفيه يعرض لحكايات عن الطيرة لدى الفرس والعرب بجانب عدد من الأحاديث النبوية ، والروايات التي تستهجنها ، ويشير إلى الفأل بأنه : تقوية للعزم وباعث على الجد ، ومعونة على الظفر ، ويحث لذلك على التفاؤل وحسن الظن ، ويقترب ما ورد

في هذا الفصل بمفهوم التشاؤم Pessimism والتفاؤل Optimism ؛ وهما : أنواع من المعتقدات Beliefs ، فالتشاؤم : هو الاعتقاد بأن جميع الأشياء تنزع بطبيعتها إلى الشر ، أو الاعتقاد بأن كفة الشر والشقاء أرجح من كفة الخير والسعادة ، عكس التفاؤل والذي يبعث على تقوية العزم والاجتهاد (ص ٢٧٤ - ٢٧٧) .

الفصل السابع : في المروءة :

ويقصد بالمروءة :

مراعاة الأحوال إلى أن تكون النفس على أفضلها حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد ، ولا يتوجه إليها ذم باستحقاق ، ويذكر أن شروط المروءة التعفف عن الحرام ، والتصلف عن الآثام ، والإنصاف في الحكم ، والكف عن الظلم إلى آخره من الصفات الحميدة ، كما يذكر أن من دوافع المروءة علو الهمة وشرف النفس . ثم يعرض لشروط مروءة العبد في نفسه ، وهي العفة عن المحارم والآثام ، والنزاهة عن المطامع والصيانة (صيانة النفس عن تحمل المنن) ، أما شروط المروءة في غيره فهي : المؤازرة (وهي الإسعاف بالجاه في النوائب) والمياسرة (العفو عن الهفوات والمسامحة في الحقوق) والإفضال (إفضال اصطناع وإفضال استكفاف ودفاع) .

ويذكر الماوردي أن الكتاب كله في شروط المروءة وحقوقها ، وهو ما يقترب من مفهوم السلوك الأخلاقي (٢٧٧ - ٣٠٥) .

الفصل الثامن : في آداب منثورة :

ويختص بتناول عدد من الآداب كآداب الملبس : ومنها التوسط والاعتدال في الزي حسب القدرة المالية والمنزلة والحال ، وآداب النوم : حيث يذم نوم الصبح ، ونوم العشي فهو يحث على تصفح ما صدر عن الصبر في نهاره قبل نومه . كما يعرض لدوافع سلوك الأكل والشرب وهي الحاجة والشهوة . كذلك لدوافع الحاجة إلى الملبس وهي ستر العورة والتجمل والزينة . كما يحث على تصفح أحوال الغير ، والاقتداء بمحاسنهم وتجنب عيوبهم . كما ينصح بالتفكير في عاقبة السلوك قبل القيام به . ويلاحظ أن هذا الفصل يقدم عددًا من الإرشادات النفسية التي تخدم غرضًا توافقيًا ، وهو ما يتصل بمجال علم النفس الإرشادي والصحة النفسية .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام ، والشخصية .

نصيحة الملوك [1]

عرض : د. معتز سيد عبد الله

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٦٩٣ صفحة من القطع الكبير ، ويتكون من عشرة أبواب ، يشتمل كل منها على مجموعة من الفصول ، ويدور مضمون الكتاب حول تقديم مجموعة من النصائح للملوك ، على أساس أنهم أولى الناس بأن تهدى إليهم النصائح ، وأحقهم بأن يخولوا بالمواعظ ؛ إذ كان في صالحهم صلاح الرعية ، وفي فسادهم فساد البرية . وقد أنهى المحقق كتابه بعرض فهرس مفصل للآيات القرآنية الكريمة ، وآخر للأحاديث النبوية الشريفة ، وآخر للأبيات الشعرية ، وآخر للأعلام . وأخيرًا فهرس للموضوعات وهو ما نعرض لتفاصيله على النحو التالي :

● **الباب الأول : الحث على قبول النصائح :**

ويتكون من فصلين يوضح فيهما أن الملوك أحق بالمواعظ من غيرهم لخلال عدة ؛ أهمها : أن يترفعوا به عن مشاكلة أهل الغباوة والجهالة ، وسوء النشوء والعادة ، وأن يرغبوا في نتائج النصائح ؛ لأن النصيحة هداية إلى سبيل الرشاد . وأنهم أكثر الناس أشغالًا وأعظمهم أثقالًا ، وأبعدهم عن ممارسة أمورهم بأنفسهم . وليس كل مستعان به معين ، ولا كل والٍ يستقل بما يلي ، ثم يأتي على نصيحة العلماء للخلفاء ، فيذكر

---

(١) تأليف أبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري ، تحقيق محمد جاسم الحديني ، بغداد ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (١٩٨٦م) ، (٦٩٣ ص) .

مواعظ سفيان الثوري ، وعمرو بن عبيد ، وابن السماك ، لأبي جعفر المنصور ، وهارون الرشيد ، في شأن قيمة الملك .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الباب ؛ هي : مفهوم التوجيه والإرشاد النفسي Counselling (ص ٥١ - ٦١) وسمات الشخصية Personality Traits (ص ٥١ - ٥٣) ، والانفعالات Emotions (ص ٥١ - ٦١) .

● الباب الثاني : في فضائل الملوك في علو مراتبهم ، وما يجب عليهم أن يأخذوا به أنفسهم من اجتلاب الفضائل واجتناب الرذائل :

ويتكون من ثلاثة فصول تعرض لفضائل الملوك ، في علو مراتبهم ، وما يجب عليهم أن يأخذوا به أنفسهم من اجتلاب الفضائل ، واجتناب الرذائل ، ويستشهد بالآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة في تفضيل الملوك على سائر البشر ، وكونهم أمناء على عباد اللّه في أرضه ورعاة لهم . ثم يدعو الملك إلى تجنب ما يخل بجلالة المكانة ورفعة المنزلة ، وأن يعمل على تغليب العقل على الطبع ، والرأي على الهوى ، ويؤثر ما يشير إليه الرأي على ما يصبو إليه الهوى .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي :

الارتقاء Development (ص ٧١) ، والفروق الفردية (ص ٨٠ - ٨١) ، والقيم الخلقية Moral Values (ص ٨٣ - ٨٨) ، الطباع Character (٨٨) ، والتفكير Thought (ص ٨٨ - ٩٣) ، والانفعال (ص ٨٨ - ٩٣) ، والعادة Habit (٩٤ - ٩٥) ، والحاجة Need (ص ٩٤ - ٩٥) والخصال Characteristics (ص ١٠١ - ١٠٧) ، وضبط النفس والسيطرة على الدوافع والأهواء .

● الباب الثالث : الإبانة عن الأسباب التي من جهتها يعرض الاختلال والفساد في الممالك وفي أحوال الملوك :

ويتكون من ثلاثة فصول تفرض أن أحوال الأمم متقاربة متشابهة ، ثم لم تكن مملكة إلا كان أساسها ديانة من الديانات ، وأصلها ملة من الملل ، عليها بنيت شرائطها وفروضها ، وجرت أحكامها وحدودها ، ثم يبين أنه لا يخلو دين من الأديان ، ولا ملة من الملل من منافقين فيها ، ومعادين لها ، وكيفما يكون المملوك فإنه يقتدي بأفعالهم ، ويقتفي آثارهم في سيرهم ، ثم يحث الملك الحازم والسائس الصارم ، على أن يتعهد قلبه سماع آثار الملوك السابقين .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي :

الانفعال Emotion (ص ١١٢ - ١١٦) ، والعداوة Hostility (ص ١١٧ - ١١٨) ، والاقتداء Modelling (ص ١١٨ - ١١٩) ، والمجاراة Conformity (ص ١٢١ - ١٢٢) ، والخصال Characteristics (ص ١٢٨ - ١٣٠) ، والطاعة (ص ١٣١ - ١٤٤) .

● **الباب الرابع : في المواعظ التي تبصر غرور الدنيا وتذكر بالآخرة ، وتنفع من نظر فيها ، واستمع لها وتهديه إلى العدل في ملكه :**

ويتكون من سبعة فصول يبين فيها المؤلف أن الوعظ والتذكير فريضتان ، ويحذر من الغرور ويؤكد أهمية الاعتبار ، وأن باب الأمن مستور بالخوف ، وعلى الملك أن لا يكون في حال غير متوقع لأضدادها ، وأن الإنسان أيام معدودة ، والعمر أمس واليوم وغدًا ، ويؤكد أن الملك لا ينال إلا بالخدمة الطويلة ، والرياضة الصعبة الشديدة ، والمخاطر العظيمة ، والأشكال الكثيرة ، والآمال البعيدة ، التي ربما أتت دونها المنية ؛ لأن الملك محنة وابتلاء .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي : التوجيه والإرشاد Counselling (ص ١٤٧ - ١٦٣) ، والخوف (ص ١٦٣ - ١٦٥) ، والمخاطرة Taking Risk (ص ١٧٩ - ١٨١) ، والمشقة Stress (ص ١٨٣ - ١٩٢) ، والرجاء (ص ١٩٢ - ١٩٣) .

● **الباب الخامس : في سياسة النفس ورياضتها :**

ويتكون من خمسة فصول ، يتكلم فيها المؤلف عن سياسة النفس ورياضتها ، ويستبعد الكلام في هذا الباب عن مراسم الجلوس واللباس والركوب والطعام والأزياء ، وإنما يقتصر فيه على معاد الملوك ومعاشهم ، ونظام ممالكهم وأحوالهم ، فيلزمهم بتقوى الله ؛ لأنها عصمة للملك ، وحرزٌ لمن تمسك بها ، وهي رأس النجاح ومفتاح الفضائل ، ثم يؤكد على واجب الملك ، دون غيره ، في إقامة أمر الدين والأخذ بآدابه ، لأن الدين والصلاح جلالة في النفوس ، ثم يحث الملك على اقتناء العلم باعتباره من أجل الفضائل شأنًا وأعلاها مرتبةً ثم يشير على الترفع عن الطمع ، والأخذ بالحزم والعزم ، والتأني والتؤدة في الأمور المشكلة .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي : الطاعة Obedience (ص ٢٠١ - ٢٠٥) ، والاقتداء Modelling (ص ٢٠٤ - ٢٣٩) ، وقيمة العمل

(ص ٢١٤ - ٢١٥) ، وقيمة العلم (ص ٢١٥ - ٢١٨) ، والبلوغ (ص ٢١٧) ، والعداوة (الأعداء) Hostility (ص ٢٣٣ - ٢٣٧) ، والالتزام Commitment (٢٣٩ - ٢٤٢) ، والعقاب Punishment (ص ١٤٣) ، والتسامح Tolerance (ص ٢٤٤ - ٢٤٧) والحذر (ص ٢٤٧) ، وقيمة الصدق (ص ٢٥١) ، والقيم الخلقية (ص ٢٥٢- ٢٥٤) ، والمكافأة Reward (ص ٢٥٥ - ٢٥٦) ، والمثابرة Persistence (ص ٢٦٤ - ٢٦٦) ، وضبط النفس Self Control (ص ٢٧٥ - ٢٧٧) .

● **الباب السادس : في سياسة الخاصة :**

ويتكون من ثلاثة فصول ، يتكلم فيها عن سياسة الخاصة ، فيوصي الملك بالعناية في أمر خاصته وترويضهم على الطاعة . ويقسم خاصة الملك إلى طبقات ، فأخصهم به ولده وخدمه وقرابته ، ثم وزراؤه ، ثم جنده وقواده ، ثم عماله الذين يستعين بهم في إصلاح مملكته ، ثم يحدد عشر خصال يمكن الاستعانة بها على تقويم الخاصة .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي : الطاعة Obedience (ص ٢٨٩ - ٢٩٦) ، والفروق الفردية Individual Differences (ص ٢٩٧) ، والطفولة المبكرة (ص ٣٠٣ ، ٣٠٤) ، والعلاقات الوثيقة Close Relationships (ص ٣١٥ - ٣١٩) ، والخصال Characteristics (ص ٣٢١ - ٣٤٨) .

● **الباب السابع : في سياسة العامة :**

ويتكون من فصلين ، يتكلم فيها عن سياسة العامة ، فيحث الملك الفاضل ، والسائس الكامل بالتزام العدل بين الرعية ؛ لأن العدل ميزان اللّٰه في الأرض ، يأخذ به للضعيف من الشديد ، وللمحق من المبطل ، وأنه بالوالي تصلح الرعية ، فإذا صلحت كانت زينة للملك ، ثم يحدد عشر خصال يمكن الاستعانة بها على صلاح العامة .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي :

قيمة العدل (ص ٣٥١ - ٣٥٣) ، والمسؤولية Responsibility (ص ٣٥٣ - ٣٦٠) ، وسيكولوجية السياسة Psychology of Politics (ص ٣٥٩ - ٣٦٠) ، والقيادة Leadership ، والتعصب Prejudice (ص ٣٦٦ - ٣٦٧) ، والغضب Anger (ص ٣٦٦ - ٣٦٧) ، والأعداء (عدوان) (ص ٣٩٧ - ٣٩٨) ، واتجاهات الشدة - اللين - Tough mindedness - Tender mindedness - (ص ٤٠٢ - ٤٠٥) .

● **الباب الثامن : التدبير في الأموال :**

ويتكون من أربعة فصول تتناول كيفية تدبير الأموال ، وفيه يحث المؤلف على عدم الطمع في أموال الرعية ، ويذم التبديد والتقتير ، ثم يبسط معنى البخل والتبذير مستشهدًا بقول الله ﷻ وأحاديث رسوله ﷺ ، وآثار الملوك والحكماء ، وأقوال الشعراء . ثم يتكلم عن السخاء وصنع المعروف ، وكيفية إتمامه وعدم انتظار الجزاء عليه ، وأن الابتداء به نافلة .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي : القيم المادية (ص ٤٠٩ - ٤٦٦) ، والقيم الخلقية .

● **الباب التاسع : في تدبير الأعداء وأهل الجنايات .**

ويتكون من فصلين ، خصصهما المؤلف لتدبير الأعداء وأهل الجنايات ، فتكلم عن إباحة دم المشركين والباغين ، وعقوبة قطاع الطريق ثم تحدث عن خصال من السياسة ، وتدابير المناجزة ، ثم يوصي الملك بأن لا يلقى حربًا بنفسه ، ويذكر ما يستعمله الملك إذا دفع للقتال بنفسه ، وما هو الواجب عليه بعد الظفر بعدوه .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي : العدوان Aggression (ص ٤٥٧ - ٥٢٠) ، والعقاب Punishment (ص ٤٦٣ - ٤٦٩) ، وسيكولوجية السياسة (ص ٤٧١ - ٥٢٠) ، وخصال الشخصية (ص ٤٧١ - ٥٢٠) ، والتيقظ Vigilance (ص ٤٧٩ - ٤٨٤) .

● **الباب العاشر : في تقديم النيات ، وطلب التأويلات لكثير مما يجري في أيدي الملوك والأمراء مما اختلف فيه كثير من العلماء وكرهه كثير من الفقهاء :**

ويتكون من فصلين ، يعرض فيهما المؤلف لاختلاف العلماء في الخصال التي يشتغل بها الملوك والأمراء ، من تحليل وتحريم الأشياء ، وأحوال الناس في الحلال والحرام وكراهيته ، ثم يختتم الكتاب بخصال مأثورة ، وخلال مذكورة عن الملوك الأولين والخلفاء الراشدين ، والحكماء المتقدمين ، وذوي التجارب والحِجَى ، والأحلام والنهى ، هي أعمدة السلطان وأركان الدول ، وأساس السياسة وجمال المُلك والخلافة .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي : الفروق الفردية Individual Differences (ص ٥٢٣ - ٥٢٥) ، وخصال الشخصية (ص ٥٢٣ - ٥٢٥ ، ص ٥٣٩ - ٥٦٣) ، والكراهية Hate (ص ٥٢٩ - ٥١٣) ، والنية (المقصد) Intention (ص ٥٢٣ - ٥٦٣) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعي .

* * *

ابن بختشيوع (ت ٤٥٣هـ)
الروضة الطبية [(١)]

عرض : د.عبد اللطيف محمد خليفة

التعريف بالمؤلف :

عبد اللّٰه بن جبرائيل بن عبيد بن بختشيوع ، أبو سعيد ، طبيب باحث ، من أهل ميافارقين ، له تصانيف ؛ منها : « مناقب الأطباء » ، و « الروضة في الطب » ، و « التواصل إلى حفظ التناسل » ، و « طبائع الحيوان وخواصها ومنافع أعضائها » ، و « الخاص في علم الخواص » ، و « عقد الجمان في طبائع الإنسان والحيوان » .

عرض الكتاب :

يشتمل الكتاب على خمسين بابًا نعرض لها على النحو الآتي :

• **الباب الأول** : في ما الجنس ؟ وهو المقول على كثيرين مختلفين في النوع ، فهو شيء يعم أشياء مختلفة الصور .

• **الباب الثاني** : في ما النوع ؟ وهو المحمول على كثيرين مختلفين بالشخص من طريق ما ، فهو شيء يعم أشياء مختلفة الأشخاص يعمها صورة واحدة .

• **الباب الثالث** : في ما الفصل ؟ وهو المقول على كثرة مختلفة بالنوع من طريق أي شيء .

• **الباب الرابع** : عن الخاصة ، وهي المحمول على كثرة مختلفة بالشخص متفقة

---

(١) عبيد اللّٰه بن جبرائيل بن بختشيوع ، تصحيح بولس سباط ، القاهرة ، المطبعة الرحمانية ، (١٩٢٧م) ، (٧٣ ص) .

بالصورة فقط منابة عن أنية الشيء الذي هو لها خاصته وليست بجزء له .

ويقترب ذلك من مفهوم الخاصة Characteristic أو السمة Trait (ص ١١ - ١٢) .

• **أما الباب الخامس** : فهو عن العرض ، ويقصد به كل محمول على الجوهر .

• **والباب السادس** : في الجوهر ، وهو القائم بنفسه ، ويوصف بأنه ليس في موضوع وهو في موضوع الأجسام القابلة للكون والفساد ، وهو المحل الذي يتم فيه وجود الأعراض .

• **الباب السابع** : في الكم ، وهو صفة تختص بمقادير الأشياء وأعدادها .

• **والباب الثامن** : في الكيف ، وهو صفة تكون للموصوف وتعسر مفارقتها ، والفرق بينها وبين العرض أن العرض يطرأ ويزول من غير فساد الموضوع .. والكيفية ليست كذلك .

• **الباب التاسع** : في الطبيعة ، وهي ابتداء الحركة ، ويقصد بذلك الحركة التي في ابتداء كون الجسم والسكون الذي ينتهي إليه اضمحلال ذلك الجسم .

• **الباب العاشر** : في الجثة ، وهي الموصوفة بالطول والعرض والسمك .

• **الباب الحادي عشر** : في الأسقطس ، وهو الشيء الذي في الغاية ، والشيء الذي في الغاية لا ينحل ؛ لأنه غير مركب .

• **الباب الثاني عشر** : في المزاج ؛ وهو اختلاط الممتزجين لكي يستحيلا إلى هيئة المزاج .

• **الباب الثالث عشر** : في الخلط ، وهو أسطقس للبدن ثابت موجود فيه .

• **الباب الرابع عشر** : العضو ، وهو جزء من بدن الإنسان يحتاز بحيز خاص ، وأعد لفعل ما .

• **الباب الخامس عشر** : القوة ، وهي سبب فاعل وقد توصف بصفة مأخوذة من جهة العقل .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع التفكير Thinking ، والتخيل Imagination ، والإحساس Sensation (ص ٢٦ - ٢٨) .

• **الباب السادس عشر** : في الفعل ، وهو تأثير في موضوع ، وتختلف الأفعال بسبب اختلاف الشيء الفاعل .

ويرتبط هذا الباب بمفهوم النفس Psyche (ص ٢٨) .

• **الباب السابع عشر** : الروح ، وهي جسم لطيف هوائي تسري في الأعضاء وتعين

القوى على أفعالها .

• **الباب الثامن عشر** : النفس ، وهي - على مذهب أرسطاطاليس - تماء لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة . وعلى مذهب أفلاطون - أنها جوهر بسيط عقلي يتحرك من ذاته كما عرضها المؤلف في ضوء عدد من المذاهب ، ويرتبط بمفهوم النفس Psyche (ص ٣١ - ٣٢) .

• **الباب التاسع عشر** : في تعريف العقل ، فهو على مذهب أرسطاطاليس جوهر بسيط لا يشبهه شيء من الأشياء التي من جوهر الهيولي المزكبة ، وعلى مذهب فيثاغورث جوهر بسيط نووي مختلط بكل شيء ، ورسمه من جهة الطباع ، أنه الدال على حقائق الأشياء .

• **الباب العشرون** : في الشهوة واللذة .

ويرتبط بالدافعية ، وكذلك بالإحساس (ص ٣٣ ، ٣٤) .

• **الباب الحادي والعشرون** : ويتحدث فيه عن العشق وهو تجاوز الحد في المحبة ، وأنه يختص بالنفس الناطقة وهو يؤدي إلى فساد التخيل والفكر .

ويرتبط بموضوع الانفعالات Emotions ، وكذلك بموضوع الخيال Imagination (ص ٣٥ - ٣٩) .

• **الباب الثاني والعشرون** : الحس ، وهو قوة للنفس مدركة للمحسوسات والحاسة آلة لها تدرك بها محسوساتها .

ويرتبط بموضوع الإحساس Sensation (ص ٣٩ ، ٤٠) .

• **الباب الثالث والعشرون** : التخيل ، وهو ثبات صور المحسوسات في النفس بعد مفارقتها ، ويرتبط بمفهوم الاحتفاظ Retention (ص ٤١) .

• **الباب الرابع والعشرون** : في الفكر ، وهو التسبب والنظر إلى المعارف والوقوف على حقائق الأشياء المتخيلة ، ويكون بالجزء الأوسط من الدماغ .

ويرتبط بموضوع التفكير Thinking (ص ٤١) .

• **الباب الخامس والعشرون** : في الذكر ، وهو إحضار ما قد سبق وجوده في الذهن ، أي ما سبق اكتسابه والاحتفاظ به .

ويرتبط بمفهوم التذكر Memorizing (ص ٤١ ، ٤٢) .

• **الباب السادس والعشرون** : في الخُلُق ، وهو حالة للنفس داعية الإنسان إلى أن

يفعل أفعال النفس بلا روية ولا اختيار ، ونسب المتأخرون الخُلق إلى النفس الناطقة .

ويرتبط هذا الباب بموضوع الاتجاهات وسمات الشخصية (ص ٤٢ ، ٤٣) .

• **الباب السابع والعشرون** : في الغضب ، وهو غليان دم القلب لإرادة الانتقام وأيضًا هو الحركة لقهر ما أخذه .

ويرتبط هذا الباب بموضوع الانفعالات Emotions (خاصة انفعال الغضب Anger معناه وأنواعه) ، (ص ٤٣ ، ٤٤) .

• **أما الأبواب الثامن والعشرون ، والتاسع والعشرون ، والثلاثون ، والحادي والثلاثون ، والثاني والثلاثون** : فتتناول بالترتيب : الحركة ، والزمان والمكان ، والكون والفساد والعلم .

• **الباب الثالث والثلاثون** : في المعرفة ، وهي الوقوف على الشيء وقوفًا حقيقيًا ، ولها نوعان : معرفة خاصة تصح بالبرهان (لمعرفة الهندسة والحساب) ، والمعرفة العامة وهي التي يداخلها الحواس .

ويرتبط هذا الباب بمفهوم المعرفة knowledge (ص ٤٧) .

• **أما الأبواب الخامس والثلاثون ، والسادس والثلاثون ، والسابع والثلاثون ، والثامن والثلاثون** : فتتناول القياس ، والبرهان ، والعلة والنوم .

• **الباب التاسع والثلاثون** : في الرؤيا ، وتكون بحضور أمثلة الأشياء عند النوم .

وترتبط بسيكولوجية النوم والأحلام (ص ٥٠ - ٥٧) .

• **أما الباب الأربعون** : فهو عن النبض ، والباب الحادي والأربعون : عن البُحران ، وهو تغيُّر يعرض للأمراض فجأة .

• **والباب الثاني والأربعون** : عن المرض .

• **والباب الثالث والأربعون** : عن السبب .

• **والباب الرابع والأربعون** : عن العلامة .

• **والباب الخامس والأربعون** : عن الصحة .

ويرتبط بمفهوم الصحة النفسية (ص ٦٥) .

• **أما الباب السادس والأربعون** : فهو عن الغذاء .

• **والباب السابع والأربعون** : عن الدواء .

- **والباب الثامن والأربعون** : عن الغاذي والمغتذي .
- **والباب التاسع والأربعون** : الأبصار ، ويرتبط بموضوع الإدراك Perception (ص ٦٩) .
- **أما الباب الخمسون** : فهو عن الصوت .

* * *

ابن رضوان (ت ٤٥٣هـ)
خمس رسائل لابن بطلان البغدادي ولابن بطلان المصري [1]

عرض : د. جمعة سيد يوسف

التعريف المؤلف :

هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر الطبيب ، كان عالم مصر في أوانه في الأيام المستنصرية في وسط المائة الخامسة ، وكان في أول أمره منجمًا يقعد على الطريق ويرتزق ، ثم قرأ شيئًا من الطب وشيئًا من المنطق وكان من المعلقين لا المحققين ، ولم يكن حسن المنظر ولا الهيئة ، ومع هذا فتتلمذ له جماعة من الطلبة وأخذوا عنه وسار ذكره ، ولابن بطلان معه مجالس ومحاورات وسؤالات .

ويُذكر أن ابن رضوان تغير عقله في آخر عمره ، وكان السبب في ذلك أنه عند حدوث الغلاء في مصر ، أخذ يتيمة ورباها وكبرت عنده فلما كان في بعض الأيام خلا لها الموضع وكان قد ادخر أشياء نفيسة ، ومن الذهب نحو عشرين ألف دينار فأخذت الجميع وهربت ولم يظفر منها على خبر ولا عرف أين توجهت ، ويذكر أيضًا أنه كانت عنده سفاهة في بحثه وتشنيع على من يريد مناقشته .

وكانت وفاة علي بن رضوان في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة بمصر ، وذلك في خلافة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لإعزاز عبد الله بن الحاكم .

---

(١) ابن رضوان المصري ، ابن بطلان البغدادي ؛ تقديم يوسف شخت ، القاهرة ، الجامعة المصرية ، كلية الآداب (د.ت) ، (سلسلة كلية الآداب المؤلف رقم ١٣) ، نسخة مصورة ، (طبعت هذه الرسائل في مجموعة واحدة مع رسائل ابن بطلان البغدادي) .

ومن كتبه : شرح كتاب الفرق لجالينوس ، وشرح كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس ، وشرح كتاب الإسطقسات لجالينوس ، وكتاب الأصول في الطب ، ورسالة في علاج الجزام ، وكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب ، وكتاب دفع المضار عن الأبدان بمصر ، وتفسير مقالة الحكيم فيثاغورث في الفضيلة ، وتفسير ناموس الطب لأبقراط ، وكلام في الأدوية المسهلة ، وكتاب في عمل الأشربة والمعاجين وغيرها كثير (وقد بلغ ما أحصاه ابن أبي أصيبعة من مؤلفات ١٠٢ مؤلفًا) ، (استمدت هذه الترجمة مما ذكره ابن القفطي ، وابن أبي أصيبعة وساقه المحققان في مقدمة هذه الرسائل) .

ولابن رضوان ثلاث رسائل أو مقالات من الرسائل الخمس المشار إليها في عنوان هذا الكتاب وهي شديدة الإيجاز وسنعرض لها فيما يلي :

رسائل ابن رضوان :

تشمل هذه المجموعة من الرسائل ثلاث رسائل لابن رضوان جمعت مع رسائل ابن بطلان في شكل محاورات بينهما ، وقد طبعت رسائل ابن رضوان مع رسائل ابن بطلان وهي جميعًا تقع في حوالي ٤٤ صفحة ، ورسائل ابن رضوان ؛ هي : **الأولى** في التنبيه على ما في كلام ابن بطلان من الأغاليط ، **والثانية** في أن ما علمه يقين وما ظنه ابن بطلان غلط وسفسطة ، **والثالثة** هي رسالة ابن رضوان إلى أطباء مصر والقاهرة المعزية يشكو فيها حاله وما جرى بينه وبين ابن بطلان .

وهو يضعها تحت اسم مقالات ونعرضها على النحو التالي :

المقالة الأولى : في التنبيه على ما في كلام المختار بن الحسن بن عبدون البغدادي (المعروف بابن بطلان) من الأغاليط ، ويبدأها بذكر قول جالينوس إن الطبيب فيلسوف كامل وإنه من قصر عن ذلك فهو متطبب لا طبيب ، والفيلسوف الكامل هو الذي حصل له العلم التعليمي والطبيعي والإلهي والمنطقي ، فالطبيب هو الذي حصل كل واحد من هذه على الكمال أي بلغ فيه الكمال ، ثم يذكر أن ابن بطلان ليس فيه شيء من هذه وإنما هو مدع ، كما يفرق بين علوم القول والعمل أخذًا عن جالينوس كذلك . ويتعرض لمناقشة ما ذكره ابن بطلان في أن الفروج أحر من الفرخ ، ثم يتعرض في ثنايا هجومه على ابن بطلان لاختبار العقل ، وعدم القدرة على الفهم ، وقصور المعرفة ، والهذيان في الكلام (وهو مس غير مباشر للعقل وما يمكن أن يدخل تحته من فهم ، ووظائف معرفية ، واضطرابات التفكير الذي يتبدى في اضطرابات الكلام ، وهي

موضوعات اهتم بها علماء النفس المحدثون اهتمامًا مباشرًا (ص ٤٣ ، ٤٤) .

والمقالة الثانية : لابن رضوان في أن ما علمه يقين وحكمة وما ظنه مختار بن الحسن البغدادي غلط وسفسطة ، وهي رسالة شديدة الإيجاز والاختصار ، ويواصل ابن رضوان فيها رده على خصمه ابن بطلان ، وكيف أنه - أي ابن رضوان - قد لزم في رده العلم والحكمة فأورد فيه منافع و فوائد كثيرة من الفلسفة النظرية والعملية ويهاجم بشدة خصمه ابن بطلان ، ويصفه بأنه مريض النفس وليس لهذا المرض دواء (ولعل مصطلح مرض النفس أو الأمراض النفسية من المصطلحات ذات الدلالة البالغة عند الأطباء النفسيين وعلماء النفس الإكلينيكيين في الوقت الراهن (ص ٧٣) ، ويرى أيضًا أن الاجتهاد في التماس الحق والمواظبة عليه هو الطريق إلى السعادة ، وكذلك فإن تحقيق الفهم والمعرفة هي من طرق السعادة أيضًا (ونلاحظ أن مفهوم السعادة Happiness من المفاهيم التي تلقى اهتمام علماء النفس) .

والمقالة الثالثة : والأخيرة بالنسبة لابن رضوان فهي موجهة إلى أطباء مصر والقاهرة المعزية يشكو فيها حاله وما جرى بينه وبين العلامة المختار بن الحسن البغدادي الطبيب . وفيها يسوق بعضًا من كلام ابن بطلان ، ثم يحاول تفنيده أو بيان الخطأ فيه ، تبصيرًا للأطباء المصريين الذين يخصهم برسالته أو مقالته . وجميع الأقوال التي اختارها أو علق عليها ذات طبيعة طبية تتعلق بصناعة الطب والدوار ، وكلها تتركز حول الأمراض الجسمية ، غير أنه في ثنايا ذلك يعرض لمفهوم مهم من المفاهيم الحديثة التي ابتكرها علماء القياس النفسي ونقلها عنهم واستخدمها المشتغلون بالعلاج السلوكي Behavior Therapy ، ألا وهو مفهوم التدرج في الانتقال من حالة لحالة مثل الأسلوب المعروف بالتحصين التدريجي Gradual Desensitization أو التسكين المنظم (ص ٨٣) .

وكما نلاحظ من هذه الرسائل الثلاث أنها موجزة ، وأن ما ورد بها من مفاهيم أو مصطلحات ذات صلة بعلم النفس قليلة ، وغير مباشرة ، وهو عكس ما لاحظناه في رسالة ابن بطلان التي تعرض ناقلها لبعض فصولها بشيء من التفصيل ، وإنما أوردنا رسائل ابن رضوان باعتبارها ردًا على ابن بطلان وذلك حتى تكتمل الصورة لدى القارئ .

* * *

ابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ)
طوق الحمامة [1]

عرض : د. شعبان جاب اللّه رضوان

التعريف بالمؤلف :

هو الإمام الجليل أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسي الظاهري ، من قرطبة بالأندلس ، المولود سنة ٣٨٤هـ ، والمتوفى سنة ٤٥٦هـ ، وقد اهتم بنشر العلم وتحصيله رغم ما اعترضه من الموانع في هذا السبيل ، وقال عنه القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد ، كان أبو محمد بن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفةً وبخاصة في البلاغة والشعر والسير والأخبار ، وقال عنه أبو عبد اللّه الحميدي : إنه كان عالمًا حافظًا بعلوم الحديث وفقهه ، وذكر صاعد بن أحمد أن أبا رافع الفضل بن علي (ابن المترجم له) أخبره أنه قد اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف صفحة ، ومن هذه المؤلفات التي ذكرها المؤرخون ما يلي :

١ - الفصل بين أهل الأهواء والنحل .

٢ - الصادع والرادع على من كفَّر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على فرق التقليد .

٣ - الجامع في حد صحيح الحديث .

٤ - التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب والحديث .

---

(١) ابن حزم الأندلسي ، بيروت ، مؤسسة ناصر للثقافة (د.ت) ، (٢٣٩ ص) ، (خزانة الفكر العربي ٢٦) ، (المرجع : الأخلاق والسير لابن حزم) .

٥ - منتقى الإجماع .

٦ - الإمامة والخلافة في سير الخلفاء ومراتبهم .

٧ - كتاب أخلاق النفس .

٨ - كتاب في الإجماع ومسائله على أبواب الفقه .

٩ - كتاب في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض .

١٠ - كتاب فهم السنن في الملل والنحل .

١١ - حجة الوداع .

١٢ - المحلى بالآثار في شرح المجلى بالاختصار .

١٣ - الإحكام لأصول الأحكام .

عرض الكتاب :

يقع هذا الكتاب في ٢٣٩ صفحة من القطع الصغير ، ويحتوي على ثلاثين بابًا بالإضافة إلى مقدمة الناشر ، وتوطئة المؤلف ، وخاتمة ، وفهرس الموضوعات .

وفيما يلي عرض لهذه الأبواب :

- **الباب الأول : الكلام في ماهية الحب .**

ويدور حول مفهوم الحب وأنواعه ، ومنها الحب غير النفعي ، أي المجرد عن الأهداف الشخصية ، وهو الحب في الله وهو أفضل أنواع الحب ، ويتسم بالاستمرار وعمق المشاعر نحو المحبوب ، وهناك محبة القرابة والألفة ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة بلوغ اللغة ، ومحبة العشق ، وينقضي الحب المعلل بانقضاء علته .

أما البغض وهو ضد المحبة فقد لا يكون له سبب أو علة ، ويؤثر الحب في إدراك الأشياء ؛ فهو يزين للمرء ما كان يأنف منه ، ويسهل عليه ما كان يصعب عنده ولا يود المرء الإفاقة منه . ويتصل هذا الباب بموضوع الانفعالات Emotions (انفعال الحب) في علم النفس العام (ص ١٧ - ٢٥) .

- **الباب الثاني : علامات الحب .**

ومنها النظر بالعين ، والحديث بالكلام ، والإسراع بالسير نحو مكان المحبوب ، وتعمد القعود بقربه والتباطؤ عند القيام عنه ، والبهت والروعة عند رؤية المحبوب فجأة والانبساط

الكثير ، ويحدث القلق عند رجاء لقاء المحبوب ، ويتتبع المحب أخبار المحبوب ويهتم بحركاته ، ومن علامات الحب أيضًا البكاء ، وهو من مظاهر الانفعال ، كما يتصل ذلك بموضوع التواصل أو التخاطب Communication في علم النفس الاجتماعي (ص ٢٦ - ٣٦) .

- **الباب الثالث : باب من أحب في النوم .**

يشير إلى الحب الذي يحدث من خلال الأحلام ويتوهمه الإنسان ويتمسك به . ويتصل ذلك بسيكولوجية الأحلام Dreams والتوهم .

- **الباب الرابع : باب من أحب بالوصف .**

يتناول انفعال الحب الذي يتم من خلال سماع المحب لوصف المحبوب ، ويتخيل المحب صورة المحبوب .

ويتصل هذا بسيكولوجية الخيال Imagination (ص ٣٩ - ٤١) .

- **الباب الخامس : باب من أحب من نظرة واحدة .**

ويدور حول تكون انفعال الحب لدى الإنسان من نظرة واحدة للمحبوب ، وهذا الحب ينقضي بسرعة ، ويتصل ذلك بموضوع الانفعالات (ص ٤٢ - ٤٤) .

- **الباب السادس : باب من لا يحب إلا مع المطاولة .**

ويهتم بالحب الذي لا ينشأ إلا بعد فترة طويلة من مشاهدة ومؤانسة المحبوب ، وهذا الحب يتسم بالاستمرار ، وهو يتصل أيضًا بباب الانفعالات (ص ٤٥ - ٤٩) .

- **الباب السابع : باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها .**

يتناول أثر الحب في الحكم على الأشياء ، فالذي يحب صفة في محبوبه يسيطر عليه هذا الحب ، ويقتصر حبه على هذه الصفة دون غيرها . ويرتبط هذا الجزء بتأثير الانفعال في التفكير وفي إصدار الأحكام (ص ٥٠ - ٥٣) .

- **الباب الثامن : باب التعريض بالقول .**

يدور حول الكلام ، كأداة للتعبير عن الحب ، ويتصل هذا المعنى بمفهوم التواصل اللفظي Verbal Communication في علم النفس الاجتماعي (ص ٥٤ - ٥٦) .

- **الباب التاسع : باب الإشارة بالعين .**

يتناول النظر بالعين كأحد وسائل التعبير غير اللفظي عن الحب ، وأيضًا الإشارات والإيماءات وهذا هو الجانب غير اللفظي Non-Verbal من التواصل (ص ٥٧ - ٥٩) .

● **الباب العاشر : باب المراسلة .**

يشير إلى المراسلة كوسيلة التواصل بين المحب والمحبوب ، وهي وسيلة لإثارة مشاعر الحب لدى طرفي علاقة الحب .

● **الباب الحادي عشر : باب السفير .**

فعندما تحل الثقة بين المحب والمحبوب يمكن أن يتم التواصل بينهما من خلال سفير (رسول) يتسم بالذكاء والفطنة .

● **الباب الثاني عشر : باب طي السر .**

يتناول كتمان أسرار الحب ومظاهره ؛ وذلك لإبقاء المحب على محبوبه ، ويعتبر من دلائل المحب من محبوبه انحرافًا ، ويكون ذا نفس أبية فيستتر بما يجد لكي لا يشمت به عدو ، ويمكن أن يتصل ذلك بموضوع سمات الشخصية Personality Traits (ص ٦٤ - ٦٨) .

● **الباب الثالث عشر : باب الإذاعة .**

ويتناول كشف الحب وإظهاره وإذاعة أسراره مما يؤدي إلى عواقب سيئة على الإنسان ، وربما يكون بسبب غلبة الحب والميل نحو الجهر أكثر من الحياء ، ويشير هذا إلى خصائص وسمات الشخصية (ص ٦٩ - ٧٢) .

● **الباب الرابع عشر : باب الطاعة .**

يتناول أثر الحب في تغيير شخصية المحب التي قد تتسم بالشراسة والطباع القوية إلى شخصية طائعة لينة مستسلمة ، ويرتبط هذا المعنى بمفاهيم وسمات شخصية ؛ مثل التسلطية والخضوع (ص ٧٣ - ٧٨) .

● **الباب الخامس عشر : باب المخالفة .**

ويدور حول تحقيق رغبات المحب ولو خالف ذلك هوى المحبوب ، ويعني هذا عدم تطابق وجداني Affective Incongruency بينهما (ص ٧٩) .

● **الباب السادس عشر : باب العاذل .**

ويهتم هذا الباب بأنواع الأصدقاء الذين يقومون بالحث والحض والزجر لإنهاء علاقة بين طرفين ، فأحيانًا يتسم هذا الصديق برفق القول والنصح الأمين وهو يفيد في تهذيب النفس ، وقد يتسم بالزجر وكثرة الملامة وذلك عبء ثقيل على النفس . ويدخل النوع الأول في إطار التوجيه والإرشاد النفسي Counselling Psychology (ص ٨٠ ، ٨١) .

- **الباب السابع عشر : باب المساعدة من الإخوان .**

يتناول هذا الباب صفات وخصائص الصديق الوفي الذي يقف مع المحب في شدائده ، ويصون أسراره ويؤانسه ، ويدخل ذلك في موضوع سيكولوجية الصداقة Friendship في علم النفس الاجتماعي (ص ٨٢ - ٨٥) .

- **الباب الثامن عشر : باب الرقيب .**

وهو عن أنواع الأشخاص الذين يقومون بعملية الرقابة على المحب ومحبوبه ، سواء الرقابة المتعمدة لمعرفة حقائق عنهما ، أو رقابة غير متعمدة لعدم فطنة الرقيب ، ويتصل ذلك بموضوع سيكولوجية العلاقات الاجتماعية Social Relationships في علم النفس الاجتماعي ، وأيضًا سمات الشخصية (ص ٨٦ - ٨٩) .

- **الباب التاسع عشر : الواشي .**

ويدور حول الشخص الواشي الذي يريد أن يوقع ويفرق بين المتحابين بأساليب مختلفة ، منها ذكر صفات سيئة عن المحب للمحبوب ليست فيه . ويدخل ذلك في سمات الشخصية ، وسيكولوجية العلاقات الاجتماعية (ص ٩٠ - ٩٨) .

- **الباب العشرون : باب الوصل .**

ويتناول العلاقة المباشرة بين المحب والمحبوب أو العلاقة اللاحقة للهجر أو الفراق ، ومظاهر هذه العلاقة الدالة على شدة الحب بينهما ، وهو يتصل بموضوع الانفعالات (ص ٩٩ - ١٠٩) .

- **الباب الحادي والعشرون : باب الهجر .**

يتحدث المؤلف في هذا الباب عن مظاهر الهجر وأنواعه ؛ ومنها الهجر نتيجة ذنب يقع من المحب ، أو نتيجة التدلل ، فيظهر المحبوب هجرانًا ليرى صبر محبه . وهناك هجر بسبب الوشاة أو الملل أو جفاء المحبوب . ويتصل هذا بسيكولوجية العلاقات الاجتماعية

والانفعالات (ص ١١٠ - ١٢٤) .

● **الباب الثاني والعشرون : باب الوفاء .**

يدور هذا الباب حول خاصية مهمة في العلاقة بين المحب والمحبوب ، وهي خاصية الوفاء ، والتي تعتبر فرضًا لازمًا وحقًّا واجبًا على المحب والمحبوب ، ولا يحول عنها إلا الخبيث الذي لا خلاق له ولا خير عنده ، ويتصل هذا بموضوع سيكولوجية العلاقات الشخصية وسمات الشخصية (ص ١٢٥ - ١٣٢) .

● **الباب الثالث والعشرون : باب الغدر .**

ويدور حول خاصية ذميمة ومكروهة تفسد العلاقة بين المحب والمحبوب ، وهي الغدر ، وبخاصة الغدر الذي يقع من السفير بينهما ، فيغدر على المحب ويستأثر بالمحبوب دونه ، ويتصل هذا المعنى بموضوع العلاقات المتبادلة في علم النفس الاجتماعي Interpersonal Relationships (ص ١٣٣ - ١٣٤) .

● **الباب الرابع والعشرون : باب البين .**

ويتناول الفراق بين طرفي علاقة الحب وأنواعه ، ومنها الفراق المؤقت لسبب معين ، أو الفراق بسبب منع المحبوب نفسه من أن يراه محبه ، ومظاهره الحزن والأسف . أو المتعمد من المحب بعدًا عن قول الوشاة ، أو الفراق الناتج عن الرحيل وتباعد الديار وهو خَطْب موجع ، ويشير المؤلف هنا أيضًا إلى مواقف الوداع ومظاهرها وآثارها على النفس ، وإلى الفراق بسبب الموت ، وهو فراق قاطع لكل رجاء ، ويتصل بموضوع انفعال الحب ، والعلاقات الشخصية بين المحب والمحبوب (ص ١٣٥ - ١٤٩) .

● **الباب الخامس والعشرون : باب القنوع .**

ويتضمن موضوع الرضا والقنوع في حالة الحرمان من الوصل الحقيقي والمباشر بين المحب والمحبوب ، بهدف راحة النفس . وهذا القنوع به درجات متباينة ؛ منها القنوع بالنظر إلى الجدران التي يسكنها المحبوب ، أو الراحة لمن رأى المحبوب أو أتى من بلاده . ويتصل بموضوع الانفعالات ومظاهرها : انفعال الحب (ص ١٥٠ - ١٦٠) .

● **الباب السادس والعشرون : باب الضنى .**

يهتم هذا الباب ببيان بعض المظاهر أو الآثار السلبية المترتبة على عدم الوصل بسبب

الفراق أو الهجر ، وذلك كالاختلاط العقلي أو الانشغال الذهني بدرجة عالية أو الجنون ، وينضوي ذلك تحت علم النفس الإكلينكي أو المرضي Clinical psychology (ص ١٦١ - ١٦٥) .

• **الباب السابع والعشرون : باب السلو .**

ويتناول السلوّ كعاقبة للحب ، وهو أنواع منها السلوّ الذي يعقب الهجر وهو كاليأس ، وهناك أيضًا السلو الطبيعي المسمى بالنسيان ، وهنا يبدو الإنسان كأنه لم يحب قط ، والسلو التطبعي وهو التصبر ويبدي فيه الإنسان التجلد رغم ولع قلبه . ومن أسباب السلو الملل والاستبدال والحياء وكلها من المحب ، وهناك أيضًا الهجر والجفاء والغدر والنفار وهي من المحبوب .

• **الباب الثامن والعشرون : باب الموت .**

ويدور حول شدة الحب والولع بالمحبوب ، والذي قد يؤدي إلى الموت ومفارقة الدنيا . وهذا إشارة إلى شدة الانفعال (ص ١٨١ - ١٨٩) .

• **الباب التاسع والعشرون : باب قبح المعصية .**

يتحدث المؤلف في هذا الباب عن طبيعتين متعارضتين خلقهما اللّه تعالى في الإنسان هما قُوّتا العقل والغرائز ، فيحث العقل على الخير والحسن ، وتقود الغرائز إلى المعصية والإثم كفعل الزنا واللواط ، ومفهوم الغريزة يتصل بموضوع الدوافع Motives في علم النفس العام ، كما أن اللواط يشير إلى اضطراب جنسي Sexual Disorder هو الجنسية المثلية Homosexuality ويتعلق بعلم النفس المرضي (ص ١٩٠ - ٢١٦) .

• **الباب الثلاثون : باب فضل التعفف .**

يشير المؤلف في هذا الباب الأخير من الكتاب إلى فضل العفة ، وترك المعصية ، وتجنب الفواحش كالزنا واللواط وجزاء ذلك في الآخرة من ثواب عظيم .

ويمكن أن يتصل هذا المعنى بمفهوم توجيه وضبط الدافع Motive الجنسي ويدخل في علم النفس العام (ص ٢١٧ - ٢٣٦) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام ، وخاصة الانفعالات .

الأخلاق والسير في مداواة النفوس [1]

عرض د. جمعة سيد يوسف

عرض الكتاب :

الكتاب يقع في ٦٩ صفحة من القطع المتوسط ويضم الكتاب - بالإضافة إلى ترجمة المؤلف ، ومؤلفاته ، وخطبته - أحد عشر موضوعًا .

والموضوع الأول : هو مداواة النفوس وإصلاح الأخلاق ، وفيه يميز المؤلف بين مصادر اللذة لصنوف من البشر ، فلذة العاقل بتمييزه ، ولذة العالم بعلمه ، ولذة الحكيم بحكمته ، ولذة المجتهد لله باجتهاده ، وهي تختلف عن مصادر اللذة في الدنيا والأكل والشرب واللعب .

ويحث المؤلف على العمل للآخرة فهو الأبقى ، وعاقبته السرور في العاجل والآجل . والسرور في الآجل هو دخول الجنة ، والسرور في العاجل هو قلة الهم ، وطرده ، وهو ما يستوي الناس في استحسانه ، وهو مذهب اتفقت الأمم كلها في السعي إليه . ويحاول من جانبه البحث عن سبيل موصلة إلى طرد الهم ، الذي هو مطلب النفس ، واهتدى إلى أنه موجود في التوجه لله ، والعمل للآخرة .

ونلمح من هذا الحديث بداية أولية مبكرة لأحد الموضوعات التي تهم الدارسين في مجال علم النفس الإكلينكي والصحة النفسية والطب النفسي ، وهو الاكتئاب Depression

---

(١) ابن حزم ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، ط. ٣ ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة (١٩٨٠م) ، (٦٩ ص) .

خاصة ما يسمى بالاكتئاب التفاعلي أو تغيرات المزاج ، وكيفية تشخيصها ومعرفة أسبابها وعلاجها (ص ١٣ - ١٦) .

والموضوع الثاني : بعنوان العقل والراحة ، ويعرفه باطراح المبالاة بكلام الناس ، والمبالاة بكلام الخالق ، ويحذر من الاستماع لكلام الناس مدحًا وذمًّا ، سواء كان بالحق أو بالباطل ؛ لأن ذلك قد يورث الإنسان العجب والغرور ، فيفسد فضائله ، أو يضله ويخدعه ، وذلك نقص شديد أحرى بالعاقل ألا يتخلق به . وعليه أيضًا أن يربي نفسه على التمييز بين الفضائل والرذائل ، وبين الطاعات والمعاصي حتى يسعد في دنياه وأخراه ، ويحاول أن يبصر البشر بالابتعاد عن مصادر المغرور والكبر كالإعجاب بالقوى والصفات الجسمية والبدنية ؛ لأن سعادة الإنسان بقوة تمييزه ، واتساع علمه ، وحسن علمه . ويحذر من « الغضب » مسترشدًا في ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية . ولعل حديثه عن الغضب يعد سبقًا لدراسة أحد الموضوعات التي تدرس الآن في إطار علم النفس العام وهو موضوع الانفعالات Emotions (ص ١٩ ، ٢٠) .

وينتقل بنا ابن حزم ليحدثنا في الموضوع الثالث عن العلم وأسباب طلبه ، وفضله على طالبه في الدنيا والآخرة . ويحذر من الجهل وسوء عاقبته ، ويرى أن من أهم فوائد الاشتغال بالعلم قطع المشتغل به عن الوساوس المضنية ، وكف الأفكار المؤلمة للنفس ، والتخلص من الآمال التي لا تفيد غير الهم ، ثم يرسم طريق نشر العلم وإذاعته ، على أن يكون ذلك بين من يبجلون العلم ، وحذر في نفس الوقت من البخل في العلم . ويلفت ابن حزم النظر إلى نقطة أصبحت الآن حقيقة واقعة ألا وهي (التخصص في العلم) ، أي أن يختار الإنسان علمًا معينًا فيفضله على غيره من العلوم ، وأن يبحث كل طالب علم له عن قدوة ومثل أعلى يطمح في الوصول إليه (وهو أحد الموضوعات التي تدرس في علم النفس الحديث داخل ما يسمى بسمات الشخصية خاصة ما يعرف بمستوى الطموح Level of Aspiration . أو التعلم بالاقتداء Modeling كما في ميدان التعلم (ص ٢١ - ٢٥) ويختتم هذا الموضوع بالتحذير من الدخلاء على العلم وما يمكن أن يسببوه من إفساد له .

وتحت عنوان الأخلاق والسير ، يقدم ابن حزم عددًا من الإرشادات والنصائح والوصايا القيمة ، والتي تقوى بها الأخلاق ، وتصلح بها النفوس ، فهو يوصي بمعرفة عيوب النفس ، وعدم الاندماج في مخالطة الناس ؛ لأن ذلك يجر الذنوب والهموم (وينهى في نفس الوقت عن الانعزال العام) ، ويدعو إلى الهمة وعدم تأجيل عمل اليوم

إلى الغد . ويوصي بعدم الاستماع إلى الوشاية ، ويحث على الشجاعة والإيثار والعفة والعدل والكرم والتواضع ، وأن نتوقع ما لا نحب حتى نحتمله عندما يحدث . (وهو هنا يشير إلى موضوع يدرس في علم النفس الحديث تحت ما يسمى بالتوافق Adjustment ، وكيف يوصي العلماء بتوقع المشقة Stress حتى نقلل من وقعها علينا عند حدوثها) ، (ص ٢٦ - ٢٨) ويعلي من قدر المتدينين وإن لم يكونوا على ديننا .

وفي مقابل ذلك يحذر من الثأر والانتقام ، والغدر ، وشهادة الزور ، والسكر (ويدرس ذلك الآن تحت مسميات الاعتماد Dependence أو الإدمان Addiction) ، (ص ٢٨) وينهى عن البخل والشح ، والظلم والجور ، والغضب والحقد ، وحب الذكر .

ويختتم نصائحه بأنه لا يوجد مخلوق يخلو من عيب ، وأن من عَلِم - نقصه كان كاملًا ، وهذه الموضوعات تدخل فيما يعرف في علم النفس الحديث بالقيم الأخلاقية والانفعالات .

وفي الموضوع الخامس ، وتحت عنوان الإخوان والصداقة والنصيحة : يحدد ابن حزم إطارًا للصداقة الحقة ، ويرسم معالمها ، فيحبذ العتاب بين الأصدقاء ، وينهى عن إفشاء الأسرار ، وألا نقابل إساءة الصديق بالإساءة ، وأن نتحلى بالعفو ، وبذل الفضل لمن سأل ومن لم يسأل (وهو من أحدث الموضوعات التي تدرس الآن في علم النفس الاجتماع Social Psychology تحت مسمى سلوك المساعدة Helping Behavior (ص ٤١ ، ٤٢) وأن نقدم النصيحة والشفاعة بلا شروط ، ثم يحدد حدود الصداقة وغاياتها ، وحد النصيحة ومراتبها ، ويقدم بعض الهدايات التي ينبغي أن نسترشد بها في معاملة الأصدقاء ، ويختتم هذا الجزء بتقسيم الناس إلى سبع مراتب : أهل الثقافة ، وأهل الملق والطمع ، وأهل الخط والحمق ، وأهل السلاطة والوقاحة ، والعيابون ، وأهل الفضل ، وأهل السلامة .

والموضوع في مجمله يدخل في أحد موضوعات علم النفس الاجتماعي الحديث وهو المهارات الاجتماعية Social Skills ومنها الصداقة Friendship وكذلك موضوع الإرشاد النفسي (ص ٤٠ - ٥٠) .

واستكمالًا للحديث السابق ، يحدثنا في الموضوع السادس عن المحبة وأنواعها ، ويرى أن المحبة كلها من جنس واحد ، ولكنها تختلف باختلاف الأغراض فيها . ومن

أنواعها المحبة للّه ، وللأب وللابن ، وللقرابة ، والصديق ، وللسلطات .. وغير ذلك . ويحدد أدنى أطماع المحبة ممن تحب ، وأقصى أطماع المحب ممن يحب ، ويورد عددًا من الأقوال في المحبة فيقسمها إلى عدة مراتب : هي الاستحسان ، والألفة ، والكلف والشغف ، ويقسم كذلك الصور إلى أنواع ؛ فمنها : الحلاوة ، والقوام ، والروعة ، والحسن ، والملاحة . وهذا الموضوع كما قدم على هذا النحو يدخل ضمن موضوع الانفعالات Emotions الذي يدرس في علم النفس العام (ص ٥١ - ٥٦) .

وفي الموضوع السابق يحدثنا عن الأخلاق والعادات ، فيلفت النظر إلى عادات الرسول الكريم ﷺ وأخلاقه . ويبدأ بعد ذلك تقديم عدد من الأخلاق والعادات المحببة ، وعدد آخر من العادات والأخلاق الذميمة ، وذلك من خلال تقديم المتضادات والنقائض ليبرز محاسن الأولى ومساوئ الثانية : فهو يوضح حد العقل في أنه استعمال الطاعات والفضائل ، وحد الحمق في استعمال المعاصي والرذائل ، وحد السخف هو العمل والقول بما لا تحتاجه الدنيا أو الدين ، وحد الوقار هو وضع الكلام في موضعه ، والتوسط في تدبير المعيشة ، والمسالمة ، وهي كلها ضد السخف ، كما يحذرنا من الدهاء ، والتعدي ، والتخليط في القول والكذب ، ومخالطة جلساء السوء ، والمساعدة فيما يعود علينا بالضرر ، ويحثنا على القناعة والوفاء ويرى أن أصول الفضائل أربعة هي : العدل ، والفهم ، والنجدة ، والجود . وأن أصول الرذائل أربعة هي : الجور ، والجهل ، والجبن ، والشح . ثم يدعونا إلى التأسي بخلق الرسول ﷺ .

وبعد ذلك ، وفي الموضوع الثامن ، وهو وثيق الصلة بسابقه : يتحدث عن أدواء الأخلاق الفاسدة ومداواتها ، وهنا يبدو ابن حزم كالطبيب البارع الذي يشخص الداء ويصف الدواء . ويرى أن مصدر الداء يمكن في العجب والغرور ، وعدم إدراك عيوب النفس . ويعدد مصادر العجب ؛ كالعجب بالآراء ، والعلم ، والعجب بالمال ، والعجب بمدح الآخرين وثنائهم ، والعجب بالنسب ، وهو في كل مرة يفند حجة المعجب بمصدر إعجابه ، فكل مصادر العجب وهبنا اللّه إياها ، ويمكنه أن يسلبها منا إن لم نحسن استخدامها ، وينهانا في الوقت نفسه عن الخوض في عيوب الآخرين ، وعن التعسف وسوء التصرف فيمن تحت أيدينا ، ولا نتطاول على من لا يملك المعارضة ، ويجعل أسباب ذلك كله في نقص العقل ؛ لأن من نقص عقله توهم أنه أوفر الناس عقلًا وأكملهم تمييزًا . ويرى أيضًا أن أشد آلام الناس هي الخوف والهم والمرض والفقر . وهو في كل مرة يصف فيها داء يقدم معه علاجه ، ويرى أن رياضة النفس وترويضها ،

وتذكرها لنقائصها ، والتمسك بالفضيلة ونبذ الرذيلة من أهم دعائم العلاج .

والموضوعات الثلاثة المتبقية صغيرة نسبيًا ، لكنها لا تقل من حيث الأهمية . ففي الموضوع التاسع يحدثنا عن غرائب النفس ، فيذكر منها التروي في إصدار الحكم ، وعدم الأخذ بالظاهر المرئي ، بغية الإنصاف ، ومن عجائب الأخلاق - أيضًا - أن الغفلة مذمومة وأن استعمالها محمود وقد يبدو هذا القول متناقضًا إلا أن ابن حزم يقدم الدليل على اختفاء التناقض ، ويستدل على ذلك بإظهار الجزع وإبطانه ، وفي إظهار الصبر وإبطانه أيضًا ، ثم ينتقل بعد ذلك لمواصلة الحديث في الموضوع العاشر عن تطلع النفس إلى ما يستر عنها من كلام مسموع ، أي شيء مرئي ، أو إلى المدح وبقاء الذكر. وهي من الأمور التي لا يخلو منها أحد ، أي الفضول وحب الاستطلاع ، ويبين كيف أن الانشغال بهاتين الصفتين قد يجر على الإنسان الهم ، كما أنه لم يجن من وراء ذلك الشيء الكثير ، فكم من ملوك وعلماء ، وأخيار الأمم ذهبوا أو لم يبق لهم أثر ولا لأحد بهم علم . وبدلًا من ذلك يجب أن نشتغل بشكر المنعم ، والاهتمام بأموره وحسن الدفاع عنه والوفاء له ، ونشر محاسنه ، وأن تفعل ما هو أكثر من ذلك مع المنعم الأعظم ﷺ ، فهو أساس كل نعمة ، والمجزي عن كل خير .

وفي الموضوع الأخير - الحادي عشر - يقدم ابن حزم وصية غالية يحض فيها على حضور مجالس العلم ، وآداب هذا الحضور ، فيكون الحضور حضور المستزيد من العلم والسؤال سؤال المتعلم ، والمراجعة مراجعة العالم ، وأن من تعلم فليتعلم الخير ، وليعمل به ، وفي ذلك جمع لعدد من الفضائل .

* * *

الجرجاني ، عبد القاهر (ت ٤٧١هـ)
أسرار البلاغة في علم البيان [1]

عرض : د. طريف شوقي

التعريف بالمؤلف :

ولد الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني سنة (٤٠٠هـ - ١٠١٠م) بمدينة جرجان ، ولقب بإمام علوم اللغة في عصره .

وقد اهتم بتدوين علم البلاغة ، ووضع قوانين للمعاني والبيان لما تحكمت في عصره دولة الألفاظ ، واستبدت على المعاني ، وطال الوقوف على مدلول الألفاظ المفردة والجمل المركبة ، والانصراف عن المعاني للأساليب ، ومغازي التراكيب .

ومثل عبد القاهر في أسرار بلاغته ودلائل إعجازه (أشهر كتابين له) كمثل ابن خلدون في مقدمته .

فعبد القاهر يعد أول من أسس من هذا الفن (البلاغة) قواعده ، وأوضح براهينه ، وأثبت فوائده ، ورتب أفانينه كما يقول يحيي بن حمزة الحسيني الذي كتب (الطراز في علوم حقائق الإعجاز) وهو أحسن ما كُتِب في البلاغة بعد عبد القاهر .

وكان عبد القاهر بجانب شهرته في علوم اللغة ، مشتغلًا بعلوم الكلام وفقيهًا ، وقد توفي رحمه الله (٤٧١هـ) .

---

(١) تأليف عبد القاهر الجرجاني ، صححها محمد رشيد رضا ، ط. ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (١٩٨٨م) ، (ص ٣٧٢) .

عرض الكتاب :

مقدمة الكتاب :

يتحدث فيها عن وظيفة اللغة وأهميتها ، ومكانة المعنى والدلالة فيها ، وكيف أن اللغات تتفاضل في حقيقتها بالبيان ، وهو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة ، على وجه يكون أقرب إلى القبول وأدعى إلى التأثير ، فالحسن والقبح لا يتوقف على اللفظ والجرس ، ولكن العبرة بالمعنى .

كالتجنيس فإنك لا تستحسن فيه تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعًا (حميدًا) ، فالألفاظ خدم المعاني ، فمن نصر اللفظ على المعنى ، ربما طمس بكثرة ما يتكلفه المعنى وأفسده ، فاللفظ لا يجتلب من أجل السجع ، فالمتكلم لم يقد المعنى نحو التجنيس والسجع ، بل قاده المعنى إليهما (ص ٤ ، ١٠) ويردف قائلًا : اعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته ، أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني ، وأفصل أجناسها وأنواعها ، وأبين أحوالها في كرم منصبها من العقل ، وقرب رحمها منه ، وأن من الكلام ما هو كما هو شريف في جوهره كالذهب الإبريز (لأنه محمل بالمعنى الجلي) ، وجل المعول على شرفه على ذاته ، وإن كان التصوير قد يزيد في قيمته ويرفع من قدره ، ومنه ما هو (ما لا يحتوي على قدر كافٍ من المعنى) كالمصنوعات العجيبة من مواد غير شريفة ، فلها قيمة تغلو ، ومنزلة تعلو ، حتى إذا خانت الأيام فيها أصحابها ، وفجعتهم فيها بما سلب حسنها المكتسب بالصنعة ، فلم يبق منها إلى المادة العارية من التصوير ، والطينة الخالية من التشكيل سقطت قيمتها ، وانحطت رتبتها ، وعادت الرغبات التي فيها زهدًا (ص ١٩ ، ٢٠) .

يجدر الإشارة إلى هذه الزاوية من النظر من حيث التركيز على المعنى في اللغة ، كانت موضع اهتمام باحثي علم اللغويات النفسية .

ثم ينتقل بعد ذلك ليعرض أهم مباحث هذا العلم ، ويرى أن الاستعارة والتشبيه والتمثيل أصول ، وأن جل محاسن الكلام - إن لم تقل كلها - متفرعة عنها وراجعة إليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في منصرفاتها ، ويبدأ في عرضها على نحو مفصل فيما يلي :

١ - تعريف الاستعارة :

أن يكون لفظ الأصل (المشبه به) في الوضع اللغوي معروفًا ، تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ، ثم يستعمل في غير ذلك الأصل ، وينقل إليه نقلًا غير لازم ،

فيكون هناك كالعارية وتنقسم إلى قسمين :

أ – **الاستعارة غير المفيدة** : هي اللفظ الذي استعمل في غير الجنس الذي وضع له في اللغة ، كأن نضع للعضو الواحد أسماء كثيرة بحسب اختلاف الأجناس نحو ، وضع الشفة للإنسان ، المشفر للبعير ، فإذا استعمل الشاعر شيئًا منها في غير الجنس الذي وضع له ، كأن يستعمل الشفة للبعير ، فقد استعار منه (ص ٢٢ ، ٢٣) .

ب – **الاستعارة المفيدة** : ما بان لك باستعارته فائدة ومعنى من المعاني ، وغرض من الأغراض لولا مكان تلك الاستعارة لم يحصل لك ، مثال قولنا : رأيت أسدًا ، لتعني رجلًا شجاعًا (ص ٢٤) .

والاستعارة تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، كما أنها تبرز البيان في صورة مستجدة تزيد من قدره نبلًا ، وتوجب له الفضل فضلًا (ص ٣٢ ، ٣٣) .

٢ - أقسام الاستعارة :

اعلم أن كل لفظة دخلتها الاستعارة المفيدة فإنها لا تخلو من أن تكون اسمًا أو فعلًا ، فإذا كانت اسمًا فإنه يقع مستعارًا في قسمين .

أ – أن تنقله من مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت ومعلوم وذلك قول : رنت لنا ظبية وأنت تعني امرأة (استعارة حقيقية) .

ب – أن يؤخذ الاسم عن حقيقته ويوضع موضعًا لا يبين منه شيء يشار إليها ، فيقال : هذا هو المراد بالاسم ، والذي استعير له وجعل خليفة لاسمه الأصلي ونائبًا منابه (الاستعارة التخيلية) فالتشبيه في الأول مباشر ، وفي الثاني يتراءى لك بعد أن تخرق إليه سرًا ، وتعمل تأملًا وفكرًا ، فهو أمر تخيلي كأن تقول : كلمتني عيناه عما يحوي قلبه ، فثبت الكلام للعين وهو أمر متخيل (ص ٣٤ ، ٣٥) .

٣ - دلالة الحال :

يروي الشيخ عبد القاهر حديثًا للجمحي عن لغة العيون هذا وصفه : قال أحدهم أتيت للجمحي استشيره في امرأة أردت التزوج بها فقال : أقصيرة هي أم غير قصيرة ؟ قال : فلم أفهم ذلك ، فقال لي : كأنك لم تفهم ما قلت ، إني لأعرف عين الرجل إلا عرف ، وأعرف فيها إذا أنكر ، وأعرف إذا لم يعرف ولم ينكر ، أما إذا عرف فإنها تخاوص (إذا غض من بصره قليلًا مع تحديق) وإذا لم يعرف ولم ينكر فإنها تسجو

(تسكن) وإذا أنكر فإنها تجحظ (إذا عظمت مقلتها) ، (ص ٣٩) .

وهذا الحديث يتضمن إشارة إلى أحد الموضوعات المهمة في علم النفس الاجتماعي وهو التخاطب غير اللفظي ، وأهمية عنصر التقاء العيون Eye Contact في إقامة تفاعل اجتماعي أكثر فعالية مع الطرف الآخر ، وكيف يمكن استخدام وسائل التخاطب غير اللفظي في توضيح المعنى للطرف الآخر ، وزيادة إمكانية التأثير فيه .

٤ - طرق الاستعارة :

ويفصل القول في ضروب الاستعارة وهي عنده تتمثل في :

أ - الاستعارة المتحدة في الجنس المختلفة الأنواع ومثاله : استعارة الطيران لغير ذي الجناح إذا أردت السرعة .

ب - الاستعارة القريبة من الحقيقة كقول المتنبي مادحًا سيف الدولة :

نثرتهم فوق الأحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم

جـ - الاستعارة فيما وجه الشبه فيه حقيقي : أي يكون الشبه مأخوذًا من صفة هي موجودة في كل واحد من المستعار له .

د - وجه الشبه العقلي في الاستعارة : حيث يكون الشبه مأخوذًا من الصور العقلية ، وذلك كاستعارة النور للبيان ، والحجة الكاشفة عن الحق المزيلة للشك النافية للريب ، ويشير إلى أهمية ذلك الضرب من الاستعارة بقوله : إن هذا الضرب هو المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها ، وهي على أصول ثلاثة :

أ - أن يؤخذ الشبه من الأشياء المشاهدة المدركة بالحواس على الجملة للمعاني المعقولة مثل استعارة القسطاس للعدل فهذا شبه أخذ من محسوس (عياني) لمعقول (مجرد) .

ب - أخذ الشبه من المحسوس للمحسوس ثم الشبه عقلي مثل قول الرسول ﷺ : « **إياكم وخضراء الدمن** » الشبه مأخوذ للمرأة من النبات ، وكلاهما جسم إلا أنه لم يقصد بالتشبيه خصائص النبات من شكل ولون وطعم ، بل القصد شبه عقلي بين المرأة الحسناء من المنبت السوء ، وبين تلك النابتة على الدمنة (الموضع الذي فيه النفايات) وهو ما كان حسن الظاهر في رأي العين مع فساد الباطن .

جـ - أخذ الشبه من المعقول للمعقول : كأن نصف الجهل بالموت (ص ٤٩ - ٥١) .

٥ - حقيقة التشبيه والتمثيل :

الشيئان إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين :

أ - التشبيه : وذلك بأن يكون من جهة أمر بيّنٌ لا يحتاج منه إلى تأويل ؛ مثل : تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة ، والشكل نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة .

ب - التمثيل : الشبه الذي يحصل بضرب من التأويل ، وذلك كأن ترجع وجه الشبه إلى معنى يتحقق في الطرفين بشيء من الحيلة والتلطف ، أي أنه تشبيه عن طريق العقل ، والمقاييس التي تجمع بين الشيئين من حكم تقتضيه الصفة المحسوسة لا في نفس الصفة ، كقولهم في صفة الكلام : ألفاظه كالماء في السلاسة .

ثم يعقد تفرقة بين التشبيه والتمثيل فيبين أن التشبيه عام ، والتمثيل أخص منه ، فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيل ، وأن التشبيه أقوى من التمثيل في وجه الشبه ، ثم يتحدث على نحو من التفصيل عن الشبه العقلي .

٦ - مواقع التمثيل وتأثيره في النفس :

إن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه رفع من أقدارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، فإن كان حجاجًا كان برهانه أنور وبيانه أبهر ، وإن كان وعظًا كان أدعى للفكر وأبلغ في التنبيه والزجر (ص ٩٢ ، ٩٣) .

فقابل بين أن تقول : إن الذي يعظ ولا يتعظ يضر بنفسه من حيث ينفع غيره - وتقتصر عليه - وبين أن تذكر المثل فيه على ما جاء في الخبر من أن النبي ﷺ قال : « **مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به كمثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه** » ، (ص ١٠١) .

٧ - أسباب قوة تأثير التمثيل وعلله النفسية :

أ - أول ذلك وأظهره أن أُنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي (مجرد) إلى جلي (عياني) ، وتأتيها بصريح بعد مكني ، وأن تردها إلى الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم وثقتها به في المعرفة أحكم ، فكما قالوا : ليس الخبر كالمعاينة (ص ١٠٢) .

ب - ضرب آخر من الأُنس : وهو ما يوجبه تقدم الأُلف ، ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس أولًا عن طريق الحواس والطباع ، ثم من جهة النظر والروية ، فهو إذن أمس

بها رحمًا ، وإذا نقلتها في الشيء بمثله عن المدرك بالفعل المحض إلى ما يدرك بالحواس أو يعلم بالطبع ، فأنت كمن يتوسل إليها للغريب بالحميم (ص ١٠٢ ، ١٠٣) .

جـ - إننا نعلم أن المشاهدة تؤثر في النفوس مع العلم بصدق الخبر ، فأنت إذا قلت للرجل : « أنت مضيع للحزم في سعيك ، وطالبًا لما لا تناله » ، ثم عقبته بقولك : « وهل يحصل في كف القابض على الماء بشيء مما يقبض عليه ؟ » ، ولو كان الرجل على طرف نهر في وقت مخاطبة صاحبه وإخباره له بأنه لا يحصل له سعيه على شيء ، فأدخل يده في الماء وقال : انظر ، هل حصل في كفي من الماء شيء ؟ كذلك أنت في أمرك « كان ذلك ضرب من التأثير زائد على القول والنطق بذلك دون العمل مما يدل على أن التمثيل بالمشاهدة يزيد أنسًا (ص ١٠٤ - ١٠٧) .

إن الجرجاني يلخص أسباب تأثير التمثيل في أنه يجسد للفرد المعاني التي يصعب عليه إدراكها ، ويجعله على ألفة بها ؛ لأنه ينقلها إليه عن طريق مألوف لديه ، ويقدم نموذجًا عمليًا للفرد ، وهذه العناصر مجتمعة من شأنها أن تزيد من القدرة على الإقناع Persuasion والذي يعد من بين الوسائل الرئيسية لتغيير اتجاهات الأفراد حيال موضوع ما .

٨ - خصائص التمثيل الجيد :

أ - دقة المعنى : ويريد المعنى الدقيق الذي أتاك ممثلًا فهو في الأكثر يتجلى لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكر وتحريك الخاطر والهمة في طلبه « إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك » ، (ص ١١٨) .

ب - البعد عن التعقيد : فالتعقيد إنما كان مذمومًا لأجل أن اللفظ لم يرتب الترتيب الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض ، ويعثر فكرك في متصرفه ، ويشيك طريقك إلى المعنى فيه ، بل وربما قسم فكرك ، وشعب ظنك حتى لا تدري من أين تتوصل إليه وكيف تطلبه (ص ١٢٠ - ١٢٥).

جـ - أن يتم فيه تقرير الشبه بين الأشياء المختلفة ، فإن الأشياء المشتركة في الجنس ، متفقة في النوع ، تستغني بثبوت الشبه بينها ، وقيام الاتفاق فيها ، عن تعمل وتأمل في إيجاب ذلك لها ، وأنها لصفة تستدعي جودة القريحة أن تجمع أعناق المتنافرات المتباينات في ربقة ، ويقتضي ذلك إيجاد الائتلاف بين المختلفات ، وذلك بين لك فيما تراه من الصناعات التي تنتسب إلى الدقة فإنك تجد الصورة المعمولة فيها كلما كانت أجزاؤها أشد اختلافًا في الشكل والهيئة ، ثم كان التلاؤم مع ذلك أتم ، والائتلاف

أبين ، كان شأنها أعجب ، وإذا كان هذا ثابتًا ومعلومًا في حال الصورة المصنوعة والأشكال المؤلفة ، فاعلم أنها القضية في التمثيل واعمل عليها ، واعتقد صحة ما ذكرت لك من أخذ الشبه للشيء مما يخالفه في الجنس ، وينفصل عنه من حيث ظاهر الحال (ص ١٢٧ ، ١٢٨) .

واعلم أني لست أقول لك أنك متى ألَّفت الشيء ببعيد عنه في الجنس على الجملة فقد أصبت ، بل أقوله بعد تقييد ، وبعد شرط ، وهو أن تصيب بين المختلفين في الجنس ، وفي ظاهر الأمر شبهًا صحيحًا معقولًا ، وتجد للملاءمة والتأليف السوي بينهما مذهبًا ، وحتى يكون إتلافهما الذي يوجبه تشبيهك من حيث العقل والحدس ، في وضوح اختلافهما من حيث العين والحس ، فأما أن تستكره الوصف وتروم أن تصوره حيث لا يتصور فلا (ص ١٣٠) .

د – إدراك المشابهات الخفية التي يدق المسلك إليها ، والتي لا تنجلي إلا بعد التألق في استحضار الصور وتذكرها وعرض بعضها على بعض ، وتجريدها من سائر ما يتصل بها ، نحو أن يشبه الشيء بالشيء في هيئة الحركة ، فتطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة ، والهيئة مجردة من الجسم وسائر ما فيه من أوصاف (ص ١٣١) . أي كما يشير علماء النفس إدراك أوجه الشبه الجوهرية المجردة بين أشياء تبدو مختلفة ، وهي من بين القدرات المهمة التي تقيسها اختبارات الذكاء ، ويطلق عليها القدرة على التجريد ، وكمثال على ذلك إدراك أوجه الشبه بين الشجرة ، والذبابة ، ويعد الفرد مدركًا لوجه الشبه المجرد بينهما حين يقول : إنهما كائنات حية تنمو وتموت .

٩ - الجملة والتفصيل في ضروب التشبيه والتمثيل :

أ – إن الجملة أبدًا أسبق إلى النفوس من التفصيل ، وإنك تجد الرؤية نفسها لا تصل بالبديهة إلى التفصيل ، ولكنك ترى بالنظر الأول ، والوصف على الجملة ، ثم ترى التفصيل عند إعادة النظر ، فالجمل أبدًا هي التي تسبق إلى الأوهام (الأذهان) وتقع في الخاطر أولًا ، وتجد التفاصيل مغمورة فيما بينها ، وتراها لا تحضر إلا بعد إعمال الروية واستعانة التذكر (ص ١٣٨) ، وهذا التصور يعبر عما هو معروف من حقائق علمية في مجال سيكولوجية الإدراك : من أن الفرد يدرك الشكل على نحو إجمالي أولًا ثم يبدأ في إدراك التفاصيل ، وأما قوله : « إن معرفة الشيء عن طريق الجملة غير معرفته عن طريق التفصيل » فهو قريب الشبه بالمبدأ الإدراكي السائد في مدرسة الجشتطالت من أن

الكل لا يساوي مجموع الأجزاء .

ب - من شأن اعتبار كثرة من التفاصيل في التمثيل أن يزيد التأثير في النفس ، وخاصة حين يكون الشبه منطبق عبْر هذه التفاصيل ، وكذلك كلما كان الشبه يرجع إلى صورة غريبة نادرة وبعيدة عن النظر ، وقليلة التردد عليه كلما كانت أبدع على عكس تلك التشبيهات المبتذلة التي يكثر رؤيتها أبدًا (ص ١٣٩ - ١٤٣) .

ويمضي الإمام الجرجاني في تناوله لمسائل دقيقة في التشبيه ، والتي من شأنها أن تزيده دقةً وتأثيرًا ؛ مثل : الجمع بين الشكل وهيئة الحركة في التشبيه ، والتشبيه المركب والفرق بينه وبين التشبيه المتعدد ، وقلب التشبيه أو العكس في طرفي التشبيه ، والفرق بين التشبيه والتمثيل ، والاستعارة والتمثيل .

ويعرج إلى موضوع آخر وهو السرقات الأدبية وكيفية الحكم فيها أو الفرق بين التخيل والاستعارة ، ويختم كتابه بالحديث عن الحقيقة والمجاز ، والفرق بين المجاز العقلي والمجاز اللغوي والفرق بين المجاز والاستعارة ، وكيف أن المجاز أعم من الاستعارة ، ونلمس في سياق استعراضنا لما كتبه عن المجاز اللغوي والمعنوي ذلك التصنيف الأساسي للمعنى في اللغة ، من حيث إن لكل كلمة معنى إشاري ومعنى دلالي ، ومدى اهتمامه بالتعامل مع المعنى الدلالي للغة وبيان مدى تأثيره في المتلقي ، وهي من نقاط الاهتمام الرئيسية في بحوث سيكولوجية المعنى Semantic Psychology .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس الاجتماعي .

* * *

دلائل الإعجاز في علم المعاني [1]

عرض : د. عبد المنعم شحاتة

عرض الكتاب :

يقدم (دلائل الإعجاز) نظرية في اللغة تعتمد على ائتلاف اللفظ والمعنى ، وتتفق في كثير من مبادئها مع أحدث ما كتبه علماء لغة أو علم نفس معاصرون .

ويسعى الجرجاني في كتابه هذا إلى التفرقة بين مستويات الكلام ، فمنها ما هو عادي على ألسنة العوام ، ومنها ما هو بليغ أو فصيح على ألسنة الخواص (ومنهم الشعراء) ومنها ما هو معجز يفوق طاقة البشر كالقرآن الكريم ، ودراسة الشعر العربي وتحديد شواهد الفصاحة والبلاغة فيه وسيلة لمعرفة هذا الإعجاز ؛ لذا يبدأ الجرجاني كتابه (ص ٩) بالدفاع عن الشعر ، فهو ديوان العرب ، ثم يدافع (ص ٢٣) عن النحو وأهميته كعلم ، وكميزان لتحديد الكلام الفصيح من غيره ، بل وكوسيلة لتحديد مستويات مختلفة من الفصاحة من خلال تحديده للعلاقات الممكنة والمحتملة بين الألفاظ ، سواء كانت أسماء أو أفعال أو حروف ، والفصاحة - في رأيه (ص ٤٠ - ٤٠١) هي نظم للكلام بحسب معانيه أو ترتيب معاني الكلام أولًا ثم ترتيب الألفاظ على حذوها ، وبهذا يرفض الجرجاني (ص ٤٥ - ٣٠٦ ، ص ٣٠٨ - ٣٦٧) ربط الفصاحة بالقدرة على الأداء الصوتي كما فعل الجاحظ ، أو اعتبارها صفة للفظ ، مستشهدًا على صحة رأيه بعرض

---

(١) نسخة بيروت : دار المعرفة (١٩٨٢م) . وعدد صفحاته ٤٢٨ صفحة من القطع المتوسط . صحح أصله كل من الإمام الشيخ محمد عبده ، واللغوي الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي ، وصحح طبعته وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا (منشئ المنار) .

نموذجين من الشعر – عبر ذكر عدد من الأبيات لعديد من الشعراء البارزين – يتفقان في المعنى ويختلفان في اللفظ ، ومع ذلك نصف أحدهما – دون الآخر – بالفصاحة ، مما يعني أن الفصاحة تتصل بالمعنى (ص ٦٩ – ٣١٢) ، فلا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون في صاحبتها ، بمعنى آخر ، ففصاحة اللفظ تعود إلى معناه لا إلى ترتيب حروفه (ص ٤٠) والكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه ، ويصرفها في فكره ، ويناجي بها قلبه ، ويراجع فيها عقله ، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض ، وأعظمها شأنًا الخبر، الذي لا يكون إلا بمخبر به ومخبر عنه ، ويمكن إثباته ونفيه ؛ ولهذا الكلام ضربان : أحدهما : تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وثانيهما : تصل منه إلى معنى المعنى ، أي يدلك اللفظ على معناه ، ولهذا المعنى دلالة ثانية تصل به إلى الغرض ، من هذا الاستعارة والكناية ، أي أن أهم ما يوجب الفصاحة هو المجاز (بما فيه من استعارة) والإيجاز . (ص ٥٣ – ٦٣ ، ص ٩٩ – ١٥١) . ويقدم الجرجاني أمثلة من القرآن الكريم ، ومن الشعر العربي ، تعد نماذجًا من المجاز والاستعارة ، وضروبًا من التقديم أو التأخير (ص ٨٣ – ١١١) ، التنكير والحذف (ص ١١١ – ١٦٩) ، الفصل والوصل (ص ١٧٠ – ١٨٧) العطف (ص ١٨٧ – ١٩١) والإثبات والنفي والقصر (ص ٢٥٢ – ٢٧٣) ، تبرز لنا مواضع كل منها التي فيها لطف وفصاحة ، ومواضعها التي تخلو من البلاغة ، على أساس أن معنى الفصاحة في أصل اللغة هو الإبانة عن المعنى ، مؤكدًا أن لا يصح فيها التقليد أو الاحتذاء (ص ٢٧٨– ٣٤٢) ، فقد يغير ترتيب الكلمات من معناها ، كما للمتكلم دور في هذا الترتيب (ص ٢٧٦) ، أي في صنع أسلوبه الذي هو ضرب من النظم أو طريقة فيه ، وأي تحول في الأسلوب يؤثر في المعنى لا محالة ؛ إذ يتصل النظم – في جوهره – بالمعنى ، وتكتسب الكلمة حسنها من وضعها في سياق معين أو ترتيب يقتضيه علم النحو (ص ٢٨٢ ، ٣١٤ ، ٣٤٩) ، وتوجيه قوانينه وأصوله . ولا يكون ترتيبًا حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة ، إن لم يقدم فيها ما قدم ، ولم يؤخر ما أخر ، وبدئ بالذي ثني به ، وثني بالذي ثلث به ، لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصنعة .

ويختتم الجرجاني كتابه (ص ٤١٨ – ٤٢٨) بتوضيح أهمية تذوق البلاغه أو الفصاحة ، وضرورة تعلمها ، وهذا لا يكون دون توفر الاستعداد لدى الفرد لتذوقها ، أي لا يكون مهيئًا لإدراكها ، وتكون فيه طبيعة قابلة لها ، ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساسًا بأن من شأن هذه الوجوه والفروق – في معاني النحو – أن تعرض فيها المزية على الجملة ، فيعرف لطف الحذف – أو التنكير أو القصر .... إلخ –

في موضع أو عدم لطفه في موضع آخر .

ويأتي تأكيد الجرجاني على أن النظم يكون بترتيب المعاني في الذهن أولًا ، ثم تحذو الألفاظ حذوها في الترتيب (ص ٤١ - ٤٥) متفقًا مع ما تكشف عنه البحوث من أن الإنسان يخلق أفكارًا وتصورات ، ثم يربطها معًا ، ثم يبدع رموزًا معبرة عنها .

ويؤكد الجرجاني أن اللفظة تكتسب حسنها من ضمها إلى لفظة أخرى في نسق يستوجب تقديم هذا وتأخير ذاك (ص ٣٩ ، ٤٠ ، ص ٢٧٨ - ٣٦٠) يأتي هذا متمشيًا مع نظرية (الجشطالت) في الإدراك حيث تدرك المنبهات - والألفاظ منبهات - على أنها تدخل في علاقات فيما بينها ، كما أننا لا ندركها في مستوى واحد من الوضوح ، بل تحتل بعضها بؤرة الانتباه ، ويحتل معظمها بؤرة الانتباه ، ويحتل معظمها هامشه ، وعلى هذا يؤثر السياق في معنى اللفظ وفي تحديد مدى حسنه .

ويتصل بهذه النقطة رفض الجرجاني (ص ٢٧٨ - ٣٤٢) التقليد أو الاحتذاء في الشعر ؛ لأن أي تغيير في الأسلوب يغير في المعنى ، ولكل فرد طريقته الخاصة في النظم أي الأسلوب أو ترتيب المعاني فالألفاظ ، وبمصطلحات علم النفس : لكل فرد بؤرته الانتباهية ، وهامش الانتباه لديه اللذان يحكمهما عوامل شخصية و موقفية تنعكس - بالضرورة - في ترتيب الفرد للمعاني والألفاظ أي النظم ، وبالتالي لا يصح التقليد وتندرج هذه النقطة تحت ما يسمى في علم النفس بالفروق الفردية Individual Differences .

ثم يؤكد الجرجاني أن البلاغة لا يستحسنها إلا من لديه القدرة على تذوقها ، وهذا يتطلب علمًا وفهمًا ، وهو ما لا يتم دون أن يكون الفرد مهيئًا لإدراكها ، وتكون فيه طبيعة قابلة لها ، ويكون له ذوق وقريحة يجد لها في نفسه إحساسًا بأن من شأن الفروق في النظم - أو في معاني النحو - مزية ، فالحذف - مثلًا - يكون لطيفًا في موضع وغير لطيف في آخر (ص ٢٢٥ - ٤٢٠) .

أي أن تعلم البلاغة يستوجب استعدادًا ، هذا ما يؤكده علماء النفس ، فبين الأفراد فروق في الاستعدادات والاهتمامات ، تترجم واقعيًا في اختيار موضوعات معينة لدراستها وأعمال معينة للاشتغال بها .

ويبدو أن الجرجاني كان باحثًا محنكًا ، يتضح ذلك من نقده لطريقة البلغاء الأولين في تناول الفصاحة ، فهم يصفون الكلام الحسن (بنهزالة اللفظ) و (وقوع النظم على

طريقة مخصوصة ، وعلى وجه دون وجه) ثم لا تجدهم يفسرون الجزالة بشيء ، أو يقولون في المراد بالطريقة والوجه ما يحلى منه السامع بطائل (ص ٣٥٠) ، أي أن الجرجاني ينتقد في الأولين بعدهم عن الوصف الإجرائي Operational وهي نصيحة يوجهها أيضًا علماء مناهج البحث المعاصرون ، فحينما أتحدث عن (الذكاء) أو (التعصب) فيجب أن أحدد ما أعينه بلفظ (ذكاء) ويكون هذا التحديد في شكل وصف للإجراءات التي يمكن بها التمييز بين من يتوافر فيه الذكاء ومن لا يتصف به ، أو التمييز بين المتعصب وغير المتعصب .

نقطة أخرى مهمة هي قول الجرجاني : (إن الكتابة أبلغ من الإفصاح ، والتعريض أوقع من التصريح (ص ٥٥) وعلى الرغم من صحة هذا القول من وجهة نظر علماء اللغة ، إلا أن الدراسة النفسية لهذه النقطة لم تظهر بعد ، فنحن بحاجة إلى دراسات تحدد الفعالية النسبية للأساليب التعبيرية المختلفة ، والمتغيرات التي قد تؤثر في هذه الفعالية ولهذه البحوث قيمة كبيرة ، فاللغة وسيلة تخاطب ومقوِّم لوحدة الشعوب ، وإذا عرفنا أي الأساليب أكثر تأثيرًا في استمالة الناس لفكرة معينة أو لتصرف معين ، سهل اتباعه والاعتماد عليه ، وقد سبقنا الغرب إلى هذا ، فظهرت دراسات تقارن بين ورود أخطاء نحوية في المخاطبة (أو الرسالة الإعلامية) وبين خلوها من هذه الأخطاء كما ظهرت بحوث أخرى تقارن بين فعالية الأسئلة التعجبية Rhetorical Questions وبين الجمل التقريرية Statements وتفتقد المكتبة العربية مثل هذه البحوث على الرغم من ثراء لغتنا .

وهنا يظهر التكامل بين علماء اللغة وعلماء النفس ، فدور علماء اللغة هو تحديد الخصائص الأسلوبية للرسائل الاتصالية ، ودور علماء النفس هو اختبار مدى الأثر الذي تحدثه إحدى هذه الخصائص بالمقارنة بالأخريات ، وبهذا التكامل يمكن معرفة أي الأساليب أكثر تأثيرًا في نفوس المتلقين .

* * *

الشيرازي (ت ٤٧٦هـ)
الطب الروحاني [1]

عرض : د. طريف شوقي فرج

التعريف بالمؤلف :

ولد إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي - أبو إسحاق - في فيروز آباد (بفارس) عام (٣٩٣هـ - ١٠٠٣م) .

وانتقل إلى البصرة ومنها إلى بغداد في (٤١٥هـ) فأتم ما بدأ به من الدرس والبحث ، وظهر نبوغه في علوم الشريعة الإسلامية ، فكان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره ، واشتهر بقوة الحجة في الجدل والمناظرة ، وبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية على شاطئ دجلة ، وكان يُدِّرس فيها ويديرها .

عاش فقيرًا صابرًا ، وكان فصيحًا مناظرًا ينظم الشعر ، فقيهًا أصوليًا وله تصانيف كثيرة منها : التنبيه ، المهذب في الفقه ، التبصرة في أصول الشافعية ، طبقات الفقهاء ، اللمع في أصول الفقه ، الملخص ، المعونة في الجدل .

وسنعرض في الصفحات التالية ملخصًا موجزًا لكتابه (الطب الروحاني) والذي يشير الإمام في بدايته إلى أن : « أفضل العلوم ما كان ذريعة (وسيلة) للإنسان إلى السعادة الأبدية والبهجة الحقيقة ، ولا يكون ذلك إلا بتزكية الباطن عن الأوصاف المذمومة وتحليته بالأخلاق المحمودة ، والعلم الكافل ببيان قواعد التزكية والتحلية هو علم

---

(١) الشيرازي ، ط ١ ، مطبعة المفيد ، (١٣٩٩هـ) ، (٥٠ ص) .

تهذيب الأخلاق المسمى بالطب الروحاني .

وهذا مختصر في هذا العلم كافٍ في ضبط أصوله وقواعده ، وافٍ يربط فروعه وأوابده ، جمعت فيه عيون أقوال الحكماء في مكارم الأخلاق وغررها ، وشذور أمثال الفضلاء في محاسن الأدب ودرها » ، (ص ٢ ، ٣) .

عرض الكتاب :

يشتمل الكتاب على ثلاثة أقسام نعرض لها على النحو التالي :

أولًا : في الأصول الكلية لعلم الأخلاق :

في بداية هذا القسم يتحدث عن التصنيف الثلاثي للنفس الإنسانية ؛ وهي :

١ - القوة العاقلة المدركة للكليات بداية وتسمى النفس الملكية .

٢ - القوة الغضبية الباعثة لدفع المؤذيات وتسمى نفس سبعية .

٣ - القوة الشهوانية الطالبة للمشتهيات الحسية التي بها بقاء الشخص والنوع وتسمى النفس البهيمية .

حين نتناول هذا التقسيم بالفحص نخال أنفسنا إزاء الجوانب الثلاثة للشخصية الإنسانية التي يُعنى بدراستها حاليًا ولكن تحت مسميات أخرى ، فالقوة الغضبية يقابلها في علم النفس الحديث جانب (انفعالي دافعي) (الغضب ودوافع الغلبة والعدوان) والقوة الشهوانية يقابلها الجانب الدافعي الفسيولوجي .

وهناك تفاعل مستمر بين الجوانب الثلاثة للنفس الإنسانية وتمثل نتيجة ذلك التفاعل الحال الذي يكون عليه سلوك الإنسان .

وفي هذا الصدد يقول الإمام : « وهيئة استيلاء النفس الناطقة (العاقلة) على النفسين الأخرين (الجانبين الأخرين) تسمى فضيلة ، وهيئة استيلائمها عليها تسمى رذيلة ، وإذا ثبتت هذه الهيئة في النفس واستقرت تسمى ملكة ، وإذا عرضت تسمى حالًا » ، (ص ٦) .

أي أنه يفرق بين السمة (الملكة) والتي يُعد الدوام النسبي حجر الزاوية في تعريفها ، وبين الحالة (الحال) التي تتسم بأنها مؤقتة .

وأصول الفضائل أربعة : الحكمة ، والشجاعة ، والعفة ، والعدالة .

وأصول الرذائل سبعة : الجربزة ، والبله وهما طرفا الحكمة ، والتهور والجبن وهما طرفا الشجاعة ، والشره والجمود وهما طرفا العفة ، والسابع الجور وهو مقابل العدل ؛ لأن طرفي العدالة جور (ص ٧) .

هنا نلاحظ اهتمامه بالمفهوم التكميمي والتعامل مع تلك الصفات في ضوء أحد المفاهيم السائدة في علم النفس حاليًا وهو مفهوم البعد .

وثمة جانبًا آخر لأسلوب تناول الإمام لتلك الصفات ، وهو التعامل مع المكونات الفرعية لها ويتجلى ذلك في قوله : « أما عن فروع الفضائل ولوازمها :

فلوازم الحكمة : اللب ، وثقابة الرأي ، وجودة الذهن ، وسرعة الفهم .

ولوازم العفة : الحرية ، والحياد ، والخيرية ، والسخاء .

ولوازم التهور : التكبر ، والترفع ، والصلف ، والقساوة .

ولوازم الشر : الوقاحة ، والشرارة ، والتبذير .

ولوازم العدالة : هي جملة لوازم الفضائل كلها .

ولوازم الجور : هي لوازم هذه الرذائل كلها (ص ٧) .

أي أنه يتعامل مع الصفات على أنها تنتظم في ثلاثة مستويات : عامة ، وطائفية ، ونوعية ، فالصفات العامة المركزية (كالعدالة) تتكون من مجموعة من الصفات الطائفية (العفة والحكمة) والتي تتكون بدورها من مجموعة من الصفات النوعية (فالحكمة تتكون من ثقابة الرأي ، جودة الذهن ، سرعة الفهم) .

ثم يقدم تعريفًا لتلك المفاهيم كل على حدة :

« فالشجاعة - على سبيل المثال - هي : مطاوعة القوة الغضبية للقوة العاقلة في الإقدام والإحجام على مقتضى الرأي الصحيح .

والعفة : قلة شوق القوة الشهوية إلى اللذات البدنية بحيث يسهل عليها الصبر عما يذم عقلًا وشرعًا .

والحلم : أن يكون الإنسان غير منفعل من المغضبات انفعالًا يحمله على سرعة الانتقام .

والتهور : أن تكون مطاوعة النفس في الإقدام أشد من مطاوعتها في الإحجام بحيث يقوم على ما لا يجوز الإقدام عليه شرعًا وعقلًا .

والشره : شدة الشوق والشَّبَق إلى اللذات الحسية » ، (ص ٨ ، ٩) .

ثم يقدم تعريفًا لعلم الأخلاق حيث يقول : « اعلم أن المقصود من علم الأخلاق هو علاج الأخلاق الفاسدة (تعديل السلوك) وحفظ الأخلاق الفاضلة (العلاج التحفظي الوقائي) كما أن المقصود من علم الطب الجسماني هو علاج المرض وحفظ الصحة ؛ ولذلك سمي علم الأخلاق طب روحاني ، وكما أن للطب قوانين يُعرف بها حفظ الصحة وإزالة المرض ؛ فكذا لهذا العلم قوانين يعرف تحصيل الفضائل وإزالة الرذائل « قوانين التعلم وتعديل السلوك » ، (ص ١٠) .

وفي طب الأبدان يميز بين المرض والسبب ، والعرض والعلاج فيعرف المرض والسبب بالعرض ، ثم يعالج بالضد ليزول السبب فيزول المرض . وكذا يفصل قوانين طب النفوس إلى المرض والسبب والعلاج تفصيلًا كليًّا على النحو التالي :

١ - أما المرض فهو شدة ميل النفس إلى البدن ومحبتها له وهذا الميل وهذه المحبة هو أصل سائر الأمراض النفسانية (ص ١١) .

٢ - أما السبب فهو الإدراك والشعور بالإدراك أولًا ، ثم يلزم من الشعور حكم النفس بأنه خير مع أنه ليس بخير ، وهذا الحكم إما أن يلزم من تقليده ، وإما أن يلزم من رأي فاسد ، ثم إذا ثبت هذا الحكم في النفس اعتقادًا ، وإذا ثبت الاعتقاد لزم منه الخلق ، وإذا تحرك الخلق لزم منه الانفعال ثم صدر منه الأفعال المذمومة كالحسد مثلًا : إنه يثبت في نفس الحاسد اعتقادًا أن الخير لا يجوز أن يكون لغيره ، ويغتم لحصوله لغيره ، ثم إذا عرض بسبب من الأسباب المحركة إلى الفعل يحصل الانفعال في النفس الحاسدة وهو المحاسدة ، ولزم منه الفعل وهو التوجه نحو خير الغير وقصد دفعه عنه ، ومنعه بأفعال مذمومة عقلًا وشرعًا ؛ فهذا هو تحقيق أسباب المرض (ص ١٢) .

نلاحظ أنه يتعامل مع تلك السلسلة السلوكية التي تنتهي بالفعل ، ولكنها تبدأ بالاعتقاد والانفعال والسلوك .

٣ - وأما العَرَض : فهو العلامات الصادرة عن تلك الانفعالات من الأفعال المذكورة المذمومة كالسعي في صرف الغير عن الخير . (ص ١٢) .

ويتحدث عن المظاهر الداخلية والخارجية للانفعالات بقوله :

أ - وأما الانفعالات (المظاهر الداخلية) فهي أيضًا : أعراض خفية في النفس يعرفها أصحاب تلك الانفعالات .

ب - وأما الأفعال (المظاهر الخارجية للانفعالات) فهي : الأعراض الظاهرة الصادرة

من النفس المناسبة لتلك الانفعالات فتكون هذه الأفعال دلائل على تلك الانفعالات (ص ١٢) .

٤ - وأما العلاج : فهو استعمال الأضداد لأن الضد يُقمع بالضد الآخر وذلك إنما يكون بإثبات الأحكام اللازمة عن الرأي الصحيح في النفس بأن إرادة البدن وتوابع البدن من الملائمات الجسمية ، إنما هي أمراض للنفس مضرة في الحال (مؤلم لصاحبه ويجعله في الهم والغم) والمآل (في الدنيا والآخرة) .

وإذا ثبتت هذه الأحكام لزمه منه ترك الإرادة الأولى وترك الإرادات التابعة لها ، ثم إذا تحققت هذه الأحكام في نفس وجب أن يُخطرها بالبال ويقررها .

(نلمح ثمة إشارة إلى العلاج المنطقي باستخدام الحوار الداخلي لتغيير السلوك) . ويكررها في النفس دائمًا إلى أن تصير مَلَكَات (عادات) ، وكلما تكرر خطورها بالبال ، لا تزال تنفسخ تلك الإرادات إلى أن تضعف . وكلما انفسخت تلك الإرادات التي هي الرذائل لا تزال تثبت مقابلاتها بالتدريج ، وهي الفضائل ، وهذا هو القانون الكلي لإزالة أمراض النفس (ص ١٣ ، ١٤) ، ينطوي هذا الوصف على اقتراح أسلوب لتعديل السلوك يعتمد على استخدام كل من المنطق الاستدلالي العقلي ، والحوار الداخلي مع الإحلال التدريجي للسلوك المضاد ، وشبيه بهذا الأسلوب ما يطلق عليه حاليًا الأسلوب المنطقي الانفعالي في تعديل السلوك .

وأما حفظ صحتها (الوقائية) وهو محافظة الفضائل : فهو أن يتعهد النفس أبدًا لمراعاة الأخلاق الفاضلة ، والمحافظة عليها بالآراء الصحيحة ، ويجعل هذه الآراء في تعهد الأخلاق ملكة دائمة ، ويجب أن لا يغفل عن صدمة إهمال النفسين (الشهوانية ، والانفعالية) فإنهما إن أهملتا عادتا إلى طبيعتهما (أي خمود العادة الجديدة : الفضيلة ، وعودة العادة القديمة : الرذيلة) الخاصة بهما . وأن لا يحركهما بالتخيل والتفكر والتذكر (هاديات الفعل إلى العادة القديمة) في شيء من أسباب حركتهما وهيجانهما . وإذا اتفق أن خطر شيء من أسباب هيجانهما بالبال فيجب أن يُخطر نقائضهما بالبال حتى تكرهها النفس وتتركها .

ومن الأمور المعتبرة في حفظ النفس : المواظبة على الوظائف العملية والعلمية ، ومجالسة الأبرار، ومجانبة الفجار ، وقد قيل : بليد نشأ في العلماء أفضل من اللبيب الذي نشأ في الجهلاء (ص ١٤) .

وينتقل إلى قضية أخرى : وهي أهمية أن يراعي القائم بالاتصال أن يتناسب مضمون الاتصال (ص ١٦) أو الرسالة الإعلامية مع خصال وطبيعة المتلقين حتى يصبح تأثيره فيهم أعظم حيث يقول : « واعلم أن دعوة العلماء (كتلقين) إلى الفضائل الخلقية بالبراهين الدالة على وجوب التخلق بمكارم الأخلاق ، ودعوة الأوساط إليها بالجدليات والإقناعات الدالة على وجوب التخلق بها ، ودعوة النسوة والصبيان ومن في مراتبهم ممن لا يفهم الحجة والبرهان بمدح الأفعال الجميلة ، وتحسينها لهم ، وذم الأفعال الرديئة ، وتهجينها ، وتكريهها لهم ، وحكاية شمائل الأخبار من السلف الصالح ، وحسن سيرتهم ، ومحاسن عواقبهم ، وسوء خاتمة الأشرار ، وما يلحقهم من تبعات أفعالهم في الدنيا والآخرة (ص ١٥) .

ثانيًا : القسم الثاني : في الفروع الجزئية لمحاسن الأخلاق :

يجب على صاحب الكمال أن يعرف أصول الأمور وفروعها ويتقدم لإحراز الأصول ، فإن أصاب الفروع بعد إحراز الأصول فهو أفضل ، وأصل الأمر في الدين الإيمان ، واجتناب الكبائر وأداء الفرائض ، ثم إن تجاوز هذا إلى الفقه والعبادة فهو أفضل .

واعلم أن لكل شيء سببًا وعلة ، فسبب العفة : غض البصر ، وسبب الفجور : الخلوة ، وسبب المحبة : الهدية ، وسبب القطيعة : كثرة المعاتبة ، وسبب الأخوة : البشاشة ، وسبب البلاء : المراء ، وسبب المذلة : المسألة ، وسبب الخير كله : غلبة العقل على الهوى (ص ١٨) .

ويذكر جملة من آداب السلوك الاجتماعي والتي تعتبر أساليب التفاعل مع الآخرين وتعد مؤشرات أو مكونات فرعية للمهارات الاجتماعية Social Skills ؛ حيث يقول : « وقر من فوقك ، ولِنْ لمن دونك ، وأحسن موافاة أكفائك فإن هذا يشهد لك بأن إجلالك لمن فوقك ليس بخضوع ، وأن لينك لمن دونك ليس بطمع فيهم ، وليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك ، واعلم أن دواعي الشهوات إذا اتصلت بها حاجاتها كانت كالحطب للنار وإذا منعتها عنها وحلت ما بينها وبين ما تهوى انطفأت كانطفاء النار عن فقدان الحطب » (ص ١٩) .

« ولا تستفسد صديقًا لهفوة تصدر منه ، ولا تلم أحدًا على ما يكون في مثله العذر حتى تعلم ما اعتذاره ، ولا تعد لكل فارطة عتابًا ، وليكن عتابك تأديبًا لا تأنيبًا » (ص ٢٠) .

« وعذب حسادك بالإحسان إليهم ، وعود نفسك الصبر على من خانوك من ذوي

النصيحة ، وإن ابتليت من سفيه سفاهة ، فإياك أن تحتذي مثله وتعارضه بسفهٍ » (ص ٢١) .

« ولطفك بصاحب صاحبك أحسن موقعًا عنده من لطفك به نفسه ، واتق الفرح عند المحزون ، واعلم أنه يحقد على المنطلق ويسكن للمكتئب ، واجتنب اللجاج والمراء مع الإخوان . وإن كنت لَسِنًا فلا تكثر من ادعاء العلم في كل ما يعرض » (ص ٢٢) .

« ولْتَعْرف العلماءُ منك إذا اجتمعت معهم أنك على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، وإذا رأيت الرجل يحدث حديثًا قد علمته ، أو يخبر خبرًا قد سمعته فلا تشاركه فيه ، ولا تقبحه عليه حرصًا منك أن تعلم الناس أنك قد علمته ؛ فإن في ذلك خفة وسوء أدب وشحًّا ، ولا تحدث إلا من يرى حديثك مَغْنَمًا ؛ فمن لم يَبْسُط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع ما لم يغلبك الاضطرار ، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ، ومن حسن الاستماع إمهالك المتكلم حتى يقضي كلامه ، وقلة التلفت إلى الغير ، والإقبال والنظر إلى المتكلم حتى يقضي كلامه بتمامه » (ص ٢٣) .

ويشير إلى ظاهرة يمكن أن نطلق عليها الخداع الإدراكي الاجتماعي (١٧) .

وذلك في معرض تحذيره من الزنا ، والنهي من الوقوع فيه وخاصة للمحصن ؛ حيث يدرك الفرد ما عند الناس خير مما عنده حيث يقول : « واعلم أن أوقع الأمور في الدين وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار الإغراء بالنساء ، ومن البلاء على الغرور بهن أنه لا يزال يكره ما عنده ويطمع فيما عند الناس ، وإنما النساء أشباه وما يظهرن في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن باطل وخدعة ، وكثير مما يرغب فيه الراغب ما عنده أفضل مما تتوق إليه نفسه ، وإنما المرتغب عما في رحله منهن إلى ما في رحال غيره كالمرتغب من طعام بيته إلى ما في بيوت الناس من الأطعمة ، بل النساء أشبه من الطعام بالطعام ، فاحذر من هذه الرذيلة أشد الحذر » (ص ٢٦) .

وينصح بضرورة محاسبة النفس كل مساء ، والوفاء بالوعد والتواضع ، وتبني نظرة إيجابية للحياة ، والابتعاد عن السلبية والابتلاء . (ص ٢٧ - ٢٩) .

ثم يذكر مجموعة من الأمثال الشهيرة والأقوال السائرة التي تحض على المكارم وتنهي عن المثالب ؛ مثل : الحر عبد إذا طمع ، والعبد حر إذا قنع ، من اكتفى بالكفاف اكتسى بالعفاف ، لقاء الإخوان جلاء الأحزان (ص ٣٠ ، ٣١) .

من رضي عن نفسه أكثر الساخطين عليه ، لا خير في من لا تعظه التجارب (ص ٣٢) .

لا داء أعيى من الجهل ، إذا تم العقل نقص الكلام . (ص ٣٣) .

ثالثًا : القسم الثالث : فيما يتعلق بمكارم أخلاق الملوك وآداب أتباعهم :

ويتحدث فيه عن أهمية الرئاسة ودورها في صلاح المجتمع ، وعن أولى الناس بالملك ويقول : « أولى الناس بالملك أشدهم سلطانًا على هواه ، وأقرهم له فيما يتعلق بمصالح المملكة ، وأقدرهم على بسط العدل فيها ورفع الظلم عنها » (ص ٣٥) .

ويشير إلى الكيفية المثلى لاستثمار وقت الملوك بما يعود بالنفع على العامة والخاصة ، ويشجعهم على تقريب العلماء واستشارتهم ، وقد قيل : إن المستشير متحصن ، والمستبد متهور في الغلط (ص ٣٦ - ٣٧) .

ويقدم نصائح عديدة للملك تفيده في اختيار عماله وإدارة أعماله ، ويوجه نصيحة مهمة تندرج تحت موضوع الاختيار المهني (١٨) والذي يعنى بتوجيه الفرد إلى العمل الذي يتناسب مع قدراته حيث يقول : « وليعلم الملك أن تمهيد قواعد المملكة لا تتم إلا بحسم بوائق الأشرار وحسن رعاية الأخيار ، وصلاح الأعوان ، والاجتهاد في انتقاء صالحي العمال ؛ لأن أعمال الملك كثيرة ، ولا يمكن أن يجتمع استعداد جميع الأعمال في واحد ، فالوجه في ذلك أن يكون الملك عارفًا شرائط كل عمل ، واستعداد كل واحد معرفة تامة حتى يفوض إلى كل عامل عملًا يليق به ويشتهر بالكفاية والأمانة فيه » (ص ٣٨) .

ويشدد على أهمية متابعة من تم اختيارهم للتأكد من صدق الاختيار على محك الممارسة ، ويشجعه على تفويض السلطة (١٩) معتمدًا على المنطق التالي « وإنما الأمور كلها أمران : صغير لا ينبغي أن يباشره بنفسه ، وكبير لا ينبغي أن يكله إلى غيره ، فمتى باشر صغار الأمور شغلته عن كبارها ، ومتى وكل كبارها إلى غيره أضاع أكثر مما حفظ » (ص ٤٠) .

وضرورة التذرع وألا ينفذ حكمًا عند غضبه ، وعدم الفرح بالمدح ، وأن يقمع الحزن بالصبر ، ويتفكر في أحوال من سبقه ، وأن يكون للفقير والضعيف أشد نظرًا وأتم رعاية ، وليبدأ بإصلاح نفسه إن رغب في إصلاح رعيته ، وعليه بالتأمل والتأني فقد قيل : « أصاب المتأمل أو كاد وأخطأ المستعجل أو كاد » (ص ٤١ - ٤٤) .

ويختتم كتابه بجملة من الآداب التي على من يتعامل مع الملك أن يلتزم بها في مجالات شتى كالملبس ، والكلام ، والحركة ، والتصرفات ؛ حتى ينال القرب ويحافظ على المكانة (ص ٤٥ - ٥٠) .

عبد الله بن محمد الأنصاري ، أبو إسماعيل (ت ٤٨١هـ) منازل السائرين إلى الحق عزَّ شأنه [1]

عرض : د. الحسين محمد عبد المنعم

التعريف بالمؤلف :

هو عبد الله بن محمد علي الأنصاري الهروي ، وكنيته أبو إسماعيل ، وُلِد سنة (٣٩٦هـ) الموافق لسنة ١٠٠٦م ، وهو من كبار الحنابلة ، وكان شيخ خراسان في عصره ، وينتسب إلى ذرية أبي أيوب الأنصاري ، وكان الهروي بارعًا في اللغة حافظًا للحديث ، عارفًا بالتاريخ والأنساب مظهرًا للسنة ، داعيًا لها ، امتحن وأوذي ، وسُمِعَ يقول : « عرضت على السيف خمس مرات ، لا يقال لي ارجع عن مذهبك ، لكن يقال لي اسكت عمن خالفك ، فأقول لا أسكت » .

وتوفي الهروي سنة (٤٨١هـ) ، الموافق لسنة (١٠٨٩م) ؛ ومن كتبه :

١ - ذم الكلام وأهله .

٢ - الفاروق في الصفات .

٣ - « الأربعين » في التوحيد .

٤ - « الأربعين » في السنة .

٥ - منازل السائرين .

٦ - سيرة الإمام أحمد بن حنبل .

---

(١) لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري ، القاهرة ، دار الكتب العربية (د.ت) .

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٣٥ صفحة من القطع الصغير ، ويتكون من عشرة أقسام ؛ هي قسم البدايات ، وقسم الأبواب ، قسم المعاملات ، قسم الأخلاق ، قسم الأصول ، قسم الأدوية ، قسم الأحوال ، قسم الولايات ، قسم الحقائق ، وقسم النهايات .

- **القسم الأول** : البدايات : ويتضمن عشرة أبواب نعرض لها على النحو الآتي :

١ - **باب اليقظة** : اليقظة ثلاثة أشياء : **الأول** : لحظ القلب إلى النعمة مع اليأس من عدها ، والوقوف على حدها ، والعلم بالتقصير في حقها ، والتفرغ إلى معرفة المنة بها . والثاني : مطالعة الجناية والوقوف على الخطر فيها ، وتداركها وطلب النجاة بتمحيصها . والثالث : الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان من الأيام ، والتنصل من تضييعها ، والنظر إلى الضن بها لتدارك فائتها وتعمير باقيها .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي يرتبط بها هذا الباب : مفهوم اليقظة Vigilance والانتباه Attention (ص ٤) .

٢ - **باب التوبة** : وشروطها ثلاثة أشياء ؛ هي : الندم ، والاعتذار ، والإقلاع ، وحقائقها ثلاثة أشياء أيضًا ؛ هي : تعظيم الجناية ، واتهام النفس في التوبة ، وطلب إعذار الخلقية ، وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء ؛ هي : تمييز الأشياء من الغرَّة ، ونسيان الجناية ، والتوبة من التوبة أبدًا .

ويرتبط هذا الباب بموضوع الانفعالات Emotions حيث يعتبر الشعور بالندم Remorse أحد أنواع الانفعالات (ص ٥) .

٣ - **باب المحاسبة** : ولها ثلاثة أركان ؛ أحدها : أن تقيس بين نعمته وجنايتك ، وهذا يشق على من ليس له ثلاثة أشياء هي : نور الحكمة ، وسوء الظن بالنفس ، وتمييز النعمة من الفتنة . والثاني : أن تميز ما للحق عليك مما لك أو منك . والثالث : أن تعرف أن كل طاعة رضيتها منك فهي عليك وكل معصية عيرت بها **أخاك** فهي إليك .

٤ - **باب الإنابة** : وهي ثلاثة أشياء ؛ الرجوع إلى الحق إصلاحًا كما رجع إليه اعتذارًا ، الرجوع إليه وفاءً كما رجع إليه عهدًا ، والرجوع إليه حالًا كما رجع إليه إجابةً . والرجوع إليه إصلاحًا يتم بثلاثة أشياء : بالخروج من التبعات ، والتوجع للعثرات ، واستدراك الفائتات . والرجوع إليه وفاءً يتم أيضًا بثلاثة أشياء هي : التخلص من لذة الذنب ، وترك استهانة أهل الغفلة ، والاستقصاء في رؤية علل الخدمة . أما الرجوع إليه

حالًا فيستقيم بأنه : لا يأس من عملك ، وبمعاينة اضطرارك وبشيم برق لطفه بك .

٥ – **باب التفكر** : التفكر هو تلمس البصيرة لاستدراك البغية ، وهو ثلاثة أنواع : فكرة في عين التوحيد ، وفكرة في لطائف الصنع ، وفكرة في معاني الأعمال والأحوال .

ويرتبط هذا الباب بمفهوم التفكير Thinking ، والعمليات المعرفية Cognitive Processes والاستبصار Insight (ص٦) .

٦ – **باب التذكر** : التذكر فوق التفكر ، فالتفكر طلب والتذكر وجود ، وأبنية التذكر ثلاثة أشياء : الانتفاع بالعظة ، والاستبصار للعبرة ، والظفر بثمرة الفكرة .

ويرتبط هذا الباب بمفهوم التذكر Memory (ص ٦) .

٧ – **باب الاعتصام** : الاعتصام بحبل اللّه هو المحافظة على طاعته مراقبًا لأمره ، والاعتصام باللّه هو الترقي عن كل موهوم والتخلص عن كل تردد .

٨ – **باب الفرار** : والفرار هو الهروب مما لم يكن إلى ما لم يزل . وله ثلاث درجات : فرار العامة من الجهل إلى العلم ، وفرار الخاصة من الخبر إلى الشهود ، ومن الحظوظ إلى التجريد ، وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق إلى الحق ، ثم من شهود الفرار إلى الحق ، ثم الفرار من الفرار إلى الحق .

٩ – **باب الرياضة** : الرياضة هي تمرين النفس على قبول الصدق ، وهي على ثلاث درجات : الأولى : رياضة العامة ، وهي تهذيب الأخلاق بالعلم ، وتصفية الأعمال بالإخلاص . والثانية : رياضة الخاصة ، وهي : حسم التفرق ، وقطع الالتفات إلى المقام الذي جاوزه ، وإبقاء العلم يجري مجراه . والثالثة : رياضة خاصة الخاصة ، وهي : تجريد الشهود ، والصعود إلى الجمع ، ورفع المعارضات .

ويرتبط بهذا الباب مفاهيم التعلم Learning وتعديل السلوك Behavior Modification (ص ٢٧) .

١٠ – **باب السماع** : السماع حقيقة الانتباه ، وهو على ثلاث درجات : الأولى : سماع العامة ، والثانية : سماع الخاصة ، والثالثة : خاصة الخاصة سماع يغسل العلل ويصل الأبد والأزل ، ويرد النهايات إلى الأول .

ويرتبط هذا الباب بشكل غير مباشر بمفهوم الإحساس Sensation والانتباه Attention (ص ٧) ، والتعلم Learning وتعديل السلوك (ص ٧) .

– **القسم الثاني : الأبواب** : ويتضمن عشرة أبواب نعرض لها على النحو الآتي :

١ – **باب الحزن** : وهو توجع لفائت أو تأسف على ممتنع وله ثلاث درجات :

الأولى : حزن العامة على التفريط في الخدمة ، والثانية : حزن أهل الإرادة ، وهو حزن على تعلق القلب بالتفرقة ، والثالثة : التحزن للمعارضات دون الخاطر .

ويرتبط هذا الباب بمفهوم الانفعالات Emotions وبخاصة انفعال الحزن (ص ٨) .

٢ – **باب الخوف** : وهو الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر ، وهو على ثلاث درجات : الأولى : الخوف من العقوبة ، والثانية : خوف المكر في حال جريان الأنفاس المستغرقة في اليقظة ، والثالثة : هيبة تعارض المكاشف أوقات المناجاة ، وتصون المشاهد أحيان المسامرة ، وتقصم المعاين بصدمة العزة .

ويرتبط هذا الباب أيضًا بمفهوم الانفعالات وبخاصة انفعال الخوف (ص ٨) .

٣ – **باب الإشفاق** : وهو دوام الحذر مقرونًا بالترحم .

٤ – **باب الخشوع** : وهو خمود النفس وخمود الطباع لمتعاظم أو مفزع ، وله ثلاث درجات الأولى : التذلل للأمر والاستسلام للحكم ، والثانية : ترقب آفات النفس ، والثالثة : حفظ الحرمة عند المكاشفة .

٥ – **باب الإخبات** : والإخبات من أوائل مقام الطمأنينة ؛ وهو ورود المأمن من الرجوع والتردد ، وترتبط بهذا الباب مفاهيم ضبط النفس Self - Control والتحكم في شهواتها ولوم النفس أو الشعور بالذنب Feeling of Guilt والإرادة Will (ص ٩) .

٦ – **باب الزهد** : الزهد : إسقاط الرغبة عن الشيء – وهو للعامة قربة ، وللمريد ضرورة وللخاصة خشية ، ويرتبط بهذا الباب مفهوم ضبط النفس والتحكم في شهواتها (ص ٩) .

٧ – **باب الورع** : وهو آخر مقام الزهد للعامة ، وأول مقام الزهد للمريد . ويرتبط بهذا الباب مفهوم ضبط النفس والتحكم في شهواتها (ص ٩) .

٨ – **باب التبتل** : وهو التجريد المحض والانقطاع إلى الله ﷻ كلية ، ويرتبط بهذا الباب أيضًا مفهوم ضبط النفس والتحكم في شهواتها (ص ٩ ، ١٠) .

٩ – **باب الرجاء** : الرجاء أضعف منازل المريد ؛ لأنه معارضة من وجه واعتراض من وجه ، وهو وقوع في الرعونة في مذهب هذه الطائفة إلا ما فيه من فائدة ، فهو يغني

حرارة الخوف حتى لا يعدو إلى اليأس .

١٠ - **باب الرغبة** : الرغبة إلى الحق بالحقيقة من الرجاء وهي فوق الرجاء ؛ لأن الرجاء طمع يحتاج إلى التحقيق ، والرغبة هي سلوك على التحقيق .

ويرتبط هذا الباب بمفهوم الرغبة Desire (ص ١٠) .

- **القسم الثالث** : **قسم المعاملات** ويتضمن عشرة أبواب :

١ - **باب الرعاية** : وهي صون بالعناية ، ولها ثلاث درجات ؛ رعاية الأعمال ، ورعاية الأحوال ، ورعاية الأوقات .

٢ - **باب المراقبة** : وهي دوام ملاحظة المقصود ، ولها ثلاث درجات : مراقبة الحق في السير له على الدوام ، ومراقبة نظر برفض المعارضة ، ومراقبة الأزل .

٣ - **باب الحرمة** : وهي التحرج من المخالفات و المجاسرات .

٤ - **باب الإخلاص** : وهو تصفية العمل من كل شوب .

٥ - **باب التهذيب** : وهو محبة أرباب البدايات ، وهو شريعة من شرائع الرياضة .

٦ - **باب الاستقامة** : وهي روح تحيا بها الأحوال كما تربو للعامة عليها الأعمال ، وهي برزخ بين وِهَاد التفرق وَرَوَابي الجمع .

- وترتبط الأبواب ٤ ، ٥ ، ٦ بموضوع القيم الأخلاقية Moral Values (ص ١١ - ١٢) .

٧ - **باب التوكل** : التوكل وَكْلُهُ إلى مالكه ، والتعويل على وكالته ، وهو من أصعب منازل العامة عليهم ، وأدهى السبل عند الخاصة ؛ لأن الحق قد وكل الأمور كلها إلى نفسه .

٨ - **باب التفويض** : وهو ألطف إشارة وأوسع معنى من التوكل ، فإن التوكل بعد وقوع السبب ، والتفويض قبل وقوعه وبعده .

٩ - **باب الثقة** : الثقة سواد عين التوكل ، ويقطة دائرة التفويض ، وسويداء قلب التسليم .

١٠ - **باب التسليم** : وفي التسليم والثقة والتفويض ما في التوكل من الاعتلال - وهو من أعلى درجات سبل العامة .

القسم الرابع : قسم الأخلاق : ويتضمن الأبواب العشرة التالية :

١ - **باب الصبر** : وهو حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى ، وهو من أصعب المنازل على العامة ، وأوحشها في طريق المحبة ، وأنكرها في طريق التوحيد .

٢ - **باب الرضا** : وله ثلاث درجات : الأولى : رضا العامة وهو الرضا بالله ربًّا ، والثانية : الرضا عن الله تعالى ، والثالثة : الرضا برضا الله تعالى .

٣ - **باب الشكر** : وهو اسم لمعرفة ؛ لأنها السبيل إلى معرفة المنعم ، ومعاني الشكر ثلاثة أشياء : معرفة النعمة ، ثم قبول النعمة ، ثم الثناء بها .

٤ - **باب الحياء** : وهو أول مدارج أهل الخصوص يتولد من تعظيم منوط بود .

٥ - **باب الصدق** : وهو اسم لحقيقة الشيء حصولًا ووجودًا .

ويرتبط هذا بمفهوم الصدق إحدى القيم الأخلاقية (ص ١٥) .

٦ - **باب الإيثار** : الإيثار . هو تخصيص واختيار ، والأثرة تحسن طوعًا وتصح كرهًا ، ويقترب هذا الباب من مفهوم الغيرية أو الإيثار Altruism (ص ١٥) .

٧ - **باب الخُلق** : الخُلق هو ما يرجع إليه المكلف من نعته - ويرتبط بمفهوم التصورات الأخلاقية Moral conceptions (ص ١٥) .

٨ - **باب التواضع** : وهو أن يتواضع العبد لصوت الحق .

٩ - **باب الفتوة** : وهي أن لا تشهد لك فضلًا ، ولا ترى لك حقًّا .

١٠ - **باب الانبساط** : وهو إرسال السجية والتحاشي عن وحشة الحشمة ، وهو السير مع الجبلة ، ويقترب هذا الموضوع من موضوع سيكولوجية الشخصية ، وخاصة بعد الانبساط Extraversion أحد الأبعاد الأساسية للشخصية الإنسانية (ص ١٦ - ١٧) .

القسم الخامس : قسم الأصول ، ويتضمن الأبواب العشرة التالية :

١ - **باب القصد** : وهو الإزماع على التجرد للطاعة من مفهوم القصد أو النية (ص ١٧) .

٢ - **باب العزم** : وهو القصد طوعًا أو كرهًا .

٣ - **باب الإرادة** : وهي الإجابة لدواعي الحقيقة طوعًا ، ويرتبط بمفهوم الإرادة (ص ١٧) .

٤ - **باب الأدب** : وهو حفظ الحد بين الغلو والجفاء بمعرفة ضرر العدوان ، ويرتبط بمفهوم العدوان aggression ، والانفعالات Emotions (ص ١٧ ، ١٨) .

٥ - **باب اليقين** : وهو على ثلاث درجات : الأولى : علم اليقين ، والثانية : عين اليقين وهو الغنى بالاستدراك عن الاستدلال ، والثالثة : حق اليقين .

٦ - **باب الأنس** : وهو إشارة إلى روح القرب .

٧ - **باب الذكر** : وهو التخلص من الغفلة والنسيان - ويرتبط بمفهوم الذاكرة memory والنسيان Forgetting (ص ١٨) .

٨ - **باب الفقر** : وهو على ثلاث درجات : الأولى : فقر الزهاد ، والثانية : الرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل ، وهو يورث الإخلاص ، والثالثة : فقر الصوفية وهو صحة الاضطرار ، والوقوع في يد المنقطع الوحداني في بيداء التجريد .

٩ - **باب الغنى** : وهو اسم للملك التام ، الدرجة الأولى منه : غناء القلب ، والثانية : غناء النفس ، والثالثة : الغنى بالحق .

١٠ - **باب المراد** : أكثر المتكلمين في هذا جعلوا المراد والمريد اثنين - جعلوا مقام المراد فوق مقام المريد - وأشاروا باسم المراد إلى الضنائن الذين ورد فيهم الخبر .

القسم السادس : قسم الأدوية :

١ - **باب الإحسان** : وهو اسم جامع لجميع أبواب الحقائق ، وهو أن تعبد اللّٰه كأنك تراه .

٢ - **باب العلم** : وهو ما قام بدليل ورفع الجهل .

٣ - **باب الحكمة** : اسم لإحكام وضع الشيء في موضعه .

٤ - **باب البصيرة** : وهو ما يخلصك من الحيرة ، ويقترب من مفهوم الاستبصار Insight أحد المفاهيم الأساسية في نظرية الجيشطالت ، والمفسرة لعملية الإدراك والتعلم (ص ٢٠) .

٥ - **باب الفراسة** : والتوسم التفرس وهو استئناس حكم غيب ، يشي بلا استدلال بشاهد ولا اعتبار بتجربة ، ويقترب مما يطلق عليه البعض : « الذكاء اللماح » .

٦ - **باب التعظيم** : التعظيم ، هو معرفة العظمة مع التذلل لها .

٧ - **باب الإلهام** : وهو مقام المحدَّثين ، وفوق مقام الفراسة ؛ لأن الفراسة ربما وقعت نادرة أو استصعبت على صاحبها وقتًا واستعصت عليه ، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد .

٨ - **باب السكينة** : وهي حالة من الرضا والخشوع ومحاسبة النفس - ويرتبط هذا

الباب بموضوع الانفعالات Emotions (ص ٢٢) .

٩ - **باب الطمأنينة** : وهي سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان ، وبينه وبين السكينة فرقان ؛ أحدهما : أن السكينة تورث جمود الهيبة أحيانًا ، والطمأنينة سكون أمن فيه استراحة .

ويقترب هذا المفهوم من مفهوم الأمن النفسي Feeling of Security (ص ٢٢) .

١٠ - **باب الهمة** : وهي ما يملك الانبعاث إلى المقصود .

ويقترب هذا الباب من مفهومي الباعث Dr.Drive والدافع Motive (ص ٢٢) .

القسم السابع : قسم الأحوال : ويندرج تحته ما يلي :

١ - **باب المحبة** : وهي تعلق القلب بين الهمة والأنس في البذل والمنع على الأفراد .

٢ - **باب الغيرة** : وهي سقوط الاحتمال ضنًا والضيق عن الصبر .

٣ - **باب الشوق** : وهو هبوب القلب إلى غائب .

وترتبط الأبواب الثلاثة السابقة بأنماط الانفعالات Type of Emotions .

٤ - **باب القلق** : وهو تحريك الشوق بإسقاط الصبر .

ويرتبط بموضوع القلق النفسي Anxiety (ص ٢٣) .

٥ - **باب العطش** : وهو كناية عن غلبةٍ ولوعٍ بمأمول .

٦ - **باب الوجد** : وهو لهب يتأجج من شهود عارض تعلق .

٧ - **باب الدهشة** : والدهشة بهتة تأخذ العبد إذا فاجأه ما يغلب عقله أو صبره أو علمه .

٨ - **باب الهيمان** : وهو ذهاب عن التمالك تعجبًا أو حيرة ، وهو أطول نسبيًا من الدهشة .

٩ - **باب البرق** : وهو باكورة تلمع للعبد فتدعوه إلى الدخول في هذا الطريق .

١٠ - باب الذوق وهو أبقى من الوجد وأجلى من البرق .

وبوجه عام ترتبط أبواب القسم السابع بسيكولوجية الانفعالات : أنماطها ودرجاتها (ص ٢٢ - ٢٥) .

القسم الثامن : الولايات :

١ - **باب اللحظ** : وهو لمع مسترق .

٢ – **باب الوقت** : اسم لظروف الكون .

٣ – **باب الصفا** : اسم للبراءة من الكدر .

٤ – **باب السرور** : وهو اسم لاستبشار جامع وهو أصفى من الفرح ؛ لأن الأفراح ربما شابتها الأحزان .

ويقترب هذا الباب من موضوع الانفعالات Emotions (ص ٢٦) .

٥ – **باب السر** : أصحاب السر هم الأخفياء الذين ورد فيهم الخبر .

٦ – **باب النفس** : سمى النفس نفسًا لترويح المتنفس به ، وهو على درجات مختلفة .

٧ – **باب الغربة** : وهي اسم يشار به إلى الانفراد عن الأكفاء .

٨ – **باب الغرق** : وهو اسم يُشار به إلى من توسط المقام وجاوز حد التصرف .

٩ – **باب الغيبة** .

١٠ – **باب التمكن** : وهو فرق الطمأنينة وإشارة إلى غاية الاستقرار .

القسم التاسع : الحقائق :

١ – **باب المكاشفة** : وهي مهاداة السر بين متباطنين ، وهي في هذا الباب بلوغ ما وراء الحجاب وجودًا .

٢ – **باب المشاهدة** : وهي سقوط الحجاب يتهاوى فوق المكاشفة .

٣ – **باب المعاينة** : وهي ثلاثة أنواع ، معاينة الإبصار ، ومعاينة القلب ، ومعاينة عين الروح .

٤ – **باب الحياة** : فيها حياة العلم من موت الجهل ، وحياة الجمع من موت التفرقة ، وحياة الوجود .

٥ – **باب القبض** : وهو اسم يشار به إلى مقام الضنائن الذين ادخرهم الحق ﷻ .

٦ – **باب البسط** : البسط أن يرسل شواهد العبد في مدارج العلم .

٧ – **باب السكر** : وهو سقوط التمالك في الرطب ، وهذا من مقامات المحبين .

ويرتبط بموضوع سيكولوجية الحب Love (ص ٣٠) .

٨ – **باب الصحو** : وهو فوق السكر ، وصاعد عن الانتظار ؛ يغني عن الطلب ، طاهر من الحرج .

٩ ، ١٠ - بابا الاتصال والانفصال .

القسم العاشر : التوحيد :

١ - **باب المعرفة** : وهي إحاطة بعين الشيء كما هو ؛ وهي على ثلاث درجات : الأولى : معرفة الصفات ؛ والثانية : معرفة الذات ؛ والثالثة : معرفة مستغرقة لا يوصل إليها الاستدلال ولا يدل عليها شاهد .

ويرتبط هذا بمفهوم المعرفة Knowledge (ص ٣١) .

٢ - **باب الفناء** : وهو اضمحلال ما دون الحق علمًا ثم جحدًا ثم حقًّا .

٣ - **باب البقاء** : وهو اسم لما بقى قائمًا بعد فناء الشواهد وسقوطها .

٤ - **باب التحقيق** : التأكد من الأشياء بإثبات الدليل والشواهد .

٥ - **باب التلبيس** : وهو تورية بشاهد معار عن موجود قائم .

٦ - **باب الوجود** : وهو اسم للظفر بحقيقة الشيء .

٧ - **باب التجريد** : وهو إخلاع عن شهود الشواهد .

٨ - **باب التفريد** : وهو اسم لتخليص الإشارة إلى الحق ، ثم بالحق ، ثم عن الحق .

٩ - **باب الجمع** : وهو ما أسقط التفرقة وقطع الإشارة ، وشخص عن الماء والطين بعد صحة التمكين والبراءة من التلوين .

١٠ - **باب التوحيد** : وهو تنزيه الله ﷻ عن الحدث ؛ وهو على ثلاثة أوجه : الأولى : توحيد العامة ويصح بالشواهد ؛ الثانية : توحيد الخاصة ويثبت بالحقائق ؛ والثالثة : هو توحيد خاصة الخاصة ؛ وقد اختصه الحق تعالى لنفسه واستحقه لقدره .

أوجه الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام .

* * *

المبشر بن فاتك (ت ٤٨٧هـ)
مختار الحكم ومحاسن الكلم (١)

عرض : د. جمعة سيد يوسف

التعريف بالمؤلف :

هو المبشر بن فاتك الآمري وكنيته أبو الوفاء محمود الدولة الأمير ، وأصله من دمشق ولكنه استوطن مصر حتى صار يعد من أعيان أمراء مصر وأفاضل علمائها ، وكان في الدولة المصرية في أيام الظاهر والمستنصر وأحد أدباء مصر العارفين بالأخبار والتواريخ المصنفين فيها . ولم تذكر المصادر التي أرخت له تاريخ مولده ووفاته ، وإنما اكتفى القفطي بالقول : وكان في آخر المائة الخامسة للهجرة ، ويمكن تحديد سني حياته عن طريق من تتلمذ لهم وتتلمذوا عليه ، فأبو الوفاء المبشر بن فاتك ألف كتابه « مختار الحكم » سنة ٤٤٥هجرية ، وبالتالي يفترض أنه ولد في السنوات العشر الأولى من القرن الخامس فيما بين سنة ٤٠٠ ، وسنة ٤١٠هـ . وتبعًا لهذا يكون قد تتلمذ على ابن الهيثم فيما بين سن الخامسة عشرة والخامسة والعشرين . وأن ملازمته لابن رضوان كانت وهو في سن بين الخامسة والثلاثين والخمسين ، ومهما عمر فلن يتجاوز ٤٨٧ هجرية (وإذن فليس بصحيح ما زعمه القفطي من أنه كان في آخر المائة الخامسة للهجرة) ، وقد أخذ عن أساتذته علوم الهيئة والعلوم الرياضية ، وفروع الفلسفة ، والعلوم الحكمية ، والطب .

وله مؤلفات في علوم الأوائل نذكر منها : البداية في المنطق ، والوصايا والأمثال ،

(١) لأبي الوفاء المبشر بن فاتك ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، ط. ٢ ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (١٩٨٠م) .

والموجز من محكم الأقوال ، وكتاب في الطب ، والكتاب الذي نحن بصدده . ومن مؤلفاته في التاريخ كتاب سيرة المستنصر (٣ مجلدات) .

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٣٧٢ صفحة من القطع المتوسط ، ويشتمل على تصدير عام يضم نبذة عن كتاب مختار الحكم ، وترجمة للمؤلف ، ثم ما نقل عن كتاب مختار الحكم وما نشر منه ، والمخطوطات العربية له ، وكتاب مختار الحكم في الإسبانية ، والترجمة اللاتينية ، والفرنسية ، والبروفنصالية ، والإنجليزية ، والرواية الأصلية في الترجمة الإسبانية ، وبعد ذلك طبعات الترجمة الإسبانية الملفقة ومنها طبعة أشبيلية في ١٦ مايو ١٤٩٥م ، وطبعة طليطلة في ١١ ديسمبر ١٥١٠م وطبعة بلد الوليد في ٢٣ ديسمبر سنة ١٥٣٧م ثم خاتمة ، ورموز المخطوطات ، ويضم الكتاب أيضًا مقدمة للمؤلف ثم الحديث عن إحدى وعشرين شخصية يذكر حياتها ونسبها ، وشيئًا من أدبها أو حكمتها ، ثم باب جامع لأقوال جماعة من الحكماء ، وباب آداب لم يعرف قائلها . ويضم أيضًا مجموعة من الفهارس منها فهرس الأعلام ، وفهرس أسماء الأماكن ، وفهرس الموضوعات .

يبدأ المؤلف كتابه بفصول من كلام شيث النبي وآدابه ، ويذكر فيها أنه ينبغي أن يكون في المؤمن والحنيفي ست عشرة فضيلة ، الأولى : معرفة باللّٰه ، والثانية : معرفة الخير والشر ، والثالثة : السمع والطاعة للملك الذي استخلفه اللّٰه في الأرض ، والرابعة : بر الوالدين ، والخامسة : اصطناع المعروف بقدر الطاعة ، والسادسة : مواساة الفقراء ، والسابعة : التعصب للغريب (ومفهوم التعصب Prejudice) من المفاهيم التي درست وما زالت تدرس في علم النفس الاجتماعي (ص ٤) والثامنة : الشجاعة في طاعة رب العالمين ، والتاسعة : العصمة عن الفجور ، والعاشرة : الصبر بالإيمان واليقين (ص ٥) ، والحادية عشرة : صدق اللهجة ، والثانية عشرة : العدل ، والثالثة عشرة : القنوع في الدنيا ، والرابعة عشرة : تقديم الضحايا والقرابين للّٰه ، والخامسة عشرة : الحلم (وهو يقابل ضبط النفس Self-Control أحد سمات الشخصية كما يدرس في علم النفس) (ص ٥) ، والسادسة عشرة : الحياء وقلة الممار .

كما يحدد أيضًا خصال الملك أو القائد ويركز فيها على لطف العقل ، وصحة الرأي ، والعلم بالحكمة والإعلاء من شأن العلم (وموضوع القيادة - عمومًا - من

موضوعات علم النفس الاجتماعي (ص ٥ ، ٦) كما يحدثنا أيضًا عن الصداقة وهي من موضوعات علم النفس الاجتماعي أيضًا (ص ٦) ، ويلفت النظر إلى ضرورة التجريب وإمعان النظر (ص ٦) ، وأخيرًا يحدد الحكمة بأن بها تنال معرفة الأمور وتحسن النية (ص ٧) .

وبعد ذلك ينتقل إلى حكم آرميس وآدابه ، والذي دعا إلى دين اللّٰه والقول بالتوحيد ، وتخليص النفوس من العذاب ، وحرص على الزهد في الدنيا ، والعمل بالعدل وطلب الخلاص في الآخرة ، والنظر في العاقبة (ص ٧ - ١٠) .

وبعد آرميس ، يتحدث عن مختار مواعيظ هرمس وآدابه ، ويعرفه بأنه إدريس النبي المثلث بالنبوة والحكمة والملك ، ويحدد فيها كيفية شكر اللّٰه ، وكيفية بلوغ العلم وصالح العمل ، وتقوى اللّٰه ، والدعاء الخاص للّٰه ، والسعي للخير ، وإتمام فروض اللّٰه ، والخشوع والخضوع من غير عجب ولا استكبار ، وينهى عن التفاخر والتكاثر ، ومخالطة الخونة والفسقة (وكأنه ينبهنا إلى كيفية اختيار الأصدقاء) (ص ١٢ - ١٥) .

ومن مواعظه أيضًا الحرص على التقوى باعتبارها فاتحة أبواب الفهم والعقل . ويأمرنا كذلك بالتروي في الأمور وعدم العجلة . ومن الموضوعات التي لها صلة بعلم النفس حديثه عن التعلم بالاقتداء Modeling (ص ١٣ ، ١٩ ، ٢٠) وانفعال المحبة (ص ١٤) وانفعال الغضب (ص ١٧ - ٢٢) وسلوك المساعدة Helping Behavior ، وحسن التخاطب ويدرسا في علم النفس الاجتماعي (ص ١٤ - ١٦) .

وسمات الشخصية خاصة ضبط النفس (ص ١٧ - ١٨) والقيادة Leadership وخصال القائد (ص ١٧) ومفهوم الغريزة والشهوة (وهي مفاهيم أهملت وحل محلها الدوافع (ص ١٨ ، ١٩) ، وبعض اضطرابات الإدراك كالخداع البصري Visual Illusion عند حديثه عن السراب (ص ٢١) كما يتحدث عن قوى النفس ، كالنفس المنطقية ، والقوة الشهوانية ، والقوة الغضبية (ص ٢٢) وأخيرًا يحدثنا عن الفهم وعلاماته وخاصة السرور (والفهم Comprehension) يدخل تحت باب الذكاء أو القدرات المعرفية ، ويدرس أيضًا في علاقته باللغة ، أما السرور فيدرس تحت باب الانفعالات (ص ٢٢) .

ويحدثنا بعد ذلك باختصار عن حكيمين ؛ هما : « صاب بن إدريس » الذي يحذرنا من الغضب ، لأنه يفقد العقل (والغضب من الموضوعات التي تدرس في علم النفس العام ، وكذلك العقل إذا نظرنا إليه باعتبار مكوناته كالذكاء والتفكير والعمليات المعرفية

(ص ٢٦) ثم يحدد سمات الشخصية الخاصة بالملك (أو القائد) وهو ما يدخل في موضوع القيادة أحد موضوعات علم النفس الاجتماعي (ص ٢٦) ، ويركز على فوائد الفهم (وهو موضوع ينتمي للجانب العقلي في الإنسان (ص ٢٧) . والثاني : هو إسقلبيوس الذي كان تلميذًا لهرمس . ويركز على الصمت ، والبحث عن المعرفة ، وتحري الصدق (ص ٢٩) .

الحكيم الثاني في هذه السلسلة من الحكماء : هو هوميروس الشاعر الذي عرَّف العاقل بأنه من عقل عن الذم لسانه ، كما يرى أن الحيل فوائد الفكر (وقد سبق أن أشرنا إلى أن الجانب العقلي أو القدرات العقلية حظيت باهتمام كبير في دراسات علم النفس (ص ٣٠ ، ٣١) ، ثم يبدي رأيه في المشورة وطلب النصيحة (وهو مقابل الإرشاد النفسي Counceling أحد فروع علم النفس الحديث (ص ٣٠) ويطالبنا بالاقتداء باللّٰه ، والحلم (أو ضبط النفس وهو من سمات الشخصية (ص ٣٢ ، ٣٣)) .

ويزلف مباشرة بعد ذلك إلى الحديث عن سولون الحكيم الذي رفع قيمة العلم وأعلى شأنه ونصحنا بالأدب والتأديب (أو حسن التنشئة ، والتنشئة أحد موضوعات علم النفس الاجتماعي (ص ٣٦) ويقدم لنا مبدأ من المبادئ المعمول بها الآن في التخلص من سوء التوافق - أعني التحكم في الأفكار المأساوية حيث يأمرنا بدفع الأفكار السيئة (ص ٣٧) ، ويذكر أيضًا بعض سمات الشخصية وأهمها ضبط النفس (الحلم) ، (ص ٣٧) ، ويرسي مبادئ الإرشاد والنصح (ص ٣٧) كما تعرض لموضوع الصداقة (ص ٣٨) ، وتحدث عن بعض الانفعالات كالفرح والحزن (ص ٣٨) وحدد بعض خصال القائد (ص ٣٩) ، وانتهى بالحديث عن التقويم . كما تعرض المؤلف لحكم وآداب زينون باختصار ، وأهم ما جاء بها - من وجهة نظر علم النفس - اختيار الأصدقاء والإخوان لأنهم شفاء النفس (ص ٤٣) ، وقوله إن النفس الناطقة لا تموت . وينقل لنا بعد ذلك أخبار أبقراط الطبيب وحكمه و آدابه وأهمها تركيزه على التجربة ، كما يبين لنا كيفية الاعتدال والتوسط في إشباع الدوافع (خاصة الدوافع البيولوجية) وموضوع الدوافع وإشباعها من موضوعات علم النفس العام ، ويذكر آفات القلب وأهمها الغم والهم (وهي قد تدخل تحت مسمى الانفعالات كالحزن - أو كوصف لبعض أعراض الأمراض النفسية كالاكتئاب Depression وهو موضوع عناية الأطباء النفسيين وعلماء النفس الإكلينيكيين (ص ٤٩) . وتحت باب الانفعالات تحدث عن المحبة ودرجاتها كالعشق (ص ٥٠ - ٥٢) . وتعرض كذلك لموضوع الفكر Thinking (ص ٥٢) .

وتبدأ آداب وحكم فيثاغورث الحكيم بضرورة محبة اللّه تعالى من خلال محبة الحكمة ، ثم يأمرنا بالتروي قبل الفعل للنجاة من الخطأ (ص ٦٣) ويتعرض بالحديث أيضًا وكما سبق أن ذكرنا - للاعتدال في إشباع الدوافع (ص ٦٣) ويزيد على ذلك موضوعًا آخر هو التيقظ Vigilance والذي يدخل تحت دراسة الانتباه Attention كموضوع من موضوعات علم النفس العام (ص ٦٣) . كما يحدد أيضًا آداب المخاطبة أو التخاطب Communication (وهو أحد موضوعات علم النفس الاجتماعي (ص ٦٤ - ٦٧) ويستخدم أيضًا مفهوم العادة Habit (وهو من المفاهيم التي استخدمت في نظريات التعلم (ص ٦٤) .

وينهانا عن العجلة أو التواني ، ويأمرنا بضبط النفس (وهو من سمات الشخصية (ص ٦٦ - ٦٨) ، ثم يتحدث عن موضوع الانفعالات Emotions فيذكر منها الغضب ، والحزن والهم (ص ٦٩) . ثم يفرق بين الإحساس ، والشهوات والعقل (وهي ثلاثة موضوعات من موضوعات علم النفس ، غير أن الشهوة يمكن استبدالها ليحل محلها الدوافع (ص ٦٩ - ٧١) .

ولعدد من الموضوعات التي ذكرها فيثاغورث في حكمه وآدابه يتعرض ذيوجانس المتجرد ، ومن هذه الموضوعات ذات الصلة بعلمنا موضوع الدوافع (ص ٧٤) والصداقة (ص ٧٤) والانفعالات كالغضب ، والحب (ص ٧٥ - ٨١) والتعلم Learning (ص ٧٦) والتخاطب (ص ٧٩) ، والأخلاق الحسنة (ص ٨٠) .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى أحد أهم الحكماء الذي تحدث عنهم وهو سقراطيس الزاهد ، الذي ينصحنا بمعرفة حق اللّه تعالى وتقواه ، ويوصينا بالتربية ثم يفرق أيضًا بين الأنفس فيذكر منها النفس الزكية ، والنفس الرديئة والنفس الفاضلة ، والنفس الناقصة (وكأنه يصنف الناس على أساس سمات شخصياتهم ، وهنا نجد بداية لأحد موضوعات علم النفس (ص ٩٢ - ٩٨) . ويحضنا كذلك على محاولة معرفة الخطأ والتحرز منه ، ومن الموضوعات التي تعرض لها وتعتبر ذات أهمية خاصة موضوع إدراك الكلام أو فهمه Speech Perception (ص ١٠٠) . ويحذر سقراط من التسرع ، ويربطه بالغضب ففيهما علاقة وثيقة (والتسرع يمكن النظر إليه كسمة من سمات الشخصية ، أو من خصائص الإدراك المعرفي والحركي والإدراكي (ص ١٠٠)) ، أما الغضب فهو يدخل تحت باب الانفعالات وقد أضاف إليه الحزن أيضًا (ص ٩٨ - ١٠٣) . وكسابقيه ومن صابروا بعده يفرد جزءًا من حكمه لبيان أهمية التفكير (ص ١٠٤) .

كما يقدم مجموعة من المواعظ عن الموت وما يتصل به (ص ١٠٥ ، ١٠٦) . ويعدد محاسن الخلق (السمات الجيدة للشخصية (ص ١١٠ ، ١١١) . ويرشدنا إلى الاستعداد للبلاء قبل وقوعه (وهو من المبادئ المعمول بها في دراسات المشقة والتوافق Stress & Adjustment حيث يقلل ذلك من وطأة المشقة على النفس (ص ١١٧) . وأخيرًا يبصرنا بمضار المسكرات وآثارها على العقل وهو من الموضوعات التي تقع على الحدود بين علم النفس الاجتماعي ، وعلم النفس الإكلينكي وأعني الإدمان Addiction أو الاعتماد Dependence (ص ١٢٢) .

وبعد أن انتهى المؤلف من الحديث عن سقراط ، انتقل ليقدم لنا آداب أفلاطون وحكمه . ويوصي أفلاطون بضرورة العناية بقوام البدن ؛ لأنه آلة النفس ، وأن من يطلب فضائل النفس تصح قواه ، ويستمر بعد ذلك في سرد حكمه ومشوراته وآدابه وهي كثيرة جدًّا ، ومنها عدد غير قليل ذو صلة بعلم النفس ؛ فهو يحدثنا عن العادة ، وعن استخدام مبدأ المكافأة المادية والمعنوية (والاثنان من المفاهيم التي شاع استخدامها في نظريات التعلم (ص ١٣١ - ١٦٧) ، ويتعرض بعد ذلك لموضوع العقل وما يدخل تحته كالحفظ أو التذكر (ص ١٣٢) ويحدد معنى العقل وعمله بأنه تمييز الأشياء وتفصيلها وهو - كما نعرف - من أهم موضوعات علم النفس (ص ١٣٣) .

كما يتحدث حديثًا مستفيضًا عن النفس ، ويشير إلى أن هناك عدة قوى للنفس (أو قدرات بمصطلحات علم النفس الحديث (ص ١٤٣) . ولا ينسى أن يذكر لنا عددًا من خصال الشخصية ، سواء كانت حسنة أم سيئة (ص ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١) ويعطينا دروسًا في كيفية سياسة الناس (مما يمكن أن يدخل في إطار موضوع القيادة Leadership (ص ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٥٠ ، ١٦١) ويضيف له أيضًا كيفية اختيار الأصدقاء وكيفية معاملتهم (ويدرس موضوع الصداقة في إطار المهارات الاجتماعية Social Skills ضمن حدود علم النفس الاجتماعي (ص ١٣٣ ، ١٤٤ ، ١٦٥) ، وكما وجدنا عند من سبقه ، فهو يذكر عدة حكم ونصائح في كيفية ضبط النفس والتحكم في الانفعال خاصة الغضب وكيف ومتى نعبر عن انفعال الحب (وهو باب من أبواب علم النفس العام (ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٥) ، وينعطف بعد ذلك إلى موضوع الشهوة وعلاقتها بالغضب وبقية أخلاق النفس (نحن نرى أن الشهوة يمكن أن تقابل اصطلاح الدوافع البيولوجية في علم النفس الحديث (ص ١٤٩ - ١٦٧) ؛ لذا نجده

يقسم النفس إلى قوة شهوانية وقوة غضبية ، وقوة فكرية ، (وهي من المفاهيم التي ترددت بعد ذلك كثيرًا في فلسفة وحكم بعض العرب والمسلمين كابن سينا ، والفارابي ، والغزالي ... إلخ ويمكن أن نجد لها مقابلًا في دراسات علم النفس الحديث ؛ مثل الدوافع ، والانفعال ، والتفكير (ص ١٥٠ - ١٥٧) . ولا تخلو موسوعة أفلاطون من كلام يفيد الدارسين لسيكولوجية اللغة ، أحد المجالات الحديثة لعلم النفس ، وكذلك المهتمين بالتخاطب فهو يقول : إذا طابق الكلام نية المتكلم ، حرك نية السامع ، وإن خالفها لم يحسن موقعه ممن أريد به (ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦) ، ومن قطوف بستان الحكمة عند أفلاطون مما يتعلق بطلب المشورة وممن نطلبها (وكأنها دروس شديدة التبكير في الإرشاد النفسي Counseling (ص ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٤) ويختتم هذه الحكم النفسية بتحديد منبع الذكاء والفهم الذي يراه في الطبيعة الصافية ومدارسة الحكماء وموضوع الذكاء والفهم من أهم موضوعات علم النفس الحديث (ص ١٧٨) ، ومما يمكن استشفافه من دروس في القياس النفسي حديثه عن الاختيار (ص ١٤٥) وتعريفه للصدق بأنه ثبات الأشياء في مواضعها .

ونأتي إلى ثلث الفلاسفة اليونانيين العظام وهو أرسطوطاليس (أو أرسطو) ولعل أرسطو هو الذي ذكر علم النفس صراحة حيث قال : « إذا كانت النفس هي معدن الحكمة فأول ما ينبغي لطالبها أن يطلب علم النفس ، قيل : وبِمَ يطلب علم النفس ؟ قال : بقوة نفسها (ص ٢٠٧) ونظرًا لأن معظم الموضوعات ذات الصلة بعلم النفس ، والتي استشففناها من حكم أرسطو وآدابه ، قد وردت عند سابقيه فسوف نشير إليها باختصار ، فقد تحدث عن العلاقة بين الحاكم والمحكومين وشروط الرياسة مما يدخل ضمن موضوع القيادة (ص ١٨٧ ، ١٩٢ ، ١٩٣) ، ثم يعرض للعقل والتفكير ، والذكاء وعلاقته بالتحصيل ، وهي نقطة من نقاط البحث في علم النفس والتي لم ترد عند غيره (ص ١٩٢ - ٢٠٤) ، والتحكم في الشهوات (إشباع الدوافع (ص ١٨٨) ، وما يمكن أن يدخل تحت مسمى المشقة Stress وعلاقتها بالتوافق (ص ١٩٤) ، والتعلم (ص ١٨٩) ، وأمراض النفس كالكذب (ص ٢١٧) ، وكيفية علاجها ورعايتها (ص ١٩٨) (وهي من موضوعات علم النفس الإكلينيكي والطب النفسي) ، وتحدث عن الانفعالات كالغضب ، والحزن ، والحب (ص ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢١) وعن الصداقة (ص ٢١٣ - ٢١٤) ، ويعني خصال الشخصية كضبط النفس (ص ٢٢١) ،

والاندفاعية (ص ٢٠٨ - ٢١٧) ، وسيكولوجية اللغة (الإنتاج والفهم (ص ٢٠٦ - ٢١٣) وسيكولوجية الاعتماد والإدمان (ص ٢٠٦) .

ومما أمكن استنباطه من آداب ومواعظ الإسكندر : إعلاء شأن العلم ، والعقل واللسان (ص ٢٣٤) ، وخصال الحاكم (موضوع القيادة ص ٢٤٤) واستخدام المكافأة وهي من مبادئ التعلم (ص ٢٤٥) ، وحسن التخاطب ، والشروط الواجب توافرها في الرسالة (ص ٢٤٦) والصداقة (ص ٢٤٧ - ٢٤٩) .

أما بطليموس ، فقد عرَّف الإنسان العاقل ، وبيَّن العلاقة بين العقل والنفس ، وفائدة التفكير ويمكن إجمالها في دراسة القدرات العقلية (ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩) . كما أضاف لها حديثًا عن وظيفة معرفية أخرى هي التذكر (ص ٢٥٥) وذكر بعض الأخلاق الحسنة ، والأخلاق السيئة (وتدخل إما في أصول التنشئة ، أو سمات الشخصية (ص ٢٥٢ - ٢٥٦) ، وحدد أهم سمات الصديق موضوع الصداقة (ص ٢٥٤) ، وأهمية الأمن للإنسان (وهو من الدوافع التي يصنفها البعض باعتبارها دوافع اجتماعية (ص ٢٥٤) ، وأهمية الأمن للإنسان النصيحة والمشورة وممن تطلب (مما يدخل في باب الإرشاد النفسي (ص ٢٥٨) وأخيرًا الهم باعتباره من أمراض الروح أو إن شئت قلت النفس ، وهو يقابل - بشكل غير مباشر - أحد الأمراض النفسية هو الاكتئاب التفاعلي Reactive Depression - كما يرى البعض (ص ٢٥٣ - ٢٥٦) .

ومن آداب لقمان الحكيم الكثيرة ، ومواعظه النافعة ، نستخلص حديثًا عن بعض سمات الشخصية التي تدل على العلم والحكمة (ص ٢٦٥ - ٢٧٩) والخصال العقلية (ص ٢٧١ ، ٢٧٢) والتفكير والفهم (قدرات عقلية ص ٢٧٧ ، ٢٧٨) ، وحسن التخاطب (ص ٢٦٩ - ٢٧٥) والانفعالات كالحب والبغض ، والغضب (ص ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧) ، وقبول النصيحة والإرشاد (ص ٢٧٠ - ٢٧٨) والصداقة (ص ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨) وأخيرًا خصال الرئيس أو القائد وينتمي ذلك لموضوع القيادة (ص ٢٧٩) وعملية التقويم (ص ٢٧٩) .

وأمكننا أن نستخلص من حكم مهادرجيس وآدابه ، ما يمكن أن نجمله في ثلاثة موضوعات تنتمي لدراسات علم النفس الحديث هي الانفعالات كالغضب ، والمحبة (ص ٢٨١ ، ٢٨٢) وإشباع الدوافع والسيطرة عليها (ص ٢٨٢ ، ٢٨٣) وخصال الشخصية كضبط النفس ، والأمانة ، والشكر (ص ٢٨١ - ٢٨٣) .

وإذا انتقلنا إلى باسيليوس الحكيم ، نجده قد تعرض لحسن التخاطب وأصوله (ص ٢٨٣) ، كما تحدث عن أفعال النفس ، وعلاقتها بالبدن وضرورة العناية بأشرفها (أي العقل ، (ص ٢٨٤) وينصحنا بضرورة استشارة من يسميه طبيب النفس حتى في حالة الصحة (ص ٢٨٤ ، ٢٨٥) ، ثم يذكر الحواس النفسانية ويقصد بها الإدراك عن طريق البصيرة أو القوى الروحية في الإنسان (ص٢٨٦) ، وكيف يمكن للإنسان أن يتحكم في الغضب (٢٨٦) ، أما غريغوريوس ، فقد تكلم في اللاهوت ، وما ذكر عنه مختصر جدًّا وتعرض لموضوع واحد هو الصداقة (ص ٢٨٧) .

وآخر هؤلاء الحكماء هو جالينوس الحكيم ، الذي ركز على قيمة العلم والعمل به ، وحدد أمراض القلب وهي الهم والغم (ويمكن أن تماثل ما نسميه الأمراض النفسية وأعراضها كالاكتئاب (ص ٢٩٣) .

ثم تعرض لبعض أنواع الانفعالات وخاصة الحب ودرجاته (ص ٢٩٤) ، ولفت الأنظار إلى ضرورة إصلاح الأخلاق والمعرفة بالنفس (ص ٢٩٥) ، وأخيرًا قسم قوى الدماغ إلى ثلاث : التخيل : وهو مقدم الدماغ ، والفكر : وهو في وسطه ، والذكر : وهو في مؤخره ، وهذا الحديث يقابل الكلام عن القدرات العقلية ، وتحديد مواضعها في المخ مما يدرس في علم النفس العصبي Neuro Psychology (ص ٢٩٤) .

ونصل إلى الباب قبل الأخير ، وهو باب جامع لأقوال جماعة من الحكماء عرفت أسماؤهم ولم يوجد لكل واحد منهم ما يصلح أن يفرد له باب يجمعه في موضع واحد ، وأول النصائح : أن نترك الاستحياء في التعليم (ص ٢٩٨) ، وأن نضبط أنفسنا ، من خلال التحكم في ألسنتنا ، وضبط شهواتنا (ص ٢٩٩ - ٣٠٥) . كما تعرض هؤلاء الحكماء لبعض أنواع الانفعالات كالمحبة (ص ٣٠١) ، والغضب (ص ٣٢١ - ٣٢٢) ومن الوظائف المعرفية التي ورد بشأنها أقوال في هذا الباب التذكر والنسيان أو الذاكرة Memory (ص ٣٠٢ ، ٣٠٣) ، وكذلك بعض خصال الشخصية كالاندفاعية (العجلة) Impulsivity ، أو كخاصية من خصائص الأسلوب المعرفي أو للأداء بصفة عامة (ص ٣٠٣) ، ثم هناك إشارة إلى ما يفسد الفكر وأهمية الشراب (الخمور) كما أن له مضارًا أخرى (ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٢١) . كما جاء ذكر بعض مبادئ التعلم كالمكافأة (ص ٣٠٥) ، والاعتبار بالغير (ص ٣٠١) .

ونصل للباب الأخير ، وهو عن آداب لم يعرف قائلها فجمعت في موضع واحد .

وورد فيها حديث عن فائدة العلم وقيمة الأدب . وكيف نحسن التخاطب (ص ٣٢٣) وأن نقتدي بالعلماء (ص ٣٢٣) وبيان في العقل وماهيته (ص ٣٢٥ - ٣٣٢) ، وبعض أنواع الانفعالات كالمحبة (ص ٣٢٨) والفرح والحزن (ص ٣٣٢ - ٣٣٣) ، والغضب (ص ٣٣٩) وكذلك الذكاء (ص ٣٢٨) وبعض سمات الشخصية كضبط النفس (ص ٣٣٤ ، ٣٣٦) وضبط اللسان (ص ٣٣٧) ، والرضا عن النفس ، والتأني والتواضع (ص ٣٣٥) وبعض اضطرابات الإدراك كالخداعات Illusions (ص ٣٢٨) وأخيرًا طلب المشورة والنصيحة (ص ٣٤٦) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام .

* * *

المرادي الحضرمي ، أبو بكر (ت ٤٨٩هـ)
السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة [1]

عرض : د. جمعة سيد يوسف

التعريف بالمؤلف :

هو أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي ، ويذكر المحقق في مقدمته التي كتبها ، أنه لا يعرف الكثير عن أسرته ولا عن نشأته - وإن كان يرجح أن أصله من القيروان ، ويثبت هذا كلمة القروي المنسوبة إليه ، كما أن ابن الأباد أرخ لابن علي ، وذكر أن أصله من القيروان (كما أننا لم نعثر على ترجمة بقاموس تراجم الأعلام لخير الدين الزركلي ، وهو قاموس جامع لعدد كبير جدًّا من الأعلام) وكان الحضرمي - فيما روي - رجلًا نابهًا وعالمًا وإمامًا في أصول الدين . وله توجهه في علم الاعتقادات والأصول ومشاركة في الأدب وقرض الشعر ، وكان ذا حظ وافر في البلاغة والفصاحة ، أي أنه كان يتقن علوم اللغة إتقانًا كاملًا ، وكان عالمًا بالفقه ، وقد أهله ذلك لتولي منصب القضاء ، وعلى يديه ازدهر علم الكلام في المغرب الأقصى .

انتقل المرادي إلى الصحراء وعاش فيها فترات طويلة ، ويحكى أنه قام برحلة إلى قرطبة سنة ٤٨٧ هجرية ، ثم عاد إلى الصحراء حيث توفي في مدينة « أذكى » سنة ٤٨٧ هجرية وترك مدرسة علمية في المغرب ، وله ابن من كبار علماء المسلمين في علم الكلام ، والحديث ، وهو أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن المرادي الحضرمي ، المعروف باسم المرادي .

---

(١) لأبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي ، تحقيق سامي النشار ، ط. ١٠ ، الدار البيضاء ، دار الثقافة ، (١٩٨١م) .

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ١٧٨ صفحة من القطع المتوسط ، ويشتمل على مقدمة للمحقق ، وصور المخطوطات الأصلية للكتاب ، ومقدمة المؤلف ، وبعد ذلك أبواب الكتاب وعددها ثلاثون ، وفي نهاية الكتاب توجد مجموعة من الملاحق ، وفيها ملحق عن حياة المرادي من الذخيرة لابن بسام ، وملحق عن حياة تلميذ المرادي يوسف بن موسى الكلبي ، وملحق عن ضريح محمد بن الحسن المرادي ، ومصادر مقدمة المحقق ، والمصادر التي اعتمد عليها المحقق ، وأسماء الكتب الواردة في نص الكتاب ، وأسماء الأعلام الواردة في نص الكتاب .

وينقسم الكتاب - كما سبق أن أشرنا - إلى ثلاثين بابًا ، وسوف نتعرض لما كان منها متصلًا بدراسات علم النفس ، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر .

فإذا بدأنا بالباب الأول : نجده في الحض على القراءة والتعلم ؛ فالعقل كما ذهب الحكماء ، هو الذي يميز بين الإنسان والبهائم ، كما أن العلم هو الذي يفرق بين الشريف والخسيس من البشر ، وبالتالي فالعقل المتعلم خير من العقل غير المتعلم ؛ لذا وجب التعلم ، والحرص عليه ؛ لأنه يعين على الفهم ، ويبلغ السرور (ونجده هنا يتعرض لثلاثة مفاهيم مما يدرس في علم النفس الحديث أولها العقل) ، ولدراسته في علم النفس وجوه متعددة كدراسة ارتقائه ، وكشف قدراته وقياسها ، والكشف عن اضطراب هذه القدرات وكيفية تقويمها وتنميتها . والثاني : هو الفهم Comprehension ويدرس أيضًا من زاويتين إما باعتباره قدرة نوعية من قدرات الذكاء ، والتفكير أو عندما يدرس في مجال سيكولوجية اللغة ، وكيف تفهم Language Comprehension . والثالث : هو مفهوم التعلم Learning وهو مجال مستقل نسبيًا من مجالات علم النفس ، وله نظريات ومناحٍ وتجارب عديدة ، وقوانين مشهورة وُظِّفَت في مجالات تطبيقية عديدة ، كالتربية ، والعلاج السلوكي ، والصناعة وغيرها (ص ٥٧ ، ٥٨) وفي الباب الثاني يستمر في تعميق معنى العقل والتفهم وفوائدهما للبشر (ص ٥٩ ، ٦٠) .

وينتقل بنا لموضوع آخر في الباب الثالث ، فيحدثنا عن الاستشارة وصفة المستشار . فالاستشارة - في رأيه - تفيد المستشير عقلًا يزيده إلى عقله ، وهداية يجمعها مع هدايته . وللاستشارة أربعة أوجه : التقصير عن معرفة التدبير ، والخوف من الغلط في التقدير ، ومحاولة تبين الخطأ من الصواب ، والحصول على مشاركة المستشار ، ومن هنا

وجب انتقاء المستشار من حيث توافر خصائص معينة فيه كأن يكون عاملًا فطنًا ، محبًا صافيًا ، كاتمًا للسر ، أمينًا ، غير حاسد ... إلخ ، (وهذا الباب يتناول موضوعًا من موضوعات علم النفس ، ألا وهو الإرشاد النفسي Counseling أو الاستشارة النفسية وهو أحد الفروع المستقلة ، وله نظريات كثيرة ، ومناهج لتقديم النصح والإرشاد لمن يطلب هذه الخدمة لتخليصه من المعاناة النفسية (ص ٦١ - ٦٦) . كما يمس موضوعًا آخر في ثنايا الحديث ألا وهو موضوع الاختبار Testing (أو التثبت من خلال التجربة) ، والاختبار أو القياس بصفة عامة أحد الأعمدة التي يقوم عليها علم النفس العلمي في كافة الفروع (ص ٦٢) .

ويوصي المرادي الحضرمي - في الباب الرابع - بالاعتدال في جميع الأحوال سواء في المطعم أو في المشرب أو الملبس أو المنكح ، أو النوم أو اليقظة ، أو التعب أو الراحة ، ثم يصف بعد ذلك الأحوال والصفات التي ينبغي أن يبحث عنها الإنسان لإشباع حاجاته السابقة (وكأنه هنا يحدثنا عن إشباع الدوافع ، وهو موضوع من موضوعات علم النفس العام (ص ٦٧ ، ٦٨) ، كما يلفت النظر أيضًا لتصنيف العلوم وفوائدها (ص٦٩) ويقدم أيضًا عددًا من الصفات التي يجب أن نتحلى بها مع المتوسط منها وعدم الإسراف ، وأهمها عدم الانقباض عن الناس تمامًا ، وعدم الانبساط إليهم كل الانبساط (وبُعد الانطواء - الانبساط Extraversion-Introversion من أبعاد الشخصية الأساسية في نظرية إيزنك Eysenck والتي تلقى رواجًا كبيرًا منذ ظهورها (ص ٧٠) . ومن خلال وصفه لهذه الصفات ، ينهانا عن الانشغال بأمور كثيرة وغير مهمة في ذات الوقت ؛ لأن ذلك يشغل عن اللذات ، ويقطع الراحات (والمتأمل لهذا الوصف يستنتج مقابلته لما يسميه العلماء في الوقت الحاضر بالنمط « أ » من السلوك « A » Type Behavior وهو نوع من البشر ذي خصائص معينة ؛ أهمها الانشغال بعدة أمور في وقت واحد ، وعدم الراحة مما يجعلهم عرضة للمشقة Stress والأمراض الحادة والمزمنة (ص ٧٠) .

والباب الخامس ، في الفرار من سوء العادة ورياضة النفس قبل الحاجة ، فالعادة طبيعة خامسة ، وهي - كما يرى - تسهل الأمور الصعبة ، وتصعب الأمور السهلة ، والعادة السوء إذا استحكمت تكون كالطبع الرديء في الثوب الجديد ، إذا أصابه الوسخ ، وربما سهل إزالة الوسخ واستحال تغيير العادة السيئة ، والتحرز من سوء العادة يكون بوجهين : أحدهما : التدريب على العادة الجميلة قبل اتخاذ القبيحة في سن الحداثة . وإن كان في

السن بقية ، والعادة السوء غير مستحكمة فهنا يرجى الصلاح بالانتقال عنها بالتدريج وهو هنا يقدم لنا درسًا مبكرًا في كيفية تغيير الاتجاهات Attitude Change ، وتعديل السلوك غير السوي أو غير المرغوب كالتدخين مثلًا Behavior Modification كما أن مبدأ الانتقال بالتدريج يقابل أحد طرق العلاج السلوكي Behavior Therapy وهو التحصين التدريجي أو التسكين المنظم Systematic Desensitization (ص ٧١ - ٨٢) ، والثاني : أن يروض المرء نفسه عليها لو نزلت به ؛ لأن ذلك يعين على الدربة ، ويشحذ خواطر قبل الحاجة (وهو هنا يقدم أحد الأساليب التي يدعو إليها علماء النفس المحدثون للتعامل مع المشقة Stress ألا وهو توقع المشقة والتعرف على جوانبها قبل حدوثها ؛ لأن ذلك يقلل من آثارها إذا حدثت بالفعل (ص ٧٥) .

ونأتي إلى الباب السادس ، وهو من الأبواب المهمة ، وهو مخصص للخلطاء ، والأصحاب ، ويحدد فيه الصديق السوء وصفاته كدناءة الطبع ، وسوء اللفظ ، وفساد الأدب ، وإذاعة السر ، وإظهار النقص ، وقلة الدين ، والجبن ، وفي مقابل ذلك يقدم الصديق الفاضل ونفعه وصفاته كالعلم ، والوقار ، والرأي السديد ، والحلم ، والمعاونة على الشدائد ، والكرم وغير ذلك (وهو في ذلك يسوق لنا كلامًا يجد صدى في دراسات علم النفس ، سواء في مجال سمات الشخصية أو الصداقة Friendship والتي تدرس تحت المهارات الاجتماعية Social Skills في علم النفس الاجتماعي (ص ٧٧ ، ٧٨) . كما يتحدث أيضًا في هذا الباب عن أشكال الانفعال كالفرح ، والحزن وهي أيضًا من الموضوعات المطروقة في علم النفس (ص ٨٠) ، أما في الأبواب السابع ، والثامن ، والتاسع ، فيمضي على نفس المنوال ليحدد صفات الأعوان والمساعدين ، وكيفية التعامل مع بقية الناس .

وإذا انتقلنا إلى الباب الرابع عشر ، وهو في أقسام الناس وما تقابل به طبقاتهم ، نجده ينقل عن العلماء المتقدمين تقسيمهم للناس على ثلاثة أجناس : كريم فاضل ، ولئيم سافل ، ومتوسط بينهما ، والناس طبقات في الطباع والأخلاق ، ومذاهبهم شتى في جميع الأحوال (ونلمح هنا نقطتين مهمتين ؛ هما تقسيم الناس على أساس سمات شخصياتهم ، ثم إرساء مبدأ الفروق الفردية Individual Differences ، وهما من النقاط التي تجد عناية من علماء النفس (ص ١١٣ ، ١١٤) .

ويسوق في الباب الخامس عشر الأدلة التي يستدل بها على أهل الفضل والنقيصة والتوسط ، وهم أصناف الناس الذين قسمهم العلماء ، ويرى أن الناس ضربان : منهم

معروف الأصل والأبوة والمنشأ والمروءة ، ومنهم طارئ غير معروف الأصل ، فإذا أشكل على المرء معرفة عقل الرجل يجب أن يشاوره (أو قل يمتحنه) في أمر مهم لم ينزل بعد ، والمرء ليس في حاجة إليه ، أما إذا أشكل عليه كريم الطباع وجب اختباره بلطف المرء ولحظه (أو ملاحظته) (والحضرمي هنا يقدم لنا طرقًا مبكرة لقياس الذكاء واختباره ، وكذلك قياس الشخصية ، والمناهج التي يمكن استخدامها في هذا الغرض ، وهي من الموضوعات الحيوية في القياس النفسي Psychometry (ص ١١٧ ، ١١٨) .

وفي حديثه عن الكلام والصمت ، في الباب السادس عشر ، يقدم المؤلف دروسًا قيمة في كيفية التخاطب وإجادته ، وكيفية إنتاج الكلام الحسن ، السهل ، البسيط ، المنتقى بعناية مع البعد عن الحشو الذي لا يفيد شيئًا ، مع مراعاة الآداب العامة ، والذوق السليم أثناء التخاطب ؛ وأهمها حسن الاستماع ، وعدم المقاطعة ، وعدم الهزل (ويجد علماء النفس في هذا الباب موضوعات مهمة مما يعنيهم وأولها التخاطب Communication وأهم عناصره وهي المرسل (المتكلم) والمستقبل أو المتلقي (المستمع) ، والرسالة أو ما يرغب في نقله للآخرين ، والوسيلة (وأهمها اللغة) ، هذا بالإضافة إلى نقاط تهم على وجه الخصوص علماء النفس المعنيين بسيكولوجية اللغة Psycholinguistics وخاصة ما يعرف بالحشو Redundancy وهي ظاهرة بدأ الاهتمام بها في الوقت الحاضر (ص ١١٩ - ١٢٢) .

ثم يخصص الباب السابع عشر للحديث عن الحلم والصبر : فالصبر محمود عند الحكماء ، وهو نوعان صبر على ما نكرهه ، وصبر على ما نحبه ، أما الحلم فهو الصبر على مكافأة الظالم والسفيه مع القدرة على الانتصار عليه (وهاتان الصفتان - في رأينا - تقابلان سمتين من سمات الشخصية التي درسها علماء النفس ، فالصبر في أحد معانيه - وهو الصبر على أداء نشاط معين حتى يتحقق الهدف المطلوب - يقابل مفهوم المثابرة في دراسات علم النفس الحديث ، أما السمة الثانية التي نقصدها ، والتي تقابل الحلم فهي سمة ضبط النفس Self-Control (ص ١٢٣ ، ١٢٤) .

وننتقل إلى الباب التاسع عشر ، الذي يحدثنا فيه المؤلف عن الغضب والرضا ، وهو يرى أن الحب والبغض والغضب والرضا يَعْدِلْنَ بالفكر عن الإصابة ، ويُصَوِّرْنَ الأشياء على غير الحقيقة ، ولكل واحد منها صورة ينفى معها السقط ، ويخشى منها التناقض والغلط (والموضوعات التي يحدثنا عنها المؤلف هنا تدرس في علم النفس العام تحت مسمى الانفعالات Emotions ، كذلك فإن أحد معاني الرضا - وهو الرضا عن

العمل Job Satisfaction – من المفاهيم كثيرة الاستخدام في علم النفس الصناعي Industrial Psychology (ص ١٢٩ ، ١٣٠) .

وبداية من الباب العشرين يقدم « المرادي الحضرمي » أبعادًا عريضة ، أو سمات نوعية من سمات الشخصية أفرد لكل واحدة منها بابًا مستقلًّا .

في الباب العشرين يحدثنا عن التجبر – الخضوع (ودرس في علم النفس باسم السيطرة – الخضوع إما كبعد من أبعاد الشخصية أو أسلوب من أساليب التنشئة الاجتماعية Socialization (ص ١٣١) .

ثم ينتقل إلى الباب الحادي والعشرين ، ليتحدث عن الحزم والتفريط ، فيعرف الحزم بأنه النظر في الأمور قبل نولها ، وتوقي المهالك قبل الوقوع فيها ، وتدبير الأمور على أحسن ما يكون من وجوهها (وهذا الوصف – كما سبق أن أشرنا في موضوع سابق – يؤكده علماء النفس المحدثون باعتباره وسيلة للتقليل من وقع المشقة Stress على الشخص إذا ما استعد لها قبل حدوثها . كما أنه يقدم بعض السمات الشخصية التي ينبغي أن يتحلى بها الشخص ويوظفها لصالحه ، وهو يذكر كذلك في ثنايا حديثه مفهومًا من مفاهيم علم النفس هو التيقظ Vigilance والذي درس في علم النفس الفسيولوجي أو إطار موضوع الانتباه والإدراك (ص ١٣٠) .

ويستمر بعد ذلك في تقديم عدد آخر من هذه السمات ، كالكتمان والإذاعة ، وهي من الصفات التي ينبغي أن تتوفر في الصديق الحق (وهو هنا يعود لموضوع الصداقة والصديق ، وهو موضوع من موضوعات علم النفس الاجتماعي (ص ١٣٩) .

ويخصص الباب الثالث والعشرين للحديث عن العجلة والتواني والتوسط ، فالعجلة مذمومة من زاويتين ، وممدوحة من زاويتين ، والزاوية الأولى المذمومة : هي العجلة في الأمور قبل تأملها وتدبرها ، والثانية : هي طلب الشيء قبل أوانه ، والزاوية الأولى الممدوحة : هي انتهاز الفرص بعد إحكام المعرفة ، والثانية : العجلة التي هي ضد التواني المذموم ، أي ترك الأمور إلى آخر أوقاتها (وهو هنا يقدم لنا وصفًا لأحد أبعاد ما يسمى بالأسلوب المعرفي Cognitive Style أو كخاصية من خصائص الأداء بصفة عامة وهو بعد الاندفاعية – التروي Impulsivity-Reflectiveness (ص ١٤١ ، ١٤٢) .

وفي إطار الحديث عما يمكن أن نسميه إطار الشخصية ، يقدم المؤلف في الأبواب التالية عددًا منها ، فيتحدث عن الكرم والبخل في الباب الربع والعشرين (ص ١٤٣)

وعن الشجاعة والجبن في الباب الخامس والعشرين (ص ١٤٧) ، وفي الباب السابع والعشرين ، يفصل القول عن التعجب والمواصلة (وهنا يضيف إلى سمات الشخصية ، ما يمكن أن يدخل تحت باب الانفعالات ، وهو ما يدرس في علم النفس العام (ص ١٥٣) وفي البابين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين ، يتحدث عن الحيلة والمكر والخديعة (ص ١٥٥) ، وعن التداهي والتغافل (ص ١٥٧) وهو يظهر قيمة العقل ، وما للحيلة من فوائد ، ويرى أنها أكثر من أن تحصى ، وهي مواد للعقل ونتائج الفكر والتجارب (وغني عن البيان أن موضوع العقل ، أو التفكير من الموضوعات الأساسية في علم النفس قديمه وحديثه ، هذا بالإضافة إلى التجربة وهي من أعمدة التقدم في علم النفس الحديث) .

وينهي الحضرمي كتابه القيم بالباب الثلاثين ، فيقدم فيه فنونًا من الحكم والآداب ؛ فالأدب : من أكرم الجواهر طبيعة ، وأنفسها قيمة ، وبه ترتفع الأنساب الوضيعة ، وتقاد الرغائب الجليلة ، وهو المؤنس في الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمجمل في المغيب والحضرة . وأدب النفس أصل أدب الدرس ، فلا ينمي الشيء دون مادته ، ولا يطول الفرع إلا بأصله . (وهذا الختام إنما يمثل دروسًا قيمة في أصول التربية والتنشئة ، وفيها ما ينبغي للمرء أن يتحلى به ، وأن يغرسه في أبنائه وتلاميذه من بعده ، والتنشئة الاجتماعية أحد الموضوعات المهمة في علم النفس الاجتماعي (ص ١٥٩ - ١٦١) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام ، وعلم النفس الاجتماعي .

* * *

السراج ، جعفر بن أحمد (ت ٥٠٠ هـ)
مصارع العشاق [1]

عرض : د. عبد المنعم شحاته

التعريف بالمؤلف [2] :

جعفر بن أحمد بن الحسن السراج ، الملقب بـ « القارئ » والمكنى بـ « أبي محمد » ، ولد في بغداد عام (٤١٩هـ ، ١٠٢٦م) ، وتوفي بها عام (٥٠٠هـ ، ١١٠٦م) ، كان شاعرًا وراويًا ، وقد وضع عدة تصانيف .

عرض الكتاب :

ديشتمل الكتاب على روايات عن عشاق صرعهم الحب ، منهم من كان عشقه معتادًا أو طبيعيًا كعشق الرجل امرأة أو جارية ، ومنهم من كان عشقه شاذًّا أو غير سوي Abnormal كعشق الرجل لغلام أو رجل مثله (انظر الروايات التي أوردها أبو محمد القارئ في الصفحات ٢٤٢ ، ٢٤٥ من الجزء الأول ، ١٦٢ ، ٢٢٣ ، ١٥٨ من الجزء الثاني) ، ومنها ما هو غير معقول أو غير واقعي (كالروايات التي أوردها في الصفحات ٨٥ - ٨٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ من الجزء الأول ، وغيرها من روايات العشق التي أبطالها الجن) .

وتتميز الروايات بأنها مسندة إسنادًا جيدًا ، ويكثر فيها الاستشهاد بالشعر ، كما أنها في مجملها تشير إلى عشق عفيف ، يظله الخوف من الله ومن عذابه في الآخرة ، أو يتبعه توبة نصوح .

---

(١) أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين ، السراج القارئ ، بيروت ، دار صادر (د.ت) .

(٢) مصارع العشاق ، جعفر بن أحمد ، (١/٥) .

والكتاب بهذه الصورة لا يشتمل على مفاهيم أو تفسيرات يمكن إدراجها في علم النفس المعاصر ، إلا أنه بالإمكان الإشارة إلى ظواهر نفسية ، كان الشعراء المروي عنهم في هذا الكتاب يدركونها ، وعلى استبصار جيد بها ، كما يستدل من تعبيراتهم التي تعد إرهاصات للتفسيرات اللاحقة لهذه الظواهر ، والتي منها :

الظاهرة الأولى والشائعة عبر دفتي الكتاب بجزئيه : هي أن الحب يحدث مرض وسقم الجسم ونحوله وذبوله ، ولا تخلو رواية وردت في الكتاب من هذه العلاقة بين الحب والسقم ، ففي ص ٦٢ من الجزء الأول يقول الشاعر :

ظفر الشوق بقلب دَنِف ... منك السقم بجسم ناحل
فهما بين اكتئاب وضنى ... تركاني كالقضيب الذابل

وفي ص ١٧٦ يقول آخر :

ونفس محب اللّه عليلة ... وأي محب لا تراه عليلاً

وفي ص ٢٦٥ يقول ثالث :

ضاعف وجدي وزاد سقمي ... أن لست أشكو الهوى إلى أحد

وفي ص ٧٤ من الجزء الثاني يقول رابع :

الحب أسقمني والحب أضناني ... والحب أنحلني والحب أبلاني

وفي ص ٢٦١ من الجزء الثاني يقول خامس :

أليس شوقي وفيض دمعي ... وضعف جسمي شهود حبي

هذه بعض الأبيات التي نوردها على سبيل المثال - لا الحصر - عن تبين إدراك العرب لعلاقة الانفعال (الحب) بالجسم (النحول والمرض) والتي تعد إرهاصًا بفئة أساسية في أية دليل تشخيص للأمراض النفسية هي فئة الأمراض النفسجسمية التي تعد نتيجة للقلق والاكتئاب أو كما يقول الشاعر :

فهما بين اكتئاب وضنى ... تركاني كالقضيب الذابل

ويؤدي التحكم الزائد في الانفعالات ، وعدم التعبير اللفظي عنها إلى إجهاد الجهاز العصبي ، مما يؤثر على إفراز الغدد الصماء ، مما يحدث تغييرات فسيولوجية عدة تصاحب الانفعال ، وكل هذا يسبب نحول الجسم وإرهاقه ، ولعلنا نذكر قول الشاعر :

وزاد نحول سقمي أن ... لست أشكو الهوى إلى أحد

ويصل السقم - في كثير من الروايات - إلى الموت أو الجنون ، وهذا يمكن قبوله إذا عرفنا أن الحب عند العرب يرادف الإحباط ، فالمحب لا ينال حبيبته أبدًا ، لا بالزواج لأنه قد شهر بها ، ولا دون زواج لأنه يخاف اللّه وعذابه ، فيحزن المحب لفقد حبيبته ، وقد يصل الحزن إلى الاكتئاب الذي يفضي إلى العزلة والزهد والانطواء وربما الموت .

وتترجم تعريفات العرب للحب والعشق هذه الظاهرة ، فالعشق كما يقول يحيى بن أكثم - (ص ١١) من الجزء الأول - : « سوانح تسنح للمرء فيهتم بها قلبه ، وتؤثرها نفسه » ، أو كما يقول ثمامة : « العشق جليس ممتع أليف مؤنس وصاحب ملك مسالكه لطيفة ، ومذاهبه غامضة ، وأحكامه جائرة ، مَلَكَ الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والعقول وآراءها ، وأُعطي عنان طاعتها ، توارى عن الأبصار مدخله ، وعُمِّي في القلوب مسلكه » ، أي أن العشق يتضمن « تركيز مشاعر الفرد في المحب ، وتوجيه نشاطه نحو التقرب منه ويؤدي هذا التركيز إلى إدراك متحيز ، أو بالأحرى تشويه إدراكي ، يعبر عنه وصف الأصمعي - ص ٣١ من الجزء الثاني - للعشق بـ : « أن يكون ريح البصل منها أطيب من ريح المسك والعنبر » وهو يرادف ظاهرة نفسية معروفة فنحن غالبًا ما نعزو كثيرًا من الخصال المرغوبة الجذابة إلى من نحبهم ؛ وذلك لأننا ندرك الحبيب بعين خاصة وصفها الشاعر في ص ٣٦ من الجزء الأول كما يلي :

يراك الفؤاد بعين الهوى وعين المحبة لا تخلف

وترجمها شاعر آخر بقوله :

عين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

وتشير الرواية التي أوردها القارئ في الصفحات ٢١ - ٢٣ من الجزء الثاني ، إلى إدراك الدوافع Motives وأهميتها في توجيه السلوك ، ووعي المتقدمين بهذا الدور للدوافع ، فقد أراد « بهرم جور » إعداد ابنه لتولي مسؤولية الملك بعده ، لكنه وجده خاملًا لا يستجيب لأساتذته ومؤدبيه ، وأدرك أنه عشق فتاة ، فدعا والدها وأمره بأن يأمر ابنته بإطماع ابن الملك في نفسها ومراسلته دون أن يراها ، وشجع المؤدب ابن الملك على مراسلتها ، فلما استحكم العشق فيه هجرته البنت ؛ لأنها لا تصلح إلا لملك ، فجد في طلب الحكمة والعلم والفروسية ....إلخ حتى مهر في كل ذلك فزوجه أبوه فتاته .

وهكذا أدرك الملك أهمية الحب كدافع يحث ابنه على أداء أعمال معينة يرغب منه

أداءها ، وتوصله إلى الحصول على حاجته أو الحبيبة .

وهذا الأسلوب له قيمته التربوية العظيمة واستخداماته المتعددة ، وهو مبدأ نفسي معاصر ، أي « الحاجة تخلق التوتر ، الذي يحث الفرد إلى خفضه من خلال إرضاء هذه الحاجة » .

ورد في صفحة ٨٣ من الجزء الأول قول الشاعر :

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

وهو يشير إلى انفعالين متضادين لا يجتمعان في النفس معًا ، وهو مبدأ نفسي صحيح ، ويمكن الاعتماد على أحد الانفعالين لإبعاد الآخر ، كما يمكن الاعتماد على الانفعال المركز حول شخص لإبعاد التركيز حول شخص آخر ، أو كما قال الشاعر في (ص ٢٤٥) من الجزء الأول :

« تبدلت » « قسطًا » بعد « أروي » وحبها كذلك لعمري ، الحب يذهب بالحب .

ورد في صفحة ٨١ من الجزء الأول ، قول الشاعر : « وأدركها ضعف النساء فخرت » وهي تشير إلى الفروق بين النوعين « الرجال والنساء » في التأثر بالأحداث المختلفة ، وهذه الفروق جذبت انتباه الباحثين في مختلف موضوعات علم النفس لمزيد من التفصيل حول الفروق بين النوعين في القدرات المعرفية .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام .

* * *

الراغب الأصبهاني ، أبو الحسين (ت ٥٠٢هـ)
تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين [1]

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

التعريف بالمؤلف :

حياته : هناك غموض حول حياة الراغب الأصبهاني رغم مكانته العلمية وكثرة مؤلفاته وانتشارها ، وقد ترجم له كثير من مصنفي التراجم والطبقات ، ولكن ترجمته جاءت فقيرة فيما يتعلق بأحداث حياته ، كما جاءت متناقضة في بعض ما ذكرت من أحداث .

وقد جاء التناقض ابتداءً من ضبط اسمه ، فهو في بغية الوعاة للسيوطي « المفضل بن محمد » ، وفي فهرس الخزانة التيمورية « الحسين بن المفضل بن محمد » ، ولكن أغلب المصادر التي ترجمت له اتفقت على أنه : أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني ، الملقب بالراغب .

ولم تذكر المصادر تاريخ مولده ، إلا البيهقي في تاريخ الحكماء ، فقد ذكر تاريخًا موهومًا هو سنة (٤٩٩هـ) .

أما عن نشأته وحياته فلم تأت فيها مصادر ترجمته بشيء ، مما جعل الباحثين يلجأون إلى التخمين في ذلك ، فربما كان متنقلًا في حياته بين أصبهان وبغداد ، وربما كان مشتغلًا بالتدريس .

---

(١) للراغب الأصبهاني أبي القاسم الحسين بن محمد المفضل ، تقديم وتحقيق عبد المجيد النجار ، ط. ١ ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، (١٩٨٨م) ، (٢٣٣ ص) .

وفيما يتعلق بتاريخ وفاته ، وقع خلاف بين المترجمين له أيضًا ؛ فالسيوطي : يذكر أنه توفي في أوائل المائة الخامسة ، ولا شك أنه وهم ، والمقصود أوائل المائة السادسة ، وتشير أغلب الآراء أن وفاته كانت سنة ٥٠٢هـ .

أما فيما يتعلق بتوجهه المذهبي ، فيبدو أن الراغب كان شافعي المذهب في الفقه ، أما مذهبه العقائدي فاختلف مترجموه فيما إذا كان شيعيًا أو معتزليًا .

ثقافته ومكانته العلمية : للراغب مؤلفات عديدة متنوعة ، بعضها موجود وبعضها مفقود ، ومن كتبه الموجودة : الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ومفردات ألفاظ القرآن ، وتفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، ومقدمة التفسير ، أما مؤلفاته المفقودة ؛ فمنها : الأخلاق ، أفانين البلاغة ، وتحقيق البيان في تأويل القرآن ، وتفسير القرآن . وفي ضوء هذه المؤلفات يبدو أن الراغب توفر على ثقافة إسلامية متنوعة ، جمعت العلوم العقلية والعلوم النقلية إلى جانب علوم اللغة وفنون الحكمة ، وهذه العلوم المتنوعة التي برز فيها الراغب كان تنوعها سببًا في إكسابه عقلية واسعة نافذة ، تمكن بفضلها من حسن استخدام المعارف الحاصلة لديه في عرض آرائه . فكان يبدو في طرح قضاياه غير متعصب لمذهب معين ، بل مستفيدًا من سائر المذاهب مع نزعة سنية متفتحة .

وهذه الخصال الثقافية في تأليفه جعلته عالمًا مرموقًا في الوسط الفكري الإسلامي ، وجعلت تأليفه محل اهتمام واسع من قبل المسلمين ، فكان الإمام الغزالي معجبًا بكتابه الذريعة ، وكان يستصحبه معه دومًا ، وما ذكر أن الإمام الرازي كان يقرنه بالغزالي ، وقال عنه الذهبي : « إنه العلامة الماهر ، المحقق الماهر ....كان من أذكياء المتكلمين » .

عرض الكتاب :

ينقسم الكتاب إلى مقدمة وثلاثة وثلاثين بابًا ، انتظمت في ترتيب متصاعد منطقيًا ، بحيث يؤدي الواحد منها إلى الذي يليه بعده ، ابتداءً من أصناف الموجودات التي من بينها الإنسان ومرورًا بحقيقة الإنسان المادية والمعنوية ، وبغاية وجوده ، وبما يحقق تلك الغاية وانتهاءً بالموت وما يحصل بعده . ونعرض لأبواب هذا الكتاب على النحو التالي :

• المقدمة والباب الأول : فضل معرفة الإنسان نفسه :

أوضح المؤلف في مقدمة الكتاب ، والفصل الأول منه ، أن الناس كثيرًا ما يخطئون في تصور حقيقة الإنسان ، فيظنون أنه الصورة الحيوانية المخصوصة ، ويغفلون عن جوهر

الإنسان فيه ، وبالتالي يقعدون عن تحقيق ذلك الجوهر فلا يكونون إلا صورًا إنسانية دون حقيقة ، ولذلك فإن أول ما يجب على الإنسان في سبيل تحصيل السعادة الإنسانية ، أن يعرف حقيقة نفسه ، أي حقيقة الإنسان . وفي معرفة النفس فوائد كثيرة ؛ أحدها : أنه بواسطتها يتوصل إلى معرفة غيرها ، والثاني : أن نفس الإنسان مجمع الموجودات ، فمن عرفها عرف الموجودات ، والثالث : أن من عرف نفسه عرف العالم ، ومن عرفه صار في حكم المشاهد للّه تعالى وهو يخلق السموات والأرض ، والرابع : أنه يعرف بمعرفة روحه العالم الروحاني وبقاءه ، والخامس : أن من عرف نفسه عرف أعداءه الكامنة فيها ، والسادس : أن من عرف نفسه عرف أنه يسومها ، والسابع : أن من عرفها لم يجد عيبًا في أحد إلا رآه موجودًا في ذاته ، والثامن : أن من عرف نفسه فقد عرف اللّه .

ويرتبط ما ورد في هذا الباب بشكل غير مباشر بما يتبع أساليب العلاج والإرشاد النفسي ؛ حيث تسعى بعض أساليب الإرشاد إلى تنمية وعي الفرد وحل مشاكله عن طريق استبصاره بالمشكلة ، ومعرفته حدود إمكانياته (ص ٦١ - ٦٧) .

● الباب الثاني : ذكر أصناف الموجودات وموضع الإنسان منها :

في الوجود طرفان : إله خالق ، وموجودات مخلوقة ، والموجودات نوعان : معقولات علوية ومحسوسات سفلية ، والمعقولات العلوية هي العقول الشريفة ، والروحانيات ، والمحسوسات السفلية هي العناصر والجمادات والنباتات والحيوانات . والإنسان من بين هذه الموجودات ، ينتمي بجسمه إلى المحسوسات السفلية ، ولكن عقله منبعث إلى العقول العلوية .

وهو بذلك مكون من عنصر مادي وعنصر روحي ، وكماله لا يتم إلا بقوة العقل والفكر والمنطق .

● الباب الثالث : ذكر العناصر التي منها أُوجد الإنسان :

ذكر اللّه تعالى العناصر التي خلق منها آدم عليه السلام ، ونبه على أنه جعله إنسانًا في سبع درجات ، وأشار إلى ذلك في مواضع مختلفة ، فقال في موضع : (خلقه من تراب) إشارةً إلى المبدأ الأول ، وفي آخر : (من طين) ، إشارةً إلى الجمع بين التراب والماء ... قال تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن: ١٤ ، ١٥] ، فنبه على أن الإنسان فيه من القوة الشيطانية بقدر ما في

الفخار من أثر النار ، أما الدرجات السبع لخلق الله آدم فتتلخص في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٢ - ١٤] .

ويرتبط مضمون هذا الفصل من ناحية بمفهوم الغريزة Instinct أحد المفاهيم الأساسية خاصة لدى المحللين النفسيين كفرويد Freud وماكدوجل ، كما يقترب أيضًا من علم النفس الارتقائي Developmental Psychology خاصة فيما يتعلق بنمو وارتقاء الجنين منذ لحظة الإخصاب ثم الميلاد ، وحتى نهاية العمر (ص ٧٢ - ٧٥) .

- **الباب الرابع : ذكر قوى الأشياء التي جمعت في الإنسان :**

يجمع التركيب كل العناصر التي يتكون منها العالم ، البسيطة منها والمركبة ؛ ولذلك فإن الإنسان كالمختصر في العالم ، فهو صفوة العالم ولبابه وخلاصته وثمرته ، ومن ثَم قيل : الإنسان عالم صغير والعالم إنسان كبير .

- **الباب الخامس : تكون الإنسان شيئًا فشيئًا حتى يصير إنسانًا كاملًا :**

ولا يحصل الإنسان باجتماع هذه العناصر دفعة واحدة ، ولكنه يتكون بالتدرج ماديًّا بالنمو الذي تدفع إليه قوة الشهوة ، ومعنويًّا بالعلم والفضيلة ، وهو ما يحصل بقوة العقل ، إلا أن قوة الشهوة قد تكون عائقًا دون الاكتمال بالعلم والفضيلة .

- **الباب السادس : ظهور الإنسان في شعار الموجودات ، وتخصصه بقوة شيء فشيء منها :**

ولما كان الإنسان خلاصة لموجودات العالم ، فإن فيه قابلية لأن يأخذ من طبائع هذه الموجودات ، وربما تغلبت عليه بعض الطبائع فينحرف عن طبيعته الجامعة ، وإنما يكون إنسانًا إذا وضع كل واحد من هذه الطبائع في موضعه حسبما يقتضيه العقل المستضيء بالشرع .

- **الباب السابع : ماهية الإنسان :**

للإنسان ماهية خاصة هي التي كان بها إنسانًا ، وهي متكونة من صورته المحسوسة المتمثلة في صورته البدنية التي يتميز بها عن الحيوان ، ومن صورته المعقولة المتمثلة في العقل والفكر والروية .

• الباب الثامن : كون الإنسان مستصلحًا للدارين :

وهذه الماهية المزدوجة التي أُعد بها الإنسان ليكون صالحًا للحياة في الدارين : الدنيا والآخرة ، فعندما رشح اللَّه تعالى الإنسان لعبادته وخلافته وعمارة أرضه ، وهيأه لمجاورته في جنته ، اقتضت الحكمة أن يجمع له القوتين معًا في ماهيته ، القوة الحيوانية ، والقوة العقلية والروحية .

• الباب التاسع : تمثيل ذات الإنسان وتصويره :

ذكر الحكماء لذات الإنسان وقواها أمثالًا صوروها بها ، فقالوا : ذات الإنسان لما كان عالمًا صغيرًا - كما تقدم - جرى مجرى بلد أو مدينة أحكم بناؤها .

وتضمن الباب أيضًا الصفات التي يجب أن يتسم بها الوالي ، وهي : أن يتبع الحق ولا يصغي إلى الأشرار ، وأن يجاهد أعداء المسلمين ، كما يجب عليه أن يسالم أعاديه إذا لم يقو عليهم ، وأن يكون عادلًا .... إلخ .

ويرتبط هذا الباب بموضوع سيكولوجية القيادة Leadership أحد موضوعات علم النفس الاجتماعي Social Psychology ؛ حيث تضمن الإشارة إلى الصفات التي يجب توفرها في القائد أو الرئيس ، وهي قريبة الشبه إلى حدٍّ كبير بما نجده في نتائج البحوث والدراسات النفسية (ص ٩٢ - ٩٩) .

• الباب العاشر : كون الإنسان هو المقصود من العالم وإيجاد ما عداه لأجله :

إن وجود الإنسان هو الغاية من إيجاد العالم كله ، فالمقصود من العالم وإيجاده شيئًا فشيئًا ، هو أن يوجد الإنسان ؛ ولذلك كان كل شيء مسخرًا للإنسان ميسرًا لمنفعته .

ويرتبط هذا الباب بالدراسات النفسية على النحو الآتي :

أوضح هذا الباب قيمة الإنسان ومنزلته في الكون ، وهو أمر خصه القرآن الكريم بالبيان في مواضع كثيرة من التنويه بشأن الإنسان والإعلاء من منزلته بين الكائنات ، وهو جانب جاء في عملية تقدير الإنسان لذاته Self Estimation وتحقيق الذات Self Actualization فمن يستشعر تفاهة ذاته ، لا يكون له نزوع إلى الحركة الفعالة والأداء والإنجاز (ص ١٠٠ - ١٠٣) .

- **الباب الحادي عشر : في الغرض الذي لأجله أُوجد الإنسان ، وفي منازل الناس :**

الغاية من وجود الإنسان هو أن يعبد اللّه ويخلفه وينصره ويعمر أرضه ، وقد نبَّه اللّه ﷺ لذلك بآيات كثيرة في مواضع مختلفة حسبما اقتضت الحكمة ذكره ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

- **الباب الثاني عشر : تفاوت الناس واختلافهم :**

الإنسان الواحد لا توصل له إلى إعداد جميع ما يحتاج إليه ليعيش المعيشة الحميدة ، ويحقق بالتالي الخلافة ، فلم يكن بد للناس من المشاركة والتعاون ، وهذه الحياة الجماعية التي تتم بها الخلافة تقتضي أن لا يكون الأفراد طرازًا موحدًا ؛ لأن ذلك لا يحصل له بالتعاون ، فاقتضت الحكمة أن تختلف جثثهم وقواهم وهممهم ، فيكون كل ميسر لما خلق له .

ويرتبط هذا الباب ببعض الموضوعات والمفاهيم السيكولوجية ، فهو يرتبط بموضوع الفروق الفردية Individual Differences ، فهناك اختلاف بين الأفراد في الخصال والطباع وسمات شخصيتهم ، ومستواهم العقلي والاجتماعي والاقتصادي ..... إلخ ، كما يرتبط أيضًا بمفهوم النمط Type أحد المفاهيم الأساسية في نظريات الشخصية Personality Theories . وخاصة نظرية إيزنك Eysenk. H . وكذلك بموضوع سيكولوجية الجماعة والتعاون والمشاركة داخل الجماعة (ص ١١١ - ١٤٤) .

- **الباب الثالث عشر : سبب تفاوت الناس :**

وتتلخص في سبعة أشياء ؛ منها اختلاف الأمزجة ، واختلاف الخلقة ، واختلاف أحوال الوالدين في الصلاح والفساد ، واختلاف ما تتكون فيه النطفة ، واختلاف الطعام والشراب ، والرضاعة ، واختلاف أحوالهم في تأديب وتلقن وتعويد الأبناء العادات الحسنة والقبيحة أو اختلاف من يخالطه ، واختلاف اجتهاده في تزكية النفس بالعلم والعمل .

ويرتبط هذا الباب بموضوع الفروق الفردية وأسبابها ومظاهرها المختلفة ، مثل الفروق في الحالة الانفعالية والمزاجية ، والفروق في ظروف التنشئة الاجتماعية Socialization للأبناء ودورها ، إلى جانب العوامل الوراثية والبيولوجية في تشكيل سلوك الفرد ، كما يرتبط بموضوع التعلم الاجتماعي ودور العوامل البيولوجية في تشكيل سلوك الفرد ، كما يرتبط بموضوع التعلم الاجتماعي Social Learning وأثر القدوة Models الحسنة في تعلم العادات والقيم الإيجابية (ص ١١٥ - ١٢٠) .

• الباب الرابع عشر : بيان الشجرة النبوية وفضلها على جوهر سائر البرية :

الشجرة النبوية هي صنف مفرد ، أو نوع واقع بين الإنسان والملك ، ومشارك لكل واحد منها على وجه ، فالأنبياء كالملائكة في اطلاعهم على ملكوت السموات والأرض ، وكالبشر في أحوال المطعم والمشرب .

• الباب الخامس عشر : هداية الأشياء إلى مصالحها :

كل ما أوجده اللّٰه تعالى ، فإنه هداه لما فيه مصلحته ، فهدايته للجمادات مثلًا بالتسخير فقط ، وللملائكة بالتسخير والإلهام وبداهة العقل ، فأما الإنسان فهدايته تعالى له بكل ذلك وبالفعل والمعارف ، والاستنباط وغير ذلك من القدرات .

• الباب السادس عشر : سعادة الإنسان ونزوعه إليها :

للإنسان سعادات أبيحت له ، تتمثل في النعم التي منحها اللّٰه ﷻ له ، وتنقسم هذه النعم أو العادات إلى قسمين : قسم دائم لا يبيد ولا يحول وهو النعم الأخروية ، وقسم يبيد ويحول وهو النعم الدنيوية .

ويرتبط هذا الباب بموضوع الانفعالات ، وخاصة الشعور بالسعادة Happiness ، فالسعادة الدنيوية هي سعادة وسيلية Instrumental تؤدي إلى سعادة غائية End or Ultimate تتمثل في السعادة الأخروية (ص ١٢٨ - ١٣٤) .

• الباب السابع عشر : حال الإنسان في دنياه وما يحتاج أن يتزود منها :

جعل اللّٰه تعالى للإنسان حرثين مفيدين في الدارين ؛ أحدهما : روحاني كالمعارف والحكم والعبادات والأخلاق الحميدة ، وثمرته الحياة الأبدية والغنى الدائم ، والاستكثار منه محمود . والثاني : جسماني كالمال والأثاث ، وثمرته أن تحصل به الحياة الدنيوية الفانية ، ولا ينتفع منه بشيء إلا بقدر ما استعان به في الوصول إلى الزاد الأخروي .

• الباب الثامن عشر : تظاهر العقل والشرع وافتقاد أحدهما إلى الآخر :

العقل لا يهتدي إلا بالشرع ، والشرع لا يتبين إلا بالعقل ، فهناك علاقة متبادلة بينهما ، فلا يتم أحدهما دون الآخر ، والعقل لا يكاد يتوصل إلا إلى معرفة كليات الشيء دون جزئياته ، أما الشرع فيعرف كليات الشيء وجزئياته .

● الباب التاسع عشر : فضيلة الشرع :

فهو من ناحية : دواء معجون مفروغ عنه تولى اتخاذه من له الخلق والأمر ، وهو دواء مفيد للحياة الأبدية والسلامة الدائمة ، ومن ناحية : تعتبر أحكام الشرع أيضًا ماءً مطهرًا مزيلًا للأنجاس والأرجاس النفسانية ، ومن ناحية : هي نور سراج مزيل لظلمة الحيرة ، كما أنها وسيلة إلى اللّه تعالى .

● الباب العشرون : البيان في أن مَن لم يتخصص بالشرع وعبادة الله فليس بإنسان :

ويشير مضمونه إلى أن من لم يسترشد إلى غاية وجوده بالشرع المنبي على العقل ، لن يكمل ، بل لا يكون عقلًا إلا بعد اهتدائه بالشرع .

● الباب الحادي والعشرون : فيما يتعلق به الشرع من الأفعال :

للإنسان ضربان من الأقوال : ضرب لا يلحق فيه محمدة ولا مذمة ، ولا في جنسه تكليف (كالعرق والتنفس ، وما يقع على سبيل السهو والخطأ) ، وضرب يلحقه فيه المحمدة والمذمة ، وفي جنسه التكليف ، منها الأفعال المختصة بالجوارح (كالقيام والركوب والمشي) ، وحفظ عوارض النفس كالشهوة والخوف واللذة والغضب والغيرة وما أشبه ذلك . ومنها أيضًا ما يختص بالتمييز والعلم .

وهناك إشارة في هذا الفصل لأنماط الانفعالات Type of Emotions كالخوف ، والغضب ، والشعور باللذة ، والغيرة) (ص ١٥٤ - ١٥٦) .

● الباب الثاني والعشرون : تحقيق العبادة :

ويعرض المؤلف لتعريف العبادة على أنها فعل اختياري منافٍ للشهوات البدنية ، تصدر عن نية يراد بها التقرب إلى اللّه طاعة للشريعة .

● الباب الثالث والعشرون : أنواع العبادة من العلم والعمل :

العبادة ضربان لا تتحقق الخلافة إلا بهما : علم وعمل ، فالعلم ضربان : نظري : وهو الكافي بذاته ، كمعرفة اللّه ، وعملي : وهو ما لا يغني حتى يعمل به . أما العمل فثلاثة أضرب : ما يختص بالقلب ، وما يختص بالبدن ، وما يشارك فيه البدن والقلب .

وبالباب إشارة لبعض المفاهيم السيكولوجية ؛ مثل مفهوم التصورات Conecptions والمعتقدات Beliefs (ص ١٥٩ - ١٦٤) .

• الباب الرابع والعشرون : الغرض من العبادة : تطهير النفس واجتلاب صحتها :

أوضح المؤلف في فصل سابق أن غاية الوجود الإنساني هو العبادة ، وفي هذا الفصل بين أن غاية العبادة هي تطهير النفس لتحصيل حياة أبدية وسلامة باقية .

• الباب الخامس والعشرون : بيان الأمراض والأنجاس التي لا يمكن إزالتها إلا بالشرع :

هناك جملة من الأمراض التي تلحق بالإنسان ؛ كالكسل ، والجهل ، والظلم ، والشح وغيرها ، وهي أمراض معوقة لحركة تقدم الإنسان ، ولا يمكن إزالتها إلا بالتوجه إلى اللَّه .

• الباب السادس والعشرون : في ذكر القوى التي يجب إزالة أمراضها وأنجاسها والمعاني التي تحصل بذلك :

وهي ثلاثة أنواع : قوة الشهوة ، وبإصلاحها تحصل العفة ، وقوة الحمية وبإصلاحها تحصل الشجاعة ، وقوة الفكر وبإصلاحه تحصل الحكمة .

ويرتبط ما ورد في هذا الباب ببعض أساليب التوجيه والإرشاد النفسي ، والتي تهدف إلى تغيير وتعديل السلوك ، وتنمية القيم والدوافع الإيجابية في الفرد (ص ١٧٣ ، ١٧٤) .

• الباب السابع والعشرون : كون الإنسان مفطورًا على إصلاح النفس :

فالإنسان مفطور في أصل الخلقة على أن يُصلح أفعاله وأخلاقه وعلى أن يفسدها ، وميسر له أن يسلك طريق الخير والشر .

ويرتبط هذا الباب بموضوع الدوافع والغرائز Motives & Instincts الفطرية ، كما يقترب من حديث علماء النفس عن أثر الوراثة والبيئة في تحديد وتشكيل سلوك الفرد (ص ١٧٥ - ١٧٧) .

• الباب الثامن والعشرون : سبب رذيلة الإنسان وتأخره عن الفضيلة :

إما أن يكون نقصًا في أصل خلقته ، وعجزًا مركبًا في جبلته ، أو لا يجد هاديًا يرشده ، وإما أن يكون غير عاجز عن ذلك ، لكن لم يساعده على بلوغه عمره ، وإما أن يتفق له مربٍ ومعلم مضل فيضله عن الطريق ، وإما أن تكون ضلالته من جهة نفسه لا من جهة شيء مما سبق . وذلك المتوعد بالعذاب .

• الباب التاسع والعشرون : أحوال الناس ، ومنازلهم في تعاطي الأفعال المحمودة والمذمومة ، وطرقها :

الناس في إقامة العبادات على أربعة أضرب ؛ الأول : من له العلم بما يجب أن يفعل ، وله مع ذلك قوة العزيمة على العمل به ، والثاني : من عدمها جميعًا ، والثالث : من له العلم وليس له قوة العزيمة على فعله ، وهو في مرتبة الجاهل ، والرابع : من ليس له علم ، لكن له قوة العزيمة .

• الباب الثلاثون : ارتداد الإنسان من طريق الخير والشر :

فالمطلوب من الإنسان أن يسلك ويغلب طريق الخير ، وله من العقل والإرادة ما يمكنه من ذلك ، فإن لم يفعل فهو ملوم ، والمتدرب في فعل الخير ، المتقوي فيه يصير بحيث يكون له من اللَّه تعالى واقية تحفظه من الأفعال القبيحة ، والمتدرب بفعل الشر ، المتقوي فيه يصير بحيث يكون له بما ارتكبه من القبائح باعث يبعثه على الأفعال القبيحة ، ويسد عليه طريق الأفعال الحسنة .

• الباب الحادي والثلاثون : قدر ما في الوسع من اكتساب السعادات :

يجب على الإنسان أن يجتهد في أداء ما أمكنه ، وتطهير نفسه بقدر ما تيسر له ، والرغبة إلى اللَّه في تكفير ما قصر فيه ، فإذا فعل ما أمكنه يكون قد ترشح أن يزيل اللَّه عنه باقي السيئات .

ويرتبط مضمون هذا الباب بموضوع العلاج السلوكي الحديث ؛ حيث يشير المؤلف إلى ما يطلق عليه « الإبدال » ، أي إحلال الأفعال والسلوكيات الذميمة بأخلاق وأفعال حميدة (ص ١٩٠ - ١٩٦) .

• الباب الثاني والثلاثون : إثبات المعاد وفضيلة الموت وما يحصل بعده من السعادة :

فمصير الإنسان بعد رحلة حياته يكون في حياة أخرى بعد هذه الحياة ، تشهد بأحقيتها شواهد العقل الملزمة بأن الإنسان في بديع تركيبه ، وتصاريف حياته لا بد أن يكون له مصير مخالف لمصير الحيوان ، وهو مصير الخلود ، ومصير الخلود يمر بالموت الذي هو نقطة الانتقال بين الحياتين ، وهو طريق لكمال الإنسان ، والسعادة الحقيقية لا تكون إلا بعده .

• الباب الثالث والثلاثون : في فضيلة الإنسان إذا شرف على الملائكة :

فإذا أدى الإنسان دوره في الحياة ، وحقق غاية وجوده ، فإنه يحظى بالنعيم الدائم ، ويكون قد حصل منزلة يفضل بها على كثير من الملائكة .

الذريعة إلى مكارم الشريعة [1]

عرض : د. شعبان جاب الله رضوان

عرض الكتاب :

ينقسم الكتاب إلى سبعة فصول أساسية هي على النحو التالي :

الفصل الأول : في أحوال الإنسان وقواه وفضيلته وأخلاقه :

يتناول هذا الفصل عددًا من الأفكار ؛ منها أحوال الإنسان في الدنيا والآخرة وتركيب الإنسان جسمًا ونفسًا ، وقوى الإنسان وصفاته ، فمن قواه قوة الغذاء ، والحس ، والتخيل ، والنزوع والتفكير ، مع إشارة إلى مواقع الفكر ، والخيال ، والحفظ والتذكر في الدماغ ، ويتصل هذا المعنى بفرع علم النفس العصبي (ص ١٩ ، ٢٠) Neuro-Psychology ، كما تتصل بعض المصطلحات مثل الخيال والتفكير والتذكر والحس والدافع بعلم النفس العام وتتعاون قوى الخيال والتفكير والذاكرة معًا لأداء مهمتها ، كما أن هناك فرقًا بين الإنسان والحيوان في التركيب الجسمي والنفسي ، حيث يفضل الإنسان الحيوان في هذا ؛ لأنه يتميز بالعقل ويحتل الإنسان مكانة متوسطة بين الحيوان والملك ؛ لأنه يجمع في تركيبه بين الشهوات والقوى الروحية .

كما يتناول هذا الفصل غاية الإنسان وهي الوصول إلى الجنة ، وتحقيق خلافة اللَّه في الأرض والسياسة التي يستحق بها هذه الخلافة ؛ ومنها طهارة النفس التي تتحقق بالعلم والعبادات ، وتتفاعل مكونات النفس ، ويتلازم الهوى مع العقل ، فالعقل يختار الأفضل

(١) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة الكلية الأزهرية ، (١٩٧٣م) ، ٢٣٣ص .

والأصلح في العواقب ، ولكن الهوى على الضد من ذلك ، ويتصل ذلك بسيكولوجية الشخصية (ص ٣١) ويتخذ الخطر مسارًا معينًا حتى يصبح عملًا ، فيبدأ بالسانح ثم الخاطر ثم الإرادة فالعزم ثم العمل ، ويكتسب الخلق المحمود بطهارة النفس التي تتم بإصلاح قوة الفكر والشهوة والحمية والتي تؤدي إلى العدالة والإحسان ، وهنا يشير الكاتب إلى وجود فرق بين الطبع والسجية والخلق والعادة ، ويمكن تغيير الخلق في بعض جوانبه ، وهناك جوانب أخرى لا تتغير ، ومن أصعب القوى في التغير هي قوة الشهوة ، ولكنها أكثرها احتياجًا للقمع والكبت (ص ٣١ - ٤١) .

وهناك إشارة إلى أن ممارسة السلوك تؤدي إلى تثبيته ، ويتصل ذلك بعملية التعلم (ص ٤٣) ، وينقسم التخلق إلى محمود ومذموم ، فالأول إذا كان هدفه التدريب ، والثاني إذا كان هدفه الرياء . ويتباين الناس في أخلاقهم نتيجة للتدريب والفطرة ، ويرتبط ذلك بموضوع الفروق الفردية وأسبابها البيئية والفطرية (ص ٤٦) ، وينبغي على الإنسان أن يكتسب الفضائل الحسنة بقصد العبادة ، وتنقسم نعم اللّٰه على الإنسان إلى خمس ؛ هي : السعادة الأخروية ، والفضائل النفسية والفضائل البدنية ، والفضائل المطيفة بالإنسان ، وتوفيق اللّٰه ﷻ ، وكلها من عند اللّٰه ، ولا دخل للإنسان في اكتسابها إلا فيما هو نفسي فقط ، وتتفاعل هذه الفضائل فيما بينها .

ومن الفضائل المطيفة بالإنسان : كرم العشيرة ، وهذه الفضائل مهمة للوصول إلى السعادة الأخروية ، وكذلك الفضائل الجسمية ، ومنها الجمال الذي يعد مرآة لفضائل النفس .

وأما عن الفضائل النفسية : فيتولد عنها عندما تقوى فضائل أخرى ؛ مثل : جودة الفكر التي تتولد عن قوة العقل ، وتتصل هذه الموضوعات بالقيم وسمات الشخصية .

وهناك بواعث لتحري الخيرات الدنيوية : أدناها الترغيب والترهيب ممن يرجى نفعه ويخشى ضره ، والثاني : رجاء الحمد وخوف الذم ممن يعتد بحمده ، والثالث : تحري الخير وطلب الفضيلة .

وهناك أيضًا بواعث لتحري الخيرات الأخروية : وهي الرغبة في ثواب اللّٰه والخوف من عقابه ، ورجاء حمده ومخافة ذمه ، وطلب مرضاته تعالى في المتحريات .

وما يمنع من تحري الفضائل : إما أن يكون قصورًا أو تقصيرًا .

ويرتقي الإنسان في الخيرات بأربع درجات ؛ هي : هجر الآثام ، وإتيان العبادات ،

ومجاهدة الهوى والرضا بقضاء الله ، كما ينحدر عن الفضائل بأربع درجات ؛ هي : الكسل ، والغباوة ، والوقاحة والانهماك في الباطل .

وفي نهاية هذا الفصل يتطرق المؤلف إلى تصنيف الناس ، ويتبع في ذلك أكثر من أسلوب ، فهم من وجه خاص وعام ، وهم من وجه آخر خاصة وعامة وأوساط ، أو أصحاب شهوات ، وأصحاب كرامات ، وأصحاب حكمة ، وهم من وجه آخر ملكي وشيطاني وإنسي ، أو أبرار وفجار ، ويتصل هذا التصنيف للناس بنظريات الشخصية الإنسانية في فرع سيكولوجية الشخصية (ص ٧٠ - ٧٣) .

الفصل الثاني : في العقل والعلم والنطق وما يتعلق بها وما يضادها :

يتناول هذا الفصل أهمية العقل ؛ حيث إنه أول ما خلق الله ﷻ ، وبه يهتدي الإنسان إلى تزكية نفسه ، وهو نوعان : أحدهما : غريزي والآخر مكتسب ، وهذه إشارة إلى أن الذكاء محصلة للوراثة والبيئة ، ويتصل ذلك بعلم النفس العام (موضوع الذكاء ص ٧٤ - ٧٦) .

ثم يفْرِق المؤلف بين عدد من المفاهيم هي العلم : وهو إدراك الشيء بحقيقته ، والدراية : وهي المعرفة المدركة بضرب من الحيل ، والحكمة : وهي اسم لكل عمل صالح وعلم حسن ، ويشير بعد ذلك إلى أن هناك توابع للعقل ، حيث ينتج عن العقل : العلم ، والمعرفة ، والدارية ، والحكمة ، والذكاء والذهن ، والفهم ، والفطنة ، وجودة الخاطر ، والتخيل وغيرها ، وتحتوي هذه المفاهيم على بعض العمليات والقدرات العقلية العليا ، وتدخل تحت موضوع الذكاء في علم النفس العام (ص ٨١ - ٩٣) .

وللعقل ثمرات أشرفها : معرفة الله وعدم معصيته ، وهداية الإنسان إلى الحق ، ويتناول هذا الفصل أيضًا : وجوب بعثة الأنبياء ، وعلامات صحة النبوة ، وأن العلوم النبوية من المتعذر إدراكها ما لم تدرك العلوم العقلية ، ومفهوم الإيمان والتقوى والبر ، ويتطرق بعد ذلك إلى أنواع الجهل ومنها الاعتقاد في رأي فاسد ، وعدم الاعتقاد ، حيث لا يعتقد الإنسان اعتقادًا صالحًا أو اعتقادًا طالحًا في شيء معين .

وبالنسبة لأنواع العلم : منها ما يوجد من غير تعلم بشري كعلم الأنبياء ، ومنها ما يوجد بأدنى تعلم ، ومنها ما يصعب وجوده كحال عوام الناس ، كما يعرف العلم بثمرته .

وهناك أيضًا أنواع من المعلومات : فمنها نوع يتعلق باللفظ ، ونوع يتعلق باللفظ والمعنى ، ونوع ثالث بالمعنى دون اللفظ .

وينبغي على الإنسان أن يعرف معلومات من شتى العلوم بحسب أهميتها له ، ولا يستهين بشيء منها ، كما لا ينبغي تنفير الناس من بعض العلوم ، وعلى الإنسان أن يفيد غيره من العلم الذي اكتسبه ، وأن يطهر نفسه من الأخلاق الرديئة ، ويقلل من الانشغال بالأمور الدنيوية حتى يوفر فراغه للعلوم الحقيقية ، وينبغي على المعلم أن يعامل المتعلمين منه كالأب فتتسم معاملته باللطف ، ويجب منع الجهلة عن حقائق العلوم ، والاقتصار بهم على قدر أفهامهم ، ويجب التصدي لمن يحاول الزعامة دون علم ، كما يجب أن يقتبس الواعظ من الحكماء وعلمهم ، وأن يكون قدوة تحتذى ، وينبغي عدم إباحة الجدال للعامة من الناس ، وفيما يتعلق بالنطق والصمت ، فالنطق من خصائص الإنسان وحده ، والصمت من حيث هو صمت مذموم ، ولكنه يحمد إذا جلب الكلام مضرة .

وبالإضافة إلى ما سبق ، يتناول هذا الفصل أيضًا عددًا من المفاهيم الأخلاقية ؛ مثل : الصدق والكذب وأنواعه ، ومتى يحسن أو يقبح كل منهما . وأيضًا المدح والثناء والشكر ، والغيبة والنميمة والكلام القبيح والمزاح والضحك والحلف .

وتتصل هذه المفاهيم بسيكولوجية العلاقات الشخصية المتبادلة ، والأخلاق في إطار علم النفس الاجتماعي (ص ١٣٤ - ١٤٥) .

- **الفصل الثالث : فيما يتعلق بالقوى الشهوية :**

يتناول هذا الفصل عددًا من المفاهيم ذات الصلة بالأخلاق وسيكولوجية العلاقات الاجتماعية ، ومنها الحياء الذي يشير إليه المؤلف باعتباره انقباض النفس عن القبائح ، وهو أول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان .

والخجل : هو حيرة النفس لفرط الحياء ، ويحمد في النساء والصبيان ويذم في الرجال .

والوقاحة : هي لجاج النفس في تعاطي القبيح وهي مذمومة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مفهومي الحياء والخجل يتصلان ببعض المصطلحات الحديثة في سيكولوجية الشخصية كسمة الانطواء (ص ١٤٥ - ١٤٧) .

ويتناول أيضًا : كبر الهمة والذي يعني أن الإنسان لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه ، بل يجتهد أن يتخصص بمكارم الشريعة .

ويتضمن هذا الفصل أيضًا : إشارة لمعنى الوفاء ، والعذر ، والمشاورة ، والنصح ،

وكتمان السر والتواضع ، والكبر ، والفخر ، والعجب ، وهذه المفاهيم تتصل بسيكولوجية العلاقات الاجتماعية أو العلاقات الشخصية المتبادلة في علم النفس الاجتماعي (ص ١٤٨ - ١٥٧) .

ويتناول أيضًا : أنواع اللذات وتفاصيلها ؛ وهي : لذة عقلية كلذة العلم والحكمة ، ولذة بدنية كالمأكل والمشرب ولذة الرياسة والغلبة .

وتصنيف اللذات بهذا الشكل يتصل بموضوع الدوافع في علم النفس العام (ص ١٥٧ - ١٥٩) ، ويتضمن إشارة لما يحسن تناوله من المطعم وما يقبح منه ، وما ينبغي من عدم الإفراط ، وأيضًا ما يحسن من المنكح وما يقبح منه ، فما يحسن منه هو ما شرعه اللّٰه تعالى بالوسائل الحلال ، أي بالزواج وينبغي عدم الإفراط ، أما ما يقبح منه فهو الزنا واللواط .

وفي نهاية الفصل يشير المؤلف إلى عدد من الوسائل التي يمكن للإنسان من خلالها أن يهذب نفسه ويوجه دوافعه الفطرية ويضبط القوى الشهوية لديه ، ومنها العفة وهي أُس الفضائل ، وأيضًا القناعة ، والزهد ، والورع .

- **الفصل الرابع : فيما يتعلق بالقوى الغضبية :**

يتناول هذا الفصل ما يتبع من القوى الغضبية ، فعندما تتحرك قوى الغضب يتحرك دم القلب ، وينتج عن ذلك ثلاثة أحوال ؛ هي : الغم ، والغضب ، والحقد .

ويتصل ذلك بموضوع فسيولوجية الانفعالات في علم النفس الفسيولوجي (ص ١٦٧) .

ويتضمن هذا الفصل أيضًا : إشارة لأنواع الصبر ومنها الصبر الجسمي ، والصبر النفسي ، والصبر الجسمي لا يعد فضيلة ولكن الفضيلة للصبر النفسي .

ويتناول الشجاعة باعتبارها فضيلة بين التهور والجبن ، والفرق بين الفزع والجزع ، فالفزع : ما يعتري الإنسان من الشيء المخيف ، وأما الجزع : ما يعتريه من الشيء المؤلم .

وينبغي على الإنسان مداواة نفسه من الغم والخوف ، ويشير المؤلف هنا أيضًا إلى الفرق بين السرور والفرح ، وهو ما يتصل بموضوع الانفعالات في علم النفس العام ، ويميز بين الحلم والعفو ، ويشير إلى فضل كظم الغضب ، ويتصل بمفهوم ضبط الانفعالات (ص ١٠٧ - ١١١) .

ويتحدث المؤلف في نهاية هذا الفصل عن الغيرة وهي ثوران الغضب ، والغبطة ،

والمنافسة والحقد والفرق بينهما ، وهي تتصل بموضوع الانفعالات Emotion (ص ١٨١ - ١٨٣) .

● **الفصل الخامس : في العدل والظلم والمحبة والبغض :**

يتناول هذا الفصل : مفهوم العدل وفضله وأنواعه ، فالعدل يقتضي المساواة ، والعدل نوعان : مطلق ومقيد ، كما أن العدل المحمود هو الذي يتحرى فعله لا رياء ولا سمعة ولا رغبة ولا رهبة وإنما يكون تحريًا للحق عن سجية . ويجب أن يستعمل الإنسان العدل مع الله والناس والسلف وترك العدل إلى الظلم المذموم ، وأما الظلم فهو الانحراف عن العدل .

ويتضمن هذا الفصل كذلك : مفاهيم المكر والخديعة والكيد والحيلة والفرق بينهما ، وتتصل بسيكولوجية العلاقات الشخصية المتبادلة (ص ١٨٨ - ١٩٠) .

كما يتناول هذا الفصل : ماهية المحبة وأنواعها وفضيلتها ، فالمحبة : هي ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرًا ، وهي نوعان : أحدهما طبيعي والآخر اختياري ، وتتمثل فضيلتها في أن العدل خليفة المحبة ؛ فهو يستعمل حيث لا توجد المحبة ؛ ولذلك عظم الله تعالى المنة بإيقاع المحبة بين أهل الملة .

وتناول المؤلف هنا أيضًا : فضيلة الصداقة ، وذكر أن الإنسان محتاج إلى صديق سواء في سوء الحال أو حسنه ، فمن الصعب الاستغناء عن الصديق الوفي كما أنه لا يوجد بسهولة .

ويتصل بسيكولوجية الصداقة Friendship في علم النفس الاجتماعي (ص ١٩١ - ١٩٢) .

ثم يشير في نهاية هذا الفصل إلى فضيلة التفرد عن الناس ورذيلته ، فهناك اختلاف بين الناس في تفضيلهم للتفرد أو الاختلاط ، والأصل أن اجتماع بعضهم من بعض أمر ضروري لتعلق بعضهم ببعض ، ويتصل هذا المعنى بسيكولوجية العلاقات الشخصية المتبادلة ، وهناك إشارة أيضًا إلى مفهوم العداوة ، وهو يتصل بسيكولوجية العدوان في علم النفس الاجتماعي (ص ١٩٤ - ١٩٦) .

● **الفصل السادس : فيما يتعلق بالصناعات والمكاسب والإنفاق والجود والبخل :**

يتناول هذا الفصل عددًا من الأفكار ؛ أهمها : أن الإنسان كائن اجتماعي ولا بد له

من التعاون مع الآخرين ، كما أن اللَّه تعالى قد سخر همم الناس لصناعات مختلفة ، فكل إنسان مهيأ لصناعة معينة ، وبهذا يحدث التكامل بين الأفراد جميعًا ، كما قسم الأرزاق بينهم بطريقة تسمح بحاجة كل منهم للآخر . وجعل الإنسان دائم السعي مخافة الفقر . ولذلك فإن التكسب واجب ، والسعي نحوه محمود ، والكسل عنه مذموم .

ويتضمن ذلك تقسيم الصناعات ومراتبها وفضيلة بعضها على بعض ، وهي ثلاثة أضرب : إما أصول لا قوام للعالم بدونها كالزراعة والحياكة ، وإما مرشحة وخادمة لكل واحد من ذلك مثل الحلاجة للحياكة ، وقد تكون ثمرة لكل واحد من ذلك مثل الطحانة للزراعة ، وأشرف أصول الصناعات هي السياسة ، ويشير الكاتب إلى أهمية المال وخطورته في المعاملات بين الناس باعتباره أحد أسباب قوام الحياة الدنيوية ؛ ولذلك فإن كنزه مذموم ، ويتناول هذا الفصل بعد ذلك أنواع من يطلبون الدنيا وتفاوتهم في هذا ، وبيان الآيات الواردة في شأن الدنيا ، وكذلك أحوال الناس في مراعاة أمور الدنيا والآخرة ، وبيان حال من يجوز له الاستكثار من أعراض الدنيا ومن لا يجوز له ذلك ، والعقوبات الدنيوية التي ينالها أرباب الدنيا .

ويتطرق المؤلف إلى موضوع الإنفاق المحمود والإنفاق المذموم وفقًا لأحكام الشرع ، وحقيقة السخاء والجود والشح والبخل ، وفضيلة الجود وذم البخل ، وأنواع البخل : وهي بخل الإنسان بماله ، وبخله بمال غيره على غيره ، وبخله بمال غيره على نفسه ، وأنواع الجود هي جود اللَّه تعالى ، وجود الملوك ، وجود السوقة ، وجود الصعاليك ، وجود عوام الناس ، والمحمود من ذلك كله الجود الإلهي .

- **الفصل السابع : في ذكر الأفعال :**

يتناول هذا الفصل : أنواع الأفعال ؛ وهي اثنان : إلهي وإنساني .

والأفعال الإلهية أربعة : إبداع ، وتكوين ، وتربية ، وإحالة ، وكلها تسمى خلقًا .

أما الأفعال الإنسانية فهي ثلاثة : نفساني فقط : كالأفكار والعلوم وما ينسب إلى أفعال القلوب ، وبدني : وهو الحركات التي يفعلها الإنسان في بدنه كالمشي والقيام والقعود ، وأما الثالث فهو صناعي ، ويعني ما يفعله الإنسان بمشاركة البدن والنفس كالحرف والصناعات .

وهذا التصنيف يتصل بمفهوم السلوك وأنواعه في علم النفس العام (ص ٢١٩ - ٢٢٠) .

ويميز بين العمل والفعل والصنع ، فالفعل : لفظ عام يقال لما كان بإجادة أو غير

إجادة أو علم أو غير علم أو قصد من الإنسان والحيوان .

والعمل : يقال لما كان من الحيوان دون النبات وما كان بقصد وعلم .

أما الصنع : فيكون من الإنسان دون سائر الحيوان ولا يقال إلا لما كان بإجادة .

ثم يقسم الصناعات إلى علمية وعملية ، والأفعال إلى إرادية وغير إرادية ، وهذا التقسيم للأفعال يتصل بتصنيف السلوك إلى سلوك إرادي وسلوك لا إرادي في علم النفس الفسيولوجي Psychological Psychology (ص ٢٢١) .

وفي نهاية هذا الفصل يشير المؤلف إلى الأفعال التي تستحق اللوم ، والأخرى التي لا تستحق ذلك ، ويتوقف هذا على نتيجة الفعل ، وهل الفعل إرادي أم لا إرادي ، ومدى حرص القائم بالفعل على عدم ارتكاب خطأ أثناء تأدية الفعل .

وأخيرًا : يتناول المؤلف الأسباب التي يمكن نسبة الفعل إليها وهي الفاعل ، والمادة التي تستخدم في الفعل ، والعمل نفسه ، والزمان والمكان ، والآلة ، والهدف البعيد والقريب ، ونموذج يقلد ومرشد يوجه .

* * *

الغزالي ، أبو حامد (ت ٥٠٥هـ)
إحياء علوم الدين [١]

عرض : د. شعبان جاب الله رضوان

التعريف بالمؤلف :

هو زين الدين محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، المعروف باسم أبي حامد الغزالي وبلقب حجة الإسلام : فيلسوف ، متصوف ، له نحو مائتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس ، بخراسان) ، وقد وُلد عام ٤٥٠هـ الموافق ١٠٥٨م في الطابران من مدن طوس من خراسان ، في عصر انتشرت فيه الفتن الدينية والسياسية ، وكان والده فقيرًا صالحًا ، وكان كثير الدعاء لولده بأن يصبح فقيهًا واعظًا ، ولكنه توفي قبل أن يصل الغزالي إلى هذه المكانة من العلم .

عاش الغزالي فترة صباه في مدينة طوس ، وتتلمذ على أيدي عدد من المتصوفين الذين غرسوا البذور الأولى للتصوف في نفسه ، وعند بلوغه سن العشرين رحل إلى جرجان ، وظل فيها فترة من الزمن يتلقى العلم ، ومنها وصل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ، ثم عاد إلى بلدته طوس مرة أخرى ، واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء والصوفية حتى توفي في عام ٥٠٥هـ الموافق عام ١١١١م .

نسبته إلى صناعة الغزل (على مَنْ يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قاله بالتخفيف .

---

(١) لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، القاهرة ، دار نهر النيل ، (د.ب) ٥مج ، مع : المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار/عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، يشتمل على ثلاثة كتب أخرى .

ولقد اعتمد الغزالي على الحفظ كوسيلة لاكتساب العلم طيلة حياته ، واشتهر بذلك بين زملائه حينما انتقل إلى نيسابور ، وكانت فيها المدرسة النظامية التي وجد فيها الغزالي ، المعرفة والعلم بأبوابها العريضة ، فأخذ يحصلها بجد وجهد دؤوب ، وبعقل ، وذهن صافٍ مما أعده علميًا ونفسيًا حتى برع في المذهب ، والخلاف ، والجدل ، والمنطق ، والحكمة ، والفلسفة ، وصنف في ذلك كتبًا أحسن تأليفها وأجاد وصفها ، كما سيأتي بيانها في الفقرة التالية ، كان شديد الذكاء ، وعجيب الفطرة ، مفرط الإدراك ، حتى قال عنه إمام الحرمين بأنه « بحر مغرق » .

أما عن مؤلفاته وكتبه فنعرض منها الآتي [1] : إحياء علوم الدين (في أربعة مجلدات) ؛ تهافت الفلاسفة ، وكتاب الاقتصاد في الاعتقاد ، ومحك النظر ، ومعارج القدس في أحوال النفس والفرق بين الصالح وغير الصالح ، ومقاصد الفلاسفة ، والمضنون به على غير أهله ، وهذا الكتاب نسبته إليه فيها كلام ، وكتاب المنقذ من الضلال ، وجواهر القرآن ، والقسطاس المستقيم ، وكيمياء السعادة ، وياقوت التأويل في تفسير التنزيل (٤٠ مجلدًا) وكتاب الوقف والابتداء في التفسير ، وكتاب التبسيط في الفقه وكتاب بداية الهداية ، وفضائح الباطنية : قسم منه ، ويعرف بالمستظهري ، وبفضائح المعتزلة ، وكتاب التبر المسبوك في نصيحة الملوك : كتبه بالفارسية ، وترجم إلى العربية ، والرسالة الوليدية : رسالة أكثر فيها من قوله : أيها الولد . وكتاب منهاج العابدين : وقيل : إن هذا الكتاب هو آخر ما ألفه ، وكتاب إلجام العوام من علم الكلام ، وكتاب الطير : رسالة . والدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة ، وشفاء العليل في أصول الفقه ، والمستصفى من علوم الأصول (في مجلدين) ، والمنخول من علم الأصول ، والوجيز « في فروع الشافعية » ، وأسرار الحج ، والإملاء عن إشكالات الأحياء ، وفيصل التفرقة بين

---

(١) مراجع الترجمة :

- خير الدين الزركلي ، الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، المجلد السابع ، (ص ٢٣) ، بيروت ، دار العلم للملايين ، (١٩٨٦م) .

- مجموعة بيليوجرافيا تشتمل على الآتي : وفيات الأعيان (٤٦٣ : ١) ، طبقات الشافعية (١٠١ : ٤) ، وشذرات الذهب (١٠ : ٤) ، وإشراق التاريخ خ (٧٤٤ : ١) ، Brock ١ : ٥٣٥ (٤١٩) ، S . ، والوفي بالوفيات ٢٧٧ : ١ ، ومفاتح السعادة ١٩١ : ٢ - ٢١٠ ، وتبين كذب المفتري ٢٩١ - ٣٠٦ ، ومعجم المطبوعات ١٤٠٨ - ١٤١٦ ، و Princeton : انظر فهرسته ، وآداب اللغة ٩٧ : ٣ ، والفهرس التمهيدي ١٦٤ ، وفي اللباب ١٧٠ : ٢ ما يستفاد منه أن تخفيف الزاي في الغزالي ، خلاف المشهور ، وقد أشار المؤلف إلى ذلك في ترجمة أخيه أحمد بن محمد المتوفى سنة (٥٢٠هـ) .

الإسلام والزندقة ، وكتاب عقيدة أهل السنة ، وكتاب ميزان العمل ، وكتاب المقصد الأسني في شرح أسماء اللّٰه الحسنى ، وله كتب أخرى كثيرة بالفارسية .

وهناك من المؤلفين ، سواء من العرب أو من الموالي ، من تصدوا للكتابة عن الإمام الغزالي ، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ؛ طه عبد الباقي سرور له كتاب عن سيرة الإمام الغزالي باسم : الغزالي ، في سيرته ، ويوحنا قمر : الغزالي في سيرته ، ومثلهما لكل من جميل صليبا ، وكامل عياد ، محمد رضا ، وزكي مبارك لهما كتاب : الأخلاق عند الغزالي ، أحمد فريد الرفاعي كتاب : الغزالي . محمد رضا : الغزالي ، حياته ومصنفاته ، أبو بكر عبد الرازق : في صحبة الغزالي ، سليمان دنيا : الحقيقة في نظر الغزالي . الشيخ محمد الخضري ، رسالة في ترجمته وتعاليمه وآرائه ، ونشرت في المجلد ٣٤ من مجلة المقتطف ، وهناك من كتب عنه بالتركية فهذا هو ، رضاء الدين بن فخر الدين الذي كتب : إمام غزالي ، في تاريخه وفلسفته ، وذلك عبد اللطيف عزام الفيومي الذي كتب : رسالة في « ما للغزالي وما عليه » .

عرض الكتاب :

يقسم الإمام أبو حامد الغزالي كتابه « إحياء علوم الدين » إلى أربعة أجزاء على النحو التالي :

الجزء الأول : العبادات .

الجزء الثاني : العادات .

الجزء الثالث : المهلكات .

الجزء الرابع : المنجيات .

وهو ما نعرض لتفاصيله على النحو التالي :

الجزء الأول : العبادات .

ويشتمل هذا الجزء على عشرة كتب نعرض لها على النحو التالي :

١ - كتاب العلم :

ويتناول : فضل العلم والتعلم والتعليم وشواهده من النقل والعقل ، فيشير إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين فضل العلم ، وتحث على طلبه ، وأنه فريضة على

كل مسلم ومسلمة ، ومنزلة العلماء ، ومن ينقل علمه للآخرين ، وثواب ذلك عند اللَّه تعالى ، ثم يسوق الشواهد العقلية التي تدل على أن أصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم ؛ ولذلك فهو أفضل الأعمال ، كما يوضح العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما ، وما هو فرض عين ، وما هو فرض كفاية ، فالعلوم تنقسم إلى : شرعية وغير شرعية ، والشرعية : هي ما استفيد من الأنبياء صلوات اللَّه عليهم وهي محمودة ، أما العلوم غير الشرعية : فتنقسم إلى ما هو محمود ، وما هو مذموم ، وما هو مباح ، فالمحمود ما ترتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وهو فرض كفاية ، والمذموم كالسحر والشعوذة ، والمباح كالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها .

وينقسم علم طريق الآخرة إلى علم مكاشفة : وهو علم الباطن ، وهو نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من الصفات المذمومة ، وإلى علم معاملة : وهو علم أحوال القلب ، وما يُحمد منها ؛ كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء وحسن الخُلُق وحسن المعاشرة والصدق والإخلاص وغيرها .

وأما ما يذم منها ؛ كخوف الفقر ، وسخط المقدور ، والغل والحقد والحسد والغدر وطلب العلو وحب الثناء والكبر والرياء والغضب والأنفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والبذخ ، وعلم الآخرة فقرض عين .

ويوضح الغزالي بعد هذا علة ذم العلم المذموم ؛ وهي ثلاثة :

١ - أن يؤدي إلى ضرر كالسحر والطلسمات .

٢ - أن يكون مضرًا بصاحبه غالبًا كعلم النجوم .

٣ - عدم الاستفادة من العلم كالبحث عن الأسرار الإلهية .

كما يبين ما يدل من ألفاظ العلوم حيث تم تحريف خمسة ألفاظ محمودة ؛ هي الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة إلى معانٍ مذمومة ، ويبين السجع المحذور والشعر المذموم وشطح المتصوفة ، والمقدار المحمود من العلوم المحمودة ، حيث يقسم العلم في هذا إلى :

١ - قسم مذموم قليله وكثيره كعلم السحر والطلسمات .

٢ - قسم محمود قليله وكثيره كالعلم باللَّه تعالى .

٣ - قسم يحمد منه مقدار الكفاية ، ولا يحمد الفاضل عليه كالطب والحساب والسياسة .

ثم يتناول سبب إقبال الخلق على علم الخلاف ، وآفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها ، وشروط وعلامات التعاون على طلب الحق ، ويشير إلى أن المناظرة الموضوعة بقصد الغلبة والإفحام ، وإظهار الفضل والشرف والمباهاة والممارأة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة .

وينتقل الغزالي بعد هذا إلى الحديث عن آداب المتعلم والمعلم ، فمن آداب المتعلم ووظائفه : تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ، وأن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ، وألا يتكبر على العلم ، وأن يذعن لنصيحة المعلم ، وألا يصغي إلى اختلاف الناس في بدء تعلمه ، وألا يدع فنًّا من العلوم المحمودة إلا وينظر فيها ، وألا يخوض في فن من فنون العلم دفعة واحدة ، بل يراعي الترتيب ويبدأ بالأهم ، وألا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله في الترتيب ، وأن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم ، ومحك شرف العلم يتمثل في شرف الثمرة ووثاقة الدليل وقوته ، فأشرف العلوم : هو العلم بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله ، وأن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة ، وأن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد .

وأما وظائف المرشد المعلم فتتمثل في : الشفقة على المتعلم ، وأن يعامله كابنه ، وأن يقتدي بالرسول ﷺ ، فلا يطلب على إفادة العلم أجرًا ، ولا يقصد به جزاءً ولا شكرًا بل يُعلِّمه لوجه الله تعالى ، وألا يدع من نصح المتعلم شيئًا ، وأن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ، ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بالتوبيخ ، وينبغي على المتكفل ببعض العلوم ألا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه ، وأن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، كما ينبغي أن يلقي إلى المتعلم القاصر الجلي اللائق به ، ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقًا وهو يدخره عنه ، وأن يكون المعلم عاملًا بعلمه .

ويبين بعد ذلك آفات العلم ، وعلامات علماء الآخرة وعلماء السوء الذي وصفهم الله بأكل الدنيا بالعلم ؛ لأن قصدهم من العلم التنعم بالدنيا ، وشرف العقل وحقيقته وأقسامه ، فالعقل هو منبع العلم ومطلعه وأساسه ، والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة ، ويطلق لفظ العقل على أربعة معانٍ ، هي :

١ - الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم ، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية ، أي بمعنى أن العقل غريزة ، يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية .

٢ – العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد .

٣ – علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال ، فإن مَن حنكته التجارب يقال : إنه عاقل ومَن لا يتصف بهذه الصفة يقال : إنه غبي غُمْر جاهل .

٤ – أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ، ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ، ويتفاوت الناس في العقل .

وفي نهاية هذا الكتاب يتناول الغزالي أنواع التذكر ؛ وهما نوعان :

١ – أن يتذكر الإنسان صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه ، ولكنها غابت بعد الوجود .

٢ – تذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة .

والتذكر من النوع الأول يقابل التذكر الذي يدرسه علماء النفس ، أما التذكر من النوع الثاني فليس له مقابل في علم النفس الحديث .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب قد تضمن إشارة لعدد من المفاهيم النفسية ؛ هي : مفهوم الأخلاق Morality (ص ٢١) ، والتعلم Learning (ص ٩ ، ص ٤٩ – ٥٨) ، والذكاء Intelligence (ص ٨٤ – ٨٧) ، والتذكر Memory (ص ٨٦) ، كما يتوصل الحديث عن وظائف المرشد المعلم بسيكولوجية الإرشاد أو علم النفس الإرشادي Counseling Psychology (ص ٤٩ – ٥٨) .

٢ - كتاب قواعد العقائد :

ويتناول ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة ، والتدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد ، وبيان ما تتضمنه كلمتا الشهادة من أركان أربعة ؛ هي :

١ – إثبات ذات الإله : ويدور على عشرة أصول ؛ هي : العلم بوجود اللَّه تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وليس مختصًا بجهة ولا مستقرًا على مكان ، وأنه لا يُرى في الدنيا ولكنه يُرى بالأعين والأبصار في الدار الآخرة (ص ٩٩) .

٢ – إثبات صفاته : ويشتمل على العلم بكونه حيًا عالمًا قادرًا مريدًا سميعًا بصيرًا متكلمًا منزهًا عن حلول الحوادث ، وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة .

٣ – إثبات أفعاله : ويدور على عشرة أصول ؛ هي : أن أفعال العباد مخلوقة للَّه تعالى ،

وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة للّه وأنه متفضل بالخلق والاختراع ، وأنه له تعالى تكليف ما لا يطاق ، وإيلام البريء ، ولا يجب عليه رعاية الأصلح ، وأنه لا واجب إلا بالشرع ، كما أن بعثة الأنبياء جائزة ، وأن نبوة نبينا محمد ﷺ ثابتة مؤيدة بالمعجزات .

٤ - **السمعيات وتصديق الرسول ﷺ** : ومداره على عشرة أصول ؛ هي : إثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر والميزان والصراط وخلق الجنة والنار ، وأحكام الإمامة ، وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم ، ثم شروط الإمامة .

وبعد هذا ، يتناول الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال ، فالإيمان هو التصديق بالقلب ، والإسلام هو التسليم والاستسلام بالإذعان والانقياد ، وترك التمرد والعناد ، وهو بالقلب واللسان والجوارح .

٣ - كتاب أسرار الطهارة :

ويتناول مراتب الطهارة ؛ وهي :

١ - تطهير الظاهر من الأحداث والأجناس .

٢ - تطهير الجوارح من الذنوب والآثام .

٣ - تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة .

٤ - تطهير السر عما سوى اللّه تعالى ، وهو الغاية القصوى .

وأما إزالة الفضلات فهي نوعان :

١ - أوساخ تزال ؛ كالذي تجمع في الرأس من الوسخ والدرن .

٢ - أجزاء تحذف ؛ مثل قص الشارب والأظافر .

كما يتناول آداب قضاء الحاجة ، وكيفية الاستنجاء ، والوضوء وفضيلته ، وكيفية الغسل والتيمم .

٤ - كتاب أسرار الصلاة ومهماتها :

يتناول هذا الكتاب فضائل الصلاة والسجود ، وصلاة الجماعة ، والأذان ، والخشوع والمسجد ، ويوضح كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة ، والبداءة بالتكبير وما قبله ، وما هو منهي عنه في الصلاة ، وتمييز الفرائض والسنن في الصلاة ، واشتراط الخشوع وحضور القلب فيها ، وبيان الأعمال الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة وهي حضور

القلب ، والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء ، ثم بيان أسبابها وكيفية اكتسابها .

وينتقل الغزالي بعد ذلك إلى الحديث عن الإمامة ، والقدوة ، وأركان الصلاة وبعد السلام ووظائف الإمام قبل الصلاة وفي القراءة ، وفضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها ، فمن آدابها الاستعداد لها من يوم الخميس ، والتنظيف ، وغسل الثياب ، والاغتسال في يومها ، والتبكير إليها ماشيًا ، وعدم تخطي رقاب الناس ، والإقامة في المسجد حتى صلاة العصر ، والإكثار من الصلاة على النبي ﷺ ، وقراءة سورة الكهف ، والتصدق بما أمكن ، وحسن المراقبة للساعة الشريفة التي يعطي فيها الله مَن يسأله .

ويتناول أيضًا عددًا من المسائل المتفرقة ؛ مثل : كراهية الفعل في الصلاة ، وجواز الصلاة في النعلين ، والبزق في الصلاة ، وصلاة المسبوق ، والوسوسة في نية الصلاة ، وسببها وهو خبل في العقل أو جهل بالشرع ، كما يشير إلى أنه ينبغي ألا يتقدم المأموم على الإمام في الركوع والسجود والرفع منهما أو سائر الأعمال ، ولا ينبغي أن يساويه بل يتبعه ، ويختتم هذا الكتاب ببيان النوافل من الصلوات .

وقد ورد في هذا الكتاب إشارة لمفهوم القدوة Modeling ، وهو أحد مفاهيم علم النفس الاجتماعي (ص ١٧٣ - ١٧٨) ، وأيضًا مفهوم الوسواس Obsession في علم النفس المرضي (ص ١٩١) .

٥ - كتاب أسرار الزكاة :

يتناول هذا الكتاب فريضة الزكاة من حيث أقسام الزكاة وأسباب وجوبها وآدابها وشروطها الباطنة والظاهرة ، وشروط استحقاق القابض ووظائفه ، وفضل صدقة التطوع ، وآداب أخذها وإعطائها .

٦ - كتاب أسرار الصوم :

ويتناول فضل الصوم لمعنيين : أحدهما : أنه سر وعمل باطن لا يراه الخلق ولا يدخله رياء ، والثاني : أنه قهر لعدو الله الشيطان ، ويبين سنن الصوم ومنها السحور ، ويستحب الجود في رمضان وفعل المعروف ، وكثرة الصدقة ، ودراسة القرآن والاعتكاف ، كما يبين أسرار الصوم وشروطه الباطنة ودرجاته ؛ وهي ثلاث :

١ - **صوم العموم** : وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة .

٢ - **صوم الخصوص** : وهو كف النظر واللسان واليد والرجل والسمع والبصر عن الآثام .

٣ - صوم خصوص الخصوص : وهو صوم القلب عن الهمم الدنيئة والأفكار المبْعدة عن اللّه تعالى . ويختتم هذا الكتاب بالحديث عن صوم التطوع .

ويتصل هذا الحديث عن الصوم ، وضبط شهوتي البطن والفرج بموضوع السيطرة على الدوافع Motives وبخاصة الدوافع الأولية في إطار علم النفس العام (ص ٢٣١ - ٢٣٩) .

٧ - كتاب أسرار الحج :

يتناول هذا الكتاب بيان فضائل الحج والبيت الحرام ومكة المشرفة والمدينة الشريفة ، وترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع ، فيبين أن من الواجب على من أراد الحج أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون ، وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ، وأن يرد ما عنده من الودائع ، ويستصحب من المال الحلال ما يكفيه ، وينبغي أن يلتمس رفيقًا صالحًا ، وأن يؤمر الرفقاء عليهم أحسنهم خلقًا ، وأن يودع رفقاءه وإخوانه المقيمين .

كما يتناول آداب الإحرام من الميقات إلى دخول مكة ، وآداب دخول مكة إلى الطواف ، والأمور التي يجب مراعاتها في الطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة ، ورمي الجمرات والنحر والحلق وغير ذلك من أعمال الحج ، ثم ينتقل إلى الحديث عن العمرة وصفتها وطواف الوداع ، وزيارة المدينة وآدابها ، وسنن الرجوع من السفر .

ويختتم هذا الكتاب ببيان الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة في الحج ، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب قد تضمن مفهوم الصداقة Friendship (ص ٢٤٧) وهو أحد مفاهيم علم النفس الاجتماعي ، وذلك عند الحديث عن الرفيق .

٨ - كتاب آداب تلاوة القرآن :

ويتناول فضل القرآن وأهله ، وذم المقصرين في تلاوته ، وظاهر آداب التلاوة ؛ ومنها : الوضوء واستقبال القبلة ، وأن الترتيل هو المستحب في هيئة القراءة ؛ ولذلك فإن البكاء مستحب مع القراءة ، مع مراعاة حق الآيات ، والجهر وتحسين الصوت .

كما يتناول الأعمال الباطنة في التلاوة ؛ ومنها : فهم أصل الكلام ، والتعظيم ، وحضور القلب ، والتدبر والتفهم ، والتخلي عن موانع الفهم ، والتخصيص والتأثر والترقي والتبري ، ثم يتناول فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل ، وأن القرآن

مشتمل على إيجاز، وتطويل، وإضمار وحذف.

٩ - كتاب الأذكار والدعوات:

ويتناول فضيلة الذكر ومجالسه، ويسوق الدلائل التي تحث عليه، وفضيلة التسبيح والتحميد وآداب الدعاء وفضله، وفضيلة الاستغفار والصلاة على الرسول ﷺ.

فمن آداب الدعاء: أن يترصد الإنسان لدعائه الأوقات الشريفة، وأن يدعو مستقبل القبلة، وخفض الصوت بين المخافتة والجهر، والتوبة، ورد المظالم، والإقبال على الله ﷻ.

كما يتناول بعض الأدعية المأثورة وأسبابها وأربابها؛ ومنها دعاء الرسول ﷺ بعد ركعتي الفجر، ودعاء السيدة عائشة، ودعاء فاطمة وأبي بكر ﷺ أجمعين، وكذلك الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث، كدعاء الخروج إلى المسجد، وغير ذلك من المواقف والأحداث.

١٠ - كتاب ترتيب الأوراد وتفضيل إحياء الليل:

ويتناول الإمام الغزالي في هذا الكتاب الأخير من ربع العبادات: فضيلة الأوراد، وبيان أن المواظبة عليها هي الطريق إلى الله؛ لأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب، والمواظبة عليه، كما أن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله، ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها، ويبين أيضًا أعداد الأوراد وترتيبها في الليل والنهار.

ويختتم الغزالي هذا الكتاب ببيان الأسباب الميسرة لقيام الليل، والليالي التي يستحب إحياؤها، وكيفية قسمة أجزاء الليل.

الجزء الثاني: العادات:

يتضمن هذا الجزء عشرة كتب نعرض لها على النحو التالي:

١ - كتاب آداب الأكل:

يتناول الآداب التي تتقدم على الأكل؛ ومنها: أن يكون حلالًا في نفسه وطيبًا في جهة مكسبه وغسل اليدين، وإحسان الجلسة على السفرة والرضا بالموجود من الرزق، وأما آداب حالة الأكل فمنها البدء ببسم الله، والأكل باليمنى وأن يأكل الإنسان مما يليه ويحمد الله في نهايته، وهناك من الآداب ما يستحب بعد الطعام ومن ذلك أن يمسك

قبل الشبع وليحمد الله .

كما أن هناك آدابًا أخرى تتعلق بالاجتماع والمشاركة في الأكل ؛ منها :

ألا يبدأ بالطعام ومعه من يستحق التقديم ، وعدم السكوت عليه ، وألا يأكل أكثر من رفيقه إلا برضاه ، وألا يفعل ما يستقذره غيره ، ثم يتناول آداب تقديم الطعام إلى الإخوان والزائرين ، وآداب الزائر والضيافة ومن ذلك ما يتعلق بالدعوة والإجابة والحضور . ويختتم هذا الكتاب بعدد من الآداب والمناهي الطبية والشرعية المتعلقة بالطعام وتناوله ، ويتصل هذا الحديث عن آداب الاجتماع والمشاركة في الأكل ، وآداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين وآداب الضيافة ، وذلك بموضوع سيكولوجية العلاقات الشخصية المتبادلة Interpersonal Relationships (ص ٧ - ١٤) والأخلاق Morality وذلك في إطار علم النفس الاجتماعي (ص ٧ - ١٤) .

٢ - كتاب آداب النكاح :

يتناول هذا الكتاب الترغيب في النكاح والترغيب عنه ، والأدلة من القرآن والسنة التي تحث على النكاح وترغب فيه لفوائده ؛ ومنها : الولد والتحصن من الشيطان بدفع غوائل الشهوة ، وترويح النفس وإيناسها بمخالطة الزوجة ، ومجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل ، وأما آفات النكاح فمنها : العجز عن طلب الحلال ، وأن يكون الأهل والولد شاغلًا له عن الله تعالى ، ويشير الغزالي هنا إلى أن من الأفضل الجمع بين فضل العبادة والنكاح كما فعل الرسول ﷺ .

ثم يتناول عقد الزواج وأركانه وشروطه ، وآداب المعاشرة ، وما على الزوج والزوجة من واجبات ، أما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال في عدة أمور ؛ منها : الوليمة والمعاشرة والدعابة والغيرة والتعليم والوقاع . وأما حقوق الزوج على الزوجة فمنها طاعته مطلقًا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه ، والستر والصيانة والقناعة وتدبير البيت .

وفيما يتعلق بالمفاهيم السيكولوجية الواردة في كتاب النكاح ، فيمكن القول إن هذا الحديث عن الزواج وما يتعلق به يتصل في مضمونه العام بموضوع سيكولوجية العلاقات الشخصية المتبادلة Interpersonal Relationship (ص ٢٢ - ٦٢) ؛ حيث يتناول الحديث العلاقة بين الزوج والزوجة ، ونظرًا لخصوصية هذه العلاقة فيمكن إدراجها في إطار سيكولوجية العلاقة الزوجية .

٣ - كتاب آداب الكسب والمعاش :

يتناول هذا الكتاب فضل الكسب ، والأدلة النقلية التي تحث على الكسب وتبين فضله ، كما يتناول علم الكسب بطريق البيع والربا والإجارة والقراض والشركة ، فيبين شروط وأركان عقد البيع ، وأقسام الربا ، وأركان عقد الإجارة والقراض ، وأنواع الشركة الباطلة والصالحة .

ثم يبين أنواع الضرر والظلم التي تلحق بالغير ؛ فمنها : ما يعم ضرره كالاحتكار ، وهو منهي عنه لما فيه من غلاء السعر ، ومنها ما يخص المشتري كأن يثني البائع على السلعة بما ليس فيها ، ويكتم بعض عيوبها .

ويتناول أيضًا الإحسان في المعاملة كالمسامحة في البيع ، والحديث عن شفقة التاجر على دينه فيما يخص ويعم آخرته ، فلا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده ، ولكن يجب أن يلازم ذكر اللّه تعالى في السوق ، وألا يكون شديد الحرص على التجارة ، وأن يتقي مواقع الشبه والريب .

ويتصل هذا الحديث عن البيع والشراء والمعاملات التجارية بموضوع سيكولوجية التسويق Marketing ومراعاة القيم الخُلُقية والدينية في المعاملات التجارية (ص ٦٦ - ٨٨) .

٤ - كتاب الحلال والحرام :

ويتناول فضيلة الحلال ومذمة الحرام ، وأنواع كلٍّ منهما ودرجاته ، وبيان مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام ، والظروف التي يجب فيها البحث والسؤال وتحري الحلال ، ثم بيان كيفية خروج التائب عن المظالم المالية ، وبيان مصارف إخراج الحرام وتنحصر في ثلاثة أحوال ؛ هي :

١ - أن يكون له مالك فيجب الصرف إليه .

٢ - إن يئس من معرفة المالك فليتصدق به .

٣ - إن كان من الأموال المرصدة لصالح المسلمين ، صرف إلى ما ينفعهم .

ويختتم هذا الكتاب ببيان ما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة وما يحرم ، وحكم غشيان مجالسهم ، والدخول عليهم ، والإكرام لهم .

٥ - كتاب آداب الأُلفة والأُخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق :

يتناول الإمام الغزالي في هذا الكتاب بيان فضيلة الألفة والأخوة وشروطها ودرجاتها وفوائدها ، فيشير إلى أن الألفة ثمرة حسن الخلق ، كم يبين معنى الأخوة في اللَّه ، وتمييزها من الأخوة في الدنيا ، وأنواع الصحبة ، وتنقسم إلى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار ، وإلى ما ينشأ اختيارًا ومنها الأخوة في الدين ، ويوضح معنى الحب في اللَّه تعالى ، وللَّه ومظاهره ، والبغض في اللَّه ومراتبه ، ثم يذكر الصفات المشروطة في اختيار الصاحب ، وهي أن يكون عاقلًا ، حسن الخلق ، غير فاسق ، ولا مبتدع ، ولا حريص على الدنيا .

ويتناول هذا الكتاب أيضًا بيان حقوق الأخوة والصحبة ؛ ومنها : الحق في المال ، والإعانة بالنفس في قضاء الحاجات ، والسكوت عن عيوبه ، والنطق بالمحاسن ، والعفو عن الزلات والهفوات ، والدعاء له في حياته وبعد مماته .

ثم يتناول آداب العشرة والمجالسة ؛ ومنها : أن تتوقر من غير كبر ، وتتواضع في غير مذلة ، وأن تلقى الصديق والعدو بوجه الرضا من غير ذل لهم ولا خوف منهم .

ثم يبين حقوق المسلم على المسلم ؛ ومنها : السلام ، وإجابة الدعوة ، وزيارته في المرض ، وبر قسمه إذا أقسم ، والنصح له إذا طلب النصيحة ، وكذلك حقوق الجار ، والأقارب ، وصلة الرحم .

وهذا الحديث عن الصحبة والأُلفة والأُخوة قد تضمن إشارات لعدة مفاهيم نفسية هي : مفهوم الصداقة Friendship (ص ١٥٩ - ١٨٨) ، ومفهوم العلاقات الشخصية المتبادلة Interpersonal Relationships (ص ١٨٩ - ٢٧٤) ، ومفهوم الانفعالات Emotions وبخاصة انفعال الحب والكراهية (ص ١٦٧ - ١٧٨ ، ص ١٨٤ - ١٨٥) ، ومفهوم الأخلاق Morality (ص ١٥٥ - ٢١٤) ، ثم مفهوم العداوة Hostility (ص ١٦٦ - ١٦٧) .

٦ - كتاب آداب العزلة :

يتناول بيان اختلاف الناس من حيث تفضيل العزلة أو المخالطة ، وحجج كل فريق من وجهة نظره ، وأن لكلٍّ منهما فوائد وغوائل ، فمن فوائد العزلة : الفراغ للعبادة والتخلص عن المعاصي ، والفتن ، والخصومات ، وانقطاع طمع الناس ، والخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ، وأما آفات العزلة فتبدو من فوائد المخالطة ؛ وهي : التعلم

والتعليم ، والنفع والانتفاع ، والتأديب والتأدب ، والاستئناس والإيناس ، ونيل الثواب في القيام بالحقوق ، واعتياد التواضع ، واستفادة التجارب من هذه الأحوال والاعتبار بها .

كما يتناول آداب العزلة ، ومنها : أنه ينبغي للمعتزل أن ينوي بعزلته كف شرِّه عن الناس ، وطلب السلامة من الأشرار ، والخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ، ثم تجريد الهمة لعبادة اللَّه تعالى ، وأن يكون في الخلوة مواظبًا على العلم والعمل والذكر والفكر ، والصبر على أذى الناس ، وأن يكون كثير الذكر للموت .

يتضمن هذا الحديث عن العزلة والمخالطة إشارة لبعض المفاهيم النفسية هي مفهوم الانسحاب الاجتماعي Social withdrawal (ص ٢٢٢ - ٢٤٣) ، وسيكولوجية العلاقات الشخصية المتبادلة Interpersonal Relationships (ص ٢٢٢ - ٢٤٣) ، ومفهوم التعلم Learning (ص ٢٣٦ - ٢٣٧) ، ومفهوم الخبرة Experience (ص ٢١٤ - ٢٤٢) .

٧ - كتاب آداب السفر :

يتناول الغزالي في هذا الكتاب آداب السفر وفوائده وفضله ونيته ، وفيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر ، وأدلة القبلة والأوقات ، فيشير إلى أن السفر وسيلة إلى الخلاص من مهروب معين ، أو الوصول إلى مرغوب فيه ، وأن السفر سفران أحدهما : بظاهر البدن عن الوطن ، والثاني : بسير القلب من أسفل سافلين إلى ملكوت السموات وهذا أشرف النوعين .

ومن فوائد السفر : الهرب من الولاية والجاه وكثرة العلائق ، وأما آدابه ؛ فمنها : رد المظالم ، وقضاء الديون ، وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ، ورد الودائع ، واختيار رفيق صالح ، ووداع الأهل والأصدقاء ، ولا بد للمسافر أن يتزود للدنيا بالمطعم والمشرب وما يحتاج إليه ، وأن يتزود للآخرة بالعلم الذي يحتاج إليه في جميع عباداته .

٨ - كتاب آداب السماع والوجد :

ويتناول بيان اختلاف العلماء في إباحة السماع (الغناء والموسيقى) ، وكشف الحق في ذلك ، فالسماع يؤدي إلى حالة في القلب تسمى الوجد ، ويثمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب ، وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص .

ويبين الدليل على إباحة السماع ومواضع الإباحة ، وما هو محرم من السماع بأدلة

الشرع ، والعوارض المحرمة للسماع ، وحجج القائلين بتحريمه والجواب عنها ، كما يبين آثار السماع وآدابه ؛ ومنها : مراعاة الزمان والمكان والإخوان ، والإصغاء لما يقوله القائل ، والتحرز عن النظر إلى وجوه المستمعين والتماسك عن التصفيق والرقص ، وموافقة القوم في القيام ، فإذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف ، أو قام باختياره من غير إظهار وجد وقامت له الجماعة ، فلا بد من الموافقة ، فذلك من آداب الصحبة .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحديث عن السماع والوجد يتصل بموضوع الانفعالات Emotions (ص ٢٢٦ - ٣٠٢) وبخاصة فيما يتعلق بانفعالات الفرح والسرور وعلاج الحزن بسماع الألحان (ص ٢٦٨) ، كما تضمن إشارة لمفهوم الصداقة Friendship (ص ٣٠١) .

٩ - كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يتناول هذا الكتاب الحديث عن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفضيلته ، والمذمة في إهماله وإضاعته ؛ لأنه القطب الأعظم في الدين ، وبيان الدلائل العقلية والنقلية من القرآن والأخبار والآثار التي تحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوضح فضله ، وبيان أركانه ، وهنا يذكر الغزالي أربعة أركان للحسبة تعد شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وهي : المحتسب والمحتسب عليه ، والمحتسب فيه ، ونفس الاحتساب ، وأن لكلٍّ منها شروطه ، فشروط المحتسب هي التكليف والإسلام والإيمان والعدالة ، وهنا يشير إلى خمس مراتب للحسبة ؛ هي : التعريف ، والوعظ بالكلام اللطيف ، والسب والتعنيف ، وليس المقصود بالسب الفحش ، بل أن يقول مثلًا : يا جاهل ألا تخاف اللَّه ؟ والمنع بالقهر ككسر الملاهي ، والتخويف والتهديد بالضرب حتى يمنع عما هو عليه .

وأما شروط ما فيه الحسبة : أن يكون منكرًا موجودًا في الحال ظاهرًا للمحتسب بغير تجسس ، معلوم كونه منكرًا بغير اجتهاد .

وبالنسبة لشروط المحتسب عليه : فيكفي في صفته أن يكون إنسانًا ، وبعد ذلك يبين درجات وآداب نفس الاحتساب ، فالدرجات أولها التعرف ، ثم التعريف ، ثم النهي ، ثم الوعظ والنصح ، ثم السب والتعنيف ، ثم التغيير باليد ، ثم التهديد بالضرب ، ثم إيقاع الضرب وتحقيقه ، ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود .

وفيما يتعلق بآداب المحتسب : فجميعها مصدره العلم ، والورع ، وحسن الخلق .

ويختتم هذا الكتاب ببيان المنكرات المألوفة في العادات ؛ ومنها منكرات المساجد ، والأسواق والشوارع ، والحمامات ، ومنكرات الضيافة ، ثم الحديث عن أمر الأمراء

والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

يمكن أن يتصل هذا الحديث عن كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بموضوع الإرشاد النفسي Counseling Psychology (ص ٣٠٢ - ٣٥١) ، كما يتضمن إشارة لمفهوم العادات Habits (ص ٣٣٠ - ٣٣٦) ، ومفهوم الأخلاق Morality (ص ٣٢٨ - ٣٣٥) .

١٠ - كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة :

يتناول هذا الكتاب بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدًا ﷺ بالقرآن ، ويسوق جملة من محاسن أخلاقه ؛ ومنها الحلم ، والسخاء ، والحياء ، والعطف ، وأنه ﷺ كان يخدم في مهنة أهله ، ويجيب دعوة المملوك ، ويعوِّد المرضى ، ويمضي وحده ، ويردف خلفه ويقبل الهدية ويكافئ عليها ، ويلبس ما وجد ، ويكرم أهل الفضل ، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله ، وكان يعفو مع المقدرة ، كما كان أصدق الناس لهجةً ، وأفصحهم منطقًا وأوفاهم ذمةً وأكرمهم عشرة ، إلى غير ذلك من الصفات الحميدة والأخلاق الرفيعة التي لخصها قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٤] .

وينتقل الإمام الغزالي بعد هذا الحديث عن أخلاق النبوة إلى بيان عدد من المعجزات التي اختص بها الرسول ﷺ ومن أعظمها القرآن الكريم ، وهو المعجزة الخالدة ، وهناك معجزات أخرى ؛ منها : انشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وإطعامه الخلق الكثير من الطعام اليسير ، وحنين الجذع إليه ، إلى غير ذلك من المعجزات التي شاعت ولم يوجد سبيل إلى كتمانها .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحديث عن أخلاق النبوة يتصل بموضوع سيكولوجية الأخلاق Morality وذلك في إطار علم النفس الاجتماعي (ص ٣٥١ - ٣٨٤) .

الجزء الثالث : المهلكات :

يتضمن هذا الجزء عشرة كتب نعرض لها على النحو التالي :

١ - كتاب شرح عجائب القلب :

يتناول الغزالي في هذا الكتاب بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل ، فيرى أن لفظ القلب يطلق على معنيين : أحدهما : اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر ، والثاني : هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق ،

وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان .

ويطلق لفظ الروح على معنيين : أحدهما : جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني ، والثاني : هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان ، والنفس كذلك لها معنيان : أحدهما : يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان ، والمعنى الثاني : هو اللطيفة التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته .

وأما اللفظ الرابع وهو العقل ، فيراد به معنيان أيضًا : أحدهما : أن يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور ، والثاني : يراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب .

ويتناول بعد ذلك ، جنود القلب ؛ وهي ثلاثة : الأول : باعث ومستحث إما إلى جلب النافع الموافق للشهوة ، وإما إلى دفع المضار كالغضب ، والثاني : هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ، ويعبر عنه بالقدرة والثالث : هو المدرك المتعرف للأشياء ، وينقسم إلى : الحواس الخمس ؛ وهي قوة البصر ، والسمع ، والشم ، والذوق ، واللمس ، ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك ، كما ينقسم إلى خمسة أخرى هي : الخيال ، والحفظ ، والتفكير ، والتذكر ، والحس المشترك الذي يجمع جملة معاني المحسوسات في الخيال ، وتقع هذه الخمسة في تجويف الدماغ .

ثم ينتقل إلى الحديث عن خاصية قلب الإنسان ومجامع أوصاف القلب ، وحال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدنيوية والأخروية ؛ حيث يرى أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات ، ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم إلى عقلية وشرعية ، كما تنقسم العلوم العقلية إلى ضرورية ومكتسبة ، وتنقسم المكتسبة إلى دنيوية وأخروية ، وتأخذ العلوم الدينية عن طريق التقليد والمحاكاة من الأنبياء صلوات الله عليهم .

ثم يبين الفرق بين الإلهام والتعلم ، والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار ، وشواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد ، ويبين كذلك تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ، ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها ، فيشير إلى أن الغضب والشهوة هما المدخل لتسلط الشيطان بواسطة الهوى .

ويختتم هذا الكتاب ببيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها ومقاصدها ، وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به ، واختلاف العلماء في أن الوسواس هل ينقطع كلية

مع ذكر اللّه أم لا ؟ ، ثم بيان سرعة تقلب القلب ، وانقسام القلوب في التغير والثبات .

وقد تضمن هذا الكتاب إشارة إلى عدد من المفاهيم النفسية ؛ هي : الإحساس Sensation (ص ٤ - ١٤) والإدراك الحسي Perception (ص ٤ - ١٤) والانفعال Emotion (ص ٤ - ١٤) وبخاصة الدوافع البيولوجية (ص ٢٥ - ٣٧) ، ومفهوم الحافز Incentive (ص ٤ - ١٤) ، والذكاء Intelligence (ص ٤ - ١٤) ، والقدرة Ability (ص ٤ - ١٤) ، والتخيل Imagination (ص ٤ - ١٤) ، والتعلم Learning (ص ١٥ - ١٨) ، والتقليد Imitation (ص ١٦) ، والغريزة أو الفطرة Innate (ص ١٥ ، ١٦) ، والوسواس Obsession (ص ٢٥ - ٣٩ ، ص ٤٢ - ٤٤) .

٢ - كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب :

يتناول بيان حقيقة حسن الخلق وفضيلته ، ومذمة سوء الخلق ، وأن هناك أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق ؛ وهي : قوة العلم ، وقوة الغضب ، وقوة الشهوة ، وقوة العدل .

ويمكن للأخلاق أن تتغير برياضة النفس .

كما يتناول بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ؛ فحسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة ، واعتدال قوة الغضب والشهوة ، ويحصل هذا الاعتدال على وجهين : أحدهما : بجود إلهي وكمال فطري ، والثاني : اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة ، كما أن اعتدال الأخلاق هو صحة النفس ، ويكون علاج النفس بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها ، وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة ، ويتناول أيضًا بيان علامات أمراض القلوب ، وعلامات عودها إلى الصحة ، والطريق الذي يعرف به الإنسان عيوب نفسه ، والشواهد العقلية والنقلية على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب هو ترك الشهوات ، ثم علامات حسن الخلق ؛ ومنها : الحياء ، وصدق اللسان ، وكثرة الصلاح والعمل ، وقلة أذى الغير ، والبر ، والوقار ، والصبر ، والشكر ، والرضا ، والحلم ، والرفق ، والعفة وعدم الغيبة والنميمة والحقد والبخل والحسد ، وحسن الإنصاف ، والتماس المعذرة ، واحتمال الأذى .

وينتقل الغزالي بعد ذلك إلى بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشأتهم ، ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم ، فيجب على الوالد أن يؤدب ولده ويهذبه ويعلمه محاسن

الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ، ولا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة ، وينبغي أن يحسن مراقبته ، ويسمح له باللعب الجميل ؛ لأن إرهاق الطفل في التعلم دائمًا يميت قلبه ويبطل ذكاءه ، وأن يعلمه الطاعة ، وألا يسامحه في ترك الطهارة والصلاة ، ويخوفه من السرقة والكذب ، ويختتم هذا الكتاب ببيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة ، وتدريج المريد في سلوك سبيل رياضة النفس ومجاهدتها .

تضمن هذا الكتاب إشارة لبعض المفاهيم النفسية ؛ وهي : مفهوم الأخلاق Morality (ص ٤٨ - ٧١) ، والدوافع Motives (ص ٥٢ - ٦٥) ، والانفعالات Emotions (ص ٥٢ - ٦٠) ، وتعديل السلوك Behavior Modification (ص ٥٤ - ٥٦) ، والتعلم Learning (ص ٥٦ - ٥٩) ، ومفهوم السواء Normality (ص ٥٩) ، وصورة الذات Self-Image (ص ٦٢) ، كما يتحدث عن تأديب الصبيان ، وتحسين أخلاقهم بموضوع التنشئة الاجتماعية Socialization في إطار علم النفس الاجتماعي (ص ٦٩ - ٧٢) .

٣ - كتاب كسر الشهوتين :

يدور هذا الكتاب حول شهوتي البطن والفرج ، فيتناول بيان فضيلة الجوع وذم الشبع ، وآفاته ، وطريق الرياضة في كسر شهوة البطن ، وآفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات وقلل الطعام ؛ لأنه يعتبر شركًا خفيًا ، ثم يتناول بيان القول في شهوة الفرج ، فيذكر فائدتين لها ؛ وهما : أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة ، وبقاء النسل ، ثم يذكر آفاتها ومنها : قهر العقل والدين في الإفراط فيها ، وذلك مذموم ، وفي التفريط فيها بالعنة أو بالضعف ، وهو مذموم أيضًا ، وأما المحمود هو الاعتدال فيها ، وأن تكون للعقل والشرع .

ويختتم هذا الكتاب ببيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين ، فالثواب الجزيل في ترك الزنى خوفًا من اللّه تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحديث عن شهوتي الفرج والبطن يتصل بموضوع الدوافع Motives (ص ٧٧ - ١٠٣) وبخاصة الدوافع الأولية أو البيولوجية ، ويتناول الحديث هنا الدافع الجنسي ، ودافع الجوع .

٤ - كتاب آفات اللسان :

يتناول الإمام الغزالي هنا بيان خطر اللسان وفضيلة الصمت ؛ حيث يذكر عشرين آفة من آفات اللسان ؛ ومنها : الكلام فيما لا يعني الإنسان ، وفضول الكلام ، والخوض في الباطل ، والمراء ، والجدال والتقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع ، ومنها أيضًا الفحش والسب ، وبذاءة اللسان ، واللعن والغناء ، والشعر ، والمزاح ، والسخرية ، وإفشاء السر ، والوعد الكاذب ، والغيبة ، والنميمة ، والمدح في بعض المواضع .

ويمكن أن يتصل هذا الحديث عن آفات اللسان بموضوع سيكولوجية العلاقات الشخصية المتبادلة Interpersonal Relationships (ص ١٣٨ - ١٥٨) وموضوع الأخلاق Morality في إطار علم النفس الاجتماعي (ص ١٣٨ - ١٥٨) .

٥ - كتاب ذم الغضب والحقد والحسد :

ويتناول بيان الغضب وحقيقته ، وهل يمكن إزالة أصله برياضة النفس أم لا ؟ وبيان الأسباب المهيجة للغضب وكيفية علاجه ، ثم بيان فضيلة كظم الغيظ والحلم ، والقدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام .

ويتناول هذا الكتاب أيضًا بيان معنى الحقد ونتائجه ، وفضيلة العفو والرفق والإحسان ، فيشير إلى أن الحقد ثمرة الغضب ، وأنه يؤدي إلى الحسد ، ثم بيان ذم الحسد وحقيقته وحكمه وأقسامه ومراتبه وأسبابه ؛ ومنها : العداوة ، والتعزز ، والكبر ، والتعجب ، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة ، وحب الرياسة ، وخبث النفس ، ثم يتناول بعد هذا ، السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران ، والإخوة ، والأقارب ، وتأكده وقلته في غيرهم ، والدواء الذي ينفي الحسد عن القلب وهو معرفة الضرر الذي يلحق بالحاسد في الدنيا والدين ، وأن يكلف الإنسان نفسه بنقيض كل ما يتقاضاه الحسد من قولٍ أو فعل وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحديث عن الغضب وحقيقته يتصل بموضوع الانفعالات Emotions وبخاصة انفعال الغضب ، وذلك في إطار علم النفس العام (ص ١٦٠ - ١٧٧) ، كما أن الأسلوب الذي استخدمه الغزالي في علاج الغضب والحقد والحسد قد سبق به المعالجين النفسيين السلوكيين المحدثين .

٦ - كتاب ذم الدنيا :

يدور هذا الكتاب حول بيان ذم الدنيا ، والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الواردة

في هذا الشأن ، ثم بيان صفة الدنيا وحقيقتها وماهيتها في حق العبد وفي نفسها ، وأشغالها التي استغرقت همم الخلَق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم .

٧ - كتاب ذم البخل وذم حب المال :

ويتناول بيان ذم المال وكراهة حبه ؛ لأنه ينبت النفاق في القلب ، مشيرًا إلى أن المال قد يكون خيرًا كما سماه اللَّه في بعض المواقع في كتابه العزيز ؛ وذلك لما للصدقة والحج من الثواب ؛ إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به ، ثم يبين تفاصيل آفات المال وفوائده ، **فأما فوائده فتنقسم إلى :**

١ - دنيوية : وهي معروفة ومشتركة بين أصناف الخلَق .

٢ - دينية : كالإنفاق منه في العبادة أو الاستعانة عليها ، أو فيما يصرفه إلى الناس ، كالصدقة وفي الخير العام كبناء المساجد .

وأما آفاته فمنها :

أنه يجر إلى المعاصي غالبًا ، ويلهي عن ذكر اللَّه .

ثم يتناول بيان ذم الحرص والطمع ، ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس ؛ حيث يجر الحرص والطمع إلى مساوئ الأخلاق ، وارتكاب المنكرات ، وأن غنى النفس وهناء العيش في القناعة ، ويبين أيضًا علاج الحرص والطمع ، والدواء الذي تُكتسب به صفة القناعة ، وذلك من خلال ثلاثة أمور ؛ هي : الصبر ، والعلم ، والعمل ، ويتناول بيان فضيلة السخاء عند وجود المال ؛ لأنه من أخلاق الأنبياء وأصل من أصول النجاة ، ويروي مجموعة من حكايات الأسخياء ، ثم بيان ذم البخل ؛ لأنه من المهلكات كما ورد ذلك في القرآن والسنة ، ويسوق عددًا من حكايات البخلاء ، مشيرًا إلى أن الإيثار وهو الجود بالمال مع الحاجة إليه يمثل أرفع درجات السخاء .

وينتقل الإمام الغزالي بعد ذلك إلى بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما ، وكيفية علاج البخل من خلال علاج أسباب حب المال ، ومثال ذلك أن يعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير والصبر ، ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت .

ويختتم هذا الكتاب ببيان الوظائف التي على العبد في ماله ؛ ومنها : معرفة مقصود المال ، ومراعاة جهة دخل المال وجهة مخرجه ، ثم بيان ذم الغنى ومدح الفقر .

ونلاحظ مما سبق أن الأسلوب الذي يتبعه الغزالي في علاج الحرص والطمع يقترب

من أساليب المعالجين النفسيين السلوكيين المحدثين في التخلص من العادات السيئة ، وهو بذلك قد سبقهم في استخدام هذه الأساليب .

٨ - كتاب ذم الجاه والرياء :

يتناول هذا الكتاب بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت وهما أصل الجاه ، وفضيلة الخمول وذم حب الجاه ، وبيان معنى الجاه وحقيقته ، فيشير إلى أن الجاه يعني قيام المنزلة في قلوب الناس ، أي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت الكمال فيه ، ثم بيان سبب كون الجاه محبوبًا بالطبع ، حتى لا يخلو عنه قلب بشديد المجاهدة ، ويتناول ما يحمد وما يذم في حب الجاه ؛ إذ لا بد للإنسان من جاهٍ لضرورة المعيشة مع الخلق ، وسلطان يحرسه ورفيق يعينه ، وحب ذلك ليس بمذموم .

أما طلب المنزلة في قلوب الناس باعتقادهم صفة غير موجودة فيه ؛ كالعلم ، والورع ، والنسب فذلك محظور .

ويبين الغزالي هنا أيضًا السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع إليه ، وبغضها للذم ونفرتها منه ، ومن ذلك شعور النفس بالكمال .

كما يقدم وصفًا لكيفية علاج حب الجاه من خلال العلم والعمل ، وعلاج حب المدح وكراهة الذم من خلال معرفة أسبابهما .

ثم ينتقل المؤلف إلى بيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم ، فمنهم من يفرح بالمدح ومنهم من يكرهه ، وبيان ذم الرياء ، فيشير إلى أن الرياء حرام ، وأن المرائي ممقوت عند اللَّه تعالى ، مستشهدًا على ذلك من القرآن والسنة ، ويبين حقيقة الرياء وما يراءى به ، فيذكر أن الرياء هو طلب المنزلة في القلوب بالعبادات وإظهارها ، وأن المراءى به كثير ومنه : البدن ، والزي ، والقول والعمل ، والأتباع ، كما أن هناك درجات متابينة في الرياء باختلاف أركانه الثلاثة ؛ وهي : المراءى به ، والمراءى لأجله ، ونفس قصد الرياء .

ويقسم الرياء إلى رياء خفي وآخر جلي ، ويبين ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط ، ودواء الرياء وطريق معالجة القلب منه باستئصال أصوله ، ودفع ما يخطر منه في الحال ، ويرى الغزالي هنا أن في الإسرار للأعمال فائدة الإخلاص والنجاة من الرياء ، وفي الإظهار فائدة الاقتداء ، وترغيب الناس في الخير ، ولكن فيه آفة الرياء ، فالسر أحرز

العلمين ، ولكن في الإظهار أيضًا فائدة ؛ ولذلك أثنى اللَّه تعالى على السر والعلانية .

كما يتناول هذا الكتاب أيضًا الرخص في كتمان الذنوب ، وكراهة اطلاع الناس عليها ، وبيان أن من ترك العمل والطاعات خوفًا من الرياء ودخول الآفات ، يعد موافقًا لمكايد الشيطان ، وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح ، ويختتم هذا الكتاب بذكر ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه به قبل العمل وبعده وفي أثنائه ، وهو القناعة بعلم اللَّه في جميع طاعاته .

تضمن هذا الحديث عن الجاه والرياء إشارة لبعض المفاهيم النفسية هي مفهوم الذات Self-concept أو صورة الذات Self-Image (ص ٢٧٩ - ٢٨٥) عند الحديث عن ارتياح النفس للمدح والثناء وشعورها بالكمال ، وكذلك مفهوم الاقتداء Modeling (ص ٣٠٨ - ٣١٠) والأخلاق Morality (ص ٢٨٦ - ٣٠٧ ، ص ٣١٣ - ٣٢٠) وذلك في إطار علم النفس الاجتماعي . كما أنه مما يجدر الإشارة إليه هو الأسلوب الذي اتبعه الغزالي في علاج الرياء وهو يقرب من أساليب المعالجين النفسيين السلوكيين المحدثين .

٩ - كتاب ذم الكبر والعجب :

ويتناول بيان ذم الكبر والاختيال وإظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب ، مستشهدًا بالآيات القرآنية والأحاديث الواردة في ذم الكبر والمتكبر ، وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة .

ثم يبين فضيلة التواضع وثوابه عند اللَّه تعالى ، وحقيقة الكبر وآفته ، وأن من شر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم ، وقبول الحق ، والانقياد له ، وقد يكون المتكبر عليه هو اللَّه تعالى وذلك أفحش أنواع الكبر ، أو رسله أو سائر خلقه .

وأما ما يتكبر به فقد يكون لسبب ديني : وهو العلم والعمل ، أو لسبب دنيوي : وهو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار .

وفيما يتعلق ببواعث الكبر والتكبر فهي ثلاثة :

١ - العجب : ويتعلق بالمتكبر .

٢ - الحقد والحسد : وذلك للمتكبر عليه .

٣ - الرياء : ويتعلق بغيرهما .

ثم يتناول أخلاق المتواضعين ، وما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر من الأقوال والأفعال ، ويبين الطريق في معالجة الكبر ، واكتساب التواضع باستئصال أصله وقطع

شجرته ؛ وذلك بأن يعرف الإنسان نفسه وربه ، ويتواضع للَّه وللخلق ، ثم يدفع العارض من الكبر بالأسباب الخاصة التي يها يتكبر الإنسان على غيره ، مشيرًا إلى أن خلق التواضع كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة ، فطرفه الذي يمثل إلى الزيادة يسمى تكبرًا ، وطرفه الذي يمثل إلى النقصان يسمى تخاسسًا ومذلة ، ويسمى الوسط تواضعًا ، والمحمود هو التواضع من غير مذلة ومن غير تخاسس .

وينتقل الإمام الغزالي بعد هذا إلى بيان ذم العجب ، فيعرف العجب بأنه : إعجاب المرء بنفسه ، ويذكر آفاته ومنها أنه يدعو إلى الكبر ونسيان الذنوب ، كما يبين السبيل لعلاجه ، ثم يقسم ما به العجب إلى ثمانية أقسام ؛ هي : العجب بالبدن ، والقوة ، والعقل ، والنسب ، والعجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم ، والعجب بكثرة العدد من الأولاد والخدم والغلمان والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع ، والعجب بالمال ، ثم العجب بالرأي الخطأ ، وهو من أصعب أنواع العجب علاجًا .

يتصل هذا الحديث عن الكبر والعجب بموضوع سيكولوجية الأخلاق Morality (ص ٣٢٧ - ٣٦٧) ، والعلاج النفسي السلوكي لهذه الآفات الخلقية (ص ٣٢٧ - ٣٦٧) .

١٠ - كتاب ذم الغرور :

يدور هذا الكتاب الأخير من ربع المهلكات حول بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته ، وأن اللَّه تعالى قد ذمه في كتابه العزيز ، فيعرف الغرور بأنه : سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ، ويميل إليه الطبع ، عن شبهة وخدعة من الشيطان ، فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور .

ويختلف الناس في أصناف ودرجات غرورهم ، وأشد هذه الأصناف وأظهرها : غرور الكفار وغرور العصاة والفساق .

كما أن هناك أربعة أصناف للمغترين ؛ هي :

١ - أهل العلم .

٢ - أرباب العبادة والعمل .

٣ - المتصوفة .

٤ - الأغنياء .

ويندرج تحت كل صنف من الأصناف الأربعة فرق متعددة ، ويختتم هذا الكتاب بالإشارة إلى أنه يمكن التخلص من الغرور بثلاثة أشياء لا بد منها جميعًا ؛ هي : العقل ، والعلم بكيفية سلوك الطريق إلى الله ، ومعرفة الإنسان بنفسه وربه وبالدنيا والآخرة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحديث عن الغرور يمكن أن يتصل بموضوع سيكولوجية الشخصية Personality (ص ٣٦٨ - ٤٠٢) ، وأن علاج الغرور يدخل في إطار العلاج النفسي السلوكي (ص ٣٦٨ - ٤٠٢) .

الجزء الرابع : المنجيات :

يتضمن هذا الجزء الأخير من إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي عشرة كتب نعرض لها على النحو التالي :

١ - كتاب التوبة :

ويتناول بيان حقيقة التوبة ، وهي أنها عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور ؛ هي :

١ - العلم : وهو معرفة عظم ضرر الذنوب .

٢ - الحال : وهو الندم .

٣ - الفعل : وهو العزم على ترك الذنوب الحالية والمستقبلة .

ويبين وجوب التوبة وفضلها مستشهدًا بالأخبار والآيات ، وأنها واجبة على الفور ، وعلى كل الأشخاص وفي كل الأحوال . كما أن لها شروطًا إذا اجتمعت فإنها مقبولة لا محالة .

ثم يقسم صفات الذنوب إلى أربع صفات ؛ هي :

١ - صفات ربوبية : كالكبر والفخر وحب المدح والثناء ، وهي مهلكة .

٢ - صفات شيطانية : كالحسد والبغي والخداع والنفاق .

٣ - صفات بهيمية : كالحرص على قضاء شهوتي البطن والفرج ، فينتج من ذلك الزنى والسرقة .

٤ - صفات سبعية : وهي الغضب والحقد والقتل وأخذ أموال الناس .

وتنقسم الذنوب إلى ما بين العبد وبين الله ، وإلى ما يتعلق بحقوق العباد ، فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم ، وما يتعلق بحقوق العباد كترك الزكاة والقتل وغصب الأموال وشتم الناس .

كذلك تنقسم الذنوب إلى صغائر وكبائر ، فأما الكبائر : فهناك اختلاف في ما يتعلق بعددها ، ولكن منها الشرك بالله ، والسحر ، والقتل ، وأكل الربا ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور ، وأما أصغر الصغائر من الذنوب فلا سبيل لمعرفته .

ويوضح الغزالي بعد ذلك كيفية توزيع الدرجات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا ، فيذكر أن الناس يتفاوتون في الآخرة كما تفاوتوا في الدنيا ، وينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام : هالكين ، ومعذبين ، وناجين ، وفائزين .

ويتفاوت كل قسم من هذه الأقسام في النعيم والتعذيب بحسب أحوال الناس في كل قسم منها .

ثم يبين ما تعظم به الصغائر من الذنوب ؛ حيث تكبر الصغيرة بأسباب الإصرار والمواظبة على فعلها ، واستصغار الذنوب ، والفرح بالصغيرة والتمدح بها ، والتهاون بستر الله تعالى وحلمه عنه وإمهاله إياه ، والجهر بالذنب ، وأن يكون المذنب عالمًا يقتدى به فإذا علم منه الذنب كبر ذنبه .

كما يتناول هذا الكتاب تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر ، ومن ذلك العزم على عدم العودة مستقبلًا إلى تلك الذنوب وأمثالها ، ويقسم العباد في دوام التوبة إلى أربع طبقات ؛ هي :

١ - تائب يستقيم على التوبة إلى آخر عمره ، وهي التوبة النصوح ، وتصبح نفسه مطمئنة .

٢ - تائب قد سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وكبائر الفواحش ، إلا أنه لاينفك عن ذنوب تعتريه بغير عمدٍ ويلوم نفسه عليها ، وهي النفس اللوامة .

٣ - أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ، ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب ويندم .

٤ - أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة ، ثم يعود إلى الذنوب منهمكًا من غير أن يحدث نفسه بالتوبة وهي النفس الأمارة بالسوء .

وفي نهاية هذا الكتاب يشير الغزالي إلى أنه ينبغي للتائب أن يأتي بحسنات تضاد ما عمل من السيئات لتمحوها وتكفرها ، والحسنات المكفرة تكون بالقلب ، واللسان ، والجوارح ، ثم يوضح دواء التوبة وطريق علاج حل عقدة الإصرار ، وذلك من خلال العلم والصبر .

تجدر الإشارة إلى أن هذا الحديث عن التوبة يتصل بمفهوم الشعور بالذنب Guilt (ص ٢ - ٥٩) ، كما يتضمن إشارة لمفهوم تأنيب الذات أو لوم الذات Self-Blame (ص ٤٣ - ٤٤) .

٢ - كتاب الصبر والشكر :

يتناول بيان فضيلة الصبر وحقيقته ومعناه ؛ حيث يعرف الصبر بأنه : عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابل باعث الشهوة ، وهو من خاصية الإنسان ، ويمثل نصف الإيمان .

وينقسم الصبر إلى ضربين : أحدهما : بدني كتحمل المشاق بالبدن ، والثاني : نفسي وهو صبر عن مشتهيات الطبع والهوى .

والعبد لا يستغني عن الصبر في حال من الأحوال ؛ لأن جميع ما يلقى العبد في الدنيا لا يخلو من نوعين :

الأول : ما يوافق هواه من الصحة ، والسلامة ، والمال ، والجاه ، والاتباع وغير ذلك ، والعبد محتاج للصبر في جميع هذه الأمور .

الثاني : المخالف للهوى وهو ثلاثة أقسام :

أ - الطاعات : كالصلاة والزكاة والحج وهي تحتاج للصبر في أدائها .

ب - الصبر عن المعاصي .

جـ - ما لا يدخل تحت الاختيار : كالمصائب ومنها موت الأحبة ، وهلاك الأموال ، والصبر في هذا النوع من أعلى المقامات .

كما يتناول دواء الصبر والاستعانة عليه بالعلم ، والعمل ، ومجاهدة النفس ، وهنا يشير الغزالي إلى أن أشد أنواع الصبر والمجاهدة هو كف البطن من حديث النفس ؛ لأن الوساوس لا تزال تجاذبه .

وبعد ذلك ، ينتقل إلى الحديث عن الشكر وفضيلته وحقيقته ، فيشير إلى أن اللّٰه تعالى قد قرن الشكر بالذكر في كتابه العزيز ، وأنه يعد من جملة مقامات السالكين ، وينتظم من علم ، وحال وعمل ، فأما العلم : فهو معرفة النعمة من المنعم ، والحال : هو الفرح الحاصل بإنعامه ، وأما العمل بما هو مقصود المنعم ومحبوبه : وهو متعلق بالقلب واللسان والجوارح .

ثم يبين تمييز ما يحبه اللّٰه تعالى عما يكرهه ؛ لأن فعل الشكر وترك الكفر لا يتم إلا

بمعرفة ما يحبه اللّٰه تعالى ، ويتم تمييز ما يحبه اللّٰه عما يكرهه من خلال أمرين : أحدهما : السمع ومستنده الآيات والأخبار ، والثاني : هو بصير القلب ، أي النظر بعين الاعتبار .

كما يوضح حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ، فيذكر أن كل خير ولذة وسعادة ، بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة ، ولكن النعمة الحقيقية هي السعادة الآخروية وهي النعمة الحقيقية ، وأما الوسائل فهي أربع :

١ - فضائل النفس كالإيمان وحسن الخلق .

٢ - فضائل البدن كالقوة والصحة .

٣ - النعم المطيفة بالبدن من المال والجاه والأهل .

٤ - الهداية والإرشاد والتسديد والتأييد .

كما يبين كثرة نعم اللّٰه تعالى وتسللها وخروجها عن الحصر والإحصاء ، وهنا يعطي مثالًا لصحة البدن كنعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة فمن أسبابها المتعددة : الأكل ، ومن الأسباب التي تتم بها نعمة الأكل : خلق أسباب الإدراك وهي الحواس الخمس ، وخلق الإرادات والقدرة وآلات الحركة ، وخلق أصول الأطعمة ، والأسباب الموصلة للأطعمة إلى الإنسان ، وإصلاحها وطبخها حتى تكون صالحة للأكل ، إلى غير ذلك من الأمور التي لا تحصى ، وليس ذلك إلا قطرة من بحرٍ واحد من نعم اللّٰه تعالى .

وينتقل الغزالي بعد ذلك إلى بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر وهو الجهل والغفلة ، وبيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد ، هو البلاء غير المطلق في الدنيا ، أي الذي قد يكون متضمنًا نعمة من وجه معين ؛ ولذا فهو يقتضي من الإنسان صبرًا عليه ، وشكرًا للّٰه في نفس الوقت ، ويختتم هذا الكتاب ببيان فضل النعمة على البلاء ، وبيان الأفضل من الصبر والشكر ، وينتهي إلى أن لكلٍّ من الصبر والشكر درجات .

ويتضمن هذا الحديث عن الصبر وأنواعه إشارة لمفهوم الوسواس Obsession (ص ٧٣ - ٧٧) ، ومفهوم الإحساس Sensation (ص ١٠٧ ، ١٠٨) ، والإدراك الحسي Perception (ص ١٠٧ ، ١٠٨) ، وكذلك مفهوم الدوافع Motives وبخاصة الدوافع الأولية عند الحديث عن الحاجة إلى الطعام ودافع الجوع (ص ١٠٨ ، ١٠٩) .

٣ - كتاب الخوف والرجاء :

يدور هذا الكتاب حول بيان حقيقة الرجاء وفضيلته والترغيب فيه ، فيعرف الرجاء

بأنه : ارتياح لانتظار ما هو محبوب عنده ، وهو من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين ، وهو محمود لأنه باعث على العمل ، وهنا يسوق الأدلة من الأخبار التي تبين فضيلته ، ثم يتناول دواء الرجاء والسبب الذي يحصل به ، ويتمثل في طريقين : أحدهما : الاعتبار وهو تأمل نعم اللّه تعالى التي لا تحصى ، والثاني : هو الأخبار والآيات التي تجتلب بها روح الرجاء إلى قلوب الخائفين واليائسين .

وينتقل الغزالي بعد هذا إلى الحديث عن الخوف وحقيقته ودرجاته وأقسامه ، فيعرف الخوف بأنه : تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال ، وهو سوط اللّه يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم ، والعمل ؛ لينالوا بهما رتبة القرب منه ، ويذكر أن الخوف له قصور ، وإفراط ، واعتدال ، والمحمود منه هو درجة الاعتدال والوسط .

ويقوم الخوف بوظيفة أساسية هي : كف الجوارح عن المعاصي وقيدها بالطاعات ، وإذا جاوز الخوف حده وأدى إلى إزالة العقل والصحة ، فهو مرض يحتاج لعلاج .

كما أن مقامات الخائفين تختلف ، فمنهم من يغلب على قلبه خوف الموت قبل التوبة ، ومنهم من يغلب عليه خوف الاستدراج بالنعم ، أو خوف الميل عن الاستقامة ، أو خوف سوء الخاتمة .

كما أن من أقسام الخائفين من يخاف سكرات الموت وشدته وسؤال منكر ونكير ، أو عذاب القبر ، ومنهم من يخاف هيبة الوقوف بين يدي اللّه تعالى ، والعبور على الصراط ، والخوف من النار ، أو حرمان الجنة ، أو الحجاب عن اللّه ﷻ ، وهو أعلى هذه الأقسام رتبةً ، ويشير الغزالي هنا إلى أن معرفة فضل الخوف تتم من خلال التأمل والاعتبار ، أو بالآيات والأخبار .

كما أن الخوف أصلح لأكثر الخلق من الرجاء ، وذلك لأجل غلبة المعاصي ، وبالنسبة للتقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه ، فالأصلح له أن يعتدل خوفه ورجاؤه .

ويستجلب الخوف إما بمعرفة الضرر أو بالتقليد ، وينقسم الخوف من اللّه تعالى إلى مقامين أحدهما : الخوف من عذابه ، وهو خوف عامة الخلق ، والثاني : الخوف منه ، وهو خوف العلماء العارفين ، ويختتم هذا الكتاب ببيان معنى سوء الخاتمة ، وأحوال الأنبياء والملائكة صلوات اللّه عليهم في الخوف ، وكذلك أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين في شدة الخوف .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الحديث عن الخوف ودرجاته وأنواعه يتصل بموضوع

الانفعالات Emotions وبخاصة انفعال الخوف ، وذلك في إطار علم النفس العام (ص ١٥٢ - ١٨٥) .

٤ - كتاب الفقر والزهد :

يتناول هذا الكتاب بيان حقيقة الفقر ، واختلاف أحوال الفقر وأساميه ، فيعرف الفقر بأنه : فقد ما هو محتاج إليه ، ويذكر أن هناك خمسة أحوال للإنسان بالنسبة للمال ، فهناك الزاهد فيه ، والراضي ، والحريص عليه ، والقانع ، والمضطر .

ثم يتناول بيان فضيلة الفقر مطلقًا ، وفضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين ، وبيان فضيلة الفقر على الغنى واختلاف الناس في ذلك ، وآداب الفقير في فقره ، ومن ذلك : الرضا بفعل اللّٰه تعالى في ذلك ، والرضا بالفقر والفرح به ، وإظهار التعفف والتجمل ، وبيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال ؛ حيث يجب عليه أن يراعي نفس المال فيجب أن يكون حلالًا ، وأن يراعي غرض المعطي فإذا كان هدية أو صدقة قبله ، وكذلك غرضه في الأخذ فإذا كان محتاجًا إليه وسلم من الشبهة أخذه .

وينتقل بعد ذلك إلى بيان تحريم السؤال من غير ضرورة ، وآداب الفقير المضطر فيه ، ومقدار الغنى المحرم للسؤال ، وأحوال السائلين ، وبيان حقيقة الزهد ، وأنه مقام شريف في الدنيا من مقامات السالكين ، وينتظم من علم ، وحال ، وعمل كسائر المقامات ، وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه .

ثم يتناول بيان فضيلة الزهد ، ويسوق الآيات والأخبار والآثار الواردة في هذا ، ودرجات الزهد وأقسامه ، ويفصل القول في الزهد فيما هو من ضروريات الحياة ؛ مثل : المطعم والملبس والمسكن وأثاثه والمنكح والمال والجاه .

ويختتم هذا الكتاب ببيان علامات الزهد ومنها : استواء الغنى والفقر ، والعز والذل ، والمدح والذم ، وذلك لغلبة الأنس باللّٰه تعالى .

تضمن هذا الكتاب إشارة لمفهوم الدوافع Motives وبخاصة الدوافع الأولية أو البيولوجية والسيطرة عليها ، وقد اقتصر الحديث هنا على الدافع الجنسي ، ودافع الجوع ، وذلك عند الحديث عن المطعم والمنكح (ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤) .

٥ - كتاب التوحيد والتوكل :

يتناول هذا الكتاب بيان فضيلة التوكل مستشهدًا بالآيات والأخبار والآثار ، وبيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل ، فالتوحيد طبقات ؛ منها : قول « لا إله إلا اللَّه » وتصديق القلب بالوحدانية ، ورؤية الأشياء المختلفة على أنها صادرة عن الواحد ، وأنه لا فاعل سوى اللَّه ، فمنه الخوف ، وله الرجاء ، وبه الثقة ، وعليه التوكل .

ثم يتناول بيان أحوال التوكل وأعماله ، فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الموكل ، ولا يتم إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعًا ، وأما أعمال المتوكلين فتنقسم إلى أربعة :

١ - جلب النافع كالكسب .

٢ - حفظ موجود كالادخار .

٣ - مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف ؛ كالنوم في مجاري السيل ، أي دفع ضرر لم ينزل بعد .

٤ - السعي في إزالة ضرر قد نزل بالفعل كعلاج المرض .

ويختتم هذا الكتاب ببيان أن ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحوال ، ويدل على قوة التوكل وأن ذلك لا يناقض فعل رسول اللَّه ﷺ ، ثم بيان الرد على من قال : ترك التداوي أفضل بكل حال ؛ لأن ذلك ليس من شرط التوكل ، وبيان أحوال المتوكلين في إظهار المرض وكتمانه .

٦ - كتاب المحبة (الشوق والأنس والرضا) :

يتناول هذا الكتاب عددًا من المفاهيم المرتبطة فيما بينها ؛ وهي : المحبة ، والشوق ، والأنس ، والرضا . فيبين شواهد الشرع في حب العبد للَّه تعالى ، وإجماع الأمة على أن حب اللَّه تعالى ورسوله ﷺ فرض ، ثم يبين حقيقة المحبة وأسبابها ، وتحقيق معنى محبة العبد للَّه ، مشيرًا إلى أن المحبة لا تتم إلا بعد معرفة وإدراك المحبوب ، وكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك ؛ إذ إن معنى الحب هو ميل الطبع إلى الشيء الملذ . ومن أسبابه : الإحسان للشخص نفسه أو الناس ، والجمال في ذاته ، والمناسبة بين المحب والمحبوب .

ويتناول أيضًا بيان أن المستحق للمحبة هو اللَّه وحده ؛ لأن أسباب الحب لا تجتمع في جملتها إلا في حق اللَّه ، ولا يوجد في غيره إلا آحادها ، وبيان أن حب

رسول الله ﷺ محمود ؛ لأنه عين حب الله تعالى ، وكذلك حب العلماء والأتقياء ؛ لأن محبوب المحبوب محبوب ، وبيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله ، والنظر إلى وجهه الكريم . ثم بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا ، والأسباب المقوية لحب الله ؛ ومنها : قطع علائق الدنيا ، وإخراج حب غير الله من القلب ، وقوة معرفة الله واتساعها واستيلاؤها على القلب بعد تطهيره من العلائق ، وبيان السبب في تفاوت الناس في الحب ، وهو تفاوتهم في المعرفة وحب الدنيا ، وكذلك السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه ، وبيان معنى الشوق إلى الله ، ومعنى محبة الله للعبد وشواهدها ، وعلامات محبة العبد لله والتي هي نفسها علامات حب الله للعبد ؛ ومنها : حب لقاء الله في الجنة ، وإيثار ما يحبه الله ، وعدم معصيته ، وحب ذكره ، وحب القرآن ، وحب رسوله ﷺ .

وينتقل الغزالي بعد ذلك إلى بيان معنى الأنس بالله تعالى ، فيشير إلى أن الأنس ، والخوف والشوق من آثار المحبة ، وأن الأنس معناه : استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال . وبيان معنى الانبساط والإدلال الذي تثمره غلبة الأنس ، ومعنى الرضا بقضاء الله وحقيقته وفضيلته فالرضا ثمرة من ثمرات المحبة وهو من أعلى مقامات المقربين ، وقد ورد في الآيات والأخبار والآثار ما يدل على فضيلته ، كما أن الدعاء لا يناقض الرضا ، وأن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا ؛ لأنه ليس فرارًا من القضاء ، بل من القضاء الفرار مما لا بد الفرار منه . ويختتم هذا الكتاب بعرض جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم ثم مجموعة من الأقوال المتفرقة المتعلقة بالمحبة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الحديث عن المحبة والمعاني المرتبطة به يتعلق بموضوع الانفعالات Emotions وبخاصة انفعال الحب والفرح والخوف (ص ٢٨٦ - ٣٥٠) . كما يتضمن إشارة لمفهوم الانبساط Extraversion (ص ٣٣١ - ٣٣٣) والأخلاق Morality (ص ٢٩١ - ٢٩٢) ، والغريزة Instinct (ص ٢٩٩ - ٣٠٣) ، والخيال Imagination (ص ٣٠٣ - ٣٠٥) ، وكذلك مفهوم الرضا Satisfaction (ص ٣٣٣ - ٣٤٤) .

٧ - كتاب النية والإخلاص والصدق :

يتناول هذا الكتاب بيان فضيلة النية وحقيقتها من خلال الآيات والأخبار والآثار ، فالنية هي عماد الأعمال ، وهي حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران ؛ هما : العلم والعمل . كما يتناول بيان سر قوله ﷺ : « **نية المؤمن خير من عمله** » ، وهو أن النية عبارة عن ميل القلب

إلى الخير وإرادته له ، ثم بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالنية وهي ثلاثة أقسام : الطاعات ، والمعاصي ، والمباحات ، مشيرًا إلى أنه ليس المقصود بالنية أن يقول المرء : « نويت كذا » ولكن النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها إلى ما ظهر لها أن فيه غرضها ، إما عاجلًا وإما آجلًا ، وهذا الميل إذا لم يكن ، فلا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة .

ونيات الناس في الطاعات أقسام ؛ إذ منهم من يكون عمله إجابةً لباعث الخوف واتقاءً للنار ، ومنهم من يعمل إجابة لباعث الرجاء رغبة في الجنة .

ثم ينتقل الغزالي بعد ذلك إلى الحديث عن الإخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته . ويختتم هذا الكتاب ببيان فضيلة الصدق وحقيقته ومعناه ومراتبه ، ومنها الصدق في القول ، والنية ، والإرادة والعزم ، والوفاء به ، والصدق في الأعمال ، والصدق في مقامات الدين ويمثل أعلى الدرجات ، ومثاله الصدق في الخوف ، والرجاء ، والزهد ، والرضا ، والحب ، والتوكل .

وفيما يتعلق بالمفاهيم النفسية المتضمنة في هذا الكتاب ، يمكن القول أن هذا الحديث عن الإخلاص ، والصدق يتصل بموضوع القيم Values (ص ٣٦٤ - ٣٨٠) ، كما أنه يتضمن إشارة لمفهوم الحافز Incentive وهو من المفاهيم المرتبطة بموضوع الدوافع Motives (ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ص ٣٦٣) ، وكذلك مفهوم الميل Tendency وهو أيضًا من المفاهيم المرتبطة بموضوع الدوافع في علم النفس العام (ص ٣٦٢ ، ٣٦٣) .

٨ - كتاب المراقبة والمحاسبة :

يتناول هذا الكتاب مقامات مرابطة النفس ، فيذكر ستة مقامات ؛ هي :

١ - **المشارطة** : ويقصد بهذا المقام أن العقل يحتاج إلى مشارطة النفس ، فيوظف عليها الوظائف ، ويشرط عليها شروط الطاعة وعدم المعصية ، ويرشدها إلى طريق الفلاح .

٢ - **المراقبة** : فإذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها ، لم يبق إلا المراقبة لها وملاحظتها قبل العمل وأثنائه ، وهناك مراقبة العبد في الطاعة : وهو أن يكون مخلصًا فيها ، ومراقبته في المعصية : تكون بالتوبة ، والندم ، والإقلاع عنها .

٣ - **المحاسبة بعد العمل** : إذ ينبغي للعبد أن يكون له ساعة يطالب فيها نفسه في آخر النهار ويحاسبها على جميع ما كان منها ، وتعني المحاسبة : النظر في رأس المال ، والربح ، والخسارة ، حتى يتبين الزيادة والنقصان ، فرأس المال هو الفرائض ، وربحه النوافل والفضائل ، وأما الخسارة فهي المعاصي .

٤ – **معاقبة النفس على تقصيرها** : فإذا حاسب الإنسان نفسه ورأى منها تقصيرًا أو فعلت شيئًا من المعاصي ، فلا ينبغي أن يهملها فإنه يسهل عليه حينئذ مقارفة الذنوب ، بل عليه أن يعاقبها عقوبة مباحة .

٥ – **المجاهدة** : إذا حاسب الإنسان نفسه ، فينبغي عندما يراها قد قارفت معصية أن يعاقبها كما سبق القول ، فإن رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل ، فينبغي أن يؤدبها بتثقيل الأوراد عليها ، وإذا لم تطاوعه على الأوراد فإنه يجاهدها ويكرهها ما استطاع .

٦ – **معاتبة النفس وتوبيخها** : وفي هذا المقام الأخير من مقامات المرابطة تجب ملازمة النفس باللوم والتوبيخ ، وعدم الإغفال عن تذكيرها ، وعندما يقبل الإنسان على نفسه يخاطبها قائلًا مثلًا : « أنتِ جاهلة » أو « أنتِ غبية » حتى تصبح نفسه مطمئنة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا الكتاب وما تضمنه من معانٍ ومفاهيم ، ينطوي على بعض المفاهيم النفسية ذات الصلة بمصطلح الذات self ؛ وهي : مراقبة الذات self Monitoring ثم مفهوم تأنيب أو لوم الذات Self - Blame (ص ٤٠٣ – ٤٠٩) ، مفهوم تهذيب النفس وتعديل السلوك (ص ٤٠٣ – ٤٠٩) .

٩ – **كتاب التفكر** : يتناول فضيلة التفكر ، مشيرًا إلى أن اللّه تعالى قد أمر به في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين ، ثم يبين حقيقة الفكر وثمرته ، فيذكر أن التفكر هو : إحضار معرفتين في القلب يستثمر منهما معرفة ثالثة . مثال ذلك من أراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالإيثار ، فعليه أولًا أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإيثار من الدنيا ، فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة اعتمادًا على مجرد القول ، ويسمى هذا تقليدًا ولا يسمى معرفة . ثم يعرف بعد هذا أن الأبقى أولى بالإيثار ، ويعرف أن الآخرة أبقى ، ويحصل نتيجة لهاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهي أن الآخرة أولى بالإيثار ، وهذه العملية تسمى تفكرًا .

وأما ثمرة الفكر فهي العلوم ، والأحوال ، والأعمال ، وثمرته الخاصة العلم فقط .

وينتقل الغزالي بعد ذلك إلى بيان مجاري الفكر ، فالفكر قد يرى في أمر يتعلق بالدين ، **أو فيما يتعلق بغيره** – وهو ليس موضع الاهتمام هنا – فأما ما يتعلق بالدين فيجري في أربعة أنواع ؛ هي : الطاعات ، والمعاصي ، والصفات المهلكات ، والصفات المنجيات ، حيث ينبغي أن تكون له جريدة يثبت فيها جملة هذه الأنواع الأربعة ،

ويعرض ذلك على نفسه كل يوم .

ويكفي من المهلكات النظر في عشرة ؛ هي : البخل ، والكبر ، والعجب ، والرياء ، والحسد ، وشدة الغضب ، وشره الطعام ، وشره الوقاع ، وحب المال ، وحب الجاه . وهي خصال مذمومة .

كما يكفي من المنجيات عشرة : الندم على الذنوب ، والصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والشكر على النعماء ، واعتدال الخوف والرجاء ، والزهد في الدنيا ، والإخلاص في الأعمال ، وحسن الخلق مع الخلق ، وحب الله تعالى ، والخشوع . وهي خصال محمودة .

ويختتم الغزالي هذا الكتاب ببيان كيفية التفكر في خلق الله ، وأن التفكر في ذاته سبحانه ممنوع منه ، وأما التفكر في نعمه وآياته فهو مطلوب ومحمود ، وقد حث الله تعالى عليه في كتابه العزيز .

ويتصل هذا الحديث عن الفكر والتفكر بموضوع التفكير Thinking (ص ٤٠٩ - ٤٣٢) كما يتضمن الإشارة لمفهوم التقليد Imitation (ص ٤١٢) وكذلك مفهوم المعرفة Cognition (ص ٤١٢ - ٤١٣) ، والقيم الدينية (ص ٤٠٩ - ٤٣٢) .

١٠ - **كتاب ذكر الموت وما بعده** : يتناول الغزالي في هذا الكتاب الأخير من ربع المنجيات ، عددًا من الموضوعات المتفرقة والتي تدور حول الموت ، فيبدأ بالحديث عن فضيلة ذكر الموت ، وبيان الطريق في تحقيقه في القلب ، وفضيلة قصر الأمل ، وأن السبب في طول الأمل هو حب الدنيا والجهل . ثم يتناول كيفية علاج ذلك . ويوضح مراتب الناس فيما يتعلق بطول الأمل وقصره ، وأنه لا بد من ضرورة المبادرة إلى العمل ، والحذر من آفة التأخير .

ويتحدث بعد هذا عن سكرات الموت وشدته ، وما يستحب من الأحوال عنده ، كما يتناول أيضًا وفاة الرسول ﷺ ، ووفاة الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم ، وكلام المحتضرين من الخلفاء ، والأمراء ، والصالحين ، وأقاويل العارفين على الجنائز والمقابر ، وحكم زيارة القبور ، والدعاء للميت وما يتعلق به .

وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن حقيقة الموت ، وكلام القبر للميت ، وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير وصورتهما ، وضغطة القبر ، وما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام ، وبيان منامات المشايخ رحمهم الله ، ثم يتناول صفات مجموعة من الأشياء

المتعلقة بالقيامة والحساب ؛ وهي : نفخة الصور ، وأرض المحشر وأهله ، وطول يوم القيامة ، ومساءلة اللّه للعبد ، والميزان ، والخصماء ورد المظالم لهم ، والصراط ، والشفاعة والحوض ، وجهنم وأهوالها وأنكالها ، والجنة وأصناف نعيمها ، وحائطها وأراضيها وأشجارها وأنهارها ، ولباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وطعامهم ، والحور العين والولدان ، وكذلك الرؤية والنظر إلى وجه اللّه تبارك وتعالى .

ويختتم الغزالي هذا الكتاب بحديث حول سعة اللّه تعالى من أجل غرس التفاؤل في نفوس البشر .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعي ، وعلم النفس التربوي ، وعلم النفس الديني ، وعلم النفس الإكلينيكي .

* * *

معارج القدس في مدارج معرفة النفس [1]

عرض : د. جمعة سيد يوسف

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٢٠٧ صفحة من القطع المتوسط ويشتمل على خطبة الكتاب ، ثم بيان بترتيب الكتاب ، ومقدمة . وبعد ذلك موضوعات الكتاب الرئيسية ثم تنبيه ، ويختتم الكتاب بقصيدتين أولاهما : القصيدة الهائية ، والثانية : القصيدة التائية ، وأخيرًا فهرس لموضوعات الكتاب .

ويبدأ الغزالي مقدمة الكتاب بتعريف المترادفات المتعلقة بموضع الكتاب ؛ وهي أربعة : النفس ، والروح ، والعقل . ويقدم معنيين للنفس ، الأول : المعنى الجامع للصفات المذمومة ، وهي القوى الحيوانية المضادة للقوى العقلية ، وهو المفهوم عند الصوفية : والمعنى الثاني : يراد به حقيقة الآدمي وذاته ؛ لأن نفس كل شيء حقيقته . أما القلب فيطلق به ويراد به معنيان : أحدهما : اللحم الصنوبري الشكل المودع في جوف الإنسان من جانب اليسار (وهو ما عرف من خلال التشريح) وهو لكل الحيوانات ، وليس للإنسان فقط ، وهو يفنى بالموت ، والثاني : الروح الإنساني المتحمل لأمانة اللّٰه المتجلي بالمعرفة ، ومركز العلم بالفطرة الناطق بالتوحيد . ومفهوم الروح يطلق ويراد به البخار اللطيف الذي يصعد من منبع القلب ويتصاعد إلى الدماغ بواسطة العروق إلى جميع البدن ، فيعمل في كل موضع بحسب مزاجه واستعداده ، وهو مركب الحياة . كما يراد

---

(١) تحقيق لجنة إحياء التراث ، ط. ٥ ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، (١٩٨١م) ، (٢٠٤ ص) .

به أيضًا الروح الذي في مقابلة جميع الملائكة وهو المبدع الأول ، وهو روح القدس . وفي معانٍ أخرى يراد به القرآن . وأخيرًا يطلق العقل ويراد به الفعل الأول ، وهو الذي يعبر عنه بالعقل ، ويعبر عنه أيضًا بالقلم كما ورد في أحاديث الرسول ﷺ ، ويراد به كذلك النفس الإنسانية ، ويراد به صفة النفس ، وهو بالنسبة للنفس كالبصر بالنسبة للعين (وفي هذه الفقرة يعلمنا الغزالي درسًا في مناهج البحث العلمي ، فالمعروف الآن أن المدخل لدراسة أي مفهوم يكون بتعريفاته الإجرائية Operational Definitions الدقيقة ، وهو ما قدمه للمفاهيم الأربعة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يحدثنا عن الإدراك البصري Visual Perception وهو أحد الموضوعات التي تدرس في علم النفس العام ، وعلم النفس التجريبي (ص ١٥ - ١٨) .

وبعد ذلك يحاول الغزالي أن يثبت وجود النفس ، فيؤكد أن النفس لا تحتاج إلى دليل لإثباتها ، فقد ثبت وجودها ، وهي جوهر ، منزه عن المادة والصور الجسمانية . ثم يقدم لنا تقسيمًا يظهر فيه مبادئ الأفعال ، فيقول : إن مبادئ الفعل موجودة في قوى الطبيعة ، وفي النبات ، وفي الحيوان ، ويتميز الإنسان بأنه له تعقل ، ومع التعقل اختيار في الفعل والترك وهو النفس الإنساني ، كما يفرق كذلك بين النفس النباتي والحيواني ، والإنساني ، والفلكي . ويرى أن النفس الإنساني هي الكمال الأول لجسم طبيعي آلي يفعل الأفاعيل بالاختيار العقلي ، والاستنباط بالرأي من ناحية ، ويدرك الأمور الكلية من ناحية أخرى ، ويستطرد الغزالي بعد ذلك ليبرهن على أن النفس جوهر ، وليس بعرض ، ويرى أن ذلك ثابت من جهة الشرع والعقل ، فجميع خطابات الشرع ، والعقوبات الواردة في الشرع بعد الممات تدل على أن النفس جوهر . ومن جهة العقل ، يثبت ذلك من وجهتين ، أحدهما : عام يمكن إثباته مع كل فرد ، إذا علمنا أن حقيقة الإنسان ليس عبارة عن الجسم فحسب . والثاني : خاص يلتفت إليه الخاصة والمنصفون ومن لديه دقة الفهم والتصور . ويزيد هذا البرهان وضوحًا من جهة الإدراك ؛ لأننا ندرك ذواتنا في جميع الأحوال . وموضوع الإدراك قد يكون أحد المشاعر الظاهرة ، أو العقل ، أو قوة غير المشاعر (والغزالي هنا يقترب كثيرًا من بعض موضوعات علم النفس أو بالأدق موضوعه الرئيسي ، وهو السلوك Behavior ظاهرًا كان أم غير ظاهر (ص ١٩ - ٢٥) ، والنفس وإن كانت جوهر ، فليس لها مقدار ولا كمية ولا مساحة ، ولا تدرك حسًا ولا يدركها جسم ، وإدراكها لا يكون بآلات جسمانية ، ويبرهن الغزالي على ذلك من خلال براهين عقلية ، وأمثلة من واقع الحياة تدل على اتصال بعلم الهندسة . ثم يناقش مسألة انطباع

النفس في البدن ، ويستدل على عدم انطباعها ، بأنها لا تضعف مع ضعف البدن . بل إنه بعد عمر الأربعين تكون القوة البدنية في انحطاط ، والقوة العقلية في الزيادة والارتفاع (ص ٢٧ - ٣٥) ، (وهو هنا مبدأ من مبادئ الارتقاء التي يعني بها علماء النفس الارتقائي Developmental Psychology في مختلف جوانب السلوك . وبرغم الاتفاق حول المبدأ فإن هناك خلافًا بسيطًا بين كلام الغزالي هنا ، وما توصل إليه علماء النفس المحدثون حول ارتقاء ونمو القدرات العقلية . فهي تخضع لنفس مبدأ الارتقاء وهو النمو المطرد السريع في البداية ، ثم النمو البطيء ؛ فالاستقرار ، فالانخفاض البطيء ، فالتدهور السريع بعد ذلك ، وإن كانوا في نفس الوقت يعترفون بأن الهبوط في القدرات العقلية ليس عامًا وإنما نوعيًا Specific أي يصيب بعضها ، بينما يستمر البعض الآخر في النمو ، أو يظل في نفس مستواه) . وينتقل بنا الغزالي - بعد ذلك - ليحدثنا عن القوى الحيوانية التي تنقسم إلى قوى محركة وقوى مدركة ، والمحركة : إما أن تكون محركة على أنها باعثة على الفعل ، أو على أنها فاعلة ، والباعثة : إما أن تكون على جذب النفع (وهو ما يعبر عنه بالشهوة) أو دفع الضرر (وهي التي يعبر عنها بالغضب) ، (ويلاحظ أن الشهوة يمكن أن تقابل الدافع Motive ، والغضب أحد الانفعالات والموضوعات مما يدرس في علم النفس العام) (ص ٣٧) ، أما القوة المحركة كفاعلة : فهي قوة تنبعث في الأعصاب والعضلات (وهي ما يعبر عنه بالقدرة) والباعثة هي الإرادة ، ويقسم القوى المدركة إلى قسمين : مدركة من الظاهر ، وتنقسم بدورها إلى خمسة أقسام ؛ هي الحواس الخمس ، أما القوى المدركة من باطن ؛ فتنقسم إلى ثلاثة أقسام ، منها ما يدرك ولا يحفظ ، ومنها ما يحفظ ولا يعقل ، ومنها ما يدرك ويتصرف . ثم المدرك إما أن يدرك الصورة وتارة في المعنى (ص ٤١ - ٤٨) ، (وهو هنا يحدثنا مفصلًا عما يدخل في دراسات الإدراك بمختلف أنواعه من ناحية ، ويدخل في سيكولوجية اللغة Psycholinguistics خاصة حديثه عن المعنى) ، وينتقل بعد ذلك إلى القوى الخاصة بالنفس الإنسانية ، ويرى أنها تنقسم إلى : قوة عاملة ، وإلى قوة عالمة ، وكل منها تسمى عقلًا ، والعاملة : هي مبدأ تحريك البدن إلى أفاعيل (أو بلغة علم النفس الحديث إلى استجابات Responses أو أنماط السلوك Types Of Behavior (ص ٤٩) . والعالمة : توجه إلى المبادئ العالية والعقول بالفعل ، وإذا كانت النفس الإنسانية متشابهة في النوع ، فهي مختلفة في الشخص والعين بحسب اختلاف العوارض المشخصة . ويبين الغزالي مراتب العقل اشتقاقًا من الآية القرآنية ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾ [النور : ٣٥]

وذلك على سبيل التشبيه . كما يحدثنا عن تظاهر العقل والشرع وافتقار أحدهما إلى الآخر ، فالفعل لا يهتدي إلا بالشرع ، والشرع لم يتبين إلا بالعقل . فالعقل كالأساس ، والشرع كالبناء .

ويعود الغزالي للحديث عن حقيقة الإدراك (وهو موضوع رئيسي في علم النفس الحديث كما أسلفنا القول) ويعرف الإدراك بأنه أخذ صورة المدرك ، ومراتب الإدراك في التجريد ؛ وهي أربع : الأولى : الحس ، والثانية : إدراك الخيال وتجريده ، والمرتبة الثالثة : إدراك الوهم وتجريده ، والرابعة والأخيرة : إدراك العقل ، وهو التجريد الكامل (ص ٦١ - ٦٢) .

وتحت عنوان « سؤالات وانفصالات ، تحتها نفائس من العلوم » يقدم الغزالي إجابات عن ١٦ سؤالًا تدور حول العقل ، والمعقولات ، وملابسة النفس للبدن ، وتفاوت النفوس في قبول المعقولات ، واتصال الفيض الإلهي بها ، وكيف أن النفس الإنسانية تعقل المعقولات مرتبة ، وأن الصورة المعقولة إذا اتصلت بالنفس فهي مدركة ، وعندما تقوى النفس تستغني عن التفكير وتحصيل المقدمات . وأخيرًا وجه تأثير الطاعات ، والمعاصي ، والفضائل والرذائل في النفس . ويعرج بعد ذلك ليحدثنا عن منشأ الفضائل والرذائل . ويرى أن أكثر الفضائل والرذائل إنما تنشأ من ثلاث قوى في الإنسان : قوة التخيل ، وقوة الشهوة ، وقوة الغضب ، وهي معينات للنفس ومثبطات . والقوة المتخيلة ذات وجهين : أحدهما : يلي جانب الحس ، والثاني : يلي جانب العقل . والقوة الشهوية فيها مضرة ومنفعة ، وهي أصعب إصلاحًا من سائر القوى ؛ لأنها أقدم القوى وجودًا في الإنسان . أما القوى الغضبية فهي شعلة نار ، تنزع إلى الشيطان الرجيم ، ومن استفزته نار الغضب فقد قويت قرابة الشيطان (والحديث هنا مقابل بعض موضوعات علم النفس الحديث كالدوافع ، والانفعالات ، والجانب العقلي بصفة عامة) (ص ٦٣ - ٧٥) . وبعد ذلك يذكر لنا أمهات الفضائل وهي الحكمة ، والشجاعة ، والعفة ، والعدالة .

وبعد ذلك يواصل حديثه عن النفس وحاجتها إلى البدن ، ويناقش مسألة ما إذا كانت الأرواح البشرية حادثة أم لا ، والأدلة على ذلك . كما يقدم البراهين المنقولة والمعقولة على بقاء النفس ، وأنها لا تموت بموت البدن ، ولا تفنى مطلقًا .

ويرى الغزالي أن مسألة إثبات العقل المفارق الفعال ، والعقل المنفعل في النفوس الإنسانية ومراتب العقول ، أظهر من أن تثبت شرعًا لورود ذلك واضحًا في النصوص .

ويذكر قاعدة في النبوة والرسالة ، ويحاول أن يبين أن الرسالة لا تقتنص بالجد ، ويبين كذلك ما إذا كانت الرسالة مكتسبة أم أثرة ربانية . ويزلف بعد ذلك إلى عالم ما بعد الموت ، وما به من سعادة أو شقاوة ، وهو ما يعرف من الأنبياء ؛ لأنهم الذين اطلعوا على أحوال الموت وحيًا وإخبارًا . وعلى أي حال ، فإن النفس بعد المفارقة ، إذا كانت قد فارقت الحياة قبل أن تكتسب حقًّا أو باطلًا فهو من أهل النجاة ، لا مستريح منعم ولا معذب . إن كانت متعقدة وهمية فاسدة مضادة للحق ، وأضاف إليها أعمالًا على خلاف الشرع فهو في عذاب مقيم .

ويختتم الغزالي كتابه ببيان حقيقة اللقاء والرؤيا كما ورد في الآيات القرآنية ، ومراتب الناس فيها . ويشرح معرفة الحق ﷻ ، ومعرفة صفاته وأفعاله ؛ لأن المبادئ إنما تراد للنهايات ، والنهايات إنما تظهر للمبادئ ، فكل علم لا يؤدي إلى معرفة الباري ﷻ ، فهو عديم الجدوى والفائدة . ومن عرف صفات اللّٰه وأفعاله ، عرف ترتيب أفعال اللّٰه وأقسامها .

وقد وجدنا في خاتمة الكتاب قصيدتين أحدهما : القصيدة الهائية ، والثانية : القصيدة التائية ، وقد نشرت دون شرح أو تعليق .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام .

* * *

المحبة والشوق والأنس والرضا [1]

عرض : د. معتز سيد عبد اللّٰه

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ١٣٥ صفحة من القطع المتوسط ، ويدور مضمونها حول بيان أن محبة اللّٰه تعالى هي الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من الدرجات ، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها ، كالتوبة ، والصبر ، والزهد وغيرها ، وسائر المقامات إن عزَّ وجودها فلم تخلُ القلوب عن الإيمان بإمكانها ، وأما محبة اللّٰه تعالى فقد عزَّ الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها وقال : لا معنى لها إلا المواظبة على طاعة اللّٰه . وأما حقيقة المحبة فمحال إلا مع الجنس والمثال ، ولما أنكروا المحبة ، أنكروا الأنس ، والشوق ، ولذة المناجاة ، وسائر لوازم الحب وتوابعه ، ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الأمر .

وقد بدأ المؤلف الكتاب ببيان شواهد الشرع في حب العبد للّٰه تعالى ، وأن الحب للّٰه تعالى ولرسوله ﷺ فرض ، ثم تناول بيان حقيقة المحبة وأسبابها ، وتحقيق معنى محبة العبد للّٰه تعالى ، ثم تناول أصول المحبة ، حيث أوضح أن أول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك ؛ إذ لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه ، ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جماد ، بل هو من خاصية الحي المدرك . أما الأصل الثاني : فيعني أن الحب لما كان تابعًا للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات

---

(١) الطبعة الأولى . القاهرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، (١٩٦١م) ، (ص ١٣٥) .

والحواس ، فكل حاسة إدراك ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم ، فلذة العين في الإبصار ، وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ، ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة ، ولذة الشم في الروائح الطيبة ، ولذة الذوق في الطعوم ، ولذة اللمس في اللين والنعومة .

أما الأصل الثالث : فيعني أن الإنسان لا يخفي أنه يحب نفسه ، ولا يخفي أنه قد يحب غيره لأجل نفسه ، وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لا لأجل نفسه ، هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته .

والحق أن ذلك متصور وموجود ، فلنبين أسباب المحبة وأقسامها ، وبيانه أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته . والسبب الثاني : الإحسان ، فإن الإنسان عبد الإحسان ، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها . والسبب الثالث : أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته ، بل تكون ذاته عين حظه ، وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن . أما الأصل الرابع : فهو في بيان معنى الحسن والجمال . وفيه يوضح المؤلف أن المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل ، وحسن اللون ، وكون البياض مشربًا بالحمرة وامتداد القامة ، إلى غير ذلك مما يوصف به من جمال شخص الإنسان ، فإن الحسن الأغلب على الخلق حسن الإبصار وأكثر التفاهم إلى صور الأشخاص ، فيظن أن ما ليس مبصرًا ولا متخيلًا ولا متشكلًا ولا متلونًا مقدر فلا يتصور حسنه ، وإذا لم يتصور حسنه لم يكن في إدراكه لذة ، فلم يكن محبوبًا وهذا خطأ ظاهر ، فإن الحسن ليس مقصورًا على مدركات البصر ، ولا على تناسب الخلقة ، وامتزاج البياض بالحمرة . فإنا نقول : هذا خط حسن ، وهذا صوت حسن ، وهذا فرس حسن ، بل تقول : هذا ثوب حسن وهذا إناء حسن ، فأي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في الصورة ؟

ومعلوم أن العين تستلذ بالنظر إلى الخط الحسن ، والأذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة ، وما من شيء من المدركات إلا وهو منقسم إلى حسن وقبيح ، فما معنى الحسن الذي تشترك فيه الأشياء ، فلا بد من البحث عنه وهذا البحث يطول ، ولا يليق بعلم المعاملة الإطناب فيه ، فنصرح بالحق ونقول : كل شيء مجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له ، فإذا كانت جميع جمالاته الممكنة حاضرة فهو في

غاية الجمال ، وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر ، فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو ، وتيسر كر وفر عليه ، والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ، ولكل شيء كمال يليق به ، وقد يليق بغيره ضده ، فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به ، فلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس ، ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ، ولا تحسن الأواني بما تحسن به الثياب ، وكذلك سائر الأشياء .

فإن قلت : فهذه الأشياء وإن لم تدرك جميعها بحسن البصر مثل الأصوات والطعوم ، فإنها لا تنفك عن إدراك الحواس لها فهي محسوسات ، وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ، ولا ينكر حصول اللذة بإدراك حسنها ، وإنما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس .

ويرتبط هذا الجزء ببعض المفاهيم السيكولوجية هي الانفعالات Emotions وبخاصة انفعال الحب (ص ٤ - ١٧) ، وأسباب الحب (ص ٨ - ١٣) ، والإدراك Perception (ص ٨ ، ٩) والقيمة الجمالية (ص ١٣ - ١٧) .

وبعد ذلك تناول المؤلف بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده ، وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى ، وحب الرسول ﷺ محمود ؛ لأنه عين حب الله تعالى ، ومحب المحبوب محبوب ، وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوزه إلى غيره ، فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر إلا الله تعالى ، ولا مستحق للمحبة سواه وبعد ذلك تناول بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم ، وأنه لا يتصور أن لا يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة ، وبيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا ، وبيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى ، وبيان السبب في تفاوت الناس في الحب ، وبيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله ﷻ ، وبيان معنى الشوق إلى الله تعالى ، وبيان محبة الله للعبد ومعناها . ثم تناول بعض الأقوال في علامات محبة العبد لله تعالى .

ويرتبط الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية هي الرغبات Desires (ص ٣٠ - ٤٥) ، والفروق الفردية في الحب Individual Differences (ص ٥٣ ، ٥٤) ، والانفعالات (وبخاصة الحب) ، (ص ١٨ - ٨٩) .

وبعد ذلك تناول معنى الأنس بالله تعالى ، وبيّن أن الأنس ، والخوف ، والشوق من آثار المحبة ، إلا أن هذه آثار مختلفة ، تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته ، فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب إلى الطلب ، وانزعج له وهاج إليه ، وتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقًا وهو بالإضافة إلى أمر غائب ، وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف ، وكان نظره مقصورًا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف ، غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد استبشره القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنسًا ، وإن كان نظره إلى صفات العز ، والاستغناء وعدم المبالاة ، وخطر إمكان الزوال والبعد ، تألم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفًا ، وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات ، والملاحظات تابعة لأسباب تقتضيها لا يمكن حصرها ، فالأنس معناه : استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال ، حتى إنه إذا غلب وتجرد من ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق إليه من خطر الزوال ، عظم نعيمه ولذته ، ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له : أنت مشتاق ، فقال : لا ، إنما الشوق إلى غائب ، فإذا كان الغائب حاضرًا فإلى من يشتاق ؟ وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله ، غير ملتفت إلى ما بقي في الإمكان من مزايا الألطاف ، ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهوته إلا في الانفراد والخلوة ، ويرتبط الجزء السابق بمفهوم الانفعالات (وبخاصة انفعال الحب) ، (ص ٩٠ - ٩٢) .

وبعد ذلك تناول المؤلف بيان معنى الانبساط والإدلال الذي تثمره غلبة الأنس ، وبعض الأقوال في معنى الرضا بقضاء الله وحقيقته ، وما ورد في فضيلته على أساس أنه ثمرة من ثمار المحبة وأنه من أعلى المقامات ، ثم بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى ، وبيان أن الدعاء غير مناقض للرضا ولا يخرج صاحب عن مقام الرضا . وبيان أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها ، وبيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم . ويرتبط مضمون الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية هي الانفعالات (وبخاصة الحب) ، (ص ٩٣ - ١٣٣) والرضا النفسي (ص ٩٨ - ١١٩) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام .

* * *

فاتحة العلوم [1]

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

عرض الكتاب :

يشتمل الكتاب على سبعة أبواب نعرض لها على النحو التالي :

● **الباب الأول** : في فضيلة العلم ومذمة علماء السوء . وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : في فضيلة العلم ، ويستشهد فيه المؤلف ببعض الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة التي توضح أهمية العلم والعلماء ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

ولعل ذلك يرتبط بقيمة Value العلم وتقدير العلماء ، مما يعطيهم مزيدًا من الثقة وتقدير الذات Self-Esteem (ص ٢ ، ٣) .

الفصل الثاني : في فضيلة طالب العلم . فالعلم غير مختص بالرتبة والفضيلة ، بل طالب العلم وهو يجد في طلب العلم وإن لم يظفر به له من الرتبة والفضل العظيم ما يعظم قدره .

الفصل الثالث : في فضيلة الإرشاد والتعليم ، فقد رفع اللّه ﷻ درجة العلماء المعلمين الداعين إلى اللّه ﷻ وإلى طريقه فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] ، وقال لرسوله : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

---

(١) الطبعة الأولى ، القاهرة ، أحمد ناجي الجمالي ، محمد أمين الخانجي ، (٥ : ١٩) ، (٧٠ ص) .

ويرتبط هذا الفصل بعمليات التوجيه والإرشاد الديني Religious counseling (ص ٤) .

الفصل الرابع : في بيان العلم والتعلم من حيث الشواهد العقلية . ويتحدث فيه عن فضل العلم وشرفه على العاقل ، والفضل عبارة عن الزيادة ، والزيادة تتوجه إلى الكمال ، والكمال هو الغاية المطلوبة بالزيادة ، والفضل والعلم كمال على الإطلاق لا بالإضافة .

يرتبط هذا الفصل بمفهوم التعلم Learning ، والتعليم Teaching (ص ٥ - ٦) .

الفصل الخامس : ويتحدث فيه عن مذمة علماء السوء ، وسوء حالهم عند الله تعالى ، فعلى الرغم من علو مرتبة العلم وشرفه ، فإن له خطورته - خاصة إذا لم يعمل العالم بعلمه ، ويرشد ويوجه الآخرين إلى خير الطريق ، وقد شبهه الله تعالى بالحمار وهو أشد الحيوانات حمقًا وبلادة ، قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة : ٥] .

● **الباب الثاني** : في تصحيح النية في طلب العلم :

وهو أول واجب على المتعلم والمعلم فإن تحصيل العلم عبادة ، بل هو أفضل العبادات وأصل العبادات كلها النية ، قال رسول الله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** » . ويوضح المؤلف في هذا الفصل أهمية طلب العلم لوجه الله ﷻ ، وأن من يطلب العلم لغير الله ، يستوجب العقاب ، مستشهدًا في ذلك ببعض الأحاديث النبوية الشريفة .

ويرتبط ما ورد في هذا الباب بمفهوم النية أو المقصد Intention أحد الجوانب أو المتغيرات المهمة في عمليات تغيير الاتجاهات (انظر : ص ٨ - ١٦) .

● **الباب الثالث** : في العلامة الفاصلة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة :

ويقسم فيه المؤلف العلماء إلى فئتين ؛ هما : علماء الدين وهم الأبرار علماء الآخرة ، وعلماء السوء وهم الأشرار علماء الدنيا ، ويبين أن من علامات علماء الآخرة : أن لا يطلب الدنيا بعلمه فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرافها ، وعظم الآخرة وشرفها ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ، ويعلم أنهما متضادان ، وأنهما ككفتي الميزان مهما رجحت إحداهما ارتفعت الأخرى فإن من لا يعلم حقارة الدنيا وقرب انصرافها فهو فاسد العقل .

ويرتبط ذلك بشكل غير مباشر بقيمة العلم والنظر إليه من زاويتين : الأولى : العلم كقيمة وسيلية في الحياة الدنيا Instrumental ، والثانية : كقيمة غائية End or Terminal

لأهداف بعيدة (الحياة الآخرة) ، (ص ١٧ - ٣٤) .

● **الباب الرابع : في أقسام العلوم :**

الفصل الأول : في أقسام العلوم :

ويوضح فيه أن العلوم تنقسم إلى شرعية وغير شرعية ، ويعني بالشرعية ما يستفاد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مما لا يرشد إليه العقل كالحساب ، ولا التجربة كالطب ، ولا السماع كاللغة . وتنقسم العلوم الشرعية إلى أضرب : الضرب الأول : الأصول وهي أربعة كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، وإجماع الأمة ، وآثار الصحابة . الضرب الثاني : الفروع وهو ما فهم من الأصول . الضرب الثالث : المقدمات وهو الذي يجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فإنه آلة لمعرفة كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ . الضرب الرابع : المتممات ، وذلك في علم القرآن مثلًا ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كعلم القراءة ومخارج الحروف ، وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير المنقول .

الفصل الثاني : في بيان فروض الأعيان من جملة العلوم :

فقد قال رسول الله ﷺ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** » . واتفقت الأمة على أن من العلوم ما هو فرض عين على مسلم ، واختلفوا في تعيينه ، وتحزبوا فيه أكثر من عشرين حزبًا ، ولا نطيل في ذلك ، ولكن ملخصه : أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده ، ولم تسمح نفسه بأن يكون العلم القائم بأهم العلوم غيره ، والأهم ما هو فرض العين لا محالة ، فقال المتكلمون : هو علم الكلام ، وقال الفقهاء : هو علم الفقه ، وقال المفسرون والمحدثون : هو علم الكتاب والسنة .... إلخ .

الفصل الثالث : فيما هو فرض كفاية من العلوم :

ويوضح فيه المؤلف أن العلوم الدينية التي ذكرنا من الأضرب الأربعة كلها من فروض الكفايات ؛ إذ آحادها قد تصير فرض عين على الآحاد على اختلاف الأحوال فيكون جملتها فرض كفاية ، على معنى أنه لو خلا البلد عمن يقوم بعلم منها عم الحرج أهل البلد كافة .

الفصل الرابع : في تفضيل علوم الآخرة :

فالعلوم تنقسم - كما سبق أن أشرنا - إلى ما يتعلق بمصالح الدنيا كعلم الفقه ، وإلى ما يتعلق بسلوك طريق الآخرة ، والتي تنقسم إلى علم مكاشفة ، وإلى علم معاملة أي ما يراد من علمه العمل ، أما علم المكاشفة : فهو ما يراد منه الكشف والمعرفة فقط دون العمل ، وعلم المكاشفة هو غاية العلوم ومقصدها ، بل هو المراد من جميع العلوم ،

وجميع العلوم إنما يراد للتوسل والتضرع بها إليه .

الفصل الخامس : في بيان العلم الأقصى ، وبيان نسبة العلوم إليه بالموازنة بمثال لكي تعرف مراتب العلوم فلا تؤثر الأدنى على الأرفع والتابع على المتبوع . ويقول فيه : إن العزيز والرفيع إنما يكون عزيزًا بالإضافة إليك وإلى ما يهمك ، ولا يهمك إلا شأنك في الدنيا والآخرة ، فإذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة ، فالأهم ما يبقى أبد الآباد وهي السعادة الأبدية ، ومنذ ذلك تصير الدنيا منزلًا ، والبدن مركبًا ، والأعمال سعيًا إلى المقصد ، ولا مقصد إلا لقاء اللّٰه .

● **الباب الخامس** : في شروط المناظرة وآفاتها وبيان سبب إقبال الخلق عليها :

ويشير فيه المؤلف إلى المناظرة في أحكام الشرع من الدين ، وأن لها شروطًا ووقتًا ومحلًا ، فمن اشتغل به وقته ومحله وقام بشرطه فقد اقتدى بالصحابة - فإنهم تشاوروا في مسائل - وبالسلف الصالح ، فإنهم ما تناظروا إلا للّٰه ، ولطلب ما هو حق عند اللّٰه ، ولكن لمن يتناظر للّٰه وفي اللّٰه علامات : الأولى : أن لا يشتغل به وهو فرض كفاية إلا بعد الفراغ من فرض العين ، الثانية : أن لا يترك فرض كفاية آخر أهم من المناظرة ، الثالثة : أن يكون المناظر مجتهدًا يفتي برأيه لا بمذهب غيره ، الرابعة : أن يناظر في واقعة أو في مسألة قريبة من الوقوع ، الخامسة : أن تكون المناظرة في الخلوة ، فهي أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن ودرك الحق ، والنزاهة ، السادسة : أن يكون في طلب الحق كمنشد ضالة لا يفرق بين أن يظهر على يده أو على يد غيره ، والسابعة : أن ينتقل من دليل إلى دليل ومن سؤال إلى سؤال . هكذا كانت مناظرة أهل الدين .

أما عن آفات المناظرة وما يتولد عنها من مهلكات الأخلاق ، فهي من الأمور المنهي عنها ، فالمناظرة الموضوعة لقصد الغلبة ، والمباهاة ، والتشوق لإظهار الفضل ، هو منبع جميع الأخلاق المذمومة عند اللّٰه تعالى ، المحمودة عند عدوه إبليس ، ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب ، والرياء ، والحسد ، والمنافسة .

● **الباب السادس** : في آداب المعلم والمتعلم :

فمن آداب المعلم :

١ - تقديم طهارة نفس القلب عن رذائل الأخلاق وخبائث الصفات .

٢ - أن يقلل علاقاته من إشغال الدنيا ويبعد عن الأهل والوطن .

٣ - أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على أهله .

٤ - أن العمر إذا كان يتسع لجميع العلوم فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه .

٥ - أن يعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم .

٦ - أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه بنعوت الكمال ، وفي المآل التقرب إلى حضرة الجلال والترقي وإلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ، ولا يقصد به الرياسة والمباهاة والتقدم على الأقران .

وعلى المشتغل بالتعلم أن يحفظ آدابه ووظائفه السبع ؛ وهي :

١ - الشفقة على المتعلمين .

٢ - أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ، فلا يطلب على إفاضة العلم أجرًا ولا يقصد جزاءً ولا شكرًا .

٣ - أن لا يدخر من نصح المتعلم شيئًا .

٤ - أن يزجره عن سوء الأخلاق بالتعريض لا بصريح النهي ، وبطريق اللطف والنصح لا بطريق التوبيخ ؛ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة .

٥ - أن المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي أن يقبح في عين المتعلم ما عداه .

٦ - أن لا يلقي إلى المتعلم ما لا يحتمله .

٧ - أن يكون عاملًا بعلمه فلا يكذب قوله بفعله .

ويرتبط هذا الباب بموضوع سيكولوجية المعلم ، والخصائص أو الصفات التي يجب أن تتوفر به لكي يكون مصدرًا تربويًا جيدًا في توصيل رسالته (ص ٥٦ - ٦٣) .

● **الباب السابع** : فيما يحل للعلماء أخذه من أموال السلاطين وغيرهم :

ويتحدث فيه المؤلف عن فضل الورع ، وأنواع الورع على أربع درجات ؛ هي : ورع العدول عن المعاصي ، وورع الصالحين ، وورع المتقين ، وورع الصديقين وهو أن يحترز عن جميع ما هو منفك عن الآفات . ثم عرض المؤلف بعد ذلك لما يأخذه العلماء من أموال السلاطين وهو على ثلاثة أقسام : الأول : ما يعلم حله وهو المال المأخوذ من الكفار على سبيل القهر والغلبة . الثاني : ما يقابل هذا وهو الذي يعلم تحريمه . الثالث : وهو ملتبس يجب البحث عنه .

وفي النهاية يختتم المؤلف حديثه عن وجوب رد الحلال على السلاطين الظلمة ولزوم التنزه عن ذلك .

أوجه الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس التربوي ، وعلم النفس الاجتماعي .

الاقتصاد في الاعتقاد [1]

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

عرض الكتاب :

يشتمل الكتاب على أربعة تمهيدات تجري التوطئة والمقدمات ، وعلى أربعة أقطاب تجري مجرى المقاصد والغايات .

التمهيد الأول : في بيان أن العلم من المهمات في الدين .

التمهيد الثاني : في بيان أنه ليس مهمًّا لجميع المسلمين بل لطائفة منهم مخصوصين .

التمهيد الثالث : في بيان أنه من فروض الكفايات لا من فروض الأعيان .

التمهيد الرابع : في تفصيل مناهج الأدلة التي وردت في هذا الكتاب .

وأما الأقطاب المقصودة فأربعة وجملتها مقصورة على النظر في اللَّه تعالى ، فإذا نظرنا في العالم لم ننظر إليه من حيث إنه عالم وجسم وسماء وأرض ، بل من حيث إنه صنع اللَّه سبحانه .

وإن نظرنا في النبي ﷺ لم ننظر فيه من حيث إنه إنسان شريف وعالم فاضل ، بل من حيث إنه رسول اللَّه . وإن نظرنا في أقواله لم ننظر من حيث إنها أقوال ومخاطبات ، بل من حيث إنها تعريفات بواسطته من اللَّه تعالى فلا ننظر إلا في اللَّه ولا مطلوب سوى اللَّه ، وجميع أطراف هذا العالم يحصرها النظر في ذات اللَّه تعالى ، وفي

---

(١) الطبعة الثانية ، القاهرة ، أحمد ناجي الجمالي ، محمد أمين الخانجي ، (١٩٠٩م) ، (١٠٠ ص) .

صفاته سبحانه ، وفي أفعاله ﷻ ، وفي رسول الله ﷺ وما جاء على لسانه من تعريف الله تعالى فهي إذًا أربعة أقطاب :

القطب الأول : النظر في ذات الله :

وأوضح فيه أنه قديم ، وأنه باقٍ ، وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ولا محدود بحد ، ولا هو مخصوص بجهة ، وأنه مرئي كما أنه معلوم ، وأنه واحد ، وهذه عشرة دعاوى بينها في هذا القطب .

القطب الثاني : في صفات الله تعالى :

وأوضح فيه أنه حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم ، وأن له حياةً وعلمًا وقدرة وإرادة وسمعًا وبصرًا وكلامًا . وذكر أحكام هذه الصفات ولوازمها وما يفترق فيها ، وما يجتمع فيه من الأحكام ، وأن هذه الصفات زائدة على الذات وقديمة وقائمة بالذات ولا يجوز أن يكون شيء من الصفات حادثًا .

القطب الثالث : في أفعال الله تعالى :

وفيه سبعة دعاوى ، وهو أنه لا يجب على الله تعالى التكليف ، ولا الخلق ، ولا الثواب على التكليف ولا رعاية صلاح العباد ، ولا يستحيل منه تكليف ما لا يطاق ، ولا يجب عليه العقاب على المعاصي ولا يجب بعثة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بل يجوز ذلك . وفي مقدمة هذا القطب بيان معنى الواجب والحسن والقبيح .

القطب الرابع : في رسل الله :

وما جاء على لسان رسولنا محمد ﷺ من الحشر والنشر والجنة والنار والشفاعة وعذاب القبر والميزان والصراط ، وفيه أربعة أبواب نعرض لها على النحو التالي :

- **الباب الأول** : في إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ :

حيث توجد ثلاثة فرق تفترق في إثبات النبوة : الأولى : العيسوية وذهبوا إلى أنه رسول إلى العرب فقط لا إلى غيرهم وهذا ظاهر البطلان . الثانية : وهم اليهود الذين أنكروا صدقه لا بخصوص نظر فيه وفي معجزاته ، بل زعموا ألا نبي بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فأنكروا نبوة محمد وعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . الثالثة : وهم مجوزون النسخ ولكنهم منكرون نبوة نبينا من حيث إنهم ينكرون معجزته في القرآن .

- **الباب الثاني** : في بيان وجوب التصديق بأمور ورد بها الشرع وقضى بجوازها

العقل وفيه مقدمة وفصلان .

أما المقدمة : فهو أن ما لا يعلم بالضرورة ينقسم إلى ما يعلم بدليل العقل دون الشرع ، وإلى ما يعلم بالشرع دون العقل ، وإلى ما يعلم بهما . أما الفصل الأول : ففي بيان قضاء العقل بما جاء الشرع به من الحشر والنشر وعذاب القبر والصراط والميزان . والفصل الثاني : فهو في الاعتذار عن الإجلال بفصول شحنت بها المعتقدات .

● **الباب الثالث** : في الإمامة ، النظر فيها على ثلاثة أطراف :

الطرف الأول : في بيان وجوب نصب الإمام . ولا ينبغي أن تظن أن وجوب ذلك فيه فوائد في الدنيا . ولكن تقيم البرهان القطعي الشرعي على وجوبه ولسنا نكتفي بما فيه من إجماع الأمة ، بل ننبه على مستند الإجماع ، ونقول : نظام أمر الدين مقصود لصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام وهذه مقدمة قطعية ولا يتصور النزاع فيها .

الطرف الثاني : في بيان من يتعين من سائر الخلق لأن ينصب إمامًا . فالتخصيص على واحد نجعله إمامًا بالتشهي غير ممكن ، فلا بد له من تمييز بخاصية يفارق سائر النزاع فيها .

الطرف الثالث : في شرح عقيدة أهل السنة في الصحابة والخلفاء الراشدين ﷺ .

● **الباب الرابع** : في بيان من يجب تكفيره من الفرق المبتدعة :

فكل من كذب محمد ﷺ فهو كافر ، أي مخلد في النار بعد الموت ومستباح الدم والمال في الحياة - إلَّا أن التكذيب مراتب : الرتبة الأولى : تكذيب اليهود . الرتبة الثانية : تكذيب البراهمة المنكرين لأصل النبوات ، والدهرية المنكرين لصانع العالم . الرتبة الثالثة : الذين يصدقون بالصانع ونبوة النبي ولكن يعتقدون أمورًا تخالف نصوص الشرع . الرتبة الرابعة : وهم المعتزلة والمشبهة والفرق كلها سوى الفلاسفة ، وهم الذين يصدقون ولا يجوزون الكذب لمصلحة وغير مصلحة ، ولا يشتغلون بالتعليل لمصلحة الكذب ، بل بالتأويل ، ولكنهم مخطئون في التأويل ، فهؤلاء أمرهم في محل الاجتهاد ، والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلًا .

أما فيما يتعلق بعلاقة ما ورد في هذا الكتاب : الاقتصاد في الاعتقاد بعلم النفس فيمكن تحديده إجمالًا وبشكل عام في الآتي :

١ - يرتبط بعدد من المفاهيم التي تدخل في إطار علم النفس الاجتماعي Social Psychology خاصة مفهوم الاعتقاد Belief ، والإيمان Faith ، والتصديق والشك موضحًا مظاهرها وأنواعها ومستوياتها .

٢ - موضوع القيادة leadership وخصائصها خاصة في الباب الثالث عند حديث المؤلف عن الإمامة .

يلاحظ أن الغزالي في تناوله للقطب الثالث ، وأثناء مناقشته للنقطة الثالثة وهي « سبق الوهم إلى العكس فإن ما رؤي مقرونًا بالشيء أيضًا لا محالة أن يكون مقرونًا مطلقًا » ، وقد ذكر الغزالي بعض الأمثلة لتوضيح ذلك فقال : « إن السليم الذي نهشته الحية يخاف من الحبل المبرقش اللون ... وسببه أنه أدرك المؤذي وهو متصور بصورة حبل مبرقش ، فإذا أدرك الحبل سبق الوهم إلى العكس وحكم بأنه مؤذٍ فينفر الطبع تابعًا للوهم والخيال وإن كان العقل غير مكترثٍ به (ص ٦٩) .. ثم يقول الغزالي بعد ذلك : « خلقت قوى النفس مطيعة الأوهام والتخيلات بحكم إجراء العادات ، حتى إذا تخيل الإنسان طعامًا طيبًا بالتذكر أو بالرؤية سال في الحال لعابه .... » . وفي مناقشة الغزالي يلاحظ أنه فطن إلى الاقتران بين شيء ما (مثل الحية أو الطعام) وبين استجابة ما مثل الأذى الذي يسبب النفور والتجنب عند رؤية الحية ، أو سيلان اللعاب لرؤية الطعام ؛ فإنه يحدث بعد ذلك أن يستجيب الإنسان بمثل هذه الاستجابة إذا رأى هذا الشيء أو شيئًا في صورته وهذا هو عملية الاشتراط conditioning التي وصل إليها فيما بعد إيفان بافلوف عن طريق التجارب على الحيوانات ، وقد لاحظ ذلك ابن سينا من قبل ، وأشار إلى ذلك بوضوح أثناء كلامه عن القوة الوهمية ، ويبدو أن الغزالي قد أخذ هذه الفكرة عن ابن سينا ؛ لأن الغزالي يذكر نفس الأمثلة التي قال بها ابن سينا من قبل ، وقد شرحت هذا الموضوع بالتفصيل أثناء كلامي عن القوة الوهمية في كتاب : (الإدراك الحسي عند ابن سينا) ، (من مطبوعات دار الشروق ، الطبعة الثالثة) .

* * *

ميزان العمل (١)

عرض : د. شعبان جاب الله رضوان

عرض الكتاب :

يتناول هذا الكتاب بيان عدد من الموضوعات المتعلقة بالسعادة الأخروية ، والسبل التي تؤدي إليها ، ومعيار العلم والعمل اللذين يحققان هذه السعادة .

يبين الغزالي أولًا أن السعادة الأخروية هي مطلوب الأولين والآخرين ، ولا تنال هذه السعادة إلا بالعلم والعمل ، والفتور على طلبها حماقة ؛ لأنها السعادة الباقية أما لذات الدنيا فهي منقضية ، والعاقل يترك القليل رغبة في الكثير ، ولكن فتور الخَلق عن سلوك طريق السعادة لضعف إيمانهم باليوم الآخر . كذلك فإن فتور الإيمان حماقة أيضًا ، وأن الناس في أمر الآخرة أربع فرق : فرقة اعتقدوا الحشر والنشر والجنة والنار كما نطقت بها الشرائع وهم المسلمون كافة . وفرقة ثانية : هم بعض الإلهيين الإسلاميين من الفلاسفة اعترفوا باللذة العقلية وأنكروا وجود الحسيات من خارج وأثبتوها على طريق التخيل في النوم . وفرقة ثالثة : ذهبوا إلى إنكار اللذة الحسية جملة بطريق الحقيقة والخيال . وفرقة رابعة : وهم جماهير من الحمقى ، ذهبوا إلى أن الموت عدم محض وأن الطاعة والمعصية لا عاقبة لهما .

كما يبين أن العلم والعمل هما طريق السعادة ؛ ولكي يعرف الإنسان ذلك عليه أن يلتفت إلى ما اتفق عليه آراء الفرق الثلاثة وهم أهل الظاهر والصوفية والفلاسفة ؛ حيث

---

(١) ضبطه وقدم له سليمان سليم البواب ، دمشق ، بيروت ، دار الحكمة ، (١٩٨٦م) ، (١٦٨ ص) .

أجمعوا على أن الفوز والنجاة لا يحصلان إلا بالعلم والعمل معًا ، كما يجب على الإنسان أن يتعلم أن سعادة كل شيء ولذته وراحته في وصوله إلى كماله الخاص به ، وأن هذا الكمال الخاص بالإنسان هو إدراك حقيقة العقليات على ما هي عليه دون الحسيات التي يشاركه فيها الحيوانات ، كما أن النفس متعطشة إلى هذا الكمال ومستعدة له بالفطرة ، وما يصرفها عنه هو اشتغالها بشهوات البدن وعوارضه ، وإذا أقبل الإنسان بالتفكر والنظر على مطالعة الكون ومطالعة نفسه فقد وصل إلى كماله الخاص ؛ إذ لا معنى للسعادة إلا نيل النفس كمالها الممكن لها .

ويرتبط مفهوم السعادة بموضوع الانفعالات Emotions (ص ١١ - ٢٣) ، كما يتصل مصطلح الشهوة أو اللذة بموضوع الدوافع Motives وإشباعها (ص ١٤) ، ويقع ذلك في إطار علم النفس العام . ويوضح الغزالي بعد ذلك كيفية تزكية النفس وقواها وأخلاقها ، وهنا يقسم الناس إلى نوعين أحدهما : قانع بالتقليد وهو مستغنٍ عن البحث وينهج السبيل التي رسمها له مقلده ، أما الفريق الثاني : فلا يقلدون تقليد المريض للطبيب بل يتشوقون إلى نيل رتبة الأطباء ، ولكي يرقى الإنسان عن حضيض التقليد ويصل إلى سواء الطريق عليه بالمجاهدة ، ومعرفة نفسه وقواها وخواصها ، فالمجاهدة معالجة للنفس بتزكيتها لتفضي إلى الفلاح ، ومعرفة النفس هي ملاك الأمر كله ؛ لأن العقل والبصيرة هما وسيلة إدراك النفس ، كما أن هذه النفس الإنسانية من الأمور الإلهية ، أما الجسم فهو مدرك بالبصر .

وإجمالًا ، فإن للنفس الحيوانية قوتين ، إحداهما محركة ، والأخرى مدركة . والمحركة قسمان : باعثة ومباشرة للحركة ، فالمباشرة للحركة هي القوة التي تنبت في الأعصاب والعضلات ، وأما الباعثة فهي القوة النزوعية الشوقية التي تبعث على الحركة ، فتحمل القوة المباشرة للحركة على التحريك ، ولهذه الباعثة شعبتان : إحداهما : شهوانية تبعث على تحريك يقرب من الأشياء التي يعتقدها صاحبها ضرورية أو نافعة طلبًا للذة ، والأخرى تسمى غضبية وهي قوة تبعث على تحريك يدفع به الشيء الذي يعتقد فيه أنه ضار أو مفسد طلبه ، ويتصل هذا الحديث عن القوة المحركة بقسميها بعلم النفس ، وعلم النفس الفسيولوجي Physio - Psychology (ص ٢٥ - ٢٧) كما يرتبط مفهوم الشهوة بموضوع الدوافع (ص ١٩ - ٢٢) - كما ذكرنا - كما يشير مفهوم القوة الغضبية إلى مصطلح الانفعالات Emotions ومصطلح الدافعية Motivation (في علم النفس العام) فالقوة الغضبية تدفع إلى البعد عن الأشياء التي يعتقد أنها ضارة

أو مؤذية ، وأما القوة المدركة فهي قسمان : ظاهرة وباطنة ، وتشير الظاهرة إلى الحواس الخمس (وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس) ، ويرتبط موضوع الإحساس Sensation (ص ٢٦) بعلم النفس الفسيولوجي ، وعلم النفس العام . وتنقسم القوة الباطنة إلى خمسة أقسام ؛ هي :

١ – **الخيالية** : وتبقى فيها صور الأشياء المحسوسة بعد غيابها .

٢ – **الحافظة للصور** : وهي التي تحتفظ منها صورة المحسوسات ويتصل هذا بموضوع الذاكرة Memory (ص ٢٦) في إطار علم النفس العام ، وهذه القوة القابلة لمدركات الحواس الخمس والحافظة لها تقع في التجويف الأول من مقدم الدماغ ، وبحلول آفة فيه تختل هذه القوى . وهذه الإشارة إلى موضع الذاكرة في الدماغ تتصل بعلم النفس العصبي (ص ٢٦) Neuropsychology .

٣ – **القوة الوهمية** : وهي قوة مترتبة في نهاية التجويف الأوسط من الدماغ ، وهي تدرك معاني غير محسوسة من المحسوسات الجزئية .

٤ – **الحافظة** لهذه المعاني غير المحسوسة وتسمى ذاكرة ، ويتصل ذلك بموضوع الذاكرة أيضًا وبخاصة ذاكرة المعاني ، ويرى أن هذه الحافظة تقع في التجويف المؤخر من الدماغ ، ويتصل هذا بعلم النفس العصبي .

٥ – **القوة المفكرة** : ومسكنها التجويف الأوسط من الدماغ ، وهي مرتبة بين خزانة الصور وخزانة المعاني ، وتقوم بتركيب بعض ما في الخيال مع بعضه ، وتفصل عن بعض بحسب الاختيار ، يتصل هذا بسيكولوجية التخيل Imagination (ص ٢٦ ، ٢٧) وهذه القوى المذكورة تشارك فيها الحيوانات الإنسان إلا المفكرة ، القوة التي تقوم بتركيب صور المحسوسات التي في الخيال بعضها إلى بعض أو يفصلها بعضها عن بعض لدى الحيوانات تسمى متخيلة : هي تسمى عند الإنسان مفكرة . والمتخيلة عند الحيوانات لا ترقى إلى مستوى المفكرة عن الإنسان (ص ٢٦ – ٢٧) .

وأما النفس الإنسانية من حيث هي إنسانية فتنقسم قواها إلى قوة عاملة وقوة عالمة ، فالعاملة هي قوة ومعنى للنفس هو : مبدأ حركة بدن الإنسان إلى الأفعال المعينة الجزئية المختصة بالفكر والرَّوِيَّة على ما تقتضيه القوة العالمة النظرية .

أما القوة العالمة النظرية ، فهي تنفعل وتستفيد من الملائكة الموكلة بالنفوس الإنسانية لإفاضة العلوم عليها من اللَّه تعالى . ويعني هذا أن النفس وجهين : وجه إلى البدن ،

ووجه إلى الجنبة الشريفة العالية .

وهذه القوة العالمة هي التي من شأنها أن تتلقى المعاني المجردة عن العوارض التي تجعلها محسوسة جزئية .

ويشير الغزالي إلى أن هذه القوى للنفس مرتبط بعضها ببعض ، وهي متفاوتة في الرتبة فبعضها خادم والبعض الآخر مخدوم ، وقد خلق الإنسان على رتبة بين البهيمية والمَلَك .

ويمكن أن يتصل هذا التقسيم لقوى النفس المختلفة بفرع سيكولوجية الشخصية في إطار موضوع نظريات الشخصية (ص ٢٥ - ٣٣) Personality Theories .

ويبين الإمام الغزالي بعد ذلك نسبة العمل من العلم ، وإنتاجه السعادة التي اتفق عليها المحققون من الصوفية ؛ إذ يجب على الإنسان أن يطهر نفسه أولًا بالعمل ، والمجاهدة بكسر الشهوات حتى يخلصها من الهيئات الخبيثة ، ثم ينظر في الحقائق الإلهية حتى تتحد النفس بها وعندئذ يكون الإنسان قد بلغ سعادة النفس وكمالها .

وما ينبغي على الإنسان تحصيله من العلم نوعان : نظري يتعلق بالعلم باللّٰه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله والسموات والأرض ، وعلم عملي وهو ثلاث شعب :

١ - علم النفس بصفاتها وأخلاقها وهو الرياضة ومجاهدة الهوى (علم النفس) .

٢ - علم النفس بكيفية المعيشة مع الأهل والولد والخدم والعبيد (سيكولوجية العلاقات الاجتماعية Psychology of Social Relationship) ، (ص ٤٥) .

٣ - علم الفقه .

ومجامع القوى التي لا بد من تهذيبها ؛ هي : قوة التفكير ، وقوة الشهوة ، وقوة الغضب . ويشير التفكير إلى مفهوم الذكاء (ص ٤٦) Intelligence ، والشهوة إلى الدوافع (ص ٤٦) Motives ، والقوة الغضبية .

وذلك في إطار علم النفس العام ، ويجب أن تقوم القوة العقلية المفكرة بمهمة ضبط الشهوة والتحكم في القوة الغضبية ، وهذا التصور لقوى النفس يتصل بسيكولوجية الشخصية (ص ٤٦) Personality . وهناك إمكانية ؛ لأن يغير الإنسان من خُلُقه بالتربية . ولكن قوى النفس تتباين في إمكانية تغييرها ، فنجد أن قوة الشهوة هي أصعبها تغييرًا ، كما يتباين الناس في السرعة التي يتغير بها خلقهم ، ويمكن للإنسان أن يغير خُلُقه ويزكي نفسه باعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزاكية الكاملة ، وتكرار هذه الأفعال في أوقات كثيرة حتى تصبح له بالعادة كالطبع .

ويتصل تغيير الخُلق بموضوع تعديل السلوك Behavior Modification (ص ٥٤ - ٦٣) والتعلم Learning وكذلك بعلم النفس الإرشادي Counseling Psychology وعلم النفس الإكلينيكي Clinical Psychology (ص ٥٤ - ٦٣) .

أما الطريق إلى نيل السعادة فيكون بتزكية النفس وتكميلها ، ويحصل تكميلها باكتساب الفضائل التي تنحصر في معنيين : أحدهما : جودة الذهن والتمييز ، والآخر : حسن الخلق . ويحدث كل منهما بالتعلم البشري والجود الإلهي .

ويتصل مفهوم الاكتساب والتعلم بسيكولوجية التعلم ، ويتصل مفهوم جودة الذهن والتمييز بموضوع الذكاء (ص ٥٩ - ٦٠) ، أما حسن الخلق فيشير إلى مفهوم الأخلاق Morality في علم النفس الاجتماعي Social Psychology (ص ٥٩ - ٧٧) .

وقد يدخل مفهوم الجود الإلهي الجانب الفطري والموروث (غير التعلم) من الذكاء والشخصية والذي يصقل بالخبرة والتعلم ، ويسمى الاستعداد Aptitude (ص ٦٠) وكذلك يدخل فيه مفهوم الإلهام الإلهي .

وينتقل الغزالي بعد ذلك إلى بيان كيفية تهذيب الخلق ، فيشير إلى أن الإنسان لكي يهذب خلقه ويصل إلى الخلق الجميل عليه بالاعتدال والتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط ؛ لأن الكمال في الاعتدال ، ومعيار الاعتدال هو العقل والشرع ، فالسخاء وهو المحمود المعتدل وسط بين التقتير والتبذير .

وهناك أربع فضائل أساسية ؛ هي : الحكمة ، والشجاعة ، والعفة ، والعدالة ، فالحكمة : فضيلة القوة العقلية ، والشجاعة : فضيلة للقوة الغضبية ، والعفة : فضيلة للقوة الشهوانية ، والعدل : هو حالة للقوى الثلاث في انتظامها على التناسب بحسب الترتيب الواجب في الاستعلاء والانقياد ، فهو ليس جزءًا بمصطلح الذكاء والتفكير (ص ٦٠) والقوة الغضبية تتصل بمصطلح الدافعية والانفعالات (ص ٦٤) ، كذلك يتصل مفهوم القوة الشهوانية بمصطلح الدافعية (علم النفس العام) ، (ص ٦٧ - ٦٩) كما يمكن أن يشير مفهوم الفضائل على النحو الوارد هنا إلى مصطلح القيم Values (ص ٦٤ - ٧٧) أو الأخلاق في علم النفس الاجتماعي ، فيقال : قيمة الشجاعة ، وقيمة العفة وقيمة العدل .

ثم يبين الغزالي بعد ذلك ما يندرج تحت كل فضيلة أو رذيلة ، فأما الحكمة : فيندرج تحت فضيلتها حسن التدبير ، وجودة الذهن ، وثقابة الرأي ، وصوب الظن (الذكاء) وبالنسبة لرذيلتي الحكمة وهما الخب والبله ، فيندرج تحت الخب الدهاء والجربزة ،

ويندرج تحت البله الغمارة والحمق (الضعف العقلي) والجنون .

وتتصل هذه المفاهيم المتعلقة بالحكمة ورذيلتها بموضوع الذكاء Intelligence والتأخر العقلي Mental Retardation (ص ٧٠ ، ٧١) .

وما يندرج تحت فضيلة الشجاعة : هو الكرم والنجدة وكبر النفس والاحتمال والحلم والثبات والنبل والشهامة والوقار (وكلها يتصل بسيكولوجية الشخصية Personality (ص ٧٣ - ٧٦) ، وأما رذيلتا الشجاعة وهما التهور والجبن فيندرج تحتهما البذخ والنذالة والجسارة والنكول والتبجح وصغر النفس والهلع والاستشاطة والانفراك والتكبر والتخاسس والتعجب والمهانة .

وبالنسبة لفضيلة العفة ، فيندرج تحتها الحياء والخجل والمسامحة والصبر والسخاء وحسن التقدير والانبساط والدماثة والانتظام وحسن الهيئة والقناعة والهدوء والورع والطلاقة والمساعدة والتسخط والظرف .

وأما الرذائل المنضوية تحت رذيلتي العفة : (وهما الشره والجمود) فهي الشره وكلال الشهوة والوقاحة والتخنث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والكزازة والمجانة والعبث والتحاش والشكاسة والملق والحسد والشماته ، وهذه المفاهيم المندرجة تحت الفضائل والرذائل تتصل بمفهوم خصائص وسمات الشخصية Personality Traits (ص ٧٣ - ٧٦) .

ويرى الغزالي أن العدالة جامعة لجميع الفضائل ، والجور وهو المقابل لها فجامع لجميع الرذائل .

ثم يوضح البواعث على تحري الخبرات الدنيوية ؛ وهي ثلاثة :

١ - الترغيب والترهيب .

٢ - رجاء المحمدة وخوف المذمة .

٣ - طلب الفضيلة وكمال النفس .

وترتبط البواعث بموضوع الدوافع Motives في علم النفس العام (ص ٧٧ ، ٧٨) .

ويقسم الخيرات والسعادات إلى خمسة أنواع ؛ هي :

١ - السعادة الأخروية .

٢ - الفضائل النفسية : (وهي العقل والعفة والشجاعة والعدالة) .

٣ - الفضائل البدنية : (وهي الصحة والقوة والجمال وطول العمر) .

٤ - الفضائل المطيفة بالإنسان : (وهي المال والأهل والعز وكرم العشيرة) .

٥ - الفضائل التوفيقية : (وهي هداية اللّه ورشده وتسديده وتأييده) .

والسعادة الحقيقية هي السعادة الأخروية .

ويتصل مفهوم الفضائل النفسية الأربعة المشار إليها هنا بموضوع الذكاء ، وسمات الشخصية ، والقيم على نحو ما أشرت إليه من قبل عند الحديث عن كل فضيلة منها على حدة (ص ٨١ ، ٨٢) .

ويشير الغزالي بعد ذلك إلى ما يحمد ويذم من أفعال شهوة البطن ، والفرج ، والغضب . وكما ذكرنا من قبل فإن مفهوم الشهوة (سواء شهوة البطن أو الفرج) يتصل بموضوع الدوافع Motives عمومًا ، والدوافع البيولوجية خاصة Biological ، أما الغضب فيتصل بموضوع الانفعالات Emotions (انفعال الغضب) ودوافع الإحجام عن الشيء المؤذي أو عليه (ص ٩١ - ١٠٠) .

وينتقل إلى بيان العقل ، والعلم ، والتعليم ، ويذكر أن العقل : هو أشرف موجود في هذا العالم وبه تنال سعادة الدنيا والآخرة ؛ وأما العلم : فهو أصل الأصول ، والتعليم ، هو أشرف الأعمال .

ويورد هنا وظائف المتعلم والمعلم في العلوم السعادة ، فمن وظائف المتعلم : أن يقدم طهارة النفس عن الأخلاق ، وأن يقلل علائقه بالأشغال الدنيوية ، وألا يتكبر على العلم وأهله ، وألا يتأمر على المعلم ، وينبغي أن يرتب العلوم ويبدأ بالأهم ولا يترك منها شيئًا ، ويكون مقصده من العلم هو كمال نفسه والتقرب إلى اللّه . وأما وظائف المعلم : فمنها أن يجري المتعلم منه مجرى بنيه ، وأن يقتدي بالرسول ﷺ فلا يطلب على إفادة العلم أجرًا أو جزاءً ، وألا يدخر شيئًا من نصح المتعلم ، وأن يقتصر بالمتعلمين على قدر أفهامهم ، كما يجب أن يكون المعلم العملي (الشرعيات) عاملًا بما يعلمه حتى لا يفر الناس عن الاسترشاد .

وهذا الحديث عن وظائف المعلم والمتعلم بسيكولوجية التعلم Learning (ص ١٠١ - ١٢٨) في علم النفس العام ، ويتضمن إشارة لمفهوم القدوة Modeling (ص ١٢٧ ، ١٢٨) في علم النفس الاجتماعي . ويوضح الإمام الغزالي هنا أيضًا ما في كسب المال من الوظائف ، ويقسم المقتنيات إلى ثلاثة : نفسية وبدنية وخارجية . ويعتبر أن المال من المقتنيات الخارجية . ويمكن أن يتصل الحديث عن (المال) بموضوع التدعيم (ص ١٢٨ - ١٣٧)

Reinforcement ، حيث يعتبر المال مدعمًا ثانويًا أو مدعمًا شرطيًا ، فهو لا يشبع حاجة Need أساسية في حد ذاته - كما يشبع الطعام الجوع مثلًا - ولكنه وسيلة لإشباع الحاجات لدى الإنسان ؛ ولذلك فهو يعد مدعمًا ثانويًا ، بينما الطعام مدعم أولي (علم النفس العام) .

ثم يتحدث الغزالي عن الطريق في نفي الغم في الدنيا ويتصل مفهوم الغم بمصطلح القلق Anxiety أو الاكتئاب (ص ١٣٨ - ١٤١) Depression في علم النفس الإكلينيكي ، كما يوضح الطريق في نفي الخوف من الموت . ويتصل مفهوم الخوف بموضوع الانفعالات (ص ١٤١ - ١٤٤) وخاصة انفعال الخوف وذلك في إطار علم النفس العام ، أما إذا أصبح الخوف من الموت ظاهرة مرضية ، فعندئذ يقع في دائرة علم النفس الإكلينيكي Clinical Psychology تحت موضوع المخاوف المرضية Phobias وأما الطرق التي يوضحها الغزالي في نفي الغم والحزن والخوف من الموت فتتصل بعلم النفس الإرشادي Counseling Psychology (ص ١٣٨ - ١٤٤) .

ويشير الغزالي بعد ذلك إلى علامة المنزل الأول من منازل السائرين إلى الله تعالى ؛ وهما علامتان : الأولى : أن تكون الأفعال الاختيارية موزونة بميزان الشرع ، والثانية : أن يكون حاضر القلب مع الله في كل حال حضورًا ضروريًا غير متكلف . ثم يبين في نهاية هذا الكتاب معنى المذهب واختلاف الناس فيه ، ويتصل ذلك بمفهوم المعتقدات (ص ١٥٠ - ١٥٣) Beliefs في علم النفس الاجتماعي ؛ لأن المذهب كما يعرفه البعض هو معتقد ينطق به تعليمًا وإرشادًا مع كل آدمي كيفما اختلف حاله ، وهو الذي يتعصب له كمذهب الأشاعرة أو المعتزلة .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام ، والإرشاد النفسي والتربوي .

* * *

المنقذ من الضلال [1]

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

عرض الكتاب :

ويشتمل على مجموعة من الأقوال نعرض لها على النحو التالي :

القول الأول : في مداخل السفسطة وجحد العلوم ، فذكر أنه يجب التأمل في المحسوسات والضروريات ، والتأكد من صحتها لا من خلال الرؤية أو المشاهدة العابرة التي تؤدي بنا كثيرًا إلى الإدراك الخاطئ - ولكن من خلال التجربة والمشاهدة الدقيقة وإحكام أو الاستعانة بالعقل في مثل هذه الأمور .

ويرى المؤلف أنه يضاف إلى ذلك نور اللَّه الذي يمنحه للبشر ، فالكشف عن الحقائق لا يتم من خلال الأدلة العقلية المجردة ، قال اللَّه تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ ﴾ [الأنعام: ١٢٥] .

ويرتبط هذا الجزء بالمنهج العلمي Scientific Method ، خاصة أسلوب المشاهدة العلمية المنظمة Systematic Observation وكذلك بموضوع الخداعات الحسية Illusions (ص ٦ - ٨) .

والقول في أصناف الطالبين : وهم أربع فرق ، الأولى : (المتكلمون) وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر ، الثانية : (الباطنية) وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم ، والمختصون بالاقتباس . والثالثة : (الفلاسفة) ويزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان .

(١) تأليف أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح (د.ت) ، (٤٨ ص) .

والرابعة : (الصوفية) وهم يدعون أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة . وذكر أن الحق لا يعدو هذه الأصناف الأربعة ، وأن هؤلاء السالكين سبل طلب الحق ، فإن شذ الحق عنهم فلا يبقى في دَرْك الحق مطمع .

القول في بيان مقصود علم الكلام وحاصله : ويذكر المؤلف أنه طالع كتب المتقدمين في علم الكلام ، ووجده علمًا وافيًا بمقصوده ، وأما مقصود علم الكلام : فهو حفظ عقائد أهل السنة على أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدع لعقيدة الحق ﷺ ، فقد أنشأ الله طائفة المتعلمين لنصرة السنة المأثورة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدثة عن خلاف السنة ، ولكنني أرى (المؤلف) أن كلامهم هذا لم يحصل منه ما يمحو ظلمات الحيرة بالكلية ، نظرًا لاعتمادهم على مقدمات تسلموها من خصومهم اضطرهم إلى تسلمها إما التقليد أو إجماع الأمة .

القول في أحاصيل الفلسفة :

وتحدث المؤلف عن أصنافهم وشمول سمة الكفر فيهم . فهم ثلاثة أقسام :

الصنف الأول : (**الدهريون**) : وهم طائفة من الأقدمين جحدوا المدبر العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجودًا كذلك بنفسه لا بصانع ، ولم يزل الحيوان من نطفة والنطفة من حيوان كذلك كان وكذلك يكون أبدًا وهؤلاء هم الزنادقة .

الصنف الثاني : (**الطبيعيون**) : وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة أو عن عجائب الحيوان والنبات . وتشريح أعضاء الحيوانات ، واعترفوا بفاطر حكيم مطلع على غايات الأمور ومقاصدها ، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وإن آمنوا بالله تعالى وبصفاته ولذلك فهم أيضًا زنادقة ؛ لأن أصل الإيمان هو الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر .

الصنف الثالث : (**الإلهيون**) : وهم المتأخرون منهم : مثل ؛ سقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو وأما أقسام علومهم فتشمل ستة أقسام : رياضية ، ومنطقية ، وطبيعية ، وإلهية ، وسياسية ، وخلقية .

القول في مذهب التعليم وغايته :

ويذكر المؤلف في ذلك أنه بعد أن فرغ من تحصيل وفهم الفلسفة ومعرفته ما يزيف منها علم أن ذلك أيضًا غير وافٍ بكمال الغرض ، وأن العقل ليس مستقلًّا بالإحاطة بجميع المطالب ، ولا كاشفًا للغطاء عن جميع المعضلات . وبدأ في البحث في حقيقة

الباطنية والاطلاع على ما في كنانتهم ، ثم ساق الأدلة والبراهين التي تعارض ما يقولونه من شبهات تمس الدين والعقيدة .

وذكر بعد ذلك أهمية التعليم وتحصيل المعرفة في سبيل الدفاع عن الدين ، ومعرفة أصوله وفروعه .

القول في طريقة الصوفية :

وبعد أن فرغت من تحصيل هذه العلوم ، أقبلت على طريق الصوفية ، وعلمت أن طريقهم إنما تتم بعلم وعمل ، وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير اللَّه تعالى وتحليته بذكر اللَّه ، وكان العلم أيسر علي من العمل ، فابتدأت لتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم ؛ مثل : قوت القلوب لأبي طالب المكي ، وكتب الحارث المحاسبي وغير ذلك .

القول في حقيقة النبوة :

فجوهر الإنسان في أصل الفطرة خلق خاليًا ساذجًا لا خبر معه عن عوالم اللَّه تعالى . وخبره عن العوالم بواسطة الإدراك ، وكل إدراك من الإدراكات يطلع الإنسان به على عالم من الموجودات ، فأول ما يخلق به الإنسان حاسة اللمس ، ثم يخلق له البصر ، ثم السمع ، ثم الذوق ، إلى أن يجاوز عالم المحسوسات فيخلق فيه التمييز قرب سبع سنوات ، ثم يرتقي إلى طور آخر فيخلق له العقل فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات ، ويستطيع التمييز بعد ذلك وإدراك ما يمكن أن يقع في المستقبل وغير ذلك من الأمور .

وأشار بعد ذلك إلى أن بعض العقلاء قد رفضوا مدركات النبوة واستبعدوها . وذلك عين الجهل ؛ وذلك لأنهم لم يدركوها بالحواس المتعارف عليها .

ويرتبط هذا الجزء ارتباطًا مباشرًا بموضوع الإحساس Sensation والإدراك الحسي Perception ، وارتقاء الإحساس Development of Sensation (ص ٣٢ - ٣٥) ونمو القدرات العقلية والذكاء .

القول في سبب نشر العلم بعد الإعراض عنه :

ويذكر فيه أنه عاش في عزلة بعيدًا عن الناس حوالي إحدى عشرة سنة ، ثم رجع إلى

نشر العلم لوجه الله ﷻ ، وليس انتظارًا لجاهٍ أو أشياء من هذا القبيل ؛ ويقول المؤلف : « أدعو إلى العلم الذي به يترك الجاه ويعرف به سقوط رتبة الجاه . وأبغي أن أصلح نفسي وغيري ، وأحمد الله الذي هداني وحركني لذلك » .

وأما الذين ادعوا الحيرة بما سمعوا من أهل التعليم فعلاجه ما ذكرنا في كتاب القسطاس المستقيم ، وأما ما توهمه أهل الإباحة فقد أوضحناه في كتاب كيمياء السعادة ، وأما من فسد إيمانه بطريق الفلسفة حتى أنكر أصل النبوة فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها بالضرورة بدليل علم خواص الأدوية والنجوم وغيرها .

* * *

التبر المسبوك [1]

عرض : د. جمعة سيد يوسف

عرض الكتاب :

يبدأ الكتاب ببيان نعم اللّه ، وأهمها نعمة الإيمان الذي هو بذر السعادة المؤيدة والنعمة المخلدة ، ولشجرة الإيمان عشرة أصول وعشرة فروع ، فأصلها : الاعتقاد بالجنان ، وفروعها : العمل بالأركان

ثم يبدأ في تفصيل ذلك موجهًا كلامه لسلطان الإسلام ، ابتداءً بقاعدة الاعتقاد الذي هو أصل الإيمان ، ويعني بها أننا كبشر ، مخلوقون ولنا خلق عظيم . والأصل الثاني : في تنزيه الخالق ﷻ ، الذي ليس له صورة ولا مثل ، وأنه لا ينزل ولا يحل في قالب ، والأصل الثالث : أنه تعالى قدير على كل شيء ومُلْكه في نهاية الكمال ، والأصل الرابع : في العلم فهو ﷻ عالم بكل معلوم محيط بكل شيء . والأصل الخامس والسادس : في أنه سميع بصير ، أي أنه سميع لكل مسموع بصير لكل مبصر . والأصل السابع : في الكلام فأمره على جميع الخلق نافذ واجب مهما أخبر به من وعد ووعيد فإنه حق وأمره كلامه ، وهو متكلم وكلامه بغير حلق ولا لسان ، ولا فم ولا أسنان . والأصل الثامن : في أفعاله تعالى . وأن جميع ما في العالم مخلوق له تعالى وليس معه شريك ولا خالق بل هو الخالق الواحد . والأصل التاسع : في ذكر الآخرة وأنه تعالى خلق العالم من نوعين ، جسد وروح ، وجعل الجسد منزلا للروح لتأخذ زادًا

---

(١) الغزالي ، القاهرة ، مطبعة الآداب والمؤيد ، (١٩٠٠م) ، (١٣٣ ص) .

لآخرتها من هذا العالم ، وجعل لكل روح مدة مقدرة تكون في الجسد ، فآخر تلك المدة هو أَجَل تلك الروح من غير زيادة ولا نقصان . والأصل العاشر والأخير : في ذكر رسول الله ﷺ .

وينتقل بعد ذلك ليذكر فروع شجرة الإيمان ، ويبدأ بالإشارة إلى أن كل ما في قلب الإنسان من معرفة واعتقاد فذلك أصل الإيمان ، والأعمال التي هي فروع الإيمان هي تجنب المحارم وأداء الفرائض ؛ وهما قسمان ، أحدهما : بين الخلق والخالق كالعبادات والثاني : بين العبد وبقية الخلق وهي العدل في الرعية والكف عن الظلم .

وأصول العدل والإنصاف عشرة . **الأصل الأول** : هو أن نعرف أولًا قدر الولاية ونعلم خطرها ، فإن الولاية نعمة من نعم الله ﷻ ، ومن قام بحقها نال من السعادة ما لا نهاية له ولا سعادة بعده ، ومن قصر عن النهوض بحقها حصل في شقاوة لا شقاوة بعدها إلا الكفر بالله . (ومفهوم السعادة من المفاهيم التي دخلت لميدان الدراسات السيكولوجية حديثًا وأفردت لها مؤلفات خاصة (ص ١٠) . ويتحدث أيضًا في ثنايا هذا الأصل عن العلاقة بين الراعي والرعية (وكأنه يحدد خصال القائد والمسؤول ، وهو من موضوعات علم النفس التنظيمي Organizational Psychology وعلم النفس الاجتماعي Social Psychology (ص ١١ - ١٤) .

والأصل الثاني : أن يشتاق العبد دائمًا إلى رؤية العلماء ويحرص على استماع نصحهم ، وأن يحذر من علماء السوء الذين يحرصون على الدنيا ، ويستعين على توضيح ذلك بالحكايات والنكات ، والحكم (وبرغم عمومية الموضوع وهو طلب العلم ومجالسة العلماء والذي يصلح لكل طالب علم ، فإن علم النفس الحديث يهتم بالمهارات اللازمة للتعلم ، والقوانين التي تحكمه ، وأنواعه (ص ١٥) .

والأصل الثالث : ألا يكتفي العبد برفع يده عن الظلم ، ولكن يهذب غلمانه وأصحابه وعماله ونوابه ، فلا يرضى لهم بالظلم ، فإنه يسأل عن ظلمهم كما يسئل عن ظلم نفسه (ونجد لذلك صدًى في دراسات علم النفس الحديث ، وإن كان بشكل غير مباشر ، فهو من ناحية يدعو إلى حُسن التنشئة Socialization والتربية Education لمن نكون مسؤولين عنهم ، ومن ناحية أخرى يحدد بعض خصال المسؤول أو القائد Leader أيًا كان دوره (ص ١٨ ، ١٩) .

كما يثير في هذا السياق موضوعًا آخر يتصل بالعقل وجوهره ، والشهوة والغضب

ومصدر كل واحد من هذه القوى (والعقل ، والغضب أو الانفعالات Emotions والشهوة أو الدوافع Motives من موضوعات علم النفس العام) (ص ١٩ ، ٢٠) .

أما الأصل الرابع : في أن الوالي في الأغلب يكون متكبرًا ، ومن يتكبر يحدث عليه السخط من الداعين إلى الانتقام ، والغضب غول العقل وعدوه وآفته (ويتحدث بالإضافة إلى ذلك عن القدرة على ضبط النفس Self Control وهو من سمات الشخصية التي تدل على الاتزان الانفعالي وهو مما يدرس في علم النفس الحديث (ص ٢١) .

والأصل الخامس : في أن الوالي في كل واقعة تصل إليه وتعرض عليه يقدر أنه واحد من جملة الرعية وأن الوالي سواه ، فكل ما لا يرضاه لنفسه لا يرضاه لغيره من المسلمين ، فإن رضى لهم بما لا يرضاه لنفسه فقد خان رعيته وغش أهل ولايته .
والأصل السادس : ألا ينتظر الوالي أرباب الحوائج ووقوفهم ببابه ، وأنه متى كان لأحد من المسلمين حاجة إليه فلا ينشغل عن قضائها بنوافل العبادات ؛ لأن قضاء حوائج المسلمين أفضل من نوافل العبادات .

والأصل السابع : أن لا يعود نفسه الاشتغال بالشهوات ، من لبس الثياب الفاخرة وأكل الأطعمة الطيبة ، وأن يستعمل القناعة في جميع الأشياء ؛ لأنه لا عدل بلا قناعة (ونجده هنا يذكر جانبًا من الدوافع البيولوجية التي يعني بها علم النفس العام) (ص ٢٥) . ويرتبط ما يذكره الغزالي عن خصال الوالي بما يدرس في علم النفس الاجتماعي عن خصال القائد أو الزعيم .

والأصل الثامن : أنه متى أمكنه أن يعمل الأمور بالرفق و اللطف فلا يعملها بالشدة والعنف ، والعنف Violence من المفاهيم التي تدرس في إطار دراسات علم النفس الاجتماعي (ص ٢٥) .

والأصل التاسع : أن يجتهد الوالي في إرضاء رعيته بموافقة الشرع .

أما الأصل العاشر والأخير : أن لا يطلب رضا أحد من الناس بمخالفة الشرع فإن من سخط بمخالفة الشرع لا يضر سخطه .

وبعد أن فرغ من هذه الأصول ينتقل إلى بيان العينين اللتين هما مشرب شجرة الإيمان ، العين الأولى : في معرفة الدنيا ولِمَ أوجد فيها الإنسان ، ثم يستطرد ويذكر حال الدنيا على عشرة أمثلة . والعين الثانية : معرفة النَّفَس الأخير ، ويقسم بني آدم إلى طائفتين نظروا إلى شاهد حال الدنيا وتمسكوا بتأمل العمر الطويل ، وطائفة عقلاء جعلوا

النفس الأخير نصب أعينهم لينظروا إلى ماذا يكون مصيرهم ، وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وإيمانهم سالم . ويذكر في ذلك خمس حكايات .

(والحكاية الأولى تنطوي على بعض سمات الشخصية غير المحببة ؛ مثل : الكبرياء والخيلاء وتندرج في دراسات علم النفس إما تحت سمات الشخصية أو تحت موضوع الصداقة Friendship وصفات الصديق) (ص ٣٤) .

وينتقل بعد هذا الحديث مباشرة ودون تمهيد إلى **الباب الأول** : وهو في ذكر العدل والسياسة وذكر الملوك وسيرهم ، ويشير إلى أن اللَّه ﷻ اختار من بني آدم طائفتين : وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليبينوا للعباد على عبادته الدليل ، ويوضحوا لهم معرفة السبيل . واختار الملوك لحفظ العباد من اعتداء بعضهم على بعض ، وهو هنا يخوض في تفاصيل كثيرة ، فيحدد أنواع الظلم وهو نوعان ، أحدهما : ظلم السلطان لرعيته وجور القوي على الضعيف والغني على الفقير ، والثاني : ظلم العبد لنفسه ، وبين العدل وفوائده ويورد في ذلك عددًا كبيرًا من الحكايات التي رويت عن الملوك والخلفاء والصالحين والكلام هنا يدخل بشكل غير مباشر في أحد موضوعات علم النفس الاجتماعي التي سبق أن أشرنا إليها وهو موضوع القيادة Leadership (ص ٤١) ، وكذلك خصال القائد كما حددها بعض الحكماء مثل أرسطاطاليس (ص ٥٩ - ٦٠) .

ويعرج بعد ذلك ليتحدث في فصلٍ مستقل ، عن ضرورة ابتعاد السلطان عن الاشتغال الدائم بلعب الشطرنج والنرد وشرب الخمر وضرب الكرة والصولجان والصيد ؛ لأن ذلك يمنعه ويشغله عن أمور الرعية ، وما يعنينا هنا هو شرب الخمر باعتبارها من المواد التي إذا دخلت جسم الإنسان أثرت في وظائفه الخاصة ، وخاصة السلوك وهو مما يهتم به علماء النفس الإكلينيكيون (٦٤) . كما يتحدث في فصل آخر عن واجبات السلطان متى وقعت رعيته في ضائقة أو حصلوا في شدة وفاقة .

● **والباب الثاني** : في سياسة الوزارة وسير الوزراء ، فالسلطان يرتفع ذكره وعلو قدره بالوزير إذا كان صالحًا عادلًا ، ثم يحدد بعد ذلك العلاقة بين السلطان والوزير وكيف يعامله . كما يحدد للوزير مهامه وخصاله ؛ ومنها : أن يكون عالمًا عاقلًا ، شيخًا (بما له من تجارب) . ويحتاج الوزير إلى خمسة أشياء لتحمد خبرته وتحسن سيرته ؛ وهي : التيقظ (والتيقظ Vigilance أو الانتباه Attention من موضوعات علم النفس الحديث والتي تدرس في حالتي السواء والمرض لصياغة المبادئ الحاكمة لها) (ص ٨٦) .

والعلم والشجاعة ، والصدق ، وكتمان سر السلطان إلى أن يدركه الموت .

● **والباب الثالث** : في ذكر الكُتَّاب وآدابهم ، فقد قال العلماء ليس شيء أفضل من القلم ؛ لأنه يمكن به إعادة السالف والماضي ، وقد أقسم اللّٰه تعالى به ، ويرى المؤلف أن الكُتَّاب لا يجوز لهم أن يعرفوا أكثر من حدود الكتابة ليصلحوا لخدمة الأكابر . وينبغي أن يكون الكاتب عالماً بعشرة أشياء : بُعد الماء وقربه تحت الأرض ، ومعرفة استخراج الإفتاء ، ومعرفة زيادة الليل والنهار ونقصانهما ، وسير الشمس والقمر والنجوم ، ومعرفة الاجتماع والاستقبال ، والحساب بالأصابع ، وحساب الهندسة والتقويم ، واختيارات الأيام وما يصلح للمزارعين ، ومعرفة الطب والأدوية ، ومعرفة ريح الجنوب والشمال ، وعلم الشعر والقوافي ، وأن يكون إلى جانب هذا كله خفيف الروح ، طيب اللقاء عالماً ببراية القلم .

● **والباب الرابع** : في سمو همم الملك ، وتفسير معنى الهمة ، وأن يرفع نفسه ؛ فإن أنفة القلب من همم الأكابر لأنهم يعرفون قدر أنفسهم فيعزونها ، ولا يرفع أحد قدر أحد حتى يكون هو الرافع لقدر نفسه (ونلمح في هذا الحديث تطرقًا لبعض المفاهيم التي يتناولها علماء النفس المحدثون ويدرجونها تحت سمات الشخصية ، أو تحت ما يسمى بصورة الذات Self Image أو مفهوم الذات Self Concept ونعني بها تقدير الذات Self Esteem ، والثقة بالنفس Self Confidence ، كما أنهم يوفرون المقاييس التي تمكن من قياسها والتعرف عليها بطريقة موضوعية) (ص ٩٣) .

● **والباب الخامس** : في ذكر حلم الحكماء . والحكمة من عطاء اللّٰه جلت قدرته ، ويؤتيها من يشاء من عباده ، وثمرة الحكمة الراحة والعلاء . وقد اختصر بعض العلماء الكتب لملوك الهند - فيما روي - في أربع كلمات إحداهما للملوك وهي العدل ، والثانية للرعية وهي الطاعة ، والثالثة للنفس وهي الإمساك عن الطعام إلى وقت الجوع (وهو أحد أنواع الدوافع البيولوجية أو الأولية التي تعرض لها علماء النفس بالدراسة ص ١٠٥) ، والرابعة للإنسان وهي ألا ينظر إلى غير نفسه ، كما يسوق لنا بعض الحكم فيقول : « اتفق أهل الدنيا على أن أعمال الخلائق لها خمسة وعشرون وجهًا : خمسة منها بالقضاء والقدر ؛ وهي : طلب الزوجة والولد والمال والملك والحياة ، وخمسة منها بالكسب والاجتهاد ؛ وهي : العلم والكتابة والفروسية ودخول الجنة والنجاة من النار ، وخمسة منها بالطبع ؛ وهي : الوفاء والمداراة والتواضع والسخاء ، وخمسة منها بالعادة : وهي المشي في الطريق والأكل والنوم والجماع والبول والتغوط ، وخمسة منها بالإرث ، وهي

الجمال وطيب الخلق وعلو الهمة والتكبر والدناءة (ومن هذه الحكمة نجد تعرضًا لعدد من المفاهيم التي تدخل الآن في اهتمامات علماء النفس ؛ مثل : بعض سمات الشخصية الحسنة والسيئة وبعض الدوافع الأولية ، كما نجد استخدامًا لمفهوم العادة Habit وهو من المفاهيم التي تستخدم في ميدان نظريات التعلم Learning Theories ص ١٠٧) . كما يرتبط ذلك بأثر البيئة والوراثة في السلوك .

● **والباب السادس** : في شرف العقل والعقلاء ، فاللّه ﷻ خلق العقل على أحسن صورة وقال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت في خلقي شيئًا أحسن منك ، بك آخذ وبك أعطي ، وبك أحاسب ، وبك أعاقب ، وهذا دليل على مكانة العقل من البشر ، وقال الحكماء : إن للعاقل أربع علامات يعرف بها ، وهي أن يتجاوز عن ذنب من ظلمه ، وأن يتواضع لمن دونه ، وأن يسابق لفعل الخير لمن هو أعلى منه ، وأن يذكر ربه دائمًا ، وأن يتكلم عن العلم ويعرف منفعة الكلام في موضعه ، وإذا وقع في شدة التجأ إلى اللّه تعالى (والعقل صفة عامة من الموضوعات المحورية في علم النفس القديم والحديث سواء كان هذا العقل ذكاءً أو تفكيرًا أو عمليات معرفية) (ص ١١٥ ، ١١٦) ، كما يذكر في هذا السياق بعض الحكايات التي تشير إلى المحبة والعوامل التي تؤدي إليها بين الأفراد (والحب أو المحبة من بين الانفعالات التي يدرسها علم النفس العام) (ص ١١٩) . كذلك يربط في موقف آخر من خلال الحكمة بين العقل والتجربة ، ويذكر أيضًا أن من جنود العقل : التمييز ، والحفظ ، والفهم (وهي كلها وظائف أو عمليات نفسية معرفية درست في علم النفس المعرفي Cognitive Psychology أو في الذكاء Intelligence أو في سيكولوجية اللغة Psycholinguistics أو في نظريات التعلم (ص ١٢١) .

● **والباب السابع** : في ذكر النساء ، وخيرهن وأبركهن وهي الحسناء الولود الخفيفة المهر ، ويدلل على ذلك بالأحاديث والحكايات . ويحث على ضرورة التدقيق في اختيار الزوجة ، ثم يذكر فصلًا في ديانة المرأة وسترها .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام ، وعلم النفس الاجتماعي .

* * *

مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف (١)

عرض : د. شعبان جاب الله رضوان

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٤٨٧ صفحة من القطع المتوسط ، ويضم خطبة الكتاب ثم أبواب الكتاب وعددها ١١١ بابًا ونعرض لها فيما يلي :

تتناول الأبواب من الأول حتى الحادي عشر عددًا من الموضوعات ؛ هي : الخوف من الله تعالى وعلاماته ومنها امتناع اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وكلام الفضول وانشغاله بذكر الله وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم ، وخروج العداوة والبهتان وحسد الإخوان من القلب ، وعدم النظر إلى الحرام ، وعدم أكل الحرام ، وعدم مد اليد إلى الحرام ، وعدم المشي في معصية الله ، بل يجب المشي في طاعته ورضاه .

ويتصل هذا الحديث عن الخوف بموضوع الانفعالات Emotions وخاصة انفعال الخوف (علم النفس العام) ، (ص ٥ – ٩) ، ثم يتناول الصبر والمرض ، ويبين أن من أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه فَلْيَنْهَ نفسه عن شهوات الدنيا وليصبر على الشدائد . والصبر على أوجهٍ منها : الصبر على طاعة الله ، وعلى محارمه وعلى المصيبة والمرض .

ثم ينتقل إلى الحديث عن رياضة النفس ومجاهدتها لأنها أعدى من إبليس ، وذلك من خلال اجتناب الشهوات النفسانية وقمعها بالجوع ، وأن يجعل الشيطان عدوًّا له .

ويتصل ذلك بموضوع الدوافع Motives في علم النفس (ص ١٧ – ٢١) .

---

(١) الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (١٩٨٢م) .

ويتناول أيضًا الغفلة ، ويروى أنها تزيد الحسرة والحسد والملامة والندامة وتزيل النعمة ، ثم يتحدث عن نسيان اللّٰه تعالى والفسق والنفاق وعاقبة ذلك .

ثم ينتقل إلى التوبة وهي من الأمور الواجبة على كل مسلم ومسلمة ، وهي الوسيلة التي يعفو بها اللّٰه سبحانه ويتجاوز عن سيئات عباده .

وتنتهي هذه الفصول بحديث عن محبة المؤمنين اللّٰه ومظاهر ذلك من اتباع أمره ، وإيثار طاعته وابتغاء مرضاته ، وحب اللّٰه للمؤمنين والذي يبدو في ثنائه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته وعصمته وتوفيقه ، ويشير الإمام الغزالي هنا إلى أن علامة المحبة موافقة المحبوب واجتناب خلافه ، ويعرف الحب : بأنه عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ ، فإن تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقًا ، ويذكر أن محبة اللّٰه تقتضي طاعته وطاعة رسوله ﷺ .

ويتصل هذا الحديث عن المحبة والعشق ، بموضوع الانفعالات Emotions وبخاصة انفعال الحب وذلك في إطار علم النفس العام (ص ٣٧ - ٤٦) .

وتدور الأبواب من الثامن عشر حتى العشرين حول موضوعات متفرقة ، فتتناول إبليس وعذابه ، والأمانة بمعنى الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب والعقاب ، وإتمام الصلاة بالخضوع والخشوع في أدائها ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واتخاذ الشيطان عدوًّا والحذر منه والتغلب عليه بطاعة اللّٰه ، ومعرفة مداخله الكثيرة التي تعد صفات للعبد ومنها الغضب والشهوة والحسد والحرص والشبع من الطعام ، وحب التزين من الأثاث والثياب والدار ، والطمع في الناس والعجلة ، وترك التثبت من الأمور ، والبخل وخوف الفقر ، والتعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر لهم بعين الاحتقار ، وسوء الظن بالمسلمين .

وتتناول أيضًا الأمانة بمعنى أداء الحقوق لأصحابها وضدها الخيانة ، وكذلك فضل الترحم ، أي رحمة النفس بترك المعاصي والتوبة ، وفعل الطاعات والإخلاص فيها وأيضًا رحمة الغير بعدم إيذائه وثواب ذلك المتمثل في دخول الجنة ، وبيان الغيبة والنميمة وما ورد فيهما من نصوص تحرمهما .

وهناك عدد من المفاهيم الواردة في الأبواب السابقة ذات صلة بمجالات علم النفس ؛ حيث يتصل مصطلح الغضب بموضوع الانفعالات Emotions ، والشهوة بموضوع الدوافع Motives والعجلة الاندفاعية Impulsivity وذلك في علم النفس العام .

ويقع مفهوم التعصب Prejudice في علم النفس الاجتماعي ، أما مفهوم الأمانة

فيتصل بموضوع القيم Values والأخلاق Morality في علم النفس الاجتماعي أيضًا (ص ٥٣ - ٩٥) .

وتهتم الأبواب من الحادي والعشرين حتى الثاني والعشرين ببيان الزكاة وأنواعها وعقوبة من يبخل بأدائها ، والزنى وضرورة حفظ الفرج عن الحرام مخافة العذاب ، ثم بيان حقوق الوالدين وصلة الرحم وبر الوالدين ، وما إلى ذلك من نيل رضا اللَّه تعالى .

كما يتناول الإمام الغزالي هنا أيضًا موضوع الأمل في الدنيا وكيف أن صلاح الأمة بالزهد واليقين ، وهلاكها في طول الأمل والحرص على الدنيا ، وبيان ملازمة الطاعة المتمثلة في القيام بفروض اللَّه تعالى والاجتناب لمحارمه والوقوف عند حدوده ، وضرورة ذكر الموت حتى لا ينهمك الإنسان في لذات الدنيا وشهواتها . ثم يتحدث عن خلق السموات السبع من دخان ، ويبين المقصود بالكرسي والعرش والملائكة المقربين والأرزاق والتوكل ، ويعود إلى الحديث عن ترك الدنيا وذمها والآيات القرآنية الواردة في هذا الصدد والتي تدعو إلى العمل من أجل الآخرة الباقية .

وتدور الأبواب من الثالث والثلاثين حتى الثاني والأربعين حول فضل القناعة بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن ، وحول فضل الفقراء الذين يرضون بالكفاف من الطعام وثوابهم عند اللَّه تعالى ، كما تتناول من يتخذ من دون اللَّه سبحانه وليًا ، وكذلك النفخ والحشر من المقابر يوم القيامة ، والقضاء بين الخلائق وإعطاء كل ذي حق حقه ، ثم يبين ذم المال ومن يحبه ويفضله على ما عند اللَّه الذي لا ينفد .

ويذكر الغزالي بعد هذا عملية الحساب ونصب الميزان للحسنات والسيئات وما يعقب ذلك من دخول الجنة أو عذاب النار ، والحال التي يكون عليها الخلائق في هذا الموقف المهيب . ويبين فضل الطاعة التي حث اللَّه عليها في آيات متعددة وأنها جماع الخير كله ، كما يبين جزاء شكر اللَّه على نعمائه وأن هذا الشكر يتم بالقلب واللسان والجوارح في السراء والضراء ، ويشير إلى ذم الكبر وعاقبة المتكبرين في الأرض بغير الحق مستشهدًا بالأحاديث النبوية والآيات القرآنية الواردة في هذا الشأن .

وتتناول الأبواب من الثالث والأربعين حتى السادس والخمسين عددًا من الموضوعات المختلفة ؛ حيث يشير الغزالي فيها إلى ضرورة التفكر والتدبر في تعاقب الليل والنهار ، وخلق السموات والأرض كما أمر اللَّه تعالى بذلك في كتابه العزيز وأثنى على المتفكرين ، ويذكر في هذا الشأن قول الإمام الشافعي ﷺ بأن الفضائل أربعة ؛ إحداها : الحكمة وقوامها الفكرة ،

والثانية : العفة وقوامها في الشهوة والثالثة : القوة وقوامها في الغضب والرابعة : العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس . وهذه المقولة للإمام الشافعي تتضمن بعض المفاهيم النفسية حيث يتصل مفهوم الفضائل الأربعة ؛ وهي : الحكمة ، والعفة ، والقوة ، والعدل بمصطلح القيم Values والأخلاق Morality في علم النفس الاجتماعي ، ومفهوم التفكير .

كما يتصل مفهوم الغضب بموضوع الانفعالات Emotions وخاصة انفعال الغضب ، ويتصل مصطلح الشهوة بموضوع الدوافع Motives وخاصة الدوافع الفطرية وذلك في إطار علم النفس العام (ص ٢٢٧ - ٢٩١) .

ويبين شدة الموت وألمه على الإنسان ، وسؤال القبر له وكيف يكون رحمة لمن كان مطيعًا للَّه ، ونقمة لمن كان عاصيًا له في الدنيا ، والمقصود بعلم اليقين وعين اليقين ، والسؤال يوم العرض على نعيم الدنيا من صحة الأبدان والأسماع والأبصار والمكاسب وملاذ المآكل والمشارب وغيرها . ويتناول أيضًا فضل ذكر اللَّه تعالى وما أعده اللَّه للذاكرين له من ثواب عظيم ومغفرة لذنوبهم ، وفضل الصلوات الخمس المتمثل في تكفيرها لما بينهن من الذنوب والخطايا ، وبيان عقوبة تاركها ، وبيان درجات جهنم وعذابها التي أُعدت للكافرين والمنافقين ، ويبين أيضًا أن أعظم زاجر عن الذنوب هو خوف اللَّه تعالى وخشية انتقامه وسطوته ، وحذر عقابه وغضبه وبطشه .

وينتقل الإمام الغزالي بعد ذلك إلى الحديث عن فضل التوبة والاستغفار وثوابهما ، والنهي عن الظلم وعاقبة الظالمين ونصرة اللَّه تعالى للمظلوم ، والنهي عن ظلم اليتيم - على وجه الخصوص - وأكل ماله . ثم يعود إلى بيان ذم الكبر مرة ثانية نظرًا لسوء عاقبته .

وتتناول الأبواب من السابع والخمسين حتى السبعين مجموعة من الموضوعات المتفرقة بعضها سبق ذكره من قبل كالحديث عن فضل القناعة وفضل الصلوات ، وذم الدنيا وتركها ، وذم الكبر ، وبيان صفة جهنم والميزان ، أما الموضوعات الأخرى فتدور حول فضل الصدقة التي تؤدى من الكسب الطيب ، وكيف أن اللَّه تعالى لا ينقص بها المال ويمحو بها الخطايا ، وحول معاونة المسلم لقضاء حاجة أخيه المسلم ، وما في ذلك من أجر عظيم ، وحول فضل الوضوء وإسباغه على المكاره وما في ذلك من تكفير لسيئات العبد ، وأيضًا بيان أهوال يوم القيامة ، والإحسان إلى اليتيم وثوابه ، والنهي عن أكل الحرام والربا ، ثم يذكر حقوق العبد وهي السلام عليه عند لقائه ، وإجابته إذا دعاه وتشميته إذا عطس ، وزيارته إذا مرض وحضور جنازته إذا مات وبر قسمه إذا أقسم ،

والنصح له إذا طلب النصيحة ، وحفظه بظهر الغيب عند غيابه .

أما الأبواب من الحادي والسبعين حتى الثمانين فتتناول ذم اتباع الهوى ؛ لأنه يضل عن سبيل اللّٰه ، وهو مفتاح السيئات ، وتبين الزهد ومقاماته الثلاثة ؛ وهي : الكف عن المحارم ، وترك الشبهات والزهد في الحلال ، ثم يتحدث عن صفة الجنة ومراتب أهلها الذين يتكئون على الأرائك ويسقون من رحيق مختوم ويطاف عليهم بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين إلى غير ذلك من أنواع النعيم المقيم .

وتتناول أيضًا فضل الصبر والرضا والقناعة وجزاء ذلك عند اللّٰه تعالى ، وفضل التوكل على اللّٰه وفضل بناء المساجد وعمارتها ، وبيان وسائل رياضة النفس ومعرفة عيوبها ؛ وهي :

١ - أن يجلس المرء بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس ، ويحكمه في نفسه ويعرفه بعيوبها وطرق علاجها .

٢ - أن يطلب صديقًا صدوقًا بصيرًا متدينًا فينصبه رقيبًا على نفسه ، ليلاحظ أحواله وأفعاله وينبهه على ما كره من أخلاقه وعيوبه الظاهرة والباطنة .

٣ - أن يستفيد بمعرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه لأن عين السخط تبدي المساوئ .

٤ - مخالطة الناس لرؤية كل مذموم بين الخلق وأن يطالب نفسه به وينسبها إليه .

وينبغي على المرء أن ينزع من قلبه محبة الشهوات ويجاهد نفسه في طاعة اللّٰه تعالى .

وينتقل الإمام الغزالي بعد ذلك إلى الحديث عن الإيمان والنفاق ، ويذكر أن كمال الإيمان هو التصديق بوحدانية اللّٰه ، ويبين خطر المنافق وخصاله ، والنهي عن الغيبة والنميمة ، وقد سبق الحديث عنهما ، ثم يشير إلى أن المحبة هي محبة اللّٰه واتباع رسوله ، وأن محاسبة الإنسان لنفسه قد أمر بها اللّٰه ﷻ في كتابه الكريم ، وتتصل الطرق الأربعة المذكورة آنفًا لمعرفة عيوب النفس بالإرشاد النفسي Counseling كما يتصل مفهوم المحبة بموضوع الانفعالات Emotions (انفعال الحب) في علم النفس العام (ص ٣٥٣ - ٣٥٧) .

وتدور الأبواب من الحادي والثمانين حتى التسعين حول بيان تلبيس الحق بالباطل ، وفضل صلاة الجمعة وصلاة الليل ، وعقوبة علماء الدنيا الذين يقصدون من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها ، وبيان فضل حسن الخلق وأنه أفضل الأعمال وهو أول ما يوضع في ميزان العبد .

ويتصل الحديث عن حسن الخلق بموضوع الأخلاق Morality في علم النفس الاجتماعي (ص ٣٩٥ - ٣٩٩) . كما تتناول أيضًا الضحك والبكاء واللباس ،

وبخاصة ضحك الاستهزاء من القرآن ، وبكاء الخوف والانزجار لما ورد فيه من الوعيد ، ثم تذكر فضل القرآن والعلم والعلماء ، وكذلك فضل الصلاة والزكاة ، وبر الوالدين وثوابه ، وحقوق الأولاد المتمثلة في حسن التأديب والتربية وحسن التسمية ، وتلبية مطالبهم وإرضائهم عند الغضب ، والرحمة بهم .

وتتصل هذه الإشارة عن حقوق الأولاد بموضوع التنشئة الاجتماعية Socialization في إطار علم النفس الاجتماعي (ص ٤٠٥ - ٤٠٨) .

وتبين كذلك حقوق الجوار ؛ ومنها : الإحسان إلى الجار ، وكف الأذى عنه ، واحتمال الأذى منه ، وعيادته في مرضه ، وعزاؤه في المصيبة ، وتهنئته في الفرح ..... إلخ .

أما الأبواب من الحادي والتسعين حتى الحادي عشر بعد المائة فتتناول ذكر فضائل يوم الجمعة وفضل الجهاد في سبيل الله وفضل شهور رجب وشعبان ورمضان وفضل ليلة القدر وعيدي الفطر والأضحى ، والعشر الأوائل من ذي الحجة ، ويوم عاشوراء ، وفضل ضيافة الفقراء .

كما تتناول هذه الأبواب أيضًا عقوبة شارب الخمر ، ويندرج شرب الخمر تحت موضوع الإدمان Addiction أو الاعتماد Dependence في علم النفس الإكلينيكي .

وتتحدث عن معراج النبي ﷺ ، وحق الزوجة على الزوج ومنه حسن الخلق وكف الأذى عنها ، واحتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها .

وكذلك حق الزوج على الزوجة ومنه طاعة الزوج مطلقًا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه . ويتصل هذا الحديث عن الحقوق المتبادلة للزوجين بمفهوم الدور الاجتماعي Social Role ومتطلباته ، وبموضوع العلاقات الشخصية المتبادلة Interpersonal Relationship في إطار علم النفس الاجتماعي (ص ٤٢٣) .

ثم تتناول مكر الشيطان ، وبيان آراء الفقهاء والأئمة في سماع الغناء ، والنهي عن البدعة واتباع الهوى ، والنهي عن وسائل اللهو التي تمنع الإنسان عن ذكر الله .

ويختتم الإمام الغزالي هذا الكتاب بالحديث عن الجنازة وآداب حضورها ، وذكر القبر ، والتخويف من عذاب جهنم ، والميزان والصراط يوم القيامة ، ثم وفاة النبي ﷺ وبيان الظروف المختلفة التي أحاطت بهذا الحديث .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام .

المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى[1]

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

عرض الكتاب :

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة فنون :

الأول : في السوابق والمقدمات .

الثاني : في المقاصد والغايات .

الثالث : في اللواحق والتكميلات .

- **الفن الأول : في السوابق والمقدمات :**

ويتضمن أربعة فصول :

الفصل الأول : في بيان معنى الاسم والمسمى والتسمية ، وهي ثلاثة أسماء متباينة غير مترادفة . وفي بيان حد الاسم وحقيقته ، يقول المؤلف : « إن للأشياء وجودًا في الأعيان ، ووجودًا في الأذهان ، ووجودًا في اللسان ، والوجود في الأعيان : هو الوجود الأصلي الحقيقي ، والوجود في الأذهان هو الوجود العلمي الصوري ، والوجود في اللسان هو الوجود اللفظي الدليلي ، والاسم هو اللفظ الموضوع للدلالة ، وهو الذي في اللسان دون الذي في الأعيان والأذهان . وكل موضوع لدلالة : له واضع ووضع

---

(١) تأليف أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي ، الطبعة الأولى ، ليماسول ، قبرص ، الجفان والجابي للطباعة والنشر ، (١٩٨٧م) ، (ص ١٨٣) .

وموضوع له ، يقال للموضوع له : مسمًّى ، وهو المدلول عليه من حيث إنه يدل عليه . ويقال للواضع : المسمي ويقال للواضع : التسمية . يقال : سمى فلان ولده إذا وضع لفظًا يدل عليه ، ويُسمى وضعه تسمية ، وقد يطلق لفظ التسمية على ذكر الاسم والموضوع .

● ويرتبط هذا الفصل بمفهوم المعنى الإشاري Denotative Meaning والمعنى الدلالي Connotative Meaning ومفهوم التخيل Imagination (ص ٢٤ - ٣٩) .

الفصل الثاني : في بيان الأسامي المتقاربة في المعنى . وهنا يذكر المؤلف أن أسماء اللّٰه الحسنى التسعة والتسعين ، وإن كانت متقاربة المعاني (مثل الواحد ، والأحد) و (الغني والملك) فليست مترادفة ؛ وذلك لأن الأسامي لا تراد لحروفها ومخارج أصواتها ، بل لمفهوماتها ومعانيها .

الفصل الثالث : في الاسم الواحد الذي له معان : مختلفة ، وهو مشترك بالإضافة إليها ، كالمؤمن مثلًا ، فإنه قد يراد به المصدق ، وقد يشتق من الأمن ، ويكون المراد إفادة الأمن والأمان ، فهل يجوز أن يحمل على كلا المعنيين حمل العموم على مسمياته ، وقال الشافعي ﷺ : « الاسم المشترك يحمل على جميع مسمياته إذا ورد مطلقًا ما لم تدل قرينة على التخصيص » . فأما التعميم ، فربما خالف وضع الشرع وضع اللسان . ففيما تصرف الشرع فيه من الألفاظ لا يبعد أن يكون من وضعه وتصرفه إطلاق اللفظ لإرادة جميع المعاني ، فيكون اسم المؤمن بالشرع محمولًا على المصدق ومفيدًا الأمن بوضع شرعي لا بوضع لغوي .

● **الباب الرابع** : في بيان أن كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق اللّٰه تعالى والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه ، فحظوظ المقربين من معاني أسماء اللّٰه تعالى ثلاثة : الحظ الأول : معرفة هذه المعاني على سبيل المكاشفة والمشاهدة ، حتى يتضح لهم حقائقها بالبرهان الذي لا يجوز فيه الخطأ ، وينكشف لهم اتصاف اللّٰه ﷻ بها ، انكشافًا يجري في الوضوح والبيان مجرى اليقين الحاصل للإنسان بصفاته الباطنة ، التي يدركها بمشاهدة باطنة لا بإحساس ظاهر ، الحظ الثاني : وهو استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث من الاستعظام ، يشوقهم إلى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ، ليقربوا بها من الحق قربًا بالصفة لا بالمكان ، فيأخذوا من الاتصاف بها شبهًا بالملائكة المقربين عند اللّٰه ﷻ ، الحظ الثالث : وهو

السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها ، وبه يصير العبد ربانيًا ؛ أي قريبًا من اللَّه ﷻ .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن الكمال المطلق الذي يقتصر على اللَّه ﷻ . ثم قسم الموجودات إلى حية وميتة ، وأن الحي أشرف وأكمل من الميت . وأن درجات الأحياء ثلاث : درجة الملائكة ، ودرجة الإنس ، ودرجة البهائم ، ودرجة البهائم أسفل في نفس الحياة التي بها شرفها ؛ لأن الحي هو الدَّراك الفعَّال ، وفي إدراك البهيمة نقص ، وفي فعلها نقص . ونقصان الإدراك لديها ؛ لأنه مقصور على الحواس ، وإدراك الحواس قاصر ؛ لأنه لا يدرك الأشياء إلا بقرب منها ، وأما الملك فدرجته أعلى الدرجات ؛ لأنه عبارة عن موجود لا يؤثر القرب والبعد في إدراكه ، وأما الإنسان فإن درجته متوسطة بين الدرجتين وكأنه مركب من بهيمية وملكية ، والأغلب عليه في بداية أمره البهيمية ؛ إذ ليس له أولًا إلا الحواس التي يحتاج في الإدراك بها إلى طلب القرب من المحسوس بالسعي والحركة ، إلى أن يشرق عليه بالآخرة نور العقل .

ويرتبط ما ورد في الفصل الرابع بالموضوعات والمفاهيم السيكولوجية التالية :

١ - موضوع الإحساس Sensation والإدراك الحسي Perception (ص ٤٧ - ٤٨) ، والتفكير أو الإدراك العقلي .

٢ - مفهوم الغريزة Instinct (ص ٥١) .

٣ - الاقتداء Modeling ، والظروف المهيئة أو الدافعة إليه (ص ٤٦) .

- **الفن الثاني : في المقاصد والغايات :**

ويتضمن ثلاثة فصول ، نعرض لها على النحو التالي :

الفصل الأول : في شرح معاني أسماء اللَّه التسعة والتسعين ، وهي التي اشتملت عليها رواية أبي هريرة ﷺ ؛ إذ قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن للَّه ﷻ تسعة وتسعين اسمًا ، مئة إلَّا واحدًا ، إنه وتر يحب الوتر ، من أحصاها دخل الجنة** » . فاللَّه ﷻ : هو اسم للموجود الحق ، الجامع لصفات الإلهية ، **والرحمن والرحيم** : اسمان مشتقان من الرحمة ؛ والرحمة تستدعي مرحومًا ولا مرحوم إلا وهو محتاج . والرحمن أخص من الرحيم ، ولذلك لا يسمى به غير اللَّه ﷻ . والرحيم قد يطلق على غيره . وأما **الملك** : فهو الذي يستعف في ذاته وصفاته ، ويحتاج إليه كل موجود . **والقدوس** : هو المنزه عن كل وصف يدركه حس ، أو يتصوره خيال ، **والسلام** : هو الذي تسلم ذاته من العيب

وصفاته عن النقص ، وأفعاله عن الشر . **والمؤمن** : هو الذي يعزى إليه الأمن والأمان . **والمهيمن** : تعني أنه القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم . **والعزيز** : هو الذي يقل وجود مثله ، وتشتد الحاجة إليه ، ويصعب الوصول إليه . **والجبار** : هو الذي ينفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل واحد ، كما أنه الخالق البارئ المصور : وهي أسماء مختلفة في معانيها ، فالله ﷻ خالق من حيث إنه مقدر ، وبارئ من حيث إنه مخترع موجد ، ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب . **والغفار** : يعني الذي أظهر الجميل وستر القبيح ، **والقهار** : الذي يقصم ظهور الجبابرة من أعدائه ، فيقهرهم بالإماتة والإذلال ، **والوهاب** : الهبة هي العطية الخالية من الأعواض والأعراض . **والرزاق** : هو الذي خلق الأرزاق والمرتزقة وأوصلها إليهم ، وخلق لهم أسباب التمتع بها ، **والفتاح** : هو الذي يفتح بعنايته كل منغلق وبهدايته ينكشف كل مشكل ، والعليم أنه يحيط بكل شيء علمًا ، ظاهره وباطنه ، أوله وآخره ، عاقبته وفاتحته ، **والقابض الباسط** : فهو الذي يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات ، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة ، **والخافض الرافع** : هو الذي يخفض الكفار بالإشقاء ، ويرفع المؤمنين بالإسعاد ، **والمعز المذل** : هو الذي يؤتي الملك من يشاء ويسلبه ممن يشاء ، والسميع : هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي ، والبصير : هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى ، **والحكم** : هو الحاكم المحكم والقاضي المسلم ، الذي لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ، **واللطيف** : ويعني اجتماع الرفق في الفعل واللطف في الإدراك ، **والحليم** : هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ، ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ . **والعظيم والغفور** : أي تام المغفرة والغفران ، **والشكور** : الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات ، **والعلي** : الذي لا رتبة فوق رتبته وجميع المراتب منحطة عنه . **والكبير** : هو ذو الكبرياء ، أي كمال الذات . **والحفيظ** : هو الحافظ جدًّا ، **والمقيت** : معناه خالق الأقوات وموصلها إلى الأبدان ، **والحسيب** : هو الكافي ، والذي من كان له كان حسبه . **والجليل** : هو الموصوف بنعوت الجلال ، وهي العز والملك والتقدس والعلم والغنى والقدرة وغيرها من الصفات التي سبق ذكرها . **والرقيب** : هو العليم الحافظ ، **والمجيب** : هو الذي يقابل مسألة السائلين بالإسعاف ، ودعاء الداعين بالإجابة . **والواسع** : بعلمه وإحسانه . **والحكيم** : ذو الحكمة ، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم . وأجل الأشياء هو الله سبحانه . **والودود** : الذي يحب الخير لجميع الخلق ، فيحسن إليهم يثني

عليهم . **والمجيد** : هو الشريف ذاته ، الجميل أفعاله ، **والباعث** : هو الذي يحيي الخلق يوم النشور ، ويبعث من في القبور ، **والشهيد** : عالم الغيب والشهادة ، وهو الحق ، والقوي المتين ، **والولي** : هو المحب الناصر ، **والحميد** : هو المحمود المثنى عليه . والمحصي : هو العالم ، الذي ينكشف في علمه حد كل معلوم وعدده ومبلغه ، وهو المبدىء المعيد ، والمحيي المميت ، والحي القيوم ، والواحد الذي لا يعوزه شيء ، والماجد : بمعنى المجيد ، والواحد الذي لا يتجزأ ولا يثنى ، **والصمد** : هو الذي يصمد إليه في الحوائج ، والقادر المقتدر ، والمقدم والمؤخر ، والأول والآخر ، والظاهر والباطن ، **والبر** : هو المحسن ، **والمنتقم** : هو الذي يقصم ظهور العتاة ويُنَكِّل بالجناة ، والعفو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي ، **والرؤوف** : ذو الرأفة ، أي شديد الرحمة . وهو مالك الملك ذو الجلال والإكرام ، والولي : الذي دبر أمور الخلق ووليها ، **والمقسط** : الذي ينتصف للمظلوم من الظالم . **والجامع** : أي الذي يؤلف بين المتماثلات والمتباينات ، والغني المغني ، والمانع ، والضار النافع ، والهادي ، والباقي ، **والوارث** : الذي ترجع إليه الأملاك بعد فناء المُلاك ، والرشيد والصبور : الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه .

الفصل الثاني : في بيان وجه رجوع هذه الأسامي الكثيرة إلى ذات وسبع صفات على مذاهب أهل السنة ، وقد أشار المؤلف إلى ذلك في عشرة أقسام .

الأول : ما يدل على الذات ، كقول اللَّه ، ويقترب منه اسم الحق .

الثاني : ما يدل على الذات مع سلب ، مثل القدوس والسلام والغني والأحد ، ونظائره ، فالسلام مثلاً هو المسلوب عنه العيوب .

الثالث : ما يرجع إلى الذات مع إضافة ، كالعلي والعظيم والأول والآخر ، والظاهر والباطن ، ونظائره ، فالعلي ، هو الذات التي هي فوق سائر الذوات في المرتبة ، فهي إضافة .

الرابع : ما يرجع إلى الذات مع سلب وإضافة ، كالملك والعزيز ، فالملك هو الذي يدل على ذات لا تحتاج إلى شيء ويحتاج إليه كل شيء .

الخامس : ما يرجع إلى صفة ؛ كالعليم والقادر والحي والسميع والبصير .

السادس : ما يرجع إلى العلم مع إضافة ؛ كالخبير والشهيد والحكيم والمحصي فالخبير يدل على العلم مضافًا إلى الأمور الباطنة .

السابع : ما يرجع إلى القدرة مع زيادة إضافة ؛ كالقهار والقوي والمقتدر والمتين . فالقوة هي تمام المقدرة ، والمتانة شدتها .

الثامن : ما يرجع إلى الإرادة مع الإضافة أو مع فعل ؛ كالرحمن الرحيم ، فالرحمة ترجع إلى الإرادة مضافة إلى قضاء حاجة المحتاج الضعيف .

التاسع : ما يرجع إلى صفات الفعل ؛ كالخالق والبارئ والمصور والوهاب والرزاق والفتاح والقابض والباسط والخافض .... إلخ .

العاشر : ما يرجع إلى الدلالة على الفعل مع زيادة ؛ كالمجيد والكريم واللطيف ، فالمجيد يدل على سعة الإكرام مع شرف الذات .

الفصل الثالث : في بيان كيفية رجوع ذلك كله إلى ذات واحدة ، على مذهب المعتزلة والفلاسفة ، وهؤلاء وإن أنكروا الصفات ولم يثبتوا إلا ذاتًا واحدة ، فلم ينكروا الأفعال ولا كثرة السلوب ، ولا كثرة الإضافات ، فما سبق ذكره من الأسامي والأقسام هم عليها مساعدون ، أما الصفات السبع التي هي : الحياة والعلم والقدرة والإرادة ، والسمع والبصر والكلام ، فيرجع ذلك عندهم إلى العلم ثم العلم يرجع إلى الذات ، وبيانه أن السمع عندهم عبارة عن علمه التام المتعلق بالأصوات ، والبصر عبارة عن علمه التام المتعلق بالألوان ، والكلام عندهم يرجع إلى فعله ، وهو ما يخلقه من الكلام في جسم من الجمادات ، عند المعتزلة ، ويرجع عند الفلاسفة إلى سماع يخلقه في ذات النبي ﷺ حتى يسمع هو كلامًا منظومًا من غير أن يكون له وجود من خارج ، كما يسمعه النائم ، ويضاف ذلك إلى اللّٰه تعالى على معنى أنه لم يحصل ذلك فيه بفعل الآدميين وأصواتهم ، وأما الحياة فعبارة عندهم عن علمه بذاته ؛ لأن كل ما يشعر بذاته فيقال : إنه حي ، وما لا يشعر بذاته لا يسمى حيًّا .

وزعموا أن علمنا إنما يحتاج في تحقيق المعلوم إلى القدرة ، ثم زعموا أيضًا أن العلم أيضًا يرجع إلى ذاته ؛ لأنه يعلم ذاته بذاته ، فيكون العلم والعالم والمعلوم واحدًا . وزعموا أن نسبة علم الواحد ، هو ذاته ، إلى كثرة المعلومات ، كنسبة علم الحاسب مثلًا .

● **الفن الثالث : في اللواحق والتكميلات :**

ويتضمن ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في بيان أن أسماء اللّٰه تعالى من حيث التوقيف غير مقصورة على تسعة وتسعين .

ففي رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ ، وردت أسام أخرى قريبة من تلك الأسامي السابق ذكرها (مثل الأحد بدل الواحد ، والقاهر بدل القهار ، والشاكر بدل الشكور) ، كما وردت أسماء أخرى ؛ مثل : الهادي والكافي والدائم والبصير والنور والمبين والصادق والمحيط والقريب والفاطر والعلام والملك والمدبر وغير ذلك .

وقد ورد في القرآن الكريم ما ليس متفقًا عليه في الروايتين صحيحًا ؛ كالمولى والنصير والغالب والقريب والرب والناصر .

الفصل الثاني : في بيان فائدة الإحصاء والتخصيص بتسعة وتسعين ، فالأسامي هي تسعة وتسعون فقط ، سمى اللَّه ﷻ بها نفسه ولم يكملها مئة ؛ لأنه وتر يحب الوتر . ويدخل في جملتها المنان والحنان وغيرهما . ولا يمكن معرفة جمعيها إلا بالبحث في الكتاب والسنة . ثم ذكر المؤلف أن المسألة اجتهادية لا تعلم إلا بتخمين ، فهي خارجة عن مجاري العقول .

الفصل الثالث : في أن الأسماء والصفات المطلقة على اللَّه ﷻ ، هل تقف على التوقيف أم تجوز بطريقة العقل .

وذكر البعض أن ذلك جائز إلا ما منع منه الشرع ، فأما ما لا مانع فيه فإنه جائز . وذهب الأشعري إلى أن ذلك موقوف على التوقيف فلا يجوز أن يطلق في حق اللَّه تعالى ما هو موصوف بمعناه إلَّا إذا أذن فيه .

ويرى المؤلف ، أن كل ما يرجع إلى الاسم فذلك موقوف على الإذن ، وما يرجع إلى الوصف فذلك لا يقف على الإذن ، بل الصادق منه مباح دون الكاذب ، ولا يفهم هذا إلا بعد فهم الفرق بين الاسم والوصف .

* * *

منهاج العابدين [1]

عرض : د. أسامة سعد أبو سريع

عرض الكتاب :

يبين الغزالي في مستهل كتابه « منهاج العابدين » فضل العبادة ، ويصفها بأنها ثمرة العلم وفائدة العمر ، وحاصل العبيد الأقوياء ، وبضاعة الأولياء ، وطرق الأتقياء ، وقسمة الأعزة ، ومقصد ذوى الهمة ، وشعار الكرام ، وحرفة الرجال ، واختيار أولي الأبصار ، وهي سبيل السعادة ، ومنهاج الجنة (ص ٢) ، ومن هنا يدعو الغزالي إلى حسن العبادة نظرًا لقصر العمر وكثرة الانشغال ، ويقدم كتابه حتى يعين المؤمن على استكشاف طريق العبادة القويمة .

ويبدأ الغزالي بتوضيح أن الطاعة ليست بالأمر الهين ، وهي تستلزم مقاومة النفس وإخضاع شهواتها ، ويستشهد هنا بحديث رسول الله ﷺ : « **ألا وإن الجنة حفت بالمكاره ، وإن النار حفت بالشهوات** » ، ويتناول بعد ذلك العوائق والصعوبات التي تواجه العبد في طريق الطاعة ، ويبين كيفية تخطي كل عقبة منها حتى يستقيم على الطريق الرشيد الموصل إلى الجنة ، ويشير الغزالي إلى أنه ألف كتبًا من قبل لتحقيق هذا الغرض ومنها « إحياء علوم الدين » و « القربة إلى الله تعالى » ولكن صعب على بعض الناس فهمها ، وجادل البعض الآخر فيها ؛ ولذا قدم كتابه « منهاج العابدين » راجيًا أن يكون واضحًا ومفيدًا وفائزًا بالقبول .

---

(١) لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، (د.ت) (١٠٨ ص) .

وقبل أن يستعرض الغزالي أصناف العقبات المختلفة ، يبين أن أول طريق الطاعة يبدأ بتوفيق خاص من الله عملًا بالآية الكريمة : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٢٢] ، وفي الحديث الشريف : « **إن النور إذا دخل قلب المؤمن انفسح وانشرح** » ومن علامات ذلك النور الزهد في الدنيا ، والإنابة إلى الآخرة ، والاستعداد للموت قبل نزوله ، ثم يوجز الغزالي بعد ذلك العقبات التي تعترض الطاعة موضحًا أنها سبع عقبات ؛ وهي وفق تصوره لترتيبها :

١ - عقبة العلم والمعرفة . ٢ - عقبة التوبة . ٣ - عقبة العوائق .
٤ - عقبة العوارض الأربعة . ٥ - عقبة البواعث . ٦ - عقبة القوادح .
٧ - عقبة الحمد والشكر .

ثم يتناول كلًّا منها تفصيليًا موضحًا الظروف التي تنشأ فيها كل عقبة وكيفية التغلب عليها ، وفيما يلي نلخص رأيه في كلٍّ منها .

١ - عقبة العلم والمعرفة :

يحتاج الإنسان في أول طريق الطاعة إلى أن يعرف مَن هو صاحب النعم عليه ، وما هي تلك النعم ، وكيف السبيل إلى شكر المنعم على نعمته ، وهذه هي عقبة العلم والمعرفة ، وهي عقبة يحتاج العبد فيها إلى التأمل والاستدلال وسؤال أهل العلم والمعرفة حتى يعظم الله ويدرك أنه أنعم عليه بالحياة والقدرة والعقل والمنطق ، وسير له الخير وأبعد عنه الشر ثم كلفه بشكر تلك النعم وبطاعته ، وبعد أن يجتاز تلك العقبة يجد نفسه متأهبة للعبادة .

ويبين الغزالي فضل العلم فيذكر أن العلم والعبادة جوهران وأن العلم أفضلهما ، وفي هذا المعنى جاء في الحديث الشريف : « **فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل في أمتي** » والعلم عند الغزالي هو الأصل ، ويستمد الدليل من قول رسول الله ﷺ : « **العلم إمام العمل ، والعمل تابعه** » ، إذ تلزم المعرفة بالمعبود وبصفاته قبل عبادته وهو ما يسمى بعلم التوحيد ، أيضًا لا بد من العلم بالطاعات الواجبة وبالمعاصي المنهي عنها ، بالإضافة إلى علم الشريعة ويختص بالمعرفة بكل الفروض وآدابها ، ويلزم العمل أيضًا بالعبادات الباطنة أي أعمال القلب ؛ وهي : التوكل ، والتفويض ، والرضا ، والصبر ، والتوبة ، والإخلاص ، واجتناب أضدادها وهي السخط والأمل ، والرياء ، والكبر ، ويوضح الغزالي تأثير المساعي الباطنة في الطاعات الظاهرة فهي تصلحها أو تفسدها .

ومن فضائل العلم أنه يسبب خشية الله ؛ ذلك لأن مَن لا يعرف الله حق معرفته

لم يعظمه حق تعظيمه ، ويوضح الغزالي أن عقبة العلم من العقبات الشديدة ، ولكنها عظيمة النفع وقد يقطعها الإنسان في مدة قصيرة وقد يتخبط عمره ، وتخطيها معتمدًا على صدق النية وقوة العزيمة وتوفيق اللّٰه .

ومن المفاهيم النفسية الواردة في جزء « عقبة العلم والمعرفة » يبرز مفهوم الدافعية Motivation خاصة الدافعية للإنجاز Achievement والتعلم Learning وأهمية الإرادة والاجتهاد في التعلم ، ومن المفاهيم ما جاء في سبل التعلم ومنها التأمل ، والاستنباط والسؤال ، والتفكير Thinking (ص ٦ - ٨) .

ومن المفاهيم النفسية أيضًا مفهوم السلوك الضمني Implicit Bchavior والسلوك الصريح Explicit Bchavior أو الخارجي والذي يمكن إدراكه ؛ حيث يتضح أن التفكير Thinking والمعرفة Cognition ومعالجة المعلومات Information Processing والقيم values التي يتبناها الشخص ومنها الصدق Truth والرضا Satisfaction والإخلاص Loyalty هي التي تحدد الاستجابة Response أو السلوك الصريح حيث بين الغزالي أهمية المعرفة بالمعبود قبل عبادته ، بالإضافة إلى تأثير العلم والتفكير في إحداث الخوف Fcar وهو انفعال Emotion متوقف على المعرفة بقوة مصدر الخوف أو الرهبة (ص ٦ - ٨) .

٢ - عقبة التوبة :

عندما ينهض العبد لأداء واجبات الشكر بعد المعرفة بحقوق اللّٰه يجد نفسه مثقلة بالذنوب والخطايا ، ويشعر أن عليه أن يتوب عن تلك الذنوب قبل أن يخلص في العبادة وتلك « عقبة التوبة » ، ويتخطاها العبد بالتوبة النصوح بكل شروطها . ويدعو الغزالي لطلب التوبة لأمرين : أولهما : أن تكاثر الذنوب يؤدى إلى الحرمان ويمنع عن طاعة اللّٰه ، وثانيهما : بالتوبة تقبل العبادة فلا يجوز التبرع بأي عبادة قبل قضاء الدين بالتوبة عن الذنوب .

ويشرح معنى التوبة فيذكر أنها من أعمال القلب وهي تنزيه القلب عن الذنب ، وهي عزم على ترك ارتكاب الذنوب وعلى عدم العودة إلى ذنب سبق ارتكابه أو سبق منه مثله في المنزلة والدرجة ، ومن شروط التوبة أن يكون ترك الذنوب تعظيمًا للّٰه وخوفًا من سخطه وليس لرغبة دنيوية أو ضعف في النفس ، أو رهبة من الناس أو فقر أو غير ذلك .

ويذكر ثلاث مقدمات للتوبة ؛ وهي :

(أ) تذكر قبح الذنوب .

(ب) تذكر شدة عقوبة اللّه .

(جـ) تذكر ضعف العبد وقلة حيائه عندما يخشى ما هو دون اللّه قوة وقدرة .

ويقسم الغزالي أقسام الذنوب التي يجب التوبة عنها إلى ثلاثة أقسام ؛ وهي :

(أ) ترك واجبات اللّه من صوم وصلاة وزكاة أو كفارة وعلى العبد أن يقضي منها ما أمكنه .

(ب) ذنوب بين العبد وبين اللّه كشرب الخمر وأكل الربا ، وعلى العبد أن يندم عليها ولا يعود إليها .

(جـ) ذنوب بين العبد وبين الخلق وهي أصعب الذنوب ، وقد تكون في المال أو العرض أو الحرمة أو في الدين - بالرمي بالبدعة والكفر - وهي ذنوب تحتاج إلى أداء حق العباد أو طلب السماح منهم أو الاستغفار من اللّه ، وعمومًا فإن عقبة التوبة عقبة شاقة وضررها عظيم .

وتبرز هنا بعض المفاهيم النفسية منها الشعور بالذنب Guilt والتفريغ الانفعالي Catharsis وذلك بطرح الصراع Conflict والتعامل معه في الشعور Consciousness بدلًا من تركه في اللاشعور unconsciousness مما يسبب الاضطراب النفسي Psychological disorder (ص ١٠ - ١٤) .

ويوضح الغزالي أهمية أن يتحلى الإنسان بقيم Values مهمة ومنها الصدق Truth لأن اللّه لا يقبل إلا التوبة الخالصة له (ص ١٠ - ١٤) ، وتتضمن التوبة الندم على ارتكاب الذنوب ، والعزم على عدم ارتكابها أبدًا . وهذا يرتبط بمفهوم الندم كحالة انفعالية وجدانية ، كما يرتبط بالإرادة Will وضبط النفس Self Control والسيطرة عليها حتى لا ترتكب هذه الذنوب مرة أخرى ، والتوبة وسيلة ناجحة لعلاج القلق الناشئ عن الشعور بالذنب . كما تقترب أفكار الغزالي من مفهوم التفاعل الاجتماعي Social Interaction وتماسك الجماعة Group Cohesiveness من خلال دعوته إلى أداء حق العباد (ص ١٠ - ١٤) .

٣ - عقبة العوائق :

عندما يشرع العبد في التوبة يجد أن أربعة عوائق تحول بينه وبين إخلاص التوبة وتكون معًا عقبة العوائق ؛ وهي : (أ) الدنيا . (ب) الخلق . (جـ) الشيطان . (د) النفس .

ويتغلب العبد على تلك العوائق بالتجرد من الدنيا والتفرد عن الخلق ومحاربة الشيطان وقهر النفس ، ويرى الغزالي أن النفس هي أشد تلك العوائق ؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يخرج عنها ، كما أنها معتادة على اللهو ويطهرها الإنسان بالتقوى حتى يسخرها للطاعة ويبعدها عن الشر .

وعقبة العوائق تظهر فضيلة الزهد في الدنيا والحرص على الآخرة ، كما يتبين من حديث رسول الله ﷺ : « **من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى** » ثم يتناول الغزالي أقسام الزهد فيقسمه إلى قسمين :

أ - الزهد غير المقدور ، وهو برودة الشيء على قلب الزاهد . هو يرى أن الزهد المقدور مقدمة للزهد غير المقدور ، وهو الزهد الصعب والحقيقي ؛ لأنه من السهل على الإنسان أن يترك طلب الشيء مع تعلق قلبه به ، أما ترك إرادته وعدم الرغبة في الشيء فهما أشق على النفس .

أما التفرد عن الخلق فلأنهم يشغلون عن العبادة ويفسدونها ، وإن اضطر الإنسان إلى مخالفة الناس فعليه أن يعاملهم بحرص وأن يستعين بالحلم ، وأن يعاونهم على الخير وينهاهم عن المنكر ويعطيهم أكثر مما يأخذ منهم ، ولا مانع من زيارة الإخوان الصالحين وهي من العبادة وتقرب العبد إلى الله ، ويصيب منها الكثير من الفوائد ولكن بشرطين ، هما : عدم الإكثار وتجنب الرياء واللغو والغيبة .

أما الطريق إلى جهاد النفس فيتمثل في ثلاثة أشياء ؛ وهي : (أ) منع الشهوات ، (ب) حمل أثقال العبادات . (جـ) الاستعانة بالله والتضرع إليه . والتقوى من خير السبل لقهر النفس ؛ ولذا يهتم الغزالي ببيان كيف يحفظ الإنسان أعضاءه الخمسة وهي العين والأذن واللسان والقلب والبطن من الحرام أو الإفراط في الحلال . وفي حفظ القلب يذكر أن هناك أربع آفات تفسد القلب وهي : الأمل ، والاستعجال ، والحسد ، والكبر ويقابلها أربعة مناقب تصلح القلب ؛ وهي قصر الأمل ، والتأني ، والنصيحة للخلق ، والتواضع .

وتقترب أفكار هذا الجزء من مفاهيم نفسية منها الذات Self وضبط الذات Self Control وضبط الدوافع الأولية Primary Motives وقمع Suppression الرغبات والشهوات وتجنب الإفراط أو التشبع Saturation الزائد ، وأهمية التعود Habituation والعادة Habit في التعلم Learning ؛ وذلك لأن الزهد المقدور يعلم الإنسان الزهد غير المقدور ، وفي التعلم

أيضًا يبين أن الإنهاك Exhaustion وهو هنا بكثرة العبادة يؤدي إلى التخلص أو إطفاء Extinction السلوك غير المرغوب وهو هنا اتباع الشهوات (ص ١٤ ، ١٥) .

ومن المفاهيم أيضًا ما يقترب من التفاعل الاجتماعي Social Interaction والصداقة Friendship والتخاطب Communication والمهارة الاجتماعية Social Skill ومستويات العلاقات الاجتماعية Social Relationships وشروط التفاعل فيها ، فمع عامة الناس ينبغي مراعاة الحرص وتقديم المساعدة Help والتعاون Cooperation ، أما مع الأصدقاء فينبغي عدم الإكثار أو الإفراط وتجنب الغيبة والنميمة (ص ١٦ - ٢٢) .

ومن الأفكار التي قدمها لحفظ القلب تبرز مفاهيم الصحة النفسية Psychological Health من خلال قصر الأمل أو الاعتدال في مستوى الطموح Aspulsiveness وتقديم النصيحة Giving Advice والتدعيم الاجتماعي Social Reinforcement ، أي الاهتمام بالآخرين وإثابتهم Rewarding بدلًا من مشاعر الغيرة والحسد (ص ٤٩ ، ٥٠) .

٤ - عقبة العوارض الأربعة :

بعد أن يتخطى العبد عقبة العوائق وينوي الإخلاص في العبادة يجد نفسه أمام أربعة أمور تشغله وتقلقه وتعوقه عن حسن العبادة ؛ وهي :

(أ) الرزق الذي تطالبه نفسه به خاصة بعد أن تجرد من الدنيا وتفرد عن الخلق .

(ب) الأخطار من كل شيء يخافه أو يرجوه ولا يدري هل في هذا الأمر صلاحه أو فساده فينشغل قلبه بعواقب الأمور وهي مبهمة فيقعد عن العبادة .

(جـ) الشدائد والمصائب والتي تنصب عليه وتتكاثر فوقه وهنا تزيد أحزانه .

(د) أنواع القضاء والابتلاء من الله بالحلو والمر خاصة وأن النفس ميالة إلى السخط والتبرم .

ويبين الغزالي أن الطريق إلى قطع العوارض بأقسامها الأربعة يتمثل في السبل الآتية :

(أ) التوكل على الله للتخلص من قلق الرزق بعد التيقن بأن الله الرزاق .

(ب) التفويض إلى الله في موضع الخطر ومنه يتأتي طمأنينة القلب .

(جـ) الصبر عند نزول الشدائد ، بالصبر تزيد قدرة العبد على تحمل المشقات وبه يتحقق فلاح العبد ونجاته ﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩] .

(د) الرضا عند نزول القضاء ، وبذلك يتفرغ العبد للعبادة بدلًا من أن يشغل نفسه

بالهموم ، ويتفادى سخط الله إذا لم يرضَ بقضاء الله .

ومن المفاهيم هنا نذكر القلق Anxiety وهو شعور غامض يصحبه توقع غير سار وتوتر tension وإحساسات جسمية متكررة Frequent بالألم Pain في أجزاء مختلفة من الجسم ، وقد بيَّنَ الغزالي مصادر مختلفة للقلق ؛ منها القلق على الرزق ، وتقترب أفكاره من مفاهيم نفسية أخرى ؛ منها : الاكتئاب Depression والمترتب على المرور بخبرات سلبية Negative Experiences أو مشقة Stress or Fear زائد أو أحداث الحياة Life Events من وفاة أو يشعر به الشخص أمام الحياة التي لا يمكن توقعها ،ويرى الغزالي أن وسائل علاج القلق هي الرضا Satisfaction والصبر بقضاء الله عند الشدائد ، فإن من شأن ذلك أن يحقق للإنسان الاتزان الوجداني والتوافق النفسي (ص ٥١ - ٦٩) .

٥ - عقبة البواعث :

بعد أن يقطع الإنسان عقبة العوارض الأربعة ، ينظر إلى نفسه فيجد أن الكسل والفتور قد أقعدها عن واجبات العبادة ، ويلاحظ عليها الميل إلى الراحة والخمول والشر ، وهنا يحتاج إلى تنشيطها بسائق يقودها إلى الخير ، وزاجر ينأى بها عن الشر وهما الرجاء والخوف ، فالرجاء في ثواب الله ووعده لعباده الصالحين ينشط النفس للعبادة ويشجعها على تحمل المشقات والخوف من عقوبة الله يصرفها عن المعاصي .

ويعرف الغزالي الخوف : بأنه رعدة تحدث في القلب لتوقع مكروه يصيبه والخشية نحوه ، ويقابل الخوف الجراءة أو الأمن ومقدمات الخوف أربع ؛ وهي :

(أ) ذكر الذنوب الكثيرة .

(ب) ذكر شدة العقوبة .

(جـ) ذكر ضعف النفس عن احتمال عقوبة الله .

(د) ذكر قدرة الله متى شاء وكيف شاء .

أما الابتهاج فهو ابتهاج القلب بمعرفة فضل الله ، وتذكر سعة رحمته ، وضده اليأس ومقدمات الرجاء أربع ؛ وهي :

(أ) ذكر سوابق فضل الله .

(ب) ذكر ما وعد الله به من جزيل الثواب والذي يربو على عمل العبد .

(جـ) ذكر نعم الله في الدنيا والدين دون سؤال أو استحقاق .

(د) ذكر سعة رحمة الله .

وتقترب أفكار الغزالي هنا من المفاهيم النفسية الآتية : فقدان الدافعية Lack of Motivation كما تتمثل عنده في الكسل عن العبادة ، وكذلك مفهوم تخيل Imagination المدعمات الإيجابية Positive reinforces ممثلة في الرجاء أو تخيل العقاب Punishment ممثلًا في الخوف ، وتأثير ذلك التخيل في التنشيط Activation وإصدار الاستجابة Response المرغوبة . وتقترب أفكاره أيضًا من مفهوم الانفعالات Emotions ومنها الخوف Fear حيث يعرف الخوف : بأنه رعدة في القلب لتوقع مكروه والخشية منه ويقترب تعريفه للخوف من تعريف القلق الذي قدمناه على أنه شعور عام General Feeling غامض Ambiguous يصحبه توقع غير سار Unpleasant Expectation وتوتر Tension ومتاعب جسمية ترجع لهذا التوتر النفسي . ومن الانفعالات أيضًا الابتهاج أو السرور Pleasure المترتب على الرجاء ويقابله اليأس Hopelessness ، والشعور بالعجز Helplessness (ص ٦٩ - ٧٩) .

٦ - عقبة القوادح :

بعد أن يتخلص العبد من عقبة العوائق وبعد أن ترغب نفسه في العبادة بفعل البواعث ينشط للعبادة فيؤديها في جد وشوق ، فإذا نظر إلى نفسه وجد أن آفتين تفسدان عليه العبادة بعد أن قطع إليها شوطًا بعيدًا ، وهما :

(أ) الرياء فقد يرائي العبد الناس بعبادته فتفسد ، ويحتاج الإنسان هنا إلى الإخلاص وذلك للفوز بثواب الله وحسن قبوله ؛ لأن الله لا يقبل إلا العمل الخالص له ، وعلى هذا يقابل الإخلاص الرياء ، وهو إما رياء محض وهو إرادة نفع الدنيا لا غير بفعل الآخرة ، أو رياء تخليط وهو إرادة نفع الدنيا والآخرة بفعل الآخرة .

(ب) العجب وذلك عندما يعجب العبد بنفسه ويستعظم عمله الصالح وهو يفسد العمل كما جاء في حديث رسول الله ﷺ : « **ثلاث مهلكات ؛ شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه** » . وضد العجب ذكر المنة وتذكر أن ما به من نعمة فمن الله وبتوفيقه .

وتقترب أفكار الغزالي هنا من مفهوم القيم Values التي تحكم حياة الشخص وتوجه سلوكه ومنها الصدق Truth والإخلاص Loyalty والكرم Generosity في مقابل البخل ، والتواضع Modesty في مقابل مشاعر النرجسية Narcissism وحب الذات

وضلالات العظمة Delusions of Grandiose في شكلها المرضي المتطرف عندما يبلغ إعجاب المرء بنفسه إلى أقصى مداه فيختل تصوره لحدوده (ص ٧٩ - ٨٤) ، ومن المفاهيم أيضًا مفهوم القمع Suppression كما يتمثل في ضبط الدوافع الأولية Primary Motives وعدم اتباع الهوى (ص ٨٣) .

٧ - عقبة الحمد والشكر :

بعد أن يقطع الإنسان عقبة القوادح تخلص له العبادة ويستقيم على طريق الطاعة ، فيجد نفسه محاطًا بنعم اللّٰه وفضله وبحراسته وكرمه فيخاف أن يعجز عن شكر النعم فتزول عنه وتقابله هنا « عقبة الحمد والشكر » . وهنا يلزم العبد الحمد والشكر لأمرين هما دوام النعمة وحصول الزيادة فيها .

ويميز الغزالي بين الحمد والشكر فيصف الحمد بأنه من أشكال التسبيح والتهليل ؛ ولذا فهو من الأمور الظاهرة ، أما الشكر فهو من أشكال الصبر والتفويض وهو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلن ، وهو من المساعي الباطنة ، ويقابل الحمد اللوم ويقابل الشكر الكفر ، والحمد أعم وأكثر تكرارًا من الشكر والدليل على ذلك قول اللّٰه تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣] .

وتقترب أفكار الغزالي هنا من المفاهيم النفسية الآتية : الخوف Fear من عدم شكر النعمة ، والسلوك الصريح Explicit Behaviour وهو الحمد ، والسلوك الضمني Implicit Behaviour وهو الشكر ، ومفهوم الندرة Rarity كما يتمثل في عدم تكرار الشكر وقلة شيوعه Communality ؛ ولذا يكون أكثر قيمة Value لندرته (ص ٩٤ ، ٩٥) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام ، وعلم النفس الاجتماعي ، وعلم النفس المهني .

* * *

بداية الهداية [1]

عرض : د. أسامة سعد أبو سريع

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ١٦٠ صفحة من القطع الصغير ، ويتكون من مقدمة وقسمين ، ويوضح المؤلف فيها معنى الهداية ويشرح السبل الموصلة إليها ، ويشجع الإنسان على التحلي بمكارم الأخلاق وتجنب المعاصي بكافة أشكالها .

وفيما يلي نلخص أهم الأفكار التي أوردها الإمام في كل قسم منها ، ثم نبين بعد ذلك إلى أي حد ترتبط بالمفاهيم النفسية الحديثة .

• مقدمة : تقسيم طلاب العلم :

يقسم الغزالي الناس وهم يطلبون العلم إلى ثلاثة أقسام :

١ - رجل يطلب العلم لوجه اللّٰه والدار الآخرة حتى يكون زادًا ليوم الحساب ، وأولئك هم الفائزون .

٢ - رجل يطلب العلم حتى يستمد منه العز والجاه والمال ، وهو يشعر في داخله بعدم الرضا عن حاله ، وأولئك هم المخاطرون ؛ لأنه قد يلقى الواحد منهم نهايته قبل أن يعلن توبته .

٣ - رجل يتخذ من العلم سبيلًا إلى جمع المال والتفاخر وكثرة الأتباع ، وهو يظن

---

(١) لأبي حامد الغزالي ، قدم له وعلق عليه محمد الحجار . ط. ٥ (القاهرة) : دار التراث العربي ١٩٨٦م .

نفسه من المحسنين بما حصله من علم ، وهؤلاء هم الهالكون ؛ لأن التوبة ليست واردة في تفكيرهم ولأنهم يدعون الناس إلى الانصراف عن الدنيا بألسنتهم ولكنهم يدعونهم إلى الإقبال عليها بأعمالهم وأهوالهم ، خاصة وأن الأعمال تؤثر في الناس أكثر من الأقوال ؛ ولذا ينصح الغزالي طالب العلم بأن يكون من القسم الأول ، ويحذره من أن يكون من الفريق الثاني ، ثم يحذره شديد الحذر من أن يكون من الفريق الثالث .

وترتبط المقدمة السابقة ببعض المفاهيم النفسية هي التعلم Learning ، وتحديد السلوك المقبول للمعلم والمتعلم ، وأهمية القدوة Model في التعلم مبينًا خطر طلاب العلم والعلماء وتأثيرهم في سلوك الآخرين . وأوضح أن الأفعال Deeds أكثر تأثيرًا من الكلام (ص ١٧ ، ١٨) .

القسم الأول في الطاعات :

يصنف الغزالي أوامر اللَّه إلى فرائض ونوافل ويشبه الفرض برأس المال وهو أصل التجارة ، أما النوافل فهي الربح وبه يتحقق الفوز وتتحسن الدرجات ، ويوضح أن أساس التقرب إلى اللَّه هو مراقبة القلب والجوارح في كل وقت ، مع التيقن من أن اللَّه مطلع على السر والعلن . ثم يقدم الغزالي بعد ذلك الآداب المختلفة ونلخصها على النحو التالي :

آداب الاستيقاظ من النوم :

ينصح الغزالي بالاستيقاظ من النوم قبل طلوع الفجر ثم ارتداء الملابس لستر العورة مع تجنب المبالغة في الثياب .

آداب دخول الخلاء :

ينصح الغزالي المرء بدخول المرحاض بالرجل اليسرى والخروج بالرجل اليمنى . وألا يدخل حاسر الرأس أو حافي القدمين مع البعد عن عيون الناظرين .

آداب الوضوء :

ينصح الغزالي باستعمال السواك - بعد الاستنجاء - ثم شرح كيفية الوضوء الصحيح والدعاء المستحب في كل حركة ثم يوضح ما يطلب اجتنابه في الوضوء ؛ مثل : الإسراف في الماء ولطم الوجه ورش الماء والحديث أثناء الوضوء .

آداب الغسل :

من آداب الغسل غسيل اليدين ثم إزالة القذارة من البدن ، ثم الوضوء وصب الماء على الرأس وبعد ذلك على الشق الأيمن ثم الأيسر مع تدليك اليدين وتخليل شعر الرأس واللحية .

آداب التيمم :

هنا يبين الغزالي الظروف التي تبيح التيمم وكيفية التيمم الصحيح ، موضحًا أن التيمم يصلح به صلاة فرض واحد وأي عدد من النوافل ، وذلك على مذهب الشافعية وهو مذهب الغزالي .

آداب الخروج إلى المسجد ودخوله :

يحث الغزالي على صلاة الجماعة ؛ لأن صلاة الجماعة تفضل عن صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ويوصى بأن يمشى المسلم إلى المسجد في هدوء وسكينة ، ويذكر الأدعية المستحبة في الطريق إلى المسجد ، ويحذر من التجارة في المسجد أو السؤال عن الضالة ، ثم يوصي بصلاة ركعتي التحية ثم صلاة الفجر ، وبعدها ينوي الشخص الاعتكاف ويذكر الأدعية المستحبة وبعد الدعاء لا يشغل المسلم نفسه إلا بذكر أو تسبيح أو قراءة القرآن .

آداب ما بعد طلوع الشمس :

ينصح الغزالي الإنسان أن يشغل نفسه في نهاره بأربعة أمور ؛ وهي :

١ - طلب العلم النافع .

٢ - الانشغال بالعبادة من ذكر وقرآن وتسبيح وصلاة .

٣ - الانشغال بعمل الخير للمسلمين ولإدخال السرور عليهم وتيسير الأعمال الصالحة للصالحين ، وإطعام الفقراء والمساكين والتردد على المرضى والجنائز .

٤ - السعي للكسب لنفسه ولعياله دون إيذاء للمسلمين بلسان أو يد .

وهنا ينصح الغزالي الإنسان بالعزلة إذا لم يستطع الحفاظ على دينه وهو يخالط الناس في نهاره ، ويتناول بعد ذلك آداب الصلوات من الظهر وحتى العشاء .

آداب النوم :

من آداب النوم استقبال القبلة والنوم على الجانب الأيمن وعلى طهارة . وأن تكون الوصية مكتوبة تحت الرأس ، مع التوبة عن الذنوب وطلب الخير لجميع المسلمين ، وبالإضافة إلى عدم التكلف في طلب النوم لأن النوم ؛ تعطيل للحياة ، وينصح بألا تزيد عدد ساعات النوم عن ثماني ساعات وهي ثلث ساعات اليوم وثلث العمر كله .

وفي الصفحات التالية يشرح آداب الصلاة والإقامة وصلاة الجمعة والصيام ، ويحيل القارئ الذي يبغى مزيدًا من المعرفة بالآداب إلى كتابة « إحياء علوم الدين » .

ويرتبط القسم الأول ببعض المفاهيم النفسية هي الدافعية Motivation ، وذلك من خلال تنبيه الغزالي إلى أهمية السعي والنشاط Activity وتقليل عدد ساعات النوم ، وعدم الإلحاح في طلب النوم (ص ٧٨ ، ٧٩) .

• **القسم الثاني : في اجتناب المعاصي :**

يقسم الغزالي الدين إلى قسمين ، أحدهما : ترك المناهي والآخر : فعل الطاعات ، ويرى أن ترك المناهي أشد على النفس ؛ لأن الطاعات يقدر عليها كل الناس ، أما ترك الشهوات فلا يقدر عليها إلا شديد الورع ، ويستشهد بحديث رسول الله ﷺ : « **المهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه** » .

ويسترسل الغزالي داعيًا الإنسان إلى حفظ كل جوارحه من المعاصي ؛ لأنها نعمة من الله وأمانة لدى الإنسان عليه أن يحفظها حتى تشهد له يوم القيامة ، ثم يوضح الغزالي كيف يحفظ الإنسان أعضاءه السبعة ؛ وهي : العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل على النحو التالي :

١ – **العين** : تحفظ من النظر إلى غير محرم : وإلى صورة جميلة بشهوة ، أو إلى مسلم بعين الاحتقار ، أو الاطلاع بها على عيب مسلم .

٢ – **الأذن** : تحفظ من السماع إلى البدع أو الغيبة والفحش أو الباطل أو عيوب الناس .

٣ – **اللسان** : يحفظ من الكذب وخلف الوعد ، والغيبة والجدال ، وتزكية النفس واللعن والدعاء على الخلق والمزاح والسخرية .

٤ – **البطن** : تحفظ من أكل الحرام والإفراط في الأكل والشراب ؛ لأن الشبع يفسد

الذهن ويقسي القلب ويعطل الحفظ .

٥ - **الفرج** : يحفظ من كل محرم ، ولا يمكن للإنسان أن يحفظ فرجه ما لم يحفظ عينه من النظر وقلبه من الفكر ، وبطنه من الحرام والشبع .

٦ - **اليد** : تحفظ من ضرب المسلمين ، وتناول الحرام ، وخيانة الأمانة ، وكتابة السوء .

٧ - **الرجل** : تحفظ من المشي في الحرام أو السعي إلى سلطان ظالم .

ثم يبين الغزالي بعد ذلك - معاصي القلوب ويذكر منها أمهات الخبائث ؛ وهي : الحسد والرياء (وهو طلب المنزلة في قلوب الخلق) ، والعجب (أي الكبر والفخر) ، ويضيف إليها الشح والبخل واتباع الهوى .

ثم يقدم الغزالي جملة آداب يدعو الإنسان إلى الأخذ بها في معاملته مع ربه ، وعند التعليم أو طلب العلم ، أو الصحبة مع الوالدين والإخوان والأصدقاء نلخص ، بعضها على النحو التالي :

من آداب المعلم : الاحتمال ، والحزم ، والهيبة ، والتواضع ، وترك الهزل ، والرفق بالمتعلم ، والتأني بالمتعجرف ، وإرشاد البليد ، وعدم الأنفة من قول لا أدري ، وتشجيع السائل وفهم سؤاله ، والانقياد للحق ، ومنع المتعلم عن كل ما يضره ، وصده عن شغل نفسه بفرض الكفاية قبل أن يفرغ من فرض العين .

ومن آداب المتعلم : أن يبدأ بتحية العالم ، وأن يقل في كلامه ، ولا يتكلم إلا إذا سأله ، وألا يسأل قبل أن يستأذن ولا يعارض ، ولا يشاور جليسه ، ولا يلتفت إلى جانبه ، ولا يطيل عليه عند ملله ، وإذا قام له ولا يسأله في طريقه إلى أن يبلغ منزله ولا يسيء الظن به .

ومن آداب الولد مع والديه : أن يسمع كلامهما ويمتثل لأمرهما ، ولا يمشي أمامهما ولا يرفع صوته فوق صوتهما ، ويحرص على مرضاتهما ولا يمن عليهما بالخير ولا يسافر إلا بإذنهما .

وفي مجال الصحبة والصداقة يقسم الغزالي الناس إلى ثلاثة أصناف : إما أصدقاء ، أو معاريف ، أو مجاهيل ، فمع الأصدقاء ينبغي التحقق من استيفاء الصديق لشروط الصداقة ؛ وهي خمسة :

١ - العقل .

٢ - حسن الخلق .

٣ - الصلاح .

٤ - الكرم والبعد عن الحرص والبخل .

٥ - الصدق .

أما عن حقوق الصحبة مع الأصدقاء فهي كثيرة ونذكر منها : الإيثار بالمال ، المبادرة بالإعانة ، وكتمان السر ، وستر العيوب ، والسكوت عن تبليغه مذمة الناس وإبلاغه ما يسره من ثناء الناس عليه ، حسن الإصغاء عند الحديث ، وأن يدعوه بأحب أسمائه إليه ، وأن يثني عليه بما يعرف من محاسن أو أن يشكره على صنيعه في وجهه ، وأن يدافع عنه في غيبته ، وأن ينصحه باللطف ، ويعفو عن ذلته ، وأن يدعو له في خلوته في حياته وبعد مماته ، وأن يحسن الوفاء مع أهله ، والتخفيف عنه في المكاره ، وإظهار السرور لرؤيته ، والسلام عليه عند لقائه ، أما المعاريف أو المعارف وهم الأشخاص الذين يتوفر عنهم قدر من المعرفة وتربطنا بهم علاقة سابقة ولكن لا تصل لدرجة الصداقة . ويحذر الغزالي منهم ؛ لأن الأصدقاء يعينون أما المجاهيل فلا يضرون .

ويذكر من آداب معاملة المعاريف : التأدب ، والتواضع والتحمل وعدم الاطمئنان إليهم ، حتى وإن أظهروا المودة ، مع التماس الأعذار لهم ، والهدوء في المجلس ، وحسن الحديث ، وعدم الإلحاح في الحاجات ، والاعتدال في اللبس وفي التزين ، وعدم الإكثار من الالتفات والإشارة باليد أو البصق أو التثاؤب .

ومن آداب التعامل مع المجاهيل : أي الأشخاص الذين لا تتوفر عنهم أية معرفة ولا تربطنا بهم علاقة سابقة وتجمعنا الظروف بهم يذكر الغزالي قلة الإصغاء إلى أحاديثهم ، والتغاضي عن سوء ألفاظهم ، وتجنب كثرة لقائهم ، والحاجة إليهم ، مع التنبيه على ألفاظهم السيئة باللطف والنصح عند توقع القبول منهم .

ومن أهم المفاهيم النفسية التي وردت في القسم الثاني مفهوم التفاعل الاجتماعي Social Interaction ؛ حيث تقترب أفكاره من مفاهيم التخاطب اللفظي Verbal Communication والتخاطب غير اللفظي Non Verbal Communication أثناء تناوله للصحبة أو الصداقة Friendship وفيها يظهر الوعي بوجود مستويات للصداقة Levels of Friendship وللعلاقات الاجتماعية Social Relationship تبدأ من التعامل مع الغرباء Strangers ثم المعارف Acquaintance حتى العلاقة الحميمة Intimate Relationship .

وفي مجال الصداقة أيضًا يبرز مفهوم سمات الصدق Traits وقيمه Values حيث أكد أهمية الذكاء Intelligence والخلق Morals والكرم Generosity والاستقامة Rectitude والصدق Truth وتبرز أيضًا مفهوم التوقعات Expectancies وهو مفهوم يختص بالسلوك المتوقع من الصدق في تعامله مع صديقه وهو يكون ما نسميه بمكونات الصداقة Components of Friendship ومن التوقعات أو المكونات التي ذكرها الغزالي المساعدة Help والتأييد Support والتعاون Cooperation والدفاع Defense وتقديم النصيحة Advice والمجاملة Compliment والإيثار Altruism ويعبر عنه من خلال الجمال Beauty أو الوسامة وحسن المظهر أو السلوكيات غير الفظة والحركات الجسمية التي تجعل الشخص مرغوبًا ومقبولًا من الآخرين ؛ حيث يبين الغزالي أهمية الاعتدال في الملبس ، وتقليل الالتفات والبصق والتثاؤب والإشارة باليدين أيضًا يبرز مفهوم العزلة أو الانسحاب Withdrawal من العلاقات الاجتماعية إذا تبين أن للصداقة أضرار تنجم من مخالطة الصالحين (ص ١٤٣ - ١٥٦) .

كما يرتبط مضمون كلام الغزالي في الجزء السابق بمفهوم التنشئة الاجتماعية Socialization ، عندما يشرح آداب الولد مع والديه أيضًا عندما يبين السلوك المقبول من المعلم أو المدرب Trainer حيث يوضح أهمية الخصال الآتية : الصبر Patience والهيبة والاحترام Respect والتواضع Modesty والجدية Seriousness والإرشاد والتوجيه Guidance والتدعيم Reinforcement وطرح الأسئلة Asking Questions (ص ١٤٠ - ١٤٣) وكذلك مفهوم تأكيد الذات Self-Assertion (ص ١٤٠) ، ومفهوم الانفعالات Emotions والغرائز Instincts (ص ١١٢ - ١٣٠) وذلك كما تبين من دعوته إلى كف شهوات ودوافع أولية ، منها الجوع والعطش والجنس .

* * *

منهاج المتعلم [1]

عرض : د. معتز سيد عبد الله

عرض الكتاب :

يتناول المؤلف في الكتاب مجموعة من المسائل المتعلقة بالعلم والمتعلم ، وذلك من خلال ثلاثة أبواب نعرض لها على النحو التالي :

- **الباب الأول : في العلم :**

وفيه يوضح المؤلف أهمية العلم ودلالته وفضله مستشهدًا بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ، فقال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة : ١١] ، وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] ، وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر : ٢٨] إلى غير ذلك من الآيات . وقال رسول الله ﷺ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** » ، وسئل رسول الله ﷺ : أي الأعمال أفضل ؟ قال عليه السلام : « **العلم** » . فقيل : أي الأعمال تزيد يا رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « **إن العمل القليل مع العلم ينفع ، وإن العمل الكثير مع الجهل لا ينفع** » . ويرتبط مضمون هذا الباب بمفهوم القيم العلمية Scientific Values (ص ٥٧ – ٧٢) .

---

(١) تحقيق هشام نشابة – ط. ١ . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٨م (٣٠ ص) .

• الباب الثاني : في المعلم :

يجب أن يكون المعلم ماهرًا في فن يعلمه ، وأن يكون طاهر القلب واللسان ، وأن يكون نظيفًا عن الغيبة ، وعدلًا في الدين ، وناصحًا في جميع الأمور ، وملائمًا في العيش ، وشريفًا في النسب ، وكبيرًا في السن ، وأن لا يكون غضوبًا ، وأن لا يخالط الشيطان ، ولا يباشر الدنيا تشغله عن أمر دينه . ويجب أولًا على المعلم إذا جيء إليه بطالب علم مبتدئ أن يداعبه ويكرمه ويعزره ، حتى يأنس به ؛ لأن المبتدئ كالطير الوحشي لا يأنس إلا بالتلطف فإن العلم أشق عليه وأمر ، فيجب إصلاحه على ما يقتضيه طبعه . ولا يتعبه حتى لا يسمع كلامه ولا يعمل بأمره . ثم يبدأ ثانيًا بالتأديب ثم بالتعليم ؛ فإن التعليم لا يمكن إلا بعد التأديب ؛ لأن من ليس له أدب ليس له علم . ويجب على المعلم أن يشخص طبيعة المبتدئ من الذكاء والغباوة ، ويعلمه على مقدار وسعه ، ولا يعلم من لا يعظمه ولا يكرمه ، فإن العلم لا يحصل إلا بالتعظيم والتكريم . ومن الواجب على المعلم حسن العبارة عند التكلم ، وتفصيل الكلام ، وإيضاحه بعد ظهوره . فإن المعلم إذا لم يتصف بهذه الأوصاف الحميدة ، لا يستفيد منه المتعلم وإن استفاد لا ينفعه .

ويبدأ المعلم في تعليم المتعلم بأقرب ما يفتقر إليه الطالب ، وأهم ما ينفعه في الدنيا والآخرة ، كما يجب عليه أن يعلم كل نوع من المتعلم بما يبلغ عقله ويدرك ذهنه . ولا يشدد عليه فييأس فإن اليأس كفر ، فلا يحدث الجاهل الآمن واليائس لئلا يوقعه في الكفر ، ولا يكثر على المستمع إكثارًا يورثه الملالة ، ويخبره ما عنده من العلم على وجهه ، أي كما سمعه لا يزيده ولا ينقصه قد يكون كذبًا غير مطابق للواقع فربما يقع بسببه فيما يصير وبالًا ، ويرتبط مضمون هذا الباب شروط التعلم الجيد (ص ٧٣ - ٧٨) وخصال المعلم (ص ٧٣ - ٧٨) .

• الباب الثالث : في المتعلم :

يجب على الآباء تأديب الأبناء وتربيتهم وإرسالهم إلى المعلم إذا بلغ أربع سنين وأربعة أيام ، فإن الأب إذا لم يؤدب ابنه ، ولم يحسن أدبه ، ولم يجلس بين يدي المعلم ، ظهرت آثار الانحراف في جميع أعضائه ، خصوصًا في لسانه ، وذهب استعداده وقابليته ، وحدث الجهل والطغيان وأنواع المعاصي فيه ، فيحصل الأب حصته من سوء عمله ، فيعاقب عليه بمثل ما عوقب ابنه .

ولا ينال المتعلم العلم ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله وأستاذه . ويطلب المتعلم مسرة المعلم بالتواضع ، والتكلم ، والتملق ، والدعاء ، والخدمة ، والنصرة وغير ذلك . ولايبخل المتعلم بشيء من ماله على أستاذه ، ويحمل ما يسمع من خطاياه على أحسن التأويل . ولا يضحك في العلم وسماعه ولا يلعب فيه فيموت قلبه ، ولا يجادل معه في العلم ، ولا يعارض .

ومن تعظيم العلم تعظيم الشركاء ، وتعظيم أولاد أستاذه ومن يتعلق به . والتملق مذموم إلا في طلب العلم ، فإنه ينبغي أن يتملق أستاذه وشركاءه ليستفيد منهم . ويجب على المتعلم تقديم طهارة النفس من رذائل الأخلاق . ويجب على المتعلم أن لا يختار نوع العلم النافع بنفسه ، بل يفوض أمره إلى أستاذه ، فإن الأستاذ قد حصل له التجارب في ذلك ، فكان أعرف بما ينبغي لكل واحد وما يليق بطبيعته . ويجب على المتعلم الصلاح فإن العلم الحاصل بالفسق والفجور لا ينفع صاحبه ، ولا يخلصه من ظلمات الجهل ، هذا بالإضافة إلى بعض الشروط الأخرى المهمة التي ينبغي توافرها في طالب العلم (ص ٧٩ - ٩٢) ، وكذلك بعض شروط عملية التعلم Learning (ص ٧٩ - ٩٢) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام ، وبوجه خاص في موضوع سيكولوجية التعلم .

* * *

مجموعة رسائل الإمام الغزالي (١) (١)

عرض : د. شعبان جاب الله رضوان

عرض الكتاب :

يتناول هذا الكتاب رسالتين من مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، تختص أحدهما : بالحكمة في مخلوقات الله ﷻ ، أما الثانية : فتتعلق بمعراج السالكين . ونعرض لها كالآتي :

عرض الرسالة الأولى : (الحكمة في مخلوقات الله ﷻ) :

تنقسم هذه الرسالة إلى عدة أبواب ، يشتمل كل منها على ذكر وجه الحكمة من النوع المذكور فيه من المخلوقات ، فتبدأ بباب التفكر في خلق السماء وفي هذا العالم ، والكيفية التي يوجد عليها وما يحويه من نجوم وكواكب تسير في نظام دقيق يدل على فاعله وصنعته المحكمة الصمدية ، وفي النظر إلى السماء عشر فوائد : فهي تنقص الهم ، وتقلل الوسواس ، وتزيل الخوف ، وتذكر بالله ، وتنشر في القلب التعظيم لله ، وتزيل الفكر الرديء ، وتنفع لمرض السوداء ، وتسلي المشتاق ، وتؤنس المحبين وهو قبلة دعاء الداعين .

وبعد ذلك يتطرق الغزالي إلى بيان الحكمة في الشمس ، وفي خلق القمر والكواكب والأرض التي مهدها الله لاستقرار الحيوان والإنسان ، وما حوته من معادن ومنافع للناس ، وكذلك بيان الحكمة في خلق البحر وما فيه من الخير للإنسان ، والماء الذي به حياة كل من على وجه الأرض ، والهواء الذي لولاه لهلك جميع حيوان البر ، والنار وما فيها من النعم .

---

(١) بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦م (١٥٩ ص) .

وينتقل الغزالي بعد ذلك إلى بيان حكمة خلق الإنسان من ماء مهين يخرج من بين الصلب والترائب ، ويخلق منه الذكر والأنثى وكيف يمر هذا الخلق بعدد من المراحل بدءًا من النطفة ، ثم العلقة ، ثم خلق العظام ، ثم كسو العظام لحمًا ، حتى يكتمل نمو الجنين داخل الرحم ويخرج طفلًا . وتتصل هذه المفاهيم الارتقائية بمراحل النمو والارتقاء في علم النفس الارتقائي Developmental Psychology (ص ٢٦) ويشير إلى أن اللّٰه قد خلق أعضاء الإنسان بحكمة ودقة بالغة ؛ حيث يقوم كل منها بوظيفة محددة في نظام متكامل بديع ، فخلق الحواس والعظام والعضلات والشهوات ، والعقل الذي يوجه كل ذلك .

كما خص اللّٰه الإنسان بنعم كثيرة ؛ منها : الحفظ ، والنسيان ، والنطق ، والفكر ، والعقل ، والغضب والحياء .

وبعد أن يفصل الإمام الغزالي القول في بيان حكمة خلق الإنسان ، يبين الحكمة في خلق الطير وكيف أن اللّٰه خلقه على هيئة تقتضي الطيران ، وتعينه على القيام بوظائفه الأساسية والبيولوجية والحصول على حاجاته الضرورية ، كذلك يبين الحكمة في خلق البهائم ، واختلاف أنواعها وطباعها ، وفي خلق النحل والنمل والعنكبوت ودود القز والذباب والسمك ، والنبات وما جعل الله فيه من ضروب المنافع والمطاعم والروائح والمآرب التي لا تحصى .

وفي نهاية هذه الرسالة يبين الغزالي ما تستشعر به القلوب من العظمة لعلّام الغيوب ، وذلك من خلال النظر والتفكير في الآيات البينات ، والبراهين الواضحة الدالة على جلال الباري وقدرته ونفوذ مشيئته وظهور عظيمته في حكم المخلوقات ، وهذا هو الباب لمعرفة اللّٰه واليقين بما عنده .

عرض الرسالة الثانية : (معراج السالكين) :

تتضمن هذه الرسالة بيان الآراء الفاسدة التي استهوت عقول الناس ، وكذلك بيان الطريق الأسلم والصراط الأقوم وما يقتضيه ذلك من ذكر الطريق المنحطة عنه حتى يكون ذلك معينًا للسالكين .

وتنقسم هذه الرسالة إلى سبعة معارج على النحو التالي :

المعراج الأول : ويدور حول الدلالة الظاهرة التي يتبعها معظم الناس للوصول إلى معرفة اللّٰه ، ذلك أن العالم هو السلم إلى معرفة البارئ سبحانه ؛ لأن الإنسان محجوب عن عالم الغيب وهو الغائب عن إدراك الحس ، ولم يتوصل إلى معرفته إلا بجد وتيقظ

وقوة مفكرة ، فيستدل بما شاهد في نفسه على ما لم يشاهد ، وألا يتعدى المحسوس ولا يحمله أكثر مما يحتمل وألا يستعمل الاستدلال به فيما لا يصح ، أي لا يقضى على الغائب بما لا يقطع به على الشاهد وبزعم القطع به ، ويقسم الإنسان في جملته إلى ثلاثة أشياء ؛ هي :

١ - الجسم : وهو الشكل المنتصب ذو الوجه واليدين والرجلين ويتكون من المواد والعناصر الحاملة للروح والنفس .

٢ - الروح : وهي ما يجري في العروق والضوارب والشرايين .

٣ - النفس : وهي الجوهر القائم بنفسه وليس لها موضع .

وهذا الشكل الإنساني تنهض منه الدلالة على بارئه ومصوره . ويمكن أن يندرج هذا التقسيم للإنسان تحت سيكولوجية أو بناء الشخصية Personality (ص ٨٨ ، ٩٨ ، ٩٩) .

المعراج الثاني : ويتعلق بتقرير النفس هل هي باقية أم لا ؟ وهذا المعراج كالقطب لسائل العلوم وله يجتهد المجتهدون ويعمل العاملون ولا فائدة أعظم منه ؛ ذلك أن نبوة الأنبياء والثواب والعقاب ، والجنة والنار ، لا تثبت متى أبطلت هذه المسألة ، فالنفس إذا لم يكن لها بقاء فجميع ما أخبرنا به باطل وحاشا لله . وتنقسم قوى النفس قسمين :

١ - قوى محركة .

٢ - قوى مدركة .

والمدركة قسمان : (أ) ظاهرة : وهي الحواس الخمس (السمع ، والبصر ، والشم ، والذوق واللمس) .

(ب) باطنة : وهي ثلاثة : ١ - الخيالية : وتقع في مقدمة الدماغ ، ومهمتها بقاء صور الأشياء المرئية في القوة المبصرة بعد تغميض العين .

٣ - الوهمية : وهي التي تدرك المعاني وتحفظها .

٤ - المفكرة : ووظيفتها تركيب الصور بعضها مع بعض ، وتقع في التجويف الأوسط بين حافظة المعاني والصور ، والخلل في هذه المواضع يؤدى إلى عطب في هذه المدركات المرتبطة بها .

وتشير القوة الظاهرة إلى مفهوم الحواس الخمس ، والذي يتصل بموضوع الإحساس Sensation والإدراك Perception أما القوى المدركة الباطنة فتتصل بسيكولوجية

العمليات العقلية ، كالذاكرة بنوعيها البصرية واللفظية والتخيل (علم النفس العام) (ص ٣٥ - ٣٩) . وتتصل الإشارة إلى موضوع هذه القوى في الدماغ بعلم النفس العصبي Neuro Psychology . (ص ٩٩) .

والقوى المحركة قسمان أيضًا :

١ - باعثة على الحركة ، وهي القوة النزوعية الشوقية ، وتقوم بإرسال إشاراتها للقوة المباشرة للحركة لكي تقوم بها .

٢ - مباشرة للحركة وهي القوة القائمة بها .

وتتصل هذه الإشارة عن الأساس العصبي للسلوك بعلم النفس الفسيولوجي ؛ حيث يرسل المخ إشاراته لكي تقوم أعضاء الحركة بالفعل ، كما يتصل بمفهوم الدافعية Motivation والسلوك Behavior والإرادة Will (ص ٣٤) .

أما تقسيم قوى النفس إلى محركة ومدركة فيتصل بعلم النفس العام وسيكولوجية الشخصية (ص ٩٨ ، ٩٩) ، ويتحدث الغزالي بعد ذلك عن طبيعة النفس ، والتي تتمثل في أن النفس جوهر قائم بذاته وهو جوهر روحاني لطيف ، وتكتسب النفس الكمال في البدن لكي تلحق بالملائكة أو الشياطين وهي حية ، وكونها مع البدن لا يدل على عدمها بعدم البدن لأن عنصريهما مختلفان . ويفصل الغزالي القول في مسألة بقاء النفس ، فيشير إلى رأى أفلاطون وابن سينا في ذلك ، فيرى أفلاطون أن النفس قديمة وباقية ، أما ابن سينا فيرى أن النفس محدثة ولكنها باقية أيضًا ، وينتهي إلى أن البرهان يقوم على أن النفس حادثة ولا تعدم .

المعراج الثالث : ويتناول بيان أن الصور الجسمانية الموجودة في عالم الكون والفساد حادثة ، ويهتم أيضًا بكشف أدلة مَن قالوا بأن السماء حية ولها نفس ، معتمدين في ذلك على حركتها التي هي معلومة بالحس ، وكذلك مَن يزعمون أن السماء ونفوس الأفلاك مستقلة بذلك من جهة إرادتها وعلمها . ويخلص من ذلك إلى القول بأن حركة السموات تابعة لإرادة البارئ سبحانه ، وعلمه في كل دقيقة من الزمان ، وأن اللَّه هو العالم بالمعلومات ، علم واحد لا يتغير ، والدليل على علمه قائم وتشهد به العقول ، كما أن اللَّه هو مريد الكائنات ، فالإرادة الإلهية عبارة عن إيقاعه الفعل مع أنه غير ذاهل عنه ، فالقصد إلى إحداث المحدث والعمد إليه سمى إرادة ، وأن اللَّه تعالى رتب الأسباب على ما جرى به علمه ، فهي مطابقة على ما سبق به العلم ، فإن أي ذرة في السموات والأرض لا تتحرك أو تسكن إلا وهي مقيدة في علم البارئ .

وتنقسم الحركات إلى ثلاثة أنواع : إما على الوسط كتحرك الأفلاك ، وإما الوسط كحركة الحجر إلى أسفل ، وإما من الوسط كالهواء والأبخرة الصاعدة علوًّا ، وهذه الحركة ضربان : ضرورية واختيارية ، ولها نسبتان إلى نفسها ونسبة إلى بارئها ، فمتى أضيف فعلها إلى بارئها فهو مختار لها بأجمعها ، وليس هناك شيء منها إلا بتدبيره وحكمه وقضائه ، وحكمة له اقتضت كونها على جهة مخصوصة وزمان معين وشخص معين ، وأما نسبتها إلى المتحركين فتنقسم إلى مختارة : ويختص بالحيوان ، ومضطرة : ويشمل الجماد والحيوان .

وتتوقف الأفعال المختارة على إشارة النفس وتحركها .

وتقسم الحركة إلى ضرورية واختيارية إلى السلوك الإرادي واللاإرادي ، ويتصل ذلك بعلم النفس الفسيولوجي .

المعراج الرابع : ويتناول معنى أن اللّٰه نور السموات والأرض ، ويشير أنه ليس المقصود من كون اللّٰه نورًا كونه شعاعًا منبسطًا مرئيًا ، ويقسم النور إلى ستة أشياء ؛ وهي ضوء النيران ، ونور البصر ونور الشمس ، ونور محض هو العقل والنفس ، ويستعار للقرآن والرسول اسم النور ، أما النوع السادس فهو النور المطلق والحق المبين وهو البارئ تعالى .

المعراج الخامس : وهو معقود للنبوة والنبي ، وما يتصل بذلك من معجزات وأفعال غريبة تخرق العادة ، فقد ظهر على يد نبينا محمد ﷺ عدد من المعجزات ؛ كشق القمر وحنين الجذع ، واستدعاء المطر ، وغيرها ، ولكن هناك معجزة باقية له هي القرآن ، وما ينطوي عليه من الصنائع العلمية من الإلهيات ، والمنطقيات ، والجدل ، والخطابة ، وسائر العلوم .

المعراج السادس : ويختص ببيان ما أتى من القول عن طريق الرسول ﷺ وهو قسمان : طلب وخبر . والطلب ضربان : أمر ونهي . وكذلك الخبر فينقسم إلى إخبار عمن مضى كأخبار الأمم ، وعما يأتي كأمور الزمن والآخرة . وكل ما نطق به القرآن وتواتر عن الرسول ﷺ فهو يقين لا شك فيه . وهو منقسم إلى ما يحتمل التأويل وإلى ما لا يحتمل .

المعراج السابع : وهو المعراج الأخير من هذه الرسالة ، ويدور حول بيان معنى الموت وهل هو كمال أو نقصان ، وفي ذلك يشير الغزالي إلى أن الموت فساد المزاج ، وقصور الجسم عن الانفعال للنفس لعدم الحس والحركة . والإنسان يرتقي من الأدنى إلى الأعلى

بسبب الموت ، فهو متردد في أطوار الخلقة من كونه ترابًا وغذاءً ، ثم نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم لحمًا يكسو العظام ، ثم يكون مولودًا رضيعًا ، ثم فطيمًا ، ثم غلامًا ، ثم شابًا ، ثم كهلًا ، وجاهلًا عالمًا وجمادًا ثم حيًا مدركًا . فكل منزلة من هذه المنازل إذا أضفناها إلى ما قبلها نجدها كمالًا ويعنى هذا أن الموت كمال للأجسام .

وتتصل المراحل المختلفة لنمو الإنسان من مرحلة النطفة حتى الشيخوخة بعلم النفس الارتقائي Developmental Psychology (مراحل النمو والارتقاء) (ص ١٤٣) .

وفي نهاية هذه الرسالة يتناول الإمام الغزالي مفهوم السعادة ، ويرى أن السعادة ضربان : سعادة مطلقة وسعادة مقيدة ، فالمطلقة هي ما اتصلت في الدنيا إلى ما لا نهاية له ، والمقيدة ما كانت مقصورة على حال أو زمان .

وتحصل السعادة المقيدة بأربعة أسباب ؛ هي : إما سفسطة وإما خطابة ، وإما جدل وإما شعر ،كما أن العلوم التي يطلب بها السعادة العلمية النافعة أربعة علوم ؛ هي :

١ - طبيعية : (وهي معرفة العالم وتركيبه وما فيه من نبات وحيوان ومعادن وغيرها) .

٢ - الرياضيات : (الحساب والهندسة والنطق والنجوم) .

٣ - الإلهيات : (العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) .

٤ - السياسة : (وهدفها تهذيب النفس في جلب المنفعة ودفع المضرة) .

وينتهي من ذلك إلى القول بأن الأمور التي تخوض فيها القوة المفكرة ترجع إلى أربعة أقسام ؛ هي :

١ - المعقولات : وهي ما لا يدرك إلا بالعقل .

٢ - المحسوسات : وهي ما يختص بالحواس الخمس والتمييز بينها .

٣ - المشهورات : وهي العادات الراجعة إلى عادات الخلق ، والبلاد ، والأمم ، والأزمنة .

٤ - المقبولات : وهي ما أخذ بطريق الإخبار ، وهو كل ما أخبر به العدل الثقات .

والعقليات لا تتبدل أحكامها عما هي عليه في العقل ، كما أن المحسوسات لا تتبدل وأحكامها عما هي عليه في العقل ، كما أن المحسوسات لا تتبدل ولكن يتطرق إليها الغلط بآفات تحدث في الآلات الجسمية ، وأما المقبولات والمشهورات فغير موثوق بها ، فهي تختلف باختلاف الأمم والبلاد وحالات الأشخاص .

أما الدلالات النفسية لما سبق ، فيمكن القول بأن مفهوم السعادة يندرج تحت موضوع الانفعالات Emotions (ص ١٥٢) ، كما يتصل مصطلح القوة المفكرة بموضوع العمليات العقلية كالتذكر ، والتخيل ، والتفكير ، ويتصل مفهوم المعقولات أو المجردات بموضوع التفكير التجريدي Abstract Thinking ، كما يتصل مفهوم المحسوسات بموضوع الإحساس والإدراك الحسي Perception ، ويقع ذلك كله في إطار علم النفس العام (ص ١٥٢ - ١٥٩)

أما المشهورات فتتصل بموضوعات العادات Habits في علم النفس الاجتماعي (ص ١٥٧) .

* * *

مجموعة رسائل الإمام الغزالي (٢) [1]

عرض : د. إبراهيم شوقي عبد الحميد

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط ، ويضم ٤٣ بابًا بالإضافة إلى فاتحة الكتاب للمؤلف ، ومقدمة في تمهيد الكتاب وخاتمة لمعرف الكتاب ، وفهرس الموضوعات .

ويبدأ الكتاب الأول بفصل : في أن ما سوى الحق حجاب عنه ، وفيه ذم لحب الجاه والمال وكذلك ذم لحب الرئاسة والشهرة ؛ لأنهما يورثان الكبر وهو فساد الدين ، وكذلك ينتقد طول الأمل ؛ لأنه يمنع من حسن العمل ويصد عن الحق والتسويف ، ويذكر كذلك أن حجاب الخلق عن الحق أربعة ، هي : النفس ، والهوى ، والشيطان ، والدنيا .

أما عن الباب الأول ، فيتناول أركان الدين ، وأما الباب الثاني : (ففي بيان الأدب) وفيه يقسم الأدب إلى قسمين أولهما أدب ظاهري : وهو اتباع أوامر وأخلاق الرسول ﷺ ، وأدب باطني : وهو حسن المعرفة بالخالق ﷻ . كما يشير إلى أن أنفع الآداب التفقه في الدين ، والزهد في الدنيا والمعرفة بما لله عليك (ص ١٢ - ١٥) .

ويرد في هذا الباب كلام عن السلوك الأخلاقي والضبط السلوكي Behavioral Control أي كف دوافع السلوك غير المرغوب ، وخاصة ما يتصل بالدوافع الفطرية Innate Motives وكذلك الدوافع الاجتماعية كحب السلطة وحب المال والرياسة . كذلك تتصل هذه الموضوعات بسمة المثابرة Persistene وهي درجة تحمل الشخص لضغوط تحول دون إتمام

---

(١) بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦م (ص ١٦٠) .

مهمة معينة (ص ١٢ - ١٦) .

أما بالنسبة للباب الثالث والفصول التالية له ، فهو : (في بيان معنى السلوك والتصوف) ويعرف السلوك بأنه تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف ، ويذكر أن ما يفسد على السالك سلوكه شيئان : اتباع المرخص بالتأويلات ، والاقتداء بمتبعي الشهوات . وفي فصل : في لزوم العزلة يعرض الغزالي لطرق كبح الشهوات وهي بإيجاز كالتالي :

١ - تقليل الغذاء بالتدريج .

٢ - ترك الاختيار واتباع شيخ مأمون يختار للفرد ما يصلحه .

٣ - عدد من الأفعال كدوام الوضوء ، والصوم ، والسكوت ، ودوام الذكر بالقلب واللسان .

ثم يعرض لمعنى التصوف في فضل التصوف ، وهو قطع الشهوات ، والزهد في الدنيا والتورع عن جميع حظوظ النفس ، ويذكر أيضًا أن أهل التصوف على ثلاث طبقات ؛ هي :

١ - مريد طالب : صاحب وقفة : مقامه المجاهدة والمكابدة وتجرع المرارات ومجانبة الحظوظ .

٢ - متوسط سائر : صاحب حال : ومقامه ركوب الأهوال في طلب المراد ، ومراعاة الصدق والأدب ، وإن كان تغيره الأحوال .

٣ - منته واصل : صاحب يقين : ومقامه الصحو والثبات وإجابة الحق ، ولا تغيره الأحوال (ص ١٦ - ٢٤) .

ثم يعرض للتفرقة بين الملامتي والصوفي من حيث الإخلاص والصدق وغيرهما .

وفي هذا يعرض لطرق كف الشهوات ، ودور ترك جلساء السوء في كف شهوات النفس ، وهو أسلوب يشار إليه حديثًا بالعلاج الاجتماعي Social Therapy .

وعن الباب الرابع : (في بيان معنى الوصول والوصال) ، نذكر أنه يتناول معنى الوصول ، وهو أن ينكشف للعبد حلية الحق ، ويصير مستغرقًا به فينشغل بالله تعالى دون سواه ، ومعنى الوصال : وهو الرؤية والمشاهدة بسر القلب في الدنيا ، وبعين الرأس في الآخرة .

ثم يعرض لما تقوم عليه الصوفية ، وهي أربعة :

أولها : الاجتهاد (التحقق بحقائق الإسلام) .

وثانيها : السلوك (التحقق بحقائق الإيمان) .

وثالثها : السير (التحقق بحقائق الإحسان) .

ورابعها : الطير (الجذبة بطريقة الجود والإحسان إلى معرفة الله ﷺ) . يلي ذلك فصل في الاتصال ، وتعريفه : هو مكاشفات القلوب ، ومشاهدات الأسرار في مقام الذهول ، ويعرض في ثنايا الفصل لدرجات الاتصال والمواصلة (ص ٢٥ ، ٢٦) .

وفي حديثه عن الوصول يشير إلى التوحد مع الحق سبحانه ، وهو ما يطلق عليه التوحد Identification (ص ٢٦ ، ٢٧) .

وفي الباب الخامس : (في بيان معنى التوحيد والمعرفة) ، حيث يعرض لمعنى التوحيد ، ثم يورد فصلًا عن أصول التوحيد وهي خمسة معتقدات يجب على المكلف اعتقادها ؛ وهي :

١ - وجود الخالق .

٢ - وحدانيته تعالى .

٣ - تنزيهه تعالى عن كونه جوهرًا أو عرضًا .

٤ - إبداعه تعالى بقدرته واختياره لكل ما سواه .

٥ - تدبيره تعالى لجميع مبتدعاته .

وبعد ذلك نجد فصلًا عن أن المسلمين اتفقوا على أن اللّٰه تعالى موصوف بكل كمال وبرِيء من كل نقصان .

ثم يعرض لأهل الأهواء المختلفة - في فصل الأهواء ، وهم ست فرق - كل اثنين منها ضدان : التشبيه - التعطيل ، الجبر - القدر ، الرفض - النصب ، ويشير إلى أن الفرقة الناجية هي أهل السنة والجماعة ؛ لأنها توسطت الطرق وسلكت طريقًا معتدلًا .

بعد ذلك يعرض لفصل عن القضاء ، ويقصد أحيانًا الأمر المبرم ، وأحيانًا الإعلام بوجوب الحكم الواجب للّٰه . ويشير إلى أن قضاء اللّٰه يتم بمقتضى الحكمة ويتوقف على فعل العبد ، فاللّٰه تعالى خلق الأفعال والأقدار ، والعبد كاسبها ومسببها .

يلي ذلك فصل : الفرق بين العلم والمعرفة ، وفيه يعرض لمعنى المعرفة لدى الصوفية وهو العلم الذي لا يقبل الشك إذا كان المعلوم ذات اللّٰه تعالى وصفاته ، وأن المعرفة سرها التوحيد ، وعلامتها : حياة القلب مع اللّٰه تعالى ، وأن المعرفة الحقيقة في باطن الإرادة ، وأن حب الدنيا يذهب بنور المعرفة من القلب ، ثم يعرض بعد ذلك لمعنى البصيرة ، واليقين ، والإلهام (ص ٢٧ - ٣٦) .

ويتضمن هذا الباب تعريفًا للبصيرة Insight واليقين (ص ٣٨ - ٣٩) وذلك بصفته أرقى مستويات الاعتقاد ، ويشير كذلك إلى حتمية السلوك Deterimination of Behavior وتقسيم السلوك إلى سلوك إرادي Voluntary وسلوك لا إرادي Unvoluntary .

أما الباب السادس وفصوله فهو : (عن بيان معنى النفس ، والروح ، والقلب ، والعقل) وفيه يذكر الغزالي : أن للقلب معنى عضوي مادي ، وآخر معنوي باعتباره لطيفة ربانية روحانية ، وكذلك معنى الروح : كبخار لطيف تنتجه حرارة القلب ، وتشعه في الجسم كله ، وهي أيضًا ذلك الجانب العالم المدرك من الإنسان . ثم يعرض لمعنى النفس ، وهي قوتي الغضب والشهوة في الإنسان ، وهو المعنى الغالب لدى الصوفية . أو أنها ؟ أي النفس ؟ حقيقة الإنسان ونفسه وذاته ، وتوصف بأوصاف مختلفة حسب أحوالها ، وعن تعريفه للعقل ، فله معنيان ، الأول : العلم بحقائق الأمور ، والثاني : المدرك للعلوم وهو القلب .

وبعد ذلك يعرض لجنود القلب ، ويذكر أنها ثلاثة ؛ وهي :

١ - البواعث : ويقصد بها الغرائز .

٢ - القدرة .

٣ - الحواس الخمسة الباطنة (الحس المشترك ، الخيال ، الوهم ، الحافظة والمتصرف) ويحدد الغزالي موضوع كل حاسة في الدماغ .

وبعد ذلك يعرض لفصل يتناول بالتعريف والمقابلة بين الروح الحيواني والروح اللطيفة ، فالأولى جسم لطيف ، والثانية ليست بجسم ؛ لأنها من أمر اللّه تعالى ، والأولى لا تهتدي للعلم ، في حين الثانية تهتدي إليه ؛ ولذا فهي تميز الإنسان عن سائر المخلوقات . (ص ٣٩ - ٥٠) .

ويتضمن هذا الباب تعريفًا للنفس بأنها الغضب والشهوة وتعريفًا للعقل Mind بأنه العلم بحقائق الأمور (ص ٤١) ، ويتحدث أيضًا عن دوافع السلوك عندما يتحدث عن جنود القلب وهي البواعث Incentives (ص ٤٢ - ٤٣) والقدرة Ability والحواس وهي الإدراك الحسي والتخيل Imagination ثم يعرض لموضع كل حاسة في الدماغ (ص ٤٣) وهو من اهتمامات على النفس العصبي الحديث Neuropsychology . كما نجده أيضًا يميز بين عملية الإحساس وعملية الإدراك في إشارته إلى أن عملية الإدراك تكتسب الإحساس معنى وتفسره ، وهو رأى يتفق مع ما يشير إليه علم النفس الحديث .

أما الباب السابع : (ففي بيان معنى المحبة) ويعرفها بأنها الميل إلى اللذيذ الموافق ، وهي ميراث التوحيد والمعرفة ، ويلي ذلك عرض لمعاني من المفاهيم ؛ كالذوق ، والصفاء ، والنفس ، والغيبة ، والسكر ، والصحو ، والفناء . (ص ٥١ ، ٥٢) .

وبالنسبة للباب الثامن : (في بيان معنى الأنس بالله تعالى) يعرض لمعنى الأنس وهو استبشار القلب وفرحه لما انكشف له من قرب الله تعالى وجماله وكماله ، ويشير إلى أن الأنس يكون بطاعة الله وذكره ، وأن طهور القلب يزيل الحجاب الذي بين العبد وربه . فيحدث نوعًا من الطمأنينة تصاحب الأنس ، مما يؤدى إلى الانبساط في الأقوال والأفعال . ثم يعرض نوعًا للشوق كأحد ثمار المحبة وهو أفضل من الأنس ؛ حيث يتضمن شدة الطلب لما يحتاج إليه . (ص ٥٣ - ٥٦) .

وفي الباب التاسع : (بيان معنى الحياء والمراقبة) يعرف الحياء على أنه إطراق عين القلب خجلًا من الله تعالى لتقصير في طاعته . ويشير إلى أن العلم الذي يحمل على الحياء هو علم العبد باطلاع الله تعالى عليه . يلي ذلك حديثه عن المراقبة وتعريفها ودرجتها (ص ٥٧ - ٥٩) .

وفي الباب العاشر : (في بيان القرب) : ويشير فيه إلى أن القرب يتم بأداء العبادات والسجود خاصة ، والحياء . (ص ٦٠ ، ٦١) .

أما الباب الحادي عشر : (في بيان شرف العلم) فيحث الغزالي فيه على طلب العلم والعمل به ، ويوصى بتقديم العلم على العبادة ؛ وذلك لسببين ؛ هما : لتصح العبادة ، ولأن العلم يولد الخشية والمهابة لله تعالى في قلب العبد . (ص ٦١ ، ٦٢) .

ويتعرض الغزالي في هذه الأبواب إلى العواطف (أو الوجدان) Affection التي يكنها الإنسان للحق ﷻ كالمحبة ، والأنس ، والشوق (ص ٥١ - ٥٧) .

وفي الباب الثاني عشر : (في بيان معاني الأسماء الحسنى) يقسم الغزالي معاني أسماء الله الحسنى في عشرة أقسام ، ويشير إلى أن معرفة العارفين بالله تعالى تكمن في معرفة أسمائه وصفاته ، وأن كمال العبد وسعادته تكمن في التخلق بأخلاقه تعالى ، والتحلي بمعاني أسمائه وصفاته . (ص ٦٣ - ٦٧) .

وفي الباب الثالث عشر : (في بيان الاعتقاد والتمسك بعقيدة صحيحة) يشير إلى أن الاعتقاد الصحيح هو علم جازم يطابق ، ويخلو من التعطيل ، والإلحاد ، والتشبيه ، والتجسيم وغير ذلك ، وأن يكون معه التنزيه ، والعظمة ، والكبرياء ودليله الكتاب

والسنة وإجماع الأمة (ص ٦٨ ، ٦٩) .

أما الباب الرابع عشر : (في بيان صفات الله تعالى) فيعرض لكمال صفاته ﷻ والتي تندرج ضمن سبع صفات ؛ هي : الحياة ، والعلم ، والإرادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، ويعرض بعد ذلك لصفات ذكرها الأشعرية ومذهب الطبائعية ومذهب أهل الحق . (ص ٧٠ ، ٧١) .

وفي الباب الخامس عشر : (في بيان حقيقة الإخلاص والرياء) حيث يعرض لنوعي الإخلاص : إخلاص العمل وإخلاص طلب الأجر ، ثم التفرقة بين النفاق والرياء وأقسام الأعمال عند بعض العلماء ، يلي ذلك فصل يعرض فيه لعشر خصال تضر العمل يجب على العبد تجنبها ؛ وهي : النفاق ، والرياء ، والتخليط ، والمن ، والأذى ، والندامة ، والعجب ، والحسرة ، والتهاون ، وخوف ملامة الناس . (ص ٧١ ، ٧٢) .

أما الباب السادس عشر : (فهو في الرد على من أجاز الصغائر على الأنبياء صلى الله عليهم وسلم) يتبعه فصل في حقوق النبي ﷺ على الأنام ، ومنها تصديقه ومحبته وتوقيره ، ثم فصل لما يجب على النبي ، وما يحرم عليه وما يباح له ، وما خص به من فضائل . (ص ٧٧ - ٨٣)

ويذكر الغزالي في هذه الفصول بعض المعاني المتصلة بالسلوك الأخلاقي Moral Behavior في واجبات المريد السالك ، وعند حديثه عن حقيقة الإخلاص والرياء (ص ٧١ - ٧٣) . ويتعرض ذلك لمعتقدات المسلمين في التوحيد ، ويعرف الاعتقاد Belief (وهو أحد موضوعات علم النفس الاجتماعي) (ص ٦٨) . ويورد بعض سمات الشخصية الإنسانية كالإخلاص . (ص ٧١ - ٧٣) .

وبالنسبة الباب السابع عشر : (فهو في معرفة الخواطر وأقسامها ومحاربة الشيطان) والتدبير في رفع شره وأن يستعيذ بالله تعالى منه أولًا ، ثم يحاربه بثلاثة أشياء :

١ - معرفة مكائده وحيله .

٢ - الاستخفاف بدعوته .

٣ - إدامة ذكر الله تعالى بالقلب واللسان .

ويعرض بعد ذلك لمحكات تمييز خواطر الخير عن خواطر الشر ، منها الشرع ، والاقتداء بالصالحين ، ثم النفس والهوى ، ومدى ثبات أو تردد الخاطر ، ومدى قوته أو ضعفه في التأثير على سلوك العبد . (ص ٧٨ - ٨٠) .

أما الباب الثامن عشر : (في بيان معنى آفات اللسان) فيختص بعرض عشرين آفة تمثل كل آفات اللسان ؛ ومنها الكلام فيما لا يعني ، وفضول الكلام ، والخوض في الباطل ، ثم المراء ، والمجادلة ، والفحش والسب ، واللعن ، والمدح ... إلخ . ويعرض بعد ذلك لدوافع الغيبة ؛ كالغضب ، والحقد ، والحسد وموافقة الرفقاء في الهزل ، والغضب لله تعالى على فاعل المنكر ، ثم دوافع النميمة كإرادة السوء أو التجنب إلى المنقول إليه ، يتبع ذلك ذكر أركان التوبة ؛ منها : العلم ، والندم ، والإقلاع ، والعزم . وواجبات من تنقل إليه النميمة كأن لا يصدقه ، وأن ينهاه ، وأن يبغضه في الله تعالى ، وأن لا ينم عليه . (ص ٨١ - ٨٥) .

أما الباب التاسع عشر : (في بيان البطن وحفظه) فوهو في ذم آكل الحرام وعقابه ، يتبعه بحث في موضوع حكم الحرام والشبهة ، ثم يعرض لأقسام أحوال المباح . (٨٦ ، ٨٧) .

أما الباب العشرون : (في بيان معرفة حيل الشيطان ومخادعاته) ويتبعه فصل عن التحذير من النفس ؛ لأنها أضر الأعداء ، وعلاجها أعسر الأشياء ، ويذكر أن ثمة طرق للحد من هواها ؛ وهي :

١ - الخاطر وهو حديث النفس .

٢ - الميل وهيجان الشهوة .

٣ - الاعتقاد .

٤ - الهم بالفعل .

وتتناثر المفاهيم النفسية في هذه الأبواب فنجد السلوك الأخلاقي (ص ٨٧ ، ٨٩) عند بيان معنى بعض آفات اللسان ، وما يمكن أن يكون قاعدة للعلاج السلوكي خاصة أسلوب التسكين المنظم Systematic Desensitization (ص ٧٨ ، ٨٩) ، ويتعرض لطرق كف الشهوات (الدوافع) (ص ٧٨ - ٨٠) ، ثم يشير أيضًا إلى دور ترك جلساء السوء في كف شهوات النفس ، وهو أسلوب يشار إليه حديثًا بالعلاج الاجتماعي Social Therapy ويشير إلى أشكال السلوك غير الملحوظ (الباطني) Covert Behavior (ص ٨٩ ، ٩٠) . والخاطر أو حديث النفس ويقصد به حديثًا التفكير Thinking ثم الميل وهيجان النفس إلى الشهوة ، وقد يشير إليها بالرغبة Desire أو الميل Tendency ثم الاعتقاد Belief والهم بالفعل . ويلمح أيضًا إلى أشكال السلوك غير المرغوب Undesirable Behavior حيث تحدث عن آفات اللسان كالغيبة والنميمة ودوافعها (ص ٨١ - ٨٥) .

وفيما يتصل بالباب الحادي والعشرين : (في بيان ما يجب رعايته من حقوق الله تعالى)

يعرض لحقوق الله تعالى على عبده ؛ وهي : فعل الواجبات ، وترك المحرمات ، ثم يعرض فصلًا يتناول فيه أصول العبادة لدى المتقين وهي : التوفيق والتأييد حتى يعمل المتقون ، ثم إصلاح العمل وإتمامه إذا تم .

ويعرض أيضًا لحد التقوى ومنازله ودرجاته ؛ وهي :

١ - ترك المعاصي مع فضول الحلال وهي أدنى درجات التقوى .

٢ - تجنب فضول الحلال (مقاومة الشهوات) .

٣ - الجمع بين الاثنين وهو الورع حيث اكتمال التقوى .

كما يعرض لعدد من آفات النفس ؛ وهي : الأمل ، والاستعجال ، والحسد ، والكبر (ص ٩٠ - ٩٦)

أما الباب الثالث والعشرون : (ففي بيان معنى الفكر) يتناول مراحل عملية التعلم وتحصيل الفكر ؛ وهي : السماع وله شروطه ، والتذكر ، والتفكير . يلي ذلك عرض لأقسام العلم وهي : علوم أصول الإيمان علم العبادات ، وعلم يتعلق بالحواس الخمس (اللسان ، والفرج ، والبطن ، والسمع ، والبصر) وعلم الأخلاق المذمومة وعلم الأخلاق المحمودة (ص ١٠٠ ، ١٠١) .

وفي الباب الرابع والعشرين : (في بيان معنى التوبة) يعرض تعريفًا للتوبة وهي الرجوع من المعصية إلى الطاعة ، ثم أركانها وهي العلم والعزم والترك ، يلي ذلك عرض لمفاهيم مشابهة كالفرار ، والإخبات (ص ١٠٢) .

أما الباب الخامس والعشرون : (في بيان الصبر) ففيه يشير إلى القتال الدائم بين النفس والشيطان والشهوات من جهة ، والمعرفة والملك الملهم للخير من جهة أخرى . ويعتمد محصلة هذا القتال على ثبات باعث الدين في مقابل باعث الهوى والقدر (أي الصبر) . وإلى جانب ذلك يذكر الغزالي أن الرياضة هي تمرين النفس على الخير ، ونقلها من الخفيف إلى الثقيل باللطف والتدريج إلى أن يرتقى إلى حالة يصير ما كان عنده من الأحوال والأعمال شاقًا سهلًا هينًا . (ص ١٠٣ ، ١٠٤) .

وبالنسبة للباب السادس والعشرين : (في الخوف) . يعرف الخوف : بأنه تألم القلب وانزعاجه لتوقع مكروه أو على فائت ، يتبع ذلك تقسيم للخوف بأنه إما أن يكون خوفًا يراد لذاته ، أو خوفًا لغيره (خوف سلب النعمة ، أو خوف من عقوبات معينة) (ص ١٠٤ ، ١٠٥) .

(ثم يعرض لبيان الرجاء) وهو الباب السابع والعشرون ، حيث يعرف الرجاء : وهو ارتياح القلب وانشراحه لانتظار محبوب تقدمت أسبابه ، ويكون الرجاء إما مقصودًا لذاته أو مرادًا لغيره ، ثم يعرض بالتعريف لمفهوم الرغبة ، والبسط (ص ١٠٥ ، ١٠٦) .

ونلمح هنا تعرضًا لما يسمى حديثًا بالعلاج السلوكي Behavior Therapy وهو أحد أساليب العلاج النفسي . من ذلك مثلًا إشارته إلى تنمية الصبر بالرياضة ، أي بقمع الشهوات وتمرين النفس على الخير ونقلها من الخفيف إلى الثقيل بالتدرج ، إلى آخر هذا الكلام الذي يشير بالتحديد إلى أسلوب يسمى التسكين المنظم Systematic Therapy (ص ١٠٣) .

واهتم الغزالي أيضًا بمفهوم التعليم Learning ومراحله وهي السماع ، وفيه يشير إلى دور الانتباه Attention ثم الذكر Memory التفكر (ص ١٠٠ ، ١٠١) ، ويتناول مفهوم الحاجة Need وهي الشعور بنقص لشيء ما يدفع الإنسان إلى إشباعها تفاديًا لتواترات نتيجة الاحتياج (ص ١٠٦) . وتعرض أيضًا في مجال الانفعالات ؟ للخوف (ص ١٠٤) .

يلي ذلك الباب الثامن والعشرون : (في بيان الفقر) ؛ حيث يعرف الفقر بأنه الفقد والاحتياج ، وهو نوعان : فقر مطلق يكون للّه تعالى ، وفقر مقيد ويكون إلى الوسائل التي تقوم بها ذات الإنسان . (ص ١٠٦) .

أما الباب التاسع والعشرون : (ففي بيان الزهد) حيث يبدأ بتعريف الزهد على أنه : انصراف الإرادة عن الدنيا لاستعظام ما عند اللّه . ويشير بعد ذلك أن ثمرة الزهد هي : الإيثار ، والفتوة (عدم الانشغال بالدنيا عن اللّه تعالى) . (ص ١٠٦) .

أما الباب الثلاثون : (ففي بيان المحاسبة) يُبدأ بتعريف المحاسبة على أنها : تفقد ما مضى وما يستقبل ، وهي واجبة ، وتقوم على الإيمان بمحاسبة اللّه تعالى . ويشير أن هذه المحاسبة توجب الاعتصام ، فيعرض للفرق بين الاعتصام والاستقامة . (ص ١٠٧) .

وفيما يتعلق بالباب الحادي والثلاثين : (في بيان الشكر) يعرض لفضيلة الشكر : وهو الفرح والسرور بنعم اللّه ، وهو ثمرة الإيمان بالله تعالى ، وبه تدوم النعم . (ص ١٠٨) .

وفي الباب الثاني والثلاثين : (في بيان التوكل) يعرف معنى التوكل : بأنه اعتماد القلب على اللّه تعالى ، وسكونه وعدم اضطرابه لتعلقه باللّه تعالى . ويقوم التوكل على العلم بأن اللّه قائم بنفسه وأنه مقيم لغيره .

ثم يعرض لمعاني الثقة والرضا . (ص ١٠٩) .

وفي الباب الثالث والثلاثين : (في بيان النية) يعرض لمعاني النية والقصد والعزم والإرادة (ص ١١٠) .

كذلك في الباب الرابع والثلاثين : (في بيان الصدق) يعرف صدق العبد : بأنه استواء السر والعلانية ، ثم يعرض الغزالي للعلاقة بين الصدق والإخلاص في صلتهما بالعبادة (ص ١١٠) .

أما الباب الخامس والثلاثون : (في بيان الرضا) فيتناول لمعنى الرضا : وهو سرور القلب بمر القضاء ، ولأهمية الرضا عن ما اختار اللَّه لعبده ، وعدم السخط عن الذات (ص ١١١) .

ثم يتناول الباب السادس والثلاثون : (في بيان النهي عن الغيبة) ذم الغيبة والتحذير من عاقبتها . ويعرض لأحاديث وأقوال عن النبي فيها . (ص ١١٣) .

ثم يعرض الباب السابع والثلاثون : (في بيان الفتوة) تعريفًا لمعنى الفتى وخصائصه وخلقه ، يتبعه فصل في السخاء (ص ١١٤ - ١١٦) .

أما الباب الثامن والثلاثون : (في بيان مكارم الأخلاق) فيعرض للخصال التي تنم عن كرم الأخلاق كالعفو ، والسخاء ، والإحسان إلى من أساء . (ص ١١٧) .

ويهتم الغزالي في الباب التاسع والثلاثين : (في بيان القناعة) بعرض لنماذج من الكتاب والسنة للحث على القناعة ، والرضا بالقليل ، ولترك الحرص والحسد (ص ١١٨) .

أما الباب الأربعون : (في بيان السائل) ففيه يذم طلب الدنيا ، ويحث على القناعة وطلب الآخرة ؛ لأن من يسأل غير اللَّه يجلب لنفسه المذلة . (ص ١١٩) .

ويعرض بعد ذلك للباب الحادي والأربعين : (في بيان الشفقة على خلق اللَّه تعالى) حيث يعرض لمظاهر الشفقة على خلق اللَّه كالعطاء ، وعدم تحميلهم ما لا يطيقون ، وأن يسر لما يسرهم ، وأن يحزن لما يحزنهم . (ص ١٢٠) .

أما الباب الثاني والأربعون : (في بيان آفة الذنوب) حيث يشير فيه إلى أن من أطاع اللَّه تعالى سخر له كل شيء ، ومن عصاه سخره لكل شيء ، وسلط عليه كل شيء ، ويذكر أن عقوبة الذنب تتمثل في ارتكاب ذنب مثله . (ص ١٢٠) .

أما الباب الثالث والأربعون والأخير : (في صفة صلاة أهل القرب) فيشير الغزالي إلى أهمية الخشوع في الصلاة وعدم الانشغال عنها بما في الدنيا . وضرورة تذكر خشية اللَّه ، ورحمته ، وعظمته وهيبته تعالى . ويعرض لما يحث على ضرورة الانتباه والتركيز

أثناء أداء هذه الفريضة (ص ١٢١) .

وفي هذه الأبواب الأخيرة يتكرر عدد من المفاهيم التي سبق ذكرها في مواضع سابقة كسمات الشخصية ؛ مثل : الرضا والشكر (١٠٨) والقناعة (ص ١١٨) والمروءة والصدق (ص ١١٠ ، ١١١) . والانفعالات كالفرح والسرور (ص ١٠٨) .

أما بالنسبة لكتاب « قواعد العقائد في التوحيد » يعرض الغزالي لعدد من القواعد وهي تمثل صفات اللّٰه تعالى : التنزيه - الحياة والقدرة - العلم - الإرادة - السمع والبصر - الكلام - الانفعال .

ومن حيث كتاب (خلاصة التصانيف في التصوف) فهو كتاب موجز كان قد كتبه الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللّٰهُ إلى تلميذ له ، كان قد أتعب نفسه في طلب العلم سنين ، وبعد ذلك بعث لأستاذه كي يستفتيه في عدد من المسائل ، وطلب النصح والإرشاد ليعلم أي العلوم التي تعلمها أنفع لهدايته .

فيرد عليه أستاذه بأن خير العلوم التي تحيي الشريعة ، والدين ، وتهذيب الأخلاق ، ومع ذلك فإن كثرة تحصيل العلم لا تفيد طالما لا يعمل العبد بما تعلمه ؛ لأن العبد يدخل الجنة بعمله وليس بعلمه الذي لم ينفعه ، ويسند نصائحه بالعديد من الحكايات والأمثلة ، يتبعها آيات قرآنية ، وأحادث نبوية .

ثم يحث الغزالي تلميذه على مراعاة الشريعة في أفعاله ، فيكف شهواته وهواه ، ويجاهد نفسه . وبعد ذلك يذكر الغزالي سبعة واجبات لمريد طريق الحق ؛ وهي :

١ - الاعتقاد السليم .

٢ - التوبة النصوح .

٣ - إرضاء الخصماء .

٤ - تحصيل علم الشريعة بقدر ما يعمل بأوامر اللّٰه ، ويذكر في ثناياها حكاية عن فوائد تحصيل العلم .

٥ - أن يكون له مرشد ومربٍ ليدله على الطريق ، ويرفع عنه الأخلاق المذمومة ويضع مكانها الأخلاق المحمودة .

ويذكر بعد ذلك شروط المرشد الحقيقي ، وأن حقوقه الاحترام .

٦ - مخالفة سياسة النفس ويتم بترك جلساء السوء .

٧ - اختيار جميع أحوال الفقراء ، لترك الأسباب الدنيوية .

وعن ماهية التصوف ، يعرفه الغزالي : بأنه الجمع بين الصدق مع اللّٰه تعالى ، وحسن المعاملة مع الناس .

وكذا يعرف العبودية : بأنها دوام حضور العبد من الحق تعالى بلا شعور الغير ، بل مع الذهول عن كلٍّ ما سواه .

ثم يعرف الإخلاص : بأن تكون الأفعال كلها صادرة للّٰه تعالى ، دون التفات لشيء من الخلق أثناء العمل أو بعده .

وبعد ذلك ينصح الغزالي تلميذه بثمانية أشياء (٤ تَرْكِيَّة ، ٤ فِعْلِيَّة) ؛ وهي :

١ - ترك المناظرة وإقامة الحجة على كلِّ مَن يذكر مسألة ، تجنبًا للرياء ، والحقد ، والكبر والعداوة ، والمباهاة وغيرها ، ويتبع هذه النصيحة بعرض لإرشادات لتنظيم المناقشة ثم تحديد أربعة أقسام للجهل .

٢ - الاحتراز من الوعظ والتذكير ، إلا بعد أن يعلم أنه يعمل أولًا بما يقوله ، وتجنب التكلف في الكلام ، وأن يكون الكلام في الزهد والعبودية .

٣ - تجنب مخالطة الملوك والأمراء والحكام .

٤ - عدم تقبل أي هدايا منهم ؛ لأن الطمع في مالهم يكون سببًا لفساد الدين ، والمداهنة والمحاباة .

٥ - أن يؤدي العبد ما أمر اللّٰه به ، وهو راضٍ عنه .

٦ - أن يعامل الخلق بما يحب أن يعاملوه به .

٧ - أن يشغل بالعلم النافع لتطهير النفس من الأخلاق الذميمة ، ومن علائق الدنيا .

٨ - أن يدخر لعياله من القوت ما لا يزيد عن السنة .

وفي الختام ينهي الغزالي رسالته بدعاء يُقرأ خصوصًا عقب الصلوات .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجالات علم النفس العام ، وعلم النفس الاجتماعي ، وعلم النفس الإكلينيكي .

مجموعة رسائل الإمام الغزالي (٣) [1]

عرض : د. محمد نجيب الصبوة

عرض الكتاب :

هذا الكتاب عبارة عن مجلد من القطع المتوسط يجمع بين دفتيه خمس رسائل دينية ، وعلمية وأخلاقية ، وتربوية ، تقع في ١٧٤ صفحة مطبوعة ، فقد استغرقت الرسالة الأولى (القسطاس المستقيم) إحدى وستين صفحة ، واستغرقت الثانية (منهاج العارفين) تسع عشرة صفحة ، واستغرقت الثالثة (الرسالة اللدنية) ثمانٍ وعشرين صفحة ، واستغرقت الرابعة (فيصل التفرقة) ستًا وثلاثين صفحة ، واستغرقت الخامسة (أيها الولد) اثنتين وعشرين صفحة .

وسوف نعرض فيما يلي للرسائل بنفس الترتيب السابق .

أولًا : عرض الرسالة الأولى : (رسالة القسطاس المستقيم) :

يعرض المؤلف في هذه الرسالة لمفهوم المعرفة وجوهرها أو حقيقتها ، ويرى أن حقيقة المعرفة وميزانها هو القسطاس المستقيم ، والتزام ما ورد في القرآن الكريم ، وفي السنة المطهرة عن النبي ﷺ ، ومحاولة تنفيذ ذلك فعلًا وقولًا ، أما ميزان الرأي والقياس فهو أمر ظني وتخميني ، ولا ينبغي الاعتصام به لأنه ميزان الشيطان ، ويرى المؤلف أن هذه دقائق لا تدرك إلا بنور العلم والتعليم المقتبس من إشراق عالم النبوة .

---

(١) بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦م .

وعرض المؤلف بعد ذلك لمعنى القسطاس المستقيم ، أنه عبارة عن : موازين خمسة ذكرت جميعها في القرآن الكريم ، وعلمها الله أنبياءه وعلمهم كذلك الوزن بها . « فمن تعلم من رسول الله ﷺ ، ووزن بميزان الله فقد اهتدى ، ومن ضلَّ عنها إلى الرأي والقياس فقد ضل وتردى » .

أما هذه الموازين الخمسة فهي : ميزان التعادل ، وسمي بهذا الاسم ؛ لأنه فيه أصلين متعادلين كأنهما كفتان متجاذبتان ، وميزان التلازم ، وسماه بهذا الاسم لأن أحد الأصلين يشتمل على جزأين : أحدهما لازم والآخر ملزوم ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢] . فإن قوله : لفسدتا لازم وملزوم قوله : لو كان فيهما آلهة إلا الله ، ولزمت النتيجة من نفي اللازم ، وميزان التعاند ، وسماه بذلك الاسم ؛ لأنه رجع إلى حصر قسمين بين النفي والإثبات يلزم من ثبوت أحدهما الآخر ، ومن نفي أحدهما ثبوت الآخر ، فبين القسمين تعاند وتضاد . وعاد فقسم ميزان التعادل إلى ثلاثة أقسام ؛ هي : الأكبر والأوسط والأصغر ، فصار الجميع خمسة .

وانتهى المؤلف من هذه الرسالة إلى معرفتك بالله وبرسوله ، وتعلمك منهما هو الميزان الحقيقي للمعرفة الحقيقية ، وفي ذلك النجاة في الدنيا والآخرة ، وهذا هو طريق العارفين الصالحين الأتقياء . وانتهى إلى ضرورة توخي الحذر التام من الاعتماد على العقل والمعقول أولًا ، وتأخير المنقول عن الله والرسول ﷺ ، بل يجب أن يحدث العكس .

أما من حيث ما ورد في هذه الرسالة من مفاهيم سيكولوجية ، فقد ورد مفهوم المعرفة Cognition في (ص ٥ ، ٦) وهو مفهوم قديم حتى في المباحث الفلسفية ، ويعد الذكاء Intelligence أحد عناصره الأساسية بما يشتمل عليه من قدرات نوعية ، وهو في علم النفس مفهوم قديم حديث ، قديم بمنظور الدراسات والبحوث التي أجريت على الذكاء الإنساني والحيواني والقدرة العقلية ، وهو مفهوم حديث من منظور علم النفس المعرفي Cognitive Psychology الذي ازدادت كثافة بحوثه كمًّا وكيفًا منذ أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات حتى الآن .

أما مفهوما الرأي والقياس (ص ٦) ، فيوازي الأول وهو الرأي (أي الروية والتفكير) ، الرأي الشخصي المبني على التمحيص وإعمال العقل في علم النفس الحديث ، أما القياس Measurement فيرادف أحد مناهج التفكير التجريدي الأساسية ، وهو منهج الاستنباط المنطقي Deduction Method وهو المنهج الذي تقوم عليه كل

قواعد المنطق الصوري ، لدى أرسطو وأتباعه ، وهو يعني قدرة الفرد على تطبيق المبادئ والقواعد الكلية على جزئياتها كما تشيع في البيئة بمعناها الشامل (ثقافية ، أو حضارية ، أو عقلية ، أو حتى فيزيقية) ، ومفهوم التعليم الذي ورد صفحة (٩) Education يرادف مفهوم التعليم Learning . وإن كان كلاهما وردا في علم النفس الحديث بالنص ، وكل منهما له معناه .

أما مفاهيم التعادل الأكبر والأوسط والأصغر ، والتلازم ، والتعاند ، وكذلك الحديث عن أنواع الموازين التي وردت في صفحة ١٢ ، ١٣ ، وهي القلسطون والطيار ، وهما ميزانان من أنواع الموازين الجسمية ، أو القبان ، والإصطرلاب ، وهو ميزان لمقادير حركات الفلك ، والمسطرة ، وهي ميزان لمقادير الأبعاد في الخطوط ، والشاقول ، وهو ميزان لتحقيق الاستقامة والانحناء ، فهي كلها موازين نعرف بها الزيادة أو النقصان بطريقة تجريبية حسية ، وهي تقابل في علم النفس الحديث ، المقاييس النفسية Psychological Tests or Scales التي ترد عادة في كتب القياس النفسي أو في كتب مناهج البحث في علم النفس عمومًا (وهو تشابه في الوظيفة التي تؤديها كل أداة من هذه الأدوات) .

كذلك ، فإن الحديث عن التجربة Experiment في الصفحات من (٢٠ إلى ٣٠) يشبه الحديث في علم النفس عن التجربة العلمية ودورها في الدراسات النفسية (مع الفارق بين ما يعينه الغزالي بالتجربة وما نقصده من ذكر التجربة العلمية في علم النفس أو العلوم المختلفة) ، والحديث عن التعاند والتضاد (من ص ٢٨ إلى ص ٣٠) يرادف في علم النفس الحديث و القديم ، الحديث عن بعض قوانين الإدراك والترابط في المخ ، والتي تحدث عنها الفلاسفة الترابطيون القدماء والمحدثون Associative Rules أمثال جون لوك ، وديفيد هيوم ، وبير كلي ، ثم هربرت سبنسر ، Associationists وجميس ميل ، وجون ستيوارت ميل ، وأصحاب المذهب الذري أو الجزئي في تفسير الظاهرة النفسية عمومًا ، والقدرات وكيفية أداء العقل لمهامه خصوصًا .

كذلك ورد في صفحتي (٤٥ ، ٤٦) ، الحديث عن مفهومي الثواب والعقاب ؛ وهما مرادفان لمفهومي التدعيم الموجب والسالب في مجال التعلم كما يعالج في علم النفس الحديث . وكذلك ورد في (ص ٤٨) تصنيف الأسوياء من الناس إلى أقسام ثلاثة ، ثم محاولة وضع خصال لقسم الخواص فهم ، ويتمشى ذلك تمامًا مع ما كشفت عنه نظريات وبحوث علم النفس الحديث في الشخصية الإنسانية . كذلك ورد في نفس

الصفحة حديث عن الاعتقاد (في الخصلة الثالثة للخواص) ، ويرادف ذلك البحوث التي على الحدود بين موضوع الاعتقادات في علم النفس الاجتماعي ، والاعتقاد ، باعتباره أحد سمات الشخصية الإنسانية التي تميز الإنسان عن الحيوان ، كذلك الحديث الذي ورد عن البُله في صفحة (٤٨ ، ٤٩) وخصالهم يوازي بحوث علم النفس الحديث في مجال التأخر العقلي Mental Subnormality & Mental Deficiency كما يرد هذا المصطلح الأخير في كتب الطب النفسي والعصبي والعقلي والمتأخرين عقليًا . كذلك ورد كلام عن الاستقراء Induction في (ص ٥٩) ، وهذا المفهوم يرادف أحد مناهج التفكير التجريدي في علم النفس ، وهو الوصول من الجزئيات إلى الكليات ، ويشيع هذا المفهوم في كتابات علم النفس التجريبي ، ومناهج البحث في علم النفس ، وتعتمد عليه كل العلوم التجريبية سواء كانت طبيعية أو اجتماعية وأشار إلى هذا المفهوم وأكد عليه تحديدًا من الطبيعيين والفلاسفة روجر بيكون ومن بعده فرانسيس بيكون .

ثانيًا : عرض الرسالة الثانية : (رسالة منهاج العارفين) :

بدأ أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الرسالة بخطبة مهمة بيَّن فيها سمات وخصال العارفين بالله ﷻ ، وتمسكهم بمنهجه ودينه وسنة نبيه ﷺ ، وذكر أنهم ذوو علم يعتبر دواء للذنوب ، وأنهم مصابيح الهدى وأصحاب الحكمة ، وأتباع الرسول ﷺ حقًّا ؛ ولهذا فهم يستحقون الاتباع من بعده ﷺ .

بعد ذلك قسم المؤلف الرسالة إلى أبواب ، على غرار تقسيمات كتب الفقه ، تعتبر في مجموعها ، أو منهج إذا اتبعه أي إنسان وأخلص في تنفيذه والحرص عليه ، بشرط أن يكون مسلمًا ، لا بد أن يصل إلى معرفة الله حق المعرفة ؛ وهي : باب البيان نحو المريدين ، وبين فيه ثلاثة أصول لابد للمريد أن يربي نفسه عليها ؛ وهي : الخوف ، والرجاء ، والحب ، وباب الأحكام : وفيه قسم القلوب إلى أربعة أنواع ، القلوب المرفوعة بذكر الله ، والمفتوحة بالرضا عن الله ، والتي لا تشتغل بغير ذكر الله تعالى ، والتي لا تغفل عن ذكر الله وتغفل عن كل ما سواه . وباب الرعاية : ويقصد بها – أي الرعاية – رعاية النفس وصونها عن المفاسد ، وذلك بطلب العلم ، ودوام الافتقار إلى الله ، وذكر الموت ، والتفكير والزهد ، والورع . وباب النية : فصاحب النية نفسه منه في تعب ، والناس منه في راحة ، وليس شيء أصعب على المريد من حفظ النية « فإنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ونية المؤمن خير من عمله » ، وباب الذكر : ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] فاجعل قلبك قبلة لسانك ، ففي الذكر حياء

ربه ، ويرى أن أدنى الشكر أن يرى العبد نعم اللّٰه التي لا تعد ولا تحصى ، أما أعلاه فهو الاعتراف بلسان السر أن الخلق كلهم يعجزون عن أداء شكره على أصغر جزء من نعمه وإن بلغوا غاية المجهود .

وباب اللباس : فاللباس نعمة من اللّٰه على عبده يستر بها عورته وبشرته عمومًا ، ولكن لباس التقوى خير وأبقى ، وخير اللباس ما لا يشغل السر عن اللّٰه تعالى . وباب القيام : ويقصد به القيام من الفراش ؛ حيث ينبغي على المرء أن يوقظ النوم عن نوم الجهالة ، والنهوض بكلل والحركة الدائبة في خير ، والصعود بالقلب إلى الملكوت . ويوصي الغزالي بضرورة أن يجعل المؤمن قلبه تابعًا للّٰه لا للنفس ، فإن النفس تميل إلى الأرض ، بينما يميل القلب إلى السماء ، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠] .

أما باب السواك : فيوصي فيه المؤلف بضرورة استعمال السواك ؛ لأنه مطهرة للفم مرضاة للرب ، وضرورة تطهير الباطن والظاهر عن دنس الإساءة . وباب التبرز : يوصي فيه أن يعتبر المريد بهذا الأمر ، ففيه راحة من إزالة النجاسة ، ومن ثم ينبغي عليه أن يغلق باب الكبر ، ويفتح باب الندم ، وأن يغسل شره بترك الغضب ، والشهوة ، واستعمال الرغبة ، والرهبة من اللّٰه . وباب الطهارة : وفيه ينبغي على المريد العارف باللّٰه أن يتطهر تمامًا في كل الأوقات ، وأن يفكر في صفوة الماء ورقته وتطهيره وتنظيفه ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا ﴾ [ق: ٩] ومن ثم ينبغي أن تكون صفوة المريد مع اللّٰه كصفوة الماء . وفي باب الخروج من البيت إلى الصلاة فلا بد للمريد أن يلتزم بحدود اللّٰه وحقوقه عليه من ذلك : التزام السكينة والوقار ، والاعتبار بخلق اللّٰه برهم وفاجرهم ، وغض البصر ، وإفشاء السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر . وعند دخوله المسجد ، عليه بالتفكير في صاحبه الملك القدير العليم ، وأنه ضيفه ، وأنه في حضرته وأمامه ، فاللّٰه يكرم ضيفه ، ويعطى سائله ، ويبر المعرض عنه ، فكيف بالمقبل عليه ؟

بعد ذلك بين المؤلف في أبواب افتتاح الصلاة ، والقراءة فيها ، والركوع ، والسجود ، والتشهد : ضرورة التخلي عن التفكير في الدنيا ومتاعها ، والنفس وشهواتها ، واستبدال ذلك بالتفكير في الملكوت وآلاء اللّٰه وإخلاص العبادة له . وفي بابي السلام والدعاء : يذكرنا المؤلف بأسماء اللّٰه الحسنى والالتفات إليها والدعاء بها حتى يستجيب اللّٰه الدعاء ، وفي أبواب الصوم والزكاة والحج : ينبغي على المريد أن ينصاع تمامًا لأوامر اللّٰه ، وإحسان الصحبة ، والتجرد ، والبعد عن الحرام والقرب من الحلال . وفي أبواب

الله ، وإحسان الصحبة ، والتجرد ، والبعد عن الحرام والقرب من الحلال . وفي أبواب السلام ، والسلامة ، والعزلة ، والعبادة ، والتفكير بيّن المؤلف أن المريد الذي يريد أن يقف على منهج العارفين بالله حق المعرفة لا بد له من الصمت توخيًا للسلامة من كل إثم ، أو الكلام بما ينفع ، ولا بد أن ينعزل بشره عن الناس ، ولا يفتر عن العمل ، ففي العزلة صيانة الجوارح ، وفراغ القلب ، وإغلاق أبواب الدنيا ، وكسر سلاح الشيطان ، ولا بد له من الإقبال على أداء الفرائض والنوافل معًا ، والتفكير في قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان : ١] مع ضرورة المجاهدة والرياضة الروحية ، والزهد في الدنيا بكل ما فيها فهذه هي حياة ومنهاج العارفين بالله ، والله أعلم .

أما من حيث ما ورد في هذه الرسالة من مفاهيم سيكولوجية ، فقد وردت مفاهيم الخوف والرجاء ، والحب ، وهي من منظور علم النفس الحديث تندرج تحت علم النفس العام وبصفة خاصة في موضوع الانفعالات Emotions ، وورد في باب النية Intention (ص ٧٠) مفهوم النية أو القصد ذاته ، وهو يرادف في علم النفس الحديث مفهوم الوجهة الذهنية Mental-Set ، وهو مفهوم عقلي ذو بطانة وجدانية يشير إلى استجماع قوى الشخص ، وحصر أو حبس بؤرة تركيزه على عمل بذاته أو في سياق معين ، طال زمنه أو قصر . وباب الذكر : بمعنى استرجاع أو استحضار أو استعادة أي شيء إلى بؤرة التركيز والشعور ، يرادف تمامًا مفهوم التذكر أو الذاكرة Memory بصفة عامة في علم النفس العام . والنسيان الذي ورد في (ص ٧١) عكس التذكر والذاكرة وله نفس الموضع في علم النفس العام . وورد في (ص ٧٣) الحديث عن الغضب وهو من الانفعالات التي ترد ضمن موضوعات علم النفس العام . وورد الفكر ، والتفكر ، والتفكير في (ص ٧٠ - ٧٣) والتفكير في علم النفس المعرفي وعلم النفس العام وتطبيقاته في مجال المرض النفسي الآن كثيرة . وكل الصفات التي وردت في شأن المؤمنين العارفين ، وبصفة خاصة في الصفحات من (ص ١٧٠ - ١٧٨) ترادف مفهوم الاتجاه Attitude في علم النفس الحديث ومفهوم سمات الشخصية ، وكذلك ما ورد في سمات وصفات المتصوفين من خصال في (ص ٨٣) يرادف ما ورد في علم النفس الحديث من كلام في تصنيف البشر وفقًا لخصائصهم وخصالهم Characteristics وذلك في دروس ونظريات الشخصية .

والفصل في جملته يتضمن أسلوبًا خاصًا في تعديل السلوك وتربية الشخصية .

ثالثًا : أما الرسالة الثالثة فكانت بعنوان : (الرسالة اللدنية) :

بدأ أبو حامد الغزالي هذه الرسالة بخطبة قليلة الكلمات ، ولكنها بليغة العبارات ، حيث أبان أن العارفين بالله فتح الله عليهم باب التوحيد الخالص ، وباب العلم والدراية واللدنية .

بعد ذلك عرض المؤلف للفروق بين العلم الغيبي واللدني ، والعلوم الكونية المكتسبة التي تقوم على التحصيل والاكتساب وتعلم فنونها ، وبين شرف تحصيل العلم لما له من تأثير حسن على السلوك وهداية النفس الإنسانية لأنها لوح العلوم ومقرها ومحلها .

وحاول المؤلف وضع ترتيب لأنواع النفس والفرق بينها وبين الروح ، بهدف بيان قابلية النفس العاقلة بالذات لتعلم كل العلوم ، على عكس النفس الشهوية والغضبية ، التي تميل بسبب ما يسري فيها من أرواح شريرة إلى الإقبال على ملاذ الدنيا وشهواتها ، ثم أورد أبو حامد الغزالي فصلًا في أصناف العلم وأقسامه ، بدأها بالعلم الشرعي الذي يضم كلًّا من الأصول والفروع ، وانتهى فيه إلى الحديث عن العلم العقلي الاستدلالي الذي يقع فيه الخطأ والصواب ، وله ثلاث مراتب ؛ أولها : العلم الرياضي والمنطقي وثالثها : وهو أعلاها علوم النظر في الموجود ، وقسمه إلى : الواجب والممكن ، ثم النظر ، ثم النظر في الصانع وذاته وجميع صفاته وأفعاله ، ثم النظر في العلويات وأحوال الملائكة والشياطين . ثم تحدث بعد ذلك في فصل آخر عن علم الصوفية الذي يجمع بين جميع العلوم السابقة فهو علم مركب .

وأهم ما يميز المتصوفة الوجد ، والشوق إلى الله ، والسكر ، والصحو ، والإثبات ، والمحو ، والفقر ، والفناء ، والولاية والإرادة ، وبين بعد ذلك طرق تحصيل العلم بأنواعه ، وشروط ذلك ومراتب النفس البشرية عند تحصيلها للعلم . وختم هذه الرسالة بوصف حقيقة العلم اللدني ، وأسباب حصوله لدى العارفين بالله ، فهو يرى أن العلم اللدني هو سريان نور الإلهام الذي يحدث بعد تربية النفس البشرية على فعل الخيرات فقط ، وذلك بتحصيل أكبر قدر ممكن من العلوم ، ثم الرياضة الصادقة ، والمراقبة الصحية ، وأخيرًا بالتفكير والتفكر ، فإن النفس إذا تعلمت ، وارتاضت بالعلم ، سلكت طريق الصواب « تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » .

أما من حيث ما ورد في هذه الرسالة من مفاهيم سيكولوجية : فقد ورد في (ص ٨٨ ، ٨٩) مفهوم العلم بأنه : تصور النفس الناطقة المطمئنة حقائق الأشياء وصورها المجردة عن المراد بأعيانها وكيفياتها وكمياتها وجواهرها وذواتها إن كانت

مفردة ويكاد يتفق هذا التعريف مع ما ورد في كتب مناهج البحث في علم النفس عند تعريفها للعلم بأنه : مجموعة من التصورات أو المفاهيم concepts المترابطة المتكاملة المتراكمة التي تشكل جسم المعرفة لأي فرع من فروعها . وورد مفهوم النفس الإنسانية ، وهو موضوع لعلم مهم يطلق عليه علم النفس بما يصدر عنها من سلوكيات وتصرفات ، وكان يشار إلى هذا المفهوم الفرضي قديمًا بأنها مجموعة من الوظائف الحيوية التي يؤديها الكائن الحي ، كما ورد ذلك في كتابات أرسطو عن النفس ، ثم ورد بعد ذلك أنها مجموعة من القدرات والوظائف ذات الطبيعة المتكاملة من حيث هي بيولوجية حسية ووجدانية ، باطنية وعقلية ومعرفية ، وينظر إليها الآن على أنها مجموعات السلوكيات التي تصدر عن الكائن الحي ، وكذلك هناك من يقول إن النفس لم تعد موضوعًا لعلم النفس ، ولكن السلوك الذي يصدر عنها هو موضوع علم النفس الإنساني والحيواني على الأقل .

وورد نفس المفهوم (النفس) في فصل كامل عن المقارنة بين النفس والروح الإنساني ، ولا تعليق لنا على هذا المفهوم إلا ما أوردناه سلفًا ، فالنفس في نظر الغزالي « ذلك الجوهر الكامل الفردي الذي ليس من شأنه إلا التذكر ، والحفظ ، والتفكر ، والتمييز ، والروية ، ويقبل جميع العلوم ولا يمل من قبول الصور المجردة المعراة عن المواد ؛ ولهذا الجوهر عند كل قوام اسم (ص ٩١ وما بعدها) ، فالحكماء يسمون هذا الجوهر : النفس الناطقة ، والقرآن يسميه : النفس المطمئنة والروح الأمري ، والمتصوفة تسميه : القلب . وعمومًا هذا الخلاف اسمي ، ولكن المعنى خلفها : العقلي المعرفي فقط ، بينما هي في علم النفس الحديث ، وكما قلت : مجموع السلوكيات أو التصرفات الصادرة ردًا على مؤثرات خارجية (بيئية) أو داخلية (حسية) ، وتأتي هذه السلوكيات نتاجًا للتفاعل الخلاق بين الجوانب الجسمية ، والوجدانية ، والمعرفية التي تضمها الشخصية الإنسانية . وأي نقص في أي جانب منها يحدث اضطرابًا في السلوك النهائي الصادر عن النفس .

كذلك ترادف مفاهيم التذكر ، والحفظ ، والروية ، والتفكير ، والإدراك موضوعات أساسية في علم النفس العام ، والحديث عن الحاجة إلى العلم أو الرغبة والحاجة إلى الطعام والشراب ، والحاجة إلى الشهوات التي وردت في (ص ٩٥ ، ٩٦) ، جميعها ترادف مفاهيم الدوافع البيولوجية في مقابل الدوافع المكتسبة (من البيئة) في علم النفس العام ، وفي علم النفس الحديث عمومًا .

ويقول أبو حامد الغزالي في الرسالة اللدنية كذلك : (إن علم اللغة سلم ومرقاة إلى جميع العلوم ، ومن لم يعلم اللغة فلا سبيل له إلى تحصيل العلوم ، فإن من أراد أن يصعد سطحًا عليه تمهيد المرقاة أولًا ثم بعد ذلك يصعد ، وعلم اللغة وسيلة عظيمة ، ومرقاة كبيرة ، فلا يستغني طالب العلم عن إحكام اللغة ، فعلم أصل الأصول ، وأول علم اللغة معرفة الأدوات ، وهي بمنزلة الكلمات المفردة (ص ٩٨) ، ويرادف هذا المصطلح موضوعًا كاملًا وحديثًا في علم النفس يسمى سيكولوجية في علم النفس ، بل هناك فرع كامل الآن يسمى علم النفس اللغوي أو اللغويات النفسية Psycholinguistics وورد في (ص ٩٩) مفهوم العادات أو أبواب العادات ، ويشيع هذا المفهوم في فرع كامل في علم النفس الحديث يسمى التعلم : مفاهيمه ونظرياته . وورد في (ص ١٠٠) « أن علم الطبيعة يتولد عن دراسته : النظر في أحوال مراتب الموجودات ، وأقسام النفوس والأمزجة ، وكمية الحواس وكيفية إدراكها لمحسوساتها » ، ويرادف المزاج مفهوم السمة Trait في سيكولوجية الشخصية ، أما الحواس والإدراك فهي بذاتها تدخل ضمن موضوعات علم النفس العام الذي هو مدخل لكل فروع علم النفس الأساسية والتطبيقية . وورد في (ص ١٠١ وما بعدها في السطر الأخير من الصفحة) الحديث عن طرق التحصيل العلمي والتعلم ، وهذه مفاهيم تشيع في كتابات علم النفس التربوي كعلم تطبيقي ، وفي طرق ونظريات التعلم كعلم أساسي ، وفي كتب القياس النفسي والتربوي بهدف التقدير والتقويم Assessment & Evaluation . ووردت مفاهيم التفكر ، والفكر ، والحدس (ص ١٠٣) وكلها مفاهيم تشيع كموضوعات قائمة بذاتها في علم النفس العام . وورد في (ص ١٠٤) « وحصلوا بفنون الطرق كثيرًا من العلوم حتى صاروا أعلم المخلوقات وأعرف الموجودات » ، وكذلك فإن مفهوم الإلهام يشيع في كتابات سيكولوجية الإبداع والاختراع والاكتشاف والابتكار Creation ، غير أن معنى الإلهام عند الغزالي يختلف عن معناه في علم النفس الحديث . وورد في (ص ١٠٧) ما نصه « يحتاج الناس إلى التذكير والتنبيه لاستغراقهم في الوساوس ، وانهماكهم في الشهوات » فالتذكير يرادف التذكر والاستدعاء بطريق التعرف على ما مضى ، وكذا التنبيه Stimulation يعد من المفاهيم الأصولية في علم النفس الحديث عمومًا ، وفي علم النفس العام بصفة خاصة . ويشيع مفهوم الوساوس في علم النفس الإكلينيكي والمرضي Abnormal & Clinical Psychology والطب النفسي والعصبي ، أما الشهوات فترادف مفهوم الدوافع الأولية (أو الغرائز) ، كالحاجة إلى الجنس والطعام

والشراب والإخراج في علم النفس العام وفي نظرية الدافعية Motivation Theory عمومًا في علم النفس الحديث .

وورد في (ص ١٠٨) الحديث عن الصور العقلية (أو المعقولة Mental Images وتشيع هذه المفاهيم داخل موضوع الخيال Imagination في علم النفس العام . والنفوس المريضة ترادف مفهوم الاضطرابات النفسية . والنسيان الذي هو التباس العلم المنقوش في الحافظة والذاكرة فيكون كالغمام أو السحاب السائر لنور الشمس عن أبصار الناظرين ، كلها تشيع في كتابات سيكولوجية التذكر والنسيان في علم النفس العام .

رابعًا : أما الرسالة الرابعة التي جاءت بعنوان : (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) .

فقد بدأها المؤلف بخطبة تبين أهمية أن يستجلب المرء الهمة من رب العباد ليستعين بها على إنجاز ما يريد ، ثم عرض أبو حامد الغزالي بعد ذلك للفرق بين الإيمان والكفر ، أو الإسلام والزندقة وذلك في معرض حديثه عن تكفير فرق المتكلمين لبعضهم البعض ، وتكفيرهم عمومًا ، من أشاعرة ومعتزلة وشيعة ، لأهل السنة والجماعة عامة ، والمتصوفة بصفة خاصة : فبين أن الكفر لا يحدث بالوقوع في خطأ أو مخالفة شرعية ، حتى ولو كانت مخالفة جسيمة ما دام المرء متمسكًا بالأصول التي على رأسها التوحيد ، فالكفر هو تكذيب اللّه والرسول عليه الصلاة والسلام ، بينما الإيمان تصديق اللّه والرسول ﷺ في كل ما جاء به ؛ ولذلك فاليهودي والنصراني كافران لتكذيبهما للرسول ﷺ ، والبرهمي كافر بالطريق الأولى ؛ لأنه أنكر مع رسولنا المرسل سائر الرسل ، ويلتحق بهم بالقياس الثنوية ، والزنادقة ، والدهرية ، فكلهم مكذبون للرسول ، فكل مكذب للرسول كافر . أما كل فرق المتكلمين والمتصوفة فمجتهدون ولم يكذبوا اللّه والرسول ، وإن اختلفت آراؤهم ، فهي تختلف في الفروع لا في الأصول ، ناهيك عن المتصوفة العارفين باللّه وبرسوله حق المعرفة ، كما سبق بيان ذلك . فكيف نتهمهم بالكفر ؟ وكيف يكفرهم المعتزلة ، والأشاعرة ، والشيعة على اختلاف فرقهم ؟!!

ثم بين المؤلف بعد ذلك أمارات وأحوال الزنادقة ، وأحوال أهل الكفر حتى لا يدع مجالًا للظن أو التخمين ، أو يدع مجالًا للخلط بين الإيمان والكفر ، فكلاهما واضح وضوح الشمس حينما تكون في وسط السماء الدنيا . وانتهى من رسالته هذه إلى التحذير من رمي المسلمين بالكفر مخالفة لواقعهم ، أو اعتمادًا على الظن والتخمين ؛ لأن المسلم إن لم يكن كافرًا وقُذِف بالكفر ، ارتدَّ هذا الكفر على القاذف « إذا قذف

أحدكم أو أحد المسلمين صاحبه بالكفر فقد باء به أحدهما » .

أما من حيث ما ورد في هذه الرسالة من مفاهيم سيكولوجية ، فقد ورد في (ص ١١٥) وفي أول صفحة ١١٨ حديث عن الغيرة والحسد ، وهما من الانفعالات التي هي إحدى موضوعات علم النفي العام ، التي تمثل الجانب المزاجي للسلوك الإنساني . وورد كذلك حديث عن مفهوم الاستبصار Insight . وورد في (ص ١٢٤) الحديث عن الوجود الخيالي والتمثيل العقلي Mental Representation ، وهذا مفهوم يشيع في موضوعات حديثة في علم النفس المعرفي وعلم النفس العصبي Neuro-Psychology ، وفي موضوع الخيال والصور العقلية كما سبق ذكر ذلك . وورد في (ص ١٢٧) حديث عن القدرة على التأويل أو التفسير Interpretation ويرادف هذا المصطلح مفهوم التأويل العقلي الذاتي في موضوع الإدراك الحسي والمعرفي في علم النفس الحديث . وورد كذلك في الصفحة ما نصه « وأبعد التأويلات عن الحقيقة وأغربها أن تجعل الكلام مجازًا أو استعارة هو الوجود العقلي والوجود الشبهي » ويرادف الكلام مجازًا أو استعارة مفهوم التفكير المجازي بالألفاظ Metaphor Thinking في علم النفس الحديث . وأحيانًا يسمى Figurative Thinking . وورد مصطلح الكلمات في (ص ١٣٠) ، وهو يرادف مفهوم الرموز والإشارات ، وهي جميعًا تعد ضمن أدوات التفكير الإنساني الذي هو درة موضوعات علم النفس العام وعلم النفس المعرفي .

خامسًا : أما الرسالة الخامسة والأخيرة ، فقد جاءت بعنوان : (أيها الولد) ، بدأها المؤلف بخطبة جامعة كالعادة ، وأكثر في هذه الرسالة من قوله : أيها الولد ، وسبب ذلك وجود واحد من مريديه وتلامذته وأحد الذين تعلموا على يديه ، هذا الطالب كتب إلى الإمام الغزالي يسأله عن نوع العلم النافع في الدنيا والآخرة لكي يلتزم به ، التماسًا للنجاة ، وعملًا بهذه النصيحة مدى العمر . فرد عليه الشيخ الإمام بقوله : من جملة ما نصح به رسول الله ﷺ أمته قوله : « **علامة إعراض الله عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه ، وإن امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول عليه حسرته ، ومن جاوز الأربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار** » . وفي هذه النصيحة كفاية لك ولأهل العلم .

وبين بعد ذلك أن المشكلة ليست في كثرة إسداء النصائح والمواعظ ، ولكن المشكلة تكمن في قبول النصيحة والعمل الدائب بها ، فقد كثر الوعظ وقل الاتعاظ . فلا بد من الجمع بين غزارة العلم والعمل به ، وصون الجوارح بالعلم ، كما أوصاه بضرورة قيام

الليل ، والإكثار من الاستغفار ، والشكر للّٰه .

وذكّره في النهاية بجوهر العبادة قائلًا له : اعلم أن الطاعة والعبادة متابعة الشارع ﷺ في الأوامر والنواهي بالقول والفعل . يعني كل ما تقول ، وتفعل ، وتترك ، يكون باقتداء الشارع والشرع ، كما لو صمت يوم العيد وأيام التشريق تكون عاصيًا ، أو صليت في ثوب مغصوب وإن كانت صورة عبادة تأثم . ولقد وجب على السالك أمور أربعة : اعتقاد صحيح لا تكون فيه بدعة ، وتوبة نصوح لا يرجع بعدها إلى الزلة ، واسترضاء الخصوم حتى لا يبقى لأحد عليك حق ، وتحصيل علم الشريعة قدر ما تؤدى به أوامر اللّٰه تعالى ، ثم من العلوم الآخرة ما يكون به النجاة . وفي النهاية أوصاه بضرورة العلم بما ورد إجابة على سؤاله المتقدم ، وباللّٰه التوفيق .

أما من حيث ما ورد في هذه الرسالة من مفاهيم سيكولوجية ، فقد ورد في (ص ١٤٥) حديث عن التصديق والاعتقاد والإيمان ، وكلها مفاهيم سيكولوجية تشيع في كتابات علم النفس الاجتماعي وخاصة في موضوعات الاتجاهات والتخاطب اللفظي الاجتماعي Social Verbal Communication والاعتماد والمعتقدات Beliefs والقيم Values ، وورد في نفس الصفحة مفهوم الحافز Incentive ، وهو أي منبه أو مثير خارجي يزيد من قوة الدافع الإنساني ، وهو يدخل ضمن إطار مفاهيم نظرية الدافعية ، كما وصفت في كتب ومراجع علم النفس العام .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجالات علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعي والشخصية .

* * *

مجموعة رسائل الإمام الغزالي (٤) [١]

عرض : د. طريف شوقي فرج

عرض الكتاب :

يقع هذا الكتاب في ١٨٦ صفحة من القطع المتوسط ، ويتضمن ست رسائل للإمام الغزالي ؛ وهي :

١ - مشكاة الأنوار .

٢ - رسالة الطير .

٣ - الرسالة الوعظية .

٤ - إلجام العوام عن علم الكلام .

٥ - المضنون به على غير أهله .

٦ - الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية .

ويصوغ الإمام رسائله في صورة إجابة عن سؤال يوجهه إليه أحد السائلين ونعرض فيما يلي الرسائل على نحو موجز .

أولاً : عرض الرسالة الأولى : (مشكاة الأنوار) :

ويجيب فيها عن سؤال حول تفسير الآية الكريمة : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٖ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن

(١) بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦م .

شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٥] ، ويشير إلى أن للنور معنى عند العوام (البصر) ، ومعنى عند الخواص (العقل) ، ومعنى عند خواص الخواص (اللَّه) ، ثم يعقد مقارنة بين نور البصر ، ونور العقل ، ويبين أن لنور البصر سبعة أوجه من النقصان تعد أوجه قوة للعقل ؛ مثل : أن العين لا تبصر نفسها والعقل يدرك نفسه ، وأن العين لا تدرك ما وراء الحجب ، والعقل ينصرف فيما وراء الحجب ، وأن العين تبصر بعض الموجودات وتقصر عن جميع المعقولات ، في حين أن الموجودات والمعقولات كلها مجال للعقل . ويسوق الغزالي مثالًا في معرض تلك المقارنة ينم عن إدراكه للفارق الجوهري بين عملية الإحساس والإدراك الحسي ؛ حيث يقول : « إن العين الباصرة جاسوس من جواسيس العقل وكلها بأخس خزائنه وهي خزانة الألوان والأشكال لترفع إلى حضرته أخبارها (المحسوسات) ، فيقضي فيها (يدركها) بما يقتضيه رأيه الثاقب وحكمه النافذ » (ص ٨ - ١٠) . وفوق نور البصر ونور العقل تأتي الأنوار السماوية التي منها تقتبس الأنوار الأرضية ، وهي تترتب بحيث يقتبس بعضها من بعض ، ولكنها لا تتسلل إلى غير نهاية ، بل ترتقي لمنبع أول وهو النور لذاته ، وهو النور الأقصى الذي منه ينزل النور إلى غيره وهو اللَّه (ص ١٥) ، ويتحدث عن إيمان العوام وإيمان الخواص ، ويعقد مقارنة بينهما تنم عن مدى تشبعه بالتراث الفلسفي اليوناني . ويشير إلى أحوال القائلين بالفناء في اللَّه ، وهو أعلى مراتب الاتحاد ، وكيف أن سلطان العقل لديهم معطل كالسكارى ، فمن يفنى في اللَّه يفنى عن نفسه ، وعن صفاته ، ولا يشعر بنفسه في تلك الحال ، وتسمى هذه الحال بالإضافة (بالنسبة) إلى المستغرق فيها بلسان المجاز اتحادًا وبلسان الحقيقة توحيدًا ، ووراء هذه الحقائق أيضًا أسرار لا يجوز الخوض فيها (ص ١٩) .

ولبيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت والنار يستدعي تقديم قطبين :

(أ) بيان سر التمثيل ومنهاجه ، ووجه ضبط أرواح المعاني بقوالب الأمثلة ، ووجه كيفية المماثلة بينهما ، وكنه الموازنة بين عالم الشهادة (العالم الحسي) التي منها يتخذ طينة الأمثال ، وبين عالم الملكوت (العالم العقلي) الذي منه تنزل أرواح المعاني (ص ٢٥) . فعلى سبيل المثال علم التعبير (تفسير الرؤى) يعرفك مقدار ضرب المثال : أما ترى الشمس في الرؤيا تعبر عن السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة في معنى روحاني ، وهو الاستعلاء على المكان مع فيضان الآثار والأنوار على الجميع ، والقمر

تعبيره الوزير لإفاضة الشمس نورها بواسطة القمر على العالم بعد غيبتها ، كما يفيض السلطان آثاره بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان (ص ٢٨) .

(ب) بيان طبقات أرواح الطينة البشرية ومراتب أنوارها ، فإن هذا المثال مسوق لبيان ذلك ؛ إذ بمعرفتها تعرف أمثلة القرآن ، وهي :

١ - الروح الحساس : الذي يتلقى ما تورده الحواس .

٢ - الروح الخيالي : وهو الذي يكتب ما أوردته الحواس ويحفظه مخزونًا عنده ليعرضه على الروح العقلي فوقه عند الحاجة إليه .

٣ - الروح العقلي : الذي يدرك المعاني الخارجة عن الحس والخيال ، ومدركاته المعارف الكلية الضرورية .

٤ - الروح الفكري : وهو الذي يأخذ العلوم العقلية المحضة ، فيوقع بينها تأليف وازدواجات ويستنتج منها معارف نفسية .

٥ - الروح القدسي النبوة : الذي يختص به الأنبياء والأولياء ، وفيه تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة ، وجملة من معارف ملكوت السموات والأرض ، بل من المعارف الربانية التي تقصر دونها الروح العقلي والفكري (ص ٣٤ ، ٣٥) .

ويلقي بإشارة ذات مغزى عن إمكانية وجود ما يسميه علماء النفس المحدثون ما وراء علم النفس بقوله : « لا يبعد أيها المعتكف في عالم العقل أن يكون وراء العقل طورًا وراء التمييز والإحساس ينكشف فيه غرائب وعجائب يقصر عنها الإحساس والتمييز ، ويختص به قوم من الناس ويحرم منه بعضهم » (ص ٣٥) .

وفي نهاية الرسالة يتحدث عن المحجوبين من الخلق ويصنفهم إلى ثلاثة أقسام . ويمضي مفسرًا للآية من خلال الاستعانة بنموذج التصنيف الخماسي للأرواح ، فالمشكاة (الروح الحاسي) والزجاجة (الخيال) والمصباح (العقلي) والشجرة (الفكري) والزيت (القدسي النبوي) (ص ٣٧ ، ٣٨) .

ثانيًا : عرض الرسالة الثانية : (رسالة الطير) :

ويروي فيها قصة رمزية عن الطيور واجتماعها لاختيار ملك لها ، ووقوع الاختيار على العنقاء لعلو شأنها وصعوبة الوصول إليها ، وكيف أنهم هموا في طلبها في شتى الأماكن التي يتوقع وجودها فيها بما ينطوي عليه ذلك من مخاطر . وهي قصة رمزية تعبر عن أحوال الناس مع الله فمنهم الغافل عن قدره وقدرته ، ومنهم من يجد في

البحث عنه والتزام طاعته ، ومنهم الواصل الذي يسعى للفناء فيه ، وأن اللّٰه في النهاية هو الداعي والمشوق وحق عليه أن يكرم ضيفه .

ثالثًا : عرض الرسالة الثالثة : (الرسالة الوعظية) :

يتحدث عن الوعظ وأهميته وشروطه ، وكيف أن الوعظ زكاة ونصابها الاتعاظ ، وأن اللّٰه أوحى إلى عيسى ابن مريم ﷺ : عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني .

ويجري الإمام حوارًا مع نفسه ، يعظها ويبين لها ما سيفعله الموت (الواعظ الصامت) بها ويقول لها : اعصي اللّٰه بقدر صبرك على النار ، واستعدي للآخرة بقدر بقائك فيها . فقالت : هذا هو الواجب الذي لا يرخص في تركه الأحمق ، ثم استمرت على سجيتها ، ولما رأيتها متمادية في الطغيان غير منتفعة بوعظ الموت والقرآن : - رأيت أهم الأمور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها ، فطال عليه تفتيشي حتى وقعت على سببه وهو اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه على القرب ، فمن يصبح وهو يأمل أن يمسي ، أو يمسي وهو يأمل أن يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ، ولم يقدر إلا على يسر ضعيف (ص ٥٦ ، ٥٧) . من خلال هذه المناقشة يتطرق الإمام الغزالي إلى مشكلة مهمة يعني بها علماء النفس ، وهي : عدم الاتساق بين القول والفعل ، أو الاقتناع اللفظي وعدم ترجمته إلى واقع سلوكي ، وهي من بين المشكلات الرئيسية التي يجب تقويمها ومواجهة آثارها .

رابعًا : عرض الرسالة الرابعة : (إلجام العوام عن علم الكلام) :

يقول الغزالي : « إن ما دعاني إلى تأليف هذه الرسالة الرد على بعض الفئات الضالة الذين اعتقدوا في اللّٰه وصفاته ما يتعالى ويتقدس عنه من الصورة ، والقدم ، والنزول ، وزعموا أن هذا معتقد السلف » ومن ثم فقد أخذ على عاتقه أن يشرح ما هو اعتقاد السلف في هذه المسائل ، وأن يضع حدودًا للبحث فيها لا يجب تجاوزها .

(١) حقيقة مذهب السلف :

حقيقة مذهب السلف وهو عندنا أن كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور :

١ - **التقديس** : تنزيه الرب ﷻ عن الجسمية وتوابعها ، فإذا سمع قوله : إن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ، فينبغي أن يعلم أن اليد تطلق لمعنيين أحدهما : هو الوضع الأصلي وهو عضو مركب من لحم ودم (المعنى الحقيقي) ، وقد يستعار هذا اللفظ لمعنى آخر

ليس ذلك المعنى بجسم أصلًا - كالقدرة - (وهو المعنى المجازي) (ص ٦٢ ، ٦٣) .

٢ - **التصديق** : أن يعلم قطعًا أن هذه الألفاظ أريد بها معنى يليق بجلال اللّٰه وعظمته .

٣ - **الاعتراف بالعجز** : أن يقر بأن معرفة مراده ليست على قدر طاقته ، وأن ذلك ليس من شأنه وحرفته .

٤ - **السكوت عن السؤال** : « لأنه بالسؤال متعرض لما لا يطيقه ، وخائض فيما ليس له أهلًا فإن سأل - العامي - جاهلًا زاده جوابه ، وربما ورطه في الكفر من حيث لا يشعر ، وإن سأل عارفًا عجز العارف عن تفهيمه كما يعجز عن تفهيم ولده مصلحته في خروجه إلى الكتب (الكتاب) ؛ ولهذا أقول يحرم على الوعاظ على رؤوس المنابر الجواب عن هذه الأسئلة والخوض في التأويل والتفصيل » (ص ٦٨) . والغزالي بهذا المنطق - أي قصر الخوض في هذه المسائل على أهل التخصص في سياقات معينة - يرسخ من قيم البحث الأكاديمي ، والتخصص ووجوب إيجاد قواعد وتقاليد راسخة تعين حدود البحث ومجالاته ، وتمنع دخول من ليس أهلًا له فيها .

٥ - **الإمساك عن التصرف** : في تلك الألفاظ سواء بالتبديل بلغة أخرى أو التأويل أو التعريف ، والتفريع والزيادة منه والنقصان منه ، والجمع ، والتفريق .

٦ - **الكف** : أن يكف باطنه عن البحث والتفكر في هذه الأمور وهي مهمة ثقيلة ، وينبغي أن يعرف الخلق جلال اللّٰه الخالق وعظمته بآيات القرآن التي يسهل فهمها وليس بقول المتكلمين ومصطلحاتهم التي يصعب إدراك محتواها ومغزاها ، فإن أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان ، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويفر منه الأكثرون .

٧ - **التسليم لأهل المعرفة** : وبيانه أنه يجب على العامي أن يعتقد أن ما انطوى عنه من معاني هذه الظواهر وأسرارها ليس منطويًا عن رسول اللّٰه ﷺ ، وعن الصحابة ، وعن العلماء الراسخين (ص ٨١ - ٩٠) .

(٢) في إقامة البرهان على أن الحق مذهب السلف :

وينقسم البرهان إلى :

١ - **برهان عقلي** : وينقسم إلى برهان كلي وبرهان تفصيلي .

٢ - **برهان سمعي** .

ويفرد الغزالي عددًا من الصفحات لتفصيل القول في هذه البراهين .

(٣) فصول متفرقة وأبواب نافعة في هذا الفن :

يقول الغزالي بأنه مما أدى إلى نشوء مثل ذلك التلبيس ، أن الرسول ﷺ لم يقل تلك الألفاظ دفعة واحدة ، وإنما جمعها من التأثير في الإيهام ، والتلبيس على الأفهام ما ليس لآحادها المتفرقة ، وأنه ما ذكر كلمة منها إلا مع قرائن وإشارات يزول معها إبهام التشبيه وقد أدركها الحاضرون كذلك ، فإذا نقل الألفاظ مجردة عن تلك القرائن يظهر الإبهام (ص ٩٩) (أي إدراك المدلولات المعنوية التي يشير إليها اللفظ بمعزل عن السياق الذي يجب أن يفهم ويدرك من خلاله ، فضلًا عن أنه سعيًا منه لتقريب المعنى للمستمع ؛ كأن يضرب مثالًا عيانيًا ولكنه يقصد المعنى المجازي) . ثم يمضي في مناقشة بعض القضايا الجزئية ؛ مثل : القول بنسبة صفة اليد والفرق للَّه ، والقول بقدم العالم .

ويتحدث عن حقيقة الإيمان ويعرفه : تصديق جازم لا تردد فيه ، ولا يشعر صاحبه بإمكان وقوع الخطأ منه ، ويمضي في محاولة تفسير نشأته وتكوينه ، فيقول : إن هذا التصديق الجازم يحصل على ست مراتب ، وفي ثنايا الحديث عن هذه المراتب نورد إشارة إلى مفهوم مصداقية المصدر حين يشير إلى إمكانية حدوث « التصديق لمجرد السماع ممن حسن الاعتقاد فيه بسبب كثرة ثناء الخلق عليه ، فإن من حسن اعتقاده في أبيه وأستاذه أو في رجل من الأفاضل المشهورين ، قد يخبره عن شيء ما ، فيسبق إليه اعتقاد جازم وتصديق ما أخبره عنه » (ص ١١٥) .

وهذا التصور الذي يطرحه الغزالي حول مفهوم مصداقية المصدر ، يلتقي في كثير من الجوانب مع التصور المعاصر لهذا المفهوم والذي يشار إليه على أنه « الدرجة التي يكون عندها المصدر قابلًا للتصديق Credibility ، وتحدد هذه الدرجة بخصال شخصية المصدر ومكانته وعلاقته بالمتلقي ، وخصال المتلقي ، وطبيعة الاتصال . وسياق تقديمه ، والمصدر مرتفع المصداقية هو الشخص الذي يتمتع بكل من الخبرة والثقة (شحاتة ١٩٨٥م ، ص ٢١) .

ويحدثنا عن خصال المتلقي ، والاعتقاد ، وكيف أن الأول يشكل مناخًا خصبًا فتكون الثاني بقوله :

« أن يسمع القول فيناسب طبعه وأخلاقه ، فيبادر إلى التصديق لمجرد موافقته لطبعه لا من حسن اعتقاده في قائله ، ولا من قرينة تشهد له لكن لمناسبة ما في طباعه ، فالحريص على موت عدوه وعزله يصدق جميع ذلك بأدنى إرجاف ، ويستمر على

اعتقاده جازمًا ، ولو أخبر بذلك في حق صديقه أو شيء يخالف شهوته وهواه ، توقف فيه وأباه كل الإباء » (ص ٦١٦) .

ويتطرق إلى مسألة نشوء الاتجاهات التعصبية ، وما ينتج عنها من كراهية متبادلة بين الجماعات المختلفة فيقول : « أكثر الناس آمنوا في الصبا ، وكان سبب تصديقهم مجرد تقليد الآباء والمعلمين لحسن ظنهم بهم ، وكثرة ثناء غيرهم عليهم ، وتشديد النكير بين أيديهم على مخالفيهم مثل حكايات أنواع النكال النارية بمن لا يعتقد اعتقادهم كقولهم : إن فلانًا الرافضي (المخالف لهم) انقلب في قبره خنزيرًا ، ومن حكايات مقامات وأحوال هذا الجنس يتغرس في نفوس الصبيان النفرة عنه والميل ضده حتى ينزع الشك بالكلية عن قلبه ، فالتعلم في الصغر كالنقش على الحجر ، ثم يقع نشوؤه عليه ولا يزال يؤكد ذلك في نفسه ، فإذا بلغ استمر على اعتقاده الجازم ، وتصديقه المحكم الذي لا يخالجه فيه ريب ؛ ولذلك ترى أولاد النصارى والروافض والمسلمين كلهم لا يبلغون إلا على عقائد آبائهم واعتقاداتهم في الباطل والحق جازمة ، ولو قطعوا إربًا إربًا لما رجعوا عنها ، وهم قط لم يسمعوا عليه دليلًا حقيقيًا ولا رسميًا ، وبهذا يعرف أن التصديق الجازم غير موقوف على البحث وتحرير الأدلة » (ص ١١٧) .

خامسًا : عرض الرسالة الخامسة : (المضنون به عن غير أهله) :

في هذه الرسالة يتناول مسائل متعددة منها الربوبية ، وحقيقة الرؤيا والفرق بين المثل والمثال وأن المثال في حق اللّه جائز والمثل مستحيل ، وبين الواحد والأحد ، والفرق بين تكليف اللّه تعالى عباده ، وتكليف الإنسان عبده ، وتعريف التقوى ، ويعرج إلى الحديث عن الملائكة والمعجزات وأحوال الأنبياء وشفاعتهم ، والأولياء ومقاماتهم ، وعن أحوال ما بعد الموت والحساب والصراط ، والجنة ، والنار .

سادسًا : عرض الرسالة السادسة : (**الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية**) :

يفسر في هذه الرسالة قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر : ٢٩] فيعرف التسوية ، والنفخ ، والروح ، ويجيب عن أسئلة متنوعة متصلة بجوانب متعددة لموضوع الروح .

* * *

مجموعة رسائل الإمام الغزالي (٥) [١]

عرض : د. عبد المنعم شحاته محمود

أولًا : عرض الرسالة الأولى (بداية الهداية) :

يبدأها بالتمييز بين نوعين من طالبي العلم :

طالب العلم للمباهاة والتفاخر أمام الأقران ، وهذا النوع لا يفضله الغزالي ، حيث يبيع به الفرد آخرته بدنياه .

طلب العلم يقصد الهداية التي هي ثمرة العلم ، والتي لها بداية ونهاية ، وظاهر وباطن ، ولا يكون الوصول لنهايتها إلا بعد إحكام بدايتها . وبداية الهداية - في نظر الغزالي - ونهايتها ظاهرها وباطنها هو التقوى أو امتثال أوامر اللّٰه واجتناب نواهيه .

ويقسم الغزالي هذه الرسالة إلى ثلاثة أقسام ، يتناول في القسم الأول أشكال الطاعات المختلفة ؛ منها : آداب كل من الاستيقاظ من النوم ، ودخول الخلاء ، والوضوء والغسل ، والخروج من المسجد ، ودخول المسجد ... إلخ .

القسم الثاني : آداب اجتناب المعاصي ، وحفظ جميع البدن من المعاصي ، والوسائل التي تحفظ كل عضو من أعضائه . ويتناول الغزالي في هذا القسم بعض معاصي وأمراض القلب وهي الحسد ، والرياء ، والعجب ، والكبر ، والفخر ، وهي أغراض نفسية تشير إلى عدم التوافق النفسي أو المرض النفسي (ص ٦٩ - ٧٧) .

القسم الثالث : القول في آداب الصحبة ، ويتناول فيه الغزالي آداب العالم ، والمتعلم ،

---

(١) تحقيق أحمد شمس الدين . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٨م (١٩٢ ص) .

وآداب الولد مع الوالدين ، ومجالسة العوام المجهولين ، ومعاشرة الإخوان والأصدقاء . ويدخل ذلك في إطار مفهوم التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية في علم النفس الاجتماعي (ص ٧٨ - ٨٤) . كما تحدث الغزالي في هذا القسم عن أسلوبين معاصرين في اكتساب السلوك المرغوب ، أولهما : الممارسة ، كما أوضحته نظريات التعلم . وثانيهما : التعلم من خلال الملاحظة للآخرين ، وهو ما ورد في بعض الفقرات التي عرضها المؤلف ؛ مثل : « فانظر إلى كذب غيرك ، وإلى نفرة نفسك منه ... فإنك لا تدري قبح عيوبك من نفسك ، بل من غيرك ، فما استقبحته من غيرك ، يستقبحه غيرك منك لا محالة » (ص ٦٢) .

كما يقدم الغزالي إشارة لأحدث أساليب تعديل السلوك ، حينما يصف كيفية علاج الغفلة في السهو في الصلاة ؛ إذ يقول : « فإن لم يحضر قلبك ، ولم تسكن جوارحك ، فهذا لقصور معرفتك لجلال الله تعالى ، فقدر أن رجلًا صالحًا ينظر إليك ليعلم كيف صلاتك ، فعند ذلك تسكن جوارحك ، ثم ارجع إلى نفسك ، وقل : يا نفس السوء ، ألا تستحيين من خالقك ، وإذ قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده عليك ، وليس بيده ضرك ولا نفعك خشعت جوارك وحسنت صلاتك ، أهو تعالى عندك أقل من عبد من عباده ؟ .... فعالج قلبك بهذه الحيل » . (ص ٤٦) .

وتتضمن هذه العبارة إشارة إلى أساليب حديثة في العلاج النفسي ؛ مثل : التخيل ، وترديد عبارات تهدف إلى إثارة النفس انفعاليًا .

كما يندرج أسلوب الغزالي في علاج السهو أثناء الصلاة تحت أسلوب « العلاج الذاتي » من خلال ملاحظة الفرد لسلوكه .

كما يقدم الغزالي عرضًا بصفات المعلم (ص ٧٩) لا تختلف عما تكشف عنه البحوث المعاصرة في العملية التعليمية من أهمية اتسام المعلم بسمات معينة ، حتى يؤدي دوره التعليمي بكفاءة .

كما تتضمن الرسالة عددًا من الآداب مع الوالدين ، والأخوة ، والأصدقاء ، والمعارف ، والمجاهيل من الناس (ص ٧٨ ، ٨٨) ، وهي تشير إلى عدد من المهارات الاجتماعية .

ثانيًا : عرض الرسالة الثانية (الأدب في الدين) :

وتتضمن جملًا من الآداب التي أدبنا بها الله تعالى في القرآن بما أرانا فيه من البيان ،

لنتخلق بأخلاق النبيين ، والمرسلين ، والصحابة ، والتابعين ، ويذكر الغزالي هذه الآداب بشكل مختصر ، وتشمل آداب العباد مع الله ، والعالم مع المتعلم ، والمتعلم مع العالم ، والمقرئ ، والقارئ ، ومعلم الصبيان ، والمحدث ، وطالب الحديث ، والكاتب ، والواعظ ، والمستمع ، والناسك ، آداب اعتزال الناس ، الصوفي ، الشريف ، النوم ، التهجد ، الخلاء ، الحمام ، الوضوء ، دخول المسجد ، الاعتكاف ، آداب العيد ، الخشوع ، المشي في الجنازة ، المتصدق ، السائل ، الغنى ، الفقير ، الإهداء ، اصطناع معروف ، دخول مكة والمدينة ، والإحرام ، التجارة ، الصيرفة ، الأكل ، الشرب ، معاشرة الزوجة ، خطبة الرجل للمرأة ، الجماع ، الاستئذان ، الجلوس على الطريق ، آداب الولد مع أولاده ، والوالد مع أبويه ، السيد مع العبد ، العبد مع السيد ، السلطان مع الرعية ، والرعية مع السلطان ، القاضي ، الشاهد ، ثم يختتم الرسالة بآداب جامعة .

تتضمن هذه الرسالة عددًا من صفات مصدر المخاطبة (سواء كان معلمًا أو محدثًا أو كاتبًا أو واعظًا أو إمامًا أو خطيبًا) بسمات معينة كالمصداقية وما تنطوي عليه من صدق وخبرة وموضوعية في التناول « يقصد الصدق ويجتنب الكذب ... ويروي عن الثقات .. » (ص ٩٢) و « اعتقاد فعل ما يقوله لينفع الناس بما يقوله » (ص ٩٥ – ص ١٠٢) ، و « حسن الحظ وحسن اللباس ، طيب الرائحة ... » (ص ٩٤) وهي صفات تؤكد البحوث المعاصرة لزيادة القدرة Model في اكتساب السلوك ، فمعلم الصبيان يجب أن يلتزم بآداب معينة « مما استحسنه فهو عندهم الحسن ، وما استقبحه فهو عندهم القبيح » (ص ٩٢) .

ثالثًا : عرض الرسالة الثالثة (كيمياء السعادة) :

ويقصد بها اجتناب الرذائل واكتساب الفضائل ، وهي صفات الكمال التي لا تطلب إلا من حضرة النبوة ، ومن منابعها الأصلية ، أي القرآن والسنة ، وسرها في الرجوع إلى اللّٰه تعالى بمعرفته جلَّ وعلا ، ومفتاح معرفة اللّٰه هو معرفة النفس أو باطن الإنسان أو حقيقته ، لم خلق ، وبأي شيء سعادته ، وبأي شيء شقاؤه ؟

والنفس هي القلب أو الروح الذي هو من عالم الغيب ، فيصعب معرفة حقيقته ، ولكن يمكن معرفة صفاته ، وهو ملك النفس ، والعقل وزيرها والقوة الشهوية واليها ، والقوة الغضبية شحنتها ، ويجب أن يشاور القلب العقل ، ويسيطر على القوى الشهوية والغضبية . (ص ١٢٩) .

ثم يبين قوى النفس المختلفة ، ومراتبها ووظائفها ، ويميز بين الأخلاق الحسنة

والأخلاق السيئة ، مفصلًا أنواع كل منهما ، وموقع كل نوع من قوى النفس المختلفة .

ثم يبين أبواب العلوم ، وأحدها للأحلام والآخر لليقظة ، ويفضل الكلام عن الطاقة إلى عالم الملكوت ؛ حيث التعلم بلا واسطة ، للأنبياء والأولياء والمخلصين المجاهدين من العباد .

ويؤكد الغزالي أهمية معرفة النفس « فالواجب أن تعرف نفسك بالحقيقة ، حتى تعرف أي شيء أنت » (ص ١٢٤) ، وهذه المعرفة هي هم علم النفس المعاصر وهدفه .

وفي تعريف الغزالي للنفس يشير إلى وظيفتها الانفعالية ، فيضمنها قوة الشهوة وقوة الغضب ، كما يشير إلى وظيفتها المعرفية ، فيضمنها قوة العلم ، في « تمام السعادة مبني على ثلاثة أشياء : قوة الغضب ، قوة الشهوة ، قوة العلم ، فيحتاج أن يكون أمرها متوسطًا ، فالغضب إذا زاد سهل الضرب والقتل ، وإذا نقص ، ذهبت الغيرة والحمية في الدين والدنيا ، وإذا توسط كان الصبر والشجاعة والحكمة ، وكذا الشهوة إذا زادت كان الفسق والفجور ، وإذا نقصت كان العجز والفتور ، وإن توسطت كانت العفة والقناعة وأمثال ذلك » (ص ١٣٠ ، ١٣١) .

وقد أشار أبو نصر الفارابي إلى هذا التوسط ، ومعنى ذلك ، أن أي فعل نفسي يكون أفضل إذا كان وسطًا ، فالقلق ضار إذا ارتفع ، وإذا انخفض أيضًا ، وكذلك الخوف ، وطلب الطعام .. وما شابه . ويعد هذا التوسط تأكيد لمفهوم « الاتزان الانفعالي » ووسيلة لتحقيق توافق جيد مع الآخرين .

وجدير بالذكر أن تقسيم الغزالي للنفس إلى قوة الغضب ، وقوة الشهوة ، وقوة العلم ، إنما هي ترجمة لتقسيم فلاسفة مسلمين آخرين كأبي نصر الفارابي .

ويأتي قول الغزالي : « الشهوة والغضب ينبغي أن يكونا تحت يد العقل ، فلا يفعلا شيئًا إلا بأمره » (ص ١٣٢) متأثرًا برأي « أفلاطون » في ضرورة أن تأتمر النفسان : الغضبية والشهوة بأوامر النفس العاقلة » .

ويشير الغزالي - وهو بمعرض حديثه عن النفس - إلى أحد موضوعات علم النفس المعاصر ، وهو الدافعية Motivation ، والتي هدفها استعادة « التوازن الحيوي » Homeostasis ؛ إذ يقوم : « الأمر الذي به إذا غضبت طلبت الخصومة ، وإذا اشتهيْت طلبْت النكاح ، وإذا جُعْت طلبت الأكل وإذا عطشت طلبت الشرب .. » (ص ١٢٤) .

معتبرًا هذا الأمر جزءًا من النفس الواجب على الفرد أن يعرفها حتى يعرف من هو .

رابعًا : عرض الرسالة الرابعة (القواعد العشرة) :

يبين الغزالي - في هذه الرسالة - القواعد التي ينبغي أن يلتزمها كل سالك في طريق التصوف ؛ وهي :

١ - النية الصادقة الواقعة من غير التواء .

٢ - العمل للَّه من غير شريك ولا اشتراك .

٣ - موافقة الحق بالاتفاق والوفاق ، ومخالفة النفس بالصبر على الفراق والمشاق .

٤ - العمل بالاتباع لا بالابتداع .

٥ - الهمة العالية عن تسويف يفسدك .

٦ - العجز والذلة ، لا بمعنى الكسل في الطاعات وترك الاجتهاد .

٧ - الخوف والرجاء .

٨ - دوام الوِرد .

٩ - المداومة على المراقبة .

١٠ - علم ما يجب الاشتغال به ظاهرًا وباطنًا اجتهادًا .

تتضمن الرسالة إشارة إلى بعض محددات السلوك الإنساني ، فالنية محدد مباشر للسلوك كما يكشف علماء النفس المعاصرون ، والانفعالات لازمة لضمان أدائه ، والمراقبة الذاتية أساس لدقة هذا الأداء ، وهكذا جعل الغزالي القاعدة الأولى هي النية الصادقة (ص ١٤٧) ، والسابعة هي الخوف والرجاء (ص ١٥٢) والتاسعة هي مداومة المراقبة (ص ١٥٣) .

خامسًا : عرض الرسالة الخامسة (الكشف والتبين) :

في هذه الرسالة ، يقسم الغزالي الخلق إلى حيوان وغير حيوان ، إلى مكلف وغير مكلف ، والمكلف إلى مؤمن وكافر ، والمؤمن إلى طائع وعاصٍ ، وكل منهما إلى عالم وجاهل ، ويرى أن الغرور يلازم كل هؤلاء ، فمن الكفار من غرته الحياة الدنيا ، ومنهم من غره باللَّه الغرور ، ومن العلماء المؤمنين من اغتر بعلمه ، ومنهم من غفل عن قلبه فغلبه النفاق ، ومنهم من تعجب بنفسه ، ومن المؤمنين من اغتر بعبادته أو بماله أو بزيه ومنطقه وهيئته ... إلخ .

وهكذا يصف الغزالي أوجه غرور كل قسم من أقسام البشر مؤمنين كانوا أو كافرين

طائعين أو عاصين ، علماء أو جهلة ، مختتمًا رسالته بأن أنواع الغرور في طريق السلوك إلى الله لا تحصى في مجلدات .

ويعتبر الغزالي الغرور مرضًا نفسيًا ، يحاول وصف مظاهره أو أعراضه مبينًا الأسباب التي تؤدي إلى هذه الأعراض ، وأهم الأسباب أنه متعلم « وأن ممثلهم المريض الذي تعلم الداء .... » (ص ١٦٧) وهذه النظرة لا تختلف عن نظرة علم النفس المعاصر للأمراض النفسية ، فهي سلوك غير مرغوب يتم تعلمه ، ويمكن علاجه بإعادة التعلم ، ويذكر الغزالي – في ذات الموضع – أن علاج الغرور قد وصفه في كتابه « إحياء علوم الدين » .

كما يشير الغزالي إلى أحد الفئات المريضة بقوله : « وفرقة أخرى غلبت عليهم الوسوسة في نية الصلاة ... وأخرى غلبت عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة ... » (ص ١٧٣) واصفًا هؤلاء بأنهم « فهذا لا شك أنه تقام عليه السياسة ، ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل » (ص ١٧٣) .

والوسواس هو : أحد التصنيفات التشخيصية في الطب النفسي المعاصر .

* * *

ابن باجة (ت ٥٣٣هـ)
رسائل جديدة [١]

عرض : د. عبد المنعم شحاته محمود

التعريف بالمؤلف [٢] :

أبو بكر بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة ، عاش في عصر المرابطين في الأندلس ؛ إذ ولد في « سرقسطة » أواخر القرن الخامس الهجري (غير معروف سنة مولده) ، وغادرها بعد احتلال « الفونس » الأول لها إلى غرناطة ، ثم إلى مراكش حيث صار وزيرًا في فاس ، وتوفي فيها مسمومًا سنة (٥٣٣هـ ، ١١٣٨م) .

تبحر في علوم الطبيعة ، والرياضيات ، والفلك ، والموسيقى .

ومن أشهر رسائله : في الثبات – اتصال العقل بالإنسان – الوداع – تدبير المتوحد – في الغاية الإنسانية – كتاب النفس .

الرسالة الأولى : (في المتحرك) :

عرض الرسالة :

تنسب الحركة إلى المحرك الأول حتى وإن كان لها أكثر من محرك ، والحركة إما عن عارض وإما بالذات ، والثانية تدل على اختيار ، يكون محمودًا أو مذمومًا . ويختص الإنسان دون سائر الحيوانات بالحركة الاختيارية التي توجبها الرؤية ، وتوجهها الغاية التي تكون الخير .

(١) ابن باجة ، تحقيق عبد الرحمن بدوي . ط. ٣ ، بيروت : دار الأندلس ، (١٩٨٣م) .

(٢) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام د. محمد علي أبو ريان ، (١٩٨٠م) ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، (ص ٥٢٢ – ٥٥٣) .

والمحرك الأول في الحيوان – الإنسان أحد أنواعه – هو النفس النُّزوعية وهي صنفان أولهما : المحبة ، أي الإقدام كطلب الغذاء ، وثانيهما : الكراهة ، أي الترك كالخوف والسأم وما جانس .

ويتميز الإنسان عن الحيوان بأنه يعدل من حركته إذا علم أن الشيء خير ، فيشتهي بعد ما كان يكره ، كما يتميز بأنه يدرك الخير المجرد وليس بالحس .

يتشابه قول ابن باجة « المحبة ومنها يكون الطلب .. والكراهة وبها يكون الهرب » (ص ١٣٨) ، واعتباره لهذا البعد (المحبة – الكراهة) النفس النزوعية المحركة للحيوان والإنسان ، عند الفلاسفة المسلمين بصفة عامة تشير إلى الدافعية في اصطلاح علم النفس الحديث ، وكذلك مفهوم الانفعالات (وبخاصة المحبة والكراهية) ، وهو على علاقة بالدافعية ؛ لأنها تقوم بدور الدافع ، فالمحبة تدفع إلى الطلب ، والخوف والكراهية يدفعان إلى الهرب .

الرسالة الثانية : (في الوحدة والواحد) :

عرض الرسالة :

تعد رسالة في علم المنطق تهدف إلى معرفة صفات « الواحد » الذي يطلق على المعقولات والموجودات ، والصور الروحانية ، بينما تطلق « الوحدة » على « الواحد » الموضوع الذي يوجد متفردًا ، فتدل الوحدة هنا على أنه واحد لأنه لا يستكثر ، أما ما يستكثر من المعقولات والموجودات ، فالواحد منها يدل على موضوع للعدد .

والعقل « واحد » و « وحدة » أيضًا لأنه يدل على المعقول ، ولا يعقل منه غيره ونحن نتصوره إما بحسب طبيعته ، فيكون تامًا ، أو بحسب طباعنا ، فيكون أتم ؛ إذ لا يمكن أن يكون أنقص ، وما نتصوره من سائر الموجودات ، نتصورها ناقصة إما لأنها ناقصة بطبعها ، أو لأنها كذلك من أجل طباعنا ، وما نتصوره يسمى « مقولات » ، أي تصور لأمور موجودة في أجسام محسوسة ، أي تكوين صورة مجردة عن الشيء مقترنة بصورته في الطبيعة ، ثم بعد ذلك يكون التركيب والتفصيل بين هذه الصور المجردة .

ثم يذكر ابن باجة القواعد المنطقية التي تحكم عملية التركيب هذه ؛ وهي خمس :

يندرج موضوع هذه الرسالة تحت ما يسمى في علم النفس « تكوين المفهوم » Conceptualization ، أي قدرة الفرد على صياغة مبدأ تجريدي عام من خلال الاستقراء ، بالبدء من جزئيات إلى كليات ، ثم تعميم هذا المبدأ التجريدي على كل ما

هو مشترك فيه ، أي يبدأ الفرد بإدراك ما هو مشترك بين الجزئيات التي شاهدها ، ثم يطلق على القاسم المشترك مفهومًا معينًا ، يعممه على كل الجزئيات التي يراها أو يتخيلها .. إلخ .

الرسالة الثالثة : (في الفحص عن القوة النزوعية) :

عرض الرسالة :

لكل حيوان ساعٍ نفس نُزوعية متوسطة ، يشتاق بها الغذاء وما جانس ، فإذا ارتقى أضيف إليها نفس نُزوعية خيالية وبها يتودد ويعشق ويربي ، فإذا كان الإنسان ، أضيف إليهما نفس نُزوعية بالنطق ، وبها يكون التعليم والتعلم .

وكلُّ متحركٍ محرِّكُ غيرُه ، يكون إما بالطبع كالنارِ ، أو خارج عن الطبع كسهم المنجنيق ، والمتحرك يكون كذلك ، فهو إما بالطبع أو خارجًا عنه ، والمتحرك بالطبع إما من ذاته ، وهو ما كان محرِّكه فيه كالحيوان ، وإما عن غيره أو صناعيًا ، كالماء في الفنجان .

وبيّن ابن باجة كيف تحرك الجمادات ، معتبرًا الجسم الطبيعي هو ما يتحرك حركة مستقيمة ، أي في اتجاهين متقابلين ، أو حركة مستديرة ، ويتميز الحيوان بأنه ذو جسم متميز الجهات ؛ لذلك تكون حركته انتقالًا كالصعود والهبوط ، والتقدم والتأخر ، والتيامن والتياسر ، وقد تكون حركته فرجًا بينها ، وقد تميزت في الإنسان الجهات كلها ، وأغلب حركته تكون بالإرادة .

ترادف « القوة النزوعية » عند ابن باجة Motivation في علم النفس المعاصر ، كما ترادف النزوعية المتوسطة عنده « الدوافع الفسيولوجية » في علم النفس ، والتي تساعد الفرد على إشباع حاجاته البيولوجية كالجوع والعطش ، أما « النزوعية الخيالية » فترادف « الدوافع السيكولوجية الاجتماعية » ، أي خارجية المنشأ والتي تهتم بالعلاقات بين الأفراد أما « النزوعية بالنطق » فيها يكون التعلم والتعليم ويشير إلى الرغبة في طلب اللذة العقلية ، والمتعة العقلية عن طريق تحصيل المعرفة والتعلم .

الرسالة الرابعة : (رسالة في القوة النزوعية) :

عرض الرسالة :

يتألف كل جسم من صورة وموضوع أو مادة ويتصف بصفات تخصه ، والحيوان جسم يقال إنه متحرك بذاته ومن ذاته ، أي منفعل وفاعل والمنفعل هو البدن ، والفاعل هو النفس أو النزوع الذي لا يكون إلا بوهم ، فالوهم هو المحرك والمتحرك هو الجسد

الذي يحس ، فالنزوع يكون في المحسوس الذي هو آلة الفعل ، فالقلب مبدأ الحيوان ، وينبوع الحرارة الغريزية التي تكون بها كل حركات البدن وضروب النزوع أحدها . فالمحرك الأول ليس النزوع وإنما القلب أو الحيوان الذي مبدأه القلب . كما أن النزوع مصدر العادات ، أي الحركة الناتجة عن تَعَوُّد فعلها ، فالحركة أو الفعل مثل الخشوع قد تكون بالطبيعة ، أي للكمال وحده ، وقد تكون بالعادة ، أي نتيجة توهم الكمال .

يقول ابن باجة : « الفاعل القريب هو النفس ، وهو النزوع ، ولا يكون نزوع إلا بوهم وقد يكون الوهم ولا يكون نزوع ، والوهم هو المحرك » (ص ١٦٦) ، فالوهم أو القوة الوهمية عند الفلاسفة المسلمين حاسة داخلية تدرك المعاني الجزئية من المحسوسات ، فمثلًا الشاة تدرك شكل الذئب ببصرها ، ولكنها تدرك أنه عدو وأنه سيؤذيها بالقوة الوهمية ، وإدراك العداوة في الذئب لا يتم عن طريق إحدى الحواس الخارجية ، وإنما يتم عن طريق حاسة داخلية ، يسميها الفلاسفة المسلمون الوهم ، أو القوة الوهمية .

* * *

الجيلاني ، عبد القادر (ت ٥٦١هـ)
الفتح الرباني والفيض الرحماني [١]

عرض : د. معتز سيد عبد الله

التعريف بالمؤلف [٢] :

عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني ، أبو محمد ، محيي الدين الجيلاني ، أو الكيلاني ، أو الجيلي : مؤسس الطريقة القادرية ؛ من كبار الزهاد والمتصوفين ، ولد في جيلان (وراء طبرستان) ، (عام ٤٧١هـ/١٠٧٨م) ، وانتقل إلى بغداد شابًا ، سنة (٤٨٨هـ) ، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف ، وبرع في أساليب الوعظ ، وتفقه ، وسمع الحديث ، وقرأ الأدب ، واشتهر ، وكان يأكل من عمل يده وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة (٥٢٨هـ) ، وتوفي بها عام (٥٦١هـ/١١٦٦م) له كتب ؛ منها : (الغنية لطالب طريق الحق) ط ، و (فتوح الغيب) ط و (الفيوضات الربانية) ط ، وللمستشرق مرجليوث الإنجليزية رسالة في ترجمته نشرها ملحقة بالمجلة الأسيوية والإنكليزية . ولموسى ابن محمد اليونيني كتاب - مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني - خ) ولعلي بن يوسف الشطنوفي (بهجة الأسرار - ط) في مناقبه ، ولمحمد بن يحيى التاذفي (قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر - ط) ، وترجم عبد القادر بن محيي الدين الأربلي عن الفارسية (تفريخ الخاطر في مناقب الشيخ عبد القادر - ط) .

---

(١) تأليف عبد القادر الجيلاني . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٨٥م .

(٢) الأعلام ، للزركلي ، (٤/٤٧) .

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٣٧٩ صفحة من القطع المتوسط ، ويتكون من اثنين وستين مجلسًا يدور مضمونها بوجه عام حول الطريق إلى الله ، والفضل الكبير للإيمان بالله ﷻ من راحة نفسية وثقة في قضاء الله وقدره ... إلخ ، وقد عرض المؤلف في المجالس العشرة الأولى لأهمية الثقة بالله ﷻ وعدم الاعتراض على الله تعالى ، وما للفقر والصبر من قيمة ، وعدم تمني المرء للغنى ، وقيمة التوبة النصوحة الخالصة لوجه الله تعالى ، وأسباب حب الله ﷻ لعبده المؤمن ، كما عرض لبعض النصائح التي يقدمها المؤمن ؛ حيث قال رسول الله ﷺ : « **المؤمن مرآة المؤمن** » . فالمؤمن الصادق في نصحه لأخيه المؤمن يبين له أشياء تخفى عليه ، تفرق له بين الحسنات والسيئات ويعرفه لما له وما عليه . وعرض المؤلف بعد ذلك لقيمة الصبر ؛ حيث أوصانا الرسول عليه الصلاة والسلام به ؛ إذ قال : « **اصبروا فإن الدنيا كلها آفات ومصائب ، والنادر منها غير ذلك** » . كما تحدث المؤلف عن قيمة عدم المراءاة ، وابتلاء الله سبحانه للمؤمن ، فقد قال رسول الله ﷺ : « **والله لا يعذب الله حبيبه ولكن قد يبتليه في الدنيا** » . كما تحدث عن عدم التكلف ، حيث قال رسول الله ﷺ : « **أنا والأتقياء من أمتي براء من التكلف** » .

ومن أهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في المجالس السابقة هي الإيمان Faith (ص ٤ - ١٢) ، والمثابرة Persistence (ص ٤ - ١٠ ، ص ٣٧ ، ٣٨) ، والإرشاد والتوجيه النفسي Counseling (ص ٣ - ٤٨) .

ومن المجالس العشرة التالية ، عرض المؤلف لأهمية معرفة الله ﷻ ، وطاعته وموافقته والرضاء بقضائه ، وأهمية النهي عن الطلب من غير الله تعالى ، وقيمة تقديم الآخرة على الدنيا حتى نربح في كل شيء ، وحتى لا تغرنا الدنيا بشهواتها ولذاتها وترهاتها ، كما عرض المؤلف لأهمية النهي عن النفاق ، وفي قيمة إيثار المؤمن للمؤمن على نفسه ، فقد قال رضي الله تعالى عنه : (المؤمن يتزود والكافر يتمتع ، المؤمن يتزود لأنه على طريق يقنع باليسير من ماله ويقدم الكثير إلى الآخرة ، يترك لنفسه بقدر زاد الراكب يقدر ما يحمله ، كل ما له في الآخرة ، كل قلبه وهمته هناك .. إلخ) كما عرض لأهمية العمل بالقرآن ، وبسنة رسول الله ﷺ ، وعرض لعدم الاهتمام بالرزق . فقد قال ﷺ : (لا تهتم بالرزق فإن طلبه لك أشد من طلبك له . إذا حصل لك رزق اليوم فدع عنك الاهتمام برزق غدٍ ، كما تركت أمس مضى ، وغدًا لا تدري هل يصل إليك أم لا .

اشتغل بيومك . لو عرفت الحق ﷻ لاشتغلت به عن طلب الرزق .. إلخ) وعرض لأهمية جهاد النفس ، والهوى ، والشيطان ، وترك الشهوات المحرمات ، والخوف من اللّٰه تعالى ، والنهي عن القول بلا عمل ، وكثرة النفاق وقلة الإخلاص .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في المجالس السابقة هي قيمة الإخلاص (ص ٤٦ - ٦٥ ، ص ٨٩ - ٩٤) ، والقيم الأخلاقية Moral Values (ص ٤٩ - ٥٣) .

والقيم العلمية (ص ٦٢ ، ٦٣) ، وقيمة الغيرية (من ص ٦٩ - ٧٢) ، والنفس (ص ٨١ - ٨٥) ، والوساوس (ص ٨١ - ٨٥) . وضبط النفس Self - Control والإرشاد التوجيه (ص ٤٩ - ٩٤) .

وفي المجالس العشرة التالية (ص ٢١ - ٣٠) عرض المؤلف لقيمة وضرورة عدم الالتفات إلى الخلق ، والعمل على إخراج حب الدنيا من القلب ، حتى نتجنب تقلبها بأربابها وأبنائها ، والعمل على التخلص من صدأ القلوب بقراءة القرآن الكريم ، وذكر الموت ، وحضور مجالس الذكر ، وعدم مشاركة اللّٰه تعالى في تدبيره ، وعلمه بنفوسنا ، وأهويتنا ، وطباعنا ، والزهد في الدنيا وما فيها ، وعدم الشكوى إلى الخلق فقد قال النبي ﷺ : « **من كنوز العرش كتمان المصائب** » .

والنهي عن الكذب ، فالعاقل لا يخاف لومة لائم في جانب اللّٰه ﷻ ، وهو أصم عن كلام غير اللّٰه ﷻ . وأن يحب المسلم أخاه المسلم في اللّٰه ﷻ ، فعن النبي ﷺ : « أنه جاء إليه رجل فقال له : إني أحبك في اللّٰه ﷻ ، فقال له : **اتخذ البلاء جلبابًا** » ، أي اتخذ الفقر جلبابًا . وعدم التواضع لغنى لأجل غناه ؛ لأن هذه إحدى سمات المنافقين ، والاعتراف بنعم اللّٰه .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في المجالس العشرة السابقة ؛ هي : الانفعالات Emotions (ص ٩٧ - ١٠٦) ، والعزلة Isolation (ص ٩٧ - ١٠٦ ، ومن ص ١١٢ - ١١٥ ، ومن ص ١٣٤ - ١٣٦) ، والطاعة Obedience (ص ١٠٧ - ١١١) ، والمحبة Liking (ص ١٢٣ - ١٢٥) ، والاعتراف (ص ١٣٤ - ١٣٦) ، والإرشاد والتوجيه النفسي (ص ٩٥ - ١٣٦) .

وفي المجالس العشرة التالية (ص ٣١ - ٤٠) عرض المؤلف لنوعين من الغضب : محمود ومذموم ، فالغضب إذا كان للّٰه ﷻ فهو محمود ، وإذا كان لغيره فهو مذموم . والعمل على أداء الأوامر واجتناب النواهي ، والصبر على الآفات ، والتقرب إلى اللّٰه

تعالى بالنوافل . كما عرض المؤلف لبعض الدلائل على رؤية اللّٰه تعالى يوم القيامة ، فقد قال النبي ﷺ : « **سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته** » . والنهي عن الكبر . ومخافة اللّٰه ﷻ . والإخلاص في العمل ابتغاء مرضاة اللّٰه ﷻ . والسعي إلى عيادة المرضى ، فقد قال النبي ﷺ : « **عودوا المرضى وشيعوا الجنائز فإنه يذكركم بالآخرة** » . كما عرض المؤلف لفضل لا إله إلا اللّٰه ، وحب الأولياء والصالحين ، والتفقه في الدين .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في المجالس العشرة السابقة هي التوجيه والإرشاد النفسي (ص ١٣٧ - ١٦٨) والغضب Anger (ص ١٣٧ - ١٣٩) ، والطاعة Obedience (ص ١٤٠ - ١٤١) ، والخوف Fear (ص ١٤٥ - ١٥٠) ، وقيمة الإخلاص (ص ١٤٦ - ١٥٠) ، والمودة Intimacy (من ص ١٥١ - ١٥٤) ، والمحبة Liking (ص ١٦٠ - ١٦٢) .

وفي المجالس العشرة التالية (ص ٤١ - ٥٠) عرض المؤلف لقيمة وفائدة المحبة في اللّٰه تعالى ، وتقوى اللّٰه تعالى ، فقد قال رسول اللّٰه ﷺ : « **من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق اللّٰه ، ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على اللّٰه ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن واثقًا بما في يد اللّٰه أوثق على ما في يده** » ، كما عرض للنفس الأمارة بالسوء ، وأنه يجب موافقتها في طاعة اللّٰه ، ومخالفتها في معصيته . والاعتقاد بأن المؤمن غريب في الدنيا ، والزاهد غريب في الآخرة ، والعارف غريب فيما سوى المولى ، فالمؤمن مسجون في ، الدنيا وإن كان في سعة الرزق والمنزل . والعمل على التمسك بالعروة الوثقى ، واتباع رسول اللّٰه ﷺ فيما أقره من تعاليم ومبادئ إنسانية نبيلة ، توصل المؤمن إلى الغاية المرتجاة وبغض الخلق عند الضرر ، والاتجاه إلى العمل الصالح ، وإعطاء السائل والكرم ، ووجوب التفرغ من هموم الدنيا .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في المجالس العشرة السابقة هي المحبة liking (من ص ١٦٧ -. ١٧٩) ، والنفس (ص ١٧٠ - ١٧٤) ، والعزلة (١٨٠ - ١٨٣) ، والكراهية (ص ١٩٠ - ١٩٢) ، وقيمة العمل (ص ١٩٣ - ١٩٧) ، والتوجيه والإرشاد النفسي (ص ١٦٧ - ٢٠٩) .

وفي المجالس الاثنى عشر الأخيرة ، عرض المؤلف لأهمية عدم الركون إلى الدنيا ، والنظر إلى الناس بعين الفناء ، وضرورة الاختبار والابتلاء ، والتفكر في الحشر ، والرضا

بقضاء اللّٰه تعالى وبقدره حلوه ومره ، ومراقبة اللّٰه ﷻ ، والخوف منه ، والصدق ، والإخلاص في العمل ، وعدم المداهنة ، وترك الإنسان ما لا يعنيه . وعرض لخواطر الإنسان ، فقد قال رسول اللّٰه ﷺ بعد كلام سأله سائل عن الخواطر : « **ما يدريك ما الخواطر ؟ خواطرك من الشيطان والطبع والهوى والدنيا ، همك ما أهمك ، خواطرك من جنس همك ، ما يعمل خاطر الحق ﷻ ، ولا يجيء إلا إلى قلب خالٍ عما سواه كما قال :** ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥ ﴾ [يوسف : ٧٩] » .

وأنهى المؤلف الكتاب بالمجلس الخاص بالتوحيد باللّٰه ﷻ ، فقد قال رسول اللّٰه ﷺ : « **وحد الحق ﷻ حتى لا يبقى في قلبك من جميع الخلق ذرة ، لا ترى دارًا ولا ديارًا ، التوحيد يقتل الكل ، كل الدواء في التوحيد للحق ﷻ وفي الإعراض عن حياة الدنيا** » .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في المجالس السابقة هي : العزلة (ص ٢١٣ - ٢٢٧) ، والتفكير (ص ٢٣٣ - ٢٤٠) ، والرضا النفسي (ص ٢٤١ - ٢٤٥) ، والمراقبة الذاتية (ص ٢٤٦ - ٢٥٠) ، وقيمة الصدق (ص ٢٥١ - ٢٥٣) ، وقيمة الإخلاص (ص ٢٥٤ ، ٢٥٥) ، وقيمة العمل (ص ٢٥٤ ، ٢٥٥) ، والتوجيه والإرشاد النفسي (ص ٢١٣ - ٢٨٥) .

* * *

السمعاني ، عبد الكريم (ت ٥٦٢هـ)
المذهب التربوي عند السمعاني [(١)]

عرض : د. جمعه سيد يوسف

التعريف بالمؤلف :

هو عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي ، وهو من حفاظ الحديث ومؤرخ ورحالة ، فقد كتب في التاريخ والأنساب والرواة ، وقد هاجر في طلب العلم والحديث ، فلاقى العلماء والمحدثين وحاورهم وانتفع منهم ونفعهم ، أما نسبته السمعاني فهي نسبة إلى سمعان ، وسمعان بطن من تميم ؛ إذ يقال له أيضًا التميمي نسبة إلى قبيلة تميم .

وقد ولد السمعاني عام (٥٠٦هـ) الموافق (١١١٣م) في مرو ، وتوفي بها عام (٥٦٢هـ) الموافق (١١٦٧م) .

ومن مؤلفات السمعاني :

١ - تاريخ مرو .

٢ - تذييل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .

٣ - تاريخ الوفاة للمتأخرين من الرواة .

٤ - كتاب الأنساب .

٥ - التحبير في المعجم الكبير .

---

(١) عبد الكريم السمعاني ؛ تحقيق شفيق محمد زيعور.ط. ٢ . بيروت : دار اقرأ ، ١٩٨٦م .

٦ - فرط الغرام إلى ساكني الشام .

٧ - تبيين معادن المعاني .

٨ - كتاب المالي .

عرض الكتاب :

يتضمن هذا المجلد كتابين ؛ يتمثل الأول منها : في المذهب التربوي عند السمعاني ، أما الثاني : فهو النص الكامل لكتاب أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ، ويقع الكتابان في ٢٢٦ صفحة من القطع المتوسط ، يحتل الأول منها ٥٣ صفحة ويحتل الثاني بقية المجلد . وفيما يلي سنقدم عرضًا موجزًا لهذين الكتابين :

الكتاب الأول : المذهب التربوي عند السمعاني :

يعد هذا الكتاب - كما أشرنا - تحليلًا لكتاب الإملاء والاستملاء للسمعاني ، ويقع في قسمين ، يتناول الأول منها : حياة ومؤلفات السمعاني ، والتي عرضنا لها عند التعريف بالمؤلف .

أما القسم الثاني فهو يتضمن عرضًا للمذهب التربوي عند السمعاني ؛ حيث يتناول شروط وآداب الأستاذ المحاضر ، والذي يطلق عليه السمعاني (المملي) ، أي الذي يعطى الأمالي وهي المحاضرات التي تملى على مستمعين يكتبون . فيعرض للآداب الشكلية والتي تتمثل في المظهر الخارجي للأستاذ وكيفية سيره إلى حلقة الدرس ، وجلوسه أمام مستمعيه ، وتقاليد افتتاح الجلسة ، ومقدمات الدرس ، ووصايا متعددة أثناء العمل .

حيث يشير إلى أنه يجب أن يبدأ الأستاذ باستنصات الناس ، وألا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع الحاضرين . ثم ينتقل إلى عرض قواعد التدريس والتي تمثل المنهج ، ومنها ضرورة الكتاب ؛ حيث يجب على المملي ألا يحدث إلا من كتابه فإن الحفظ خوان ؛ إذ لا نستطيع الاعتماد على الذاكرة إلا في حدود معينة والتي تقدر بحوالي مائة حديث .

ومن ذلك أيضًا ضرورة اللجوء إلى أكثر من كتاب واحد ، أي تنويع مصادر المعرفة ، وأفضلية العودة إلى الينابيع ، واستخدام الكتب والمصادر الموثوقة ، والتنبيه إلى قدرات الطلاب المتفاوتة على الاستيعاب ؛ حيث لا يجوز هنا إعطاء الجميع المقدار الواحد عينه ، ولا الجرعة عينها ، وتتصل هذه الإشارة الأخيرة بمفهوم رئيسي في علم النفس ، هو مفهوم الفروق الفردية Individual Differences (ص ٢٨) .

ومن قواعد التدريس أيضًا الاعتدال في الفترة التدريسية بغية تجنب الإملال والإضجار ؛ حيث يقول المؤلف : الإكثار مجلبة للملل ، والإطالة تولد الضجر . ويمكن أن يتصل هذا المعنى بمفهوم التدريب الموزع Distributed Trainin والتدريب المستمر أو المتصل Continual في موضوع التعلم ، أحد موضوعات علم النفس (ص ٢٩) .

ويتناول كذلك شروط وواجبات مساعد المملي ؛ ومنها : أن يكون جهور الصوت ، ومتيقظًا ومحصلًا ، ولا يكون بليدًا مغفلًا ، كما يجب أن يكون أفصح الحاضرين لسانًا ، وأوضحهم بيانًا وأحسنهم عبارةً ، وأجودهم أداءً ، ومن ثم فلا يؤدي هذا الدور إلا الحاذق الحريف لأنه دور الوسيط بين المملي والطلبة ، بين المعلم والمتعلمين .

ويتناول هذا الكتاب أيضًا آداب الطالب ؛ حيث يعرض لعدة قواعد عامة تختص بالسلوك الأمثل ، ومنها أن يتميز في عامة أموره عن العوام ، وأن يبكر في طلب العلم ليجلس في الصف الأول ، وأن يمشي الطالب على تؤدة من غير عجلة .

ثم يعرض لقواعد السلوك الطالبي عند الدخول على المدرس ؛ ومنها طلب الاستئذان وتقديم الأسن في الدخول أي الأكبر سنًا ، وخلع النعلين . وقواعد الجلوس في الحلقة ، ومنها عدم تقدم الطالب إلى الصفوف الأولى القريبة من الأستاذ إلا إذا استدناه إليه .

وسلوك الطالب إزاء المدرس ؛ حيث يفرض على الطالب أن يجلس في الحلقة الدراسية بشكل يظهر الإجلال والخشوع ، وإظهار أقصى ما يمكن من التقدير والطاعة للمعلم ، كما أن من مبادئ السلوك المثالي أن يكني الطالب أستاذه لا أن يسميه .

ويشير كذلك إلى المستحبات عند دخول الأستاذ ؛ ومنها النهوض ، ثم التوسيع له ، وإلى ضرورة توقير المجلس بالتزام الصمت أثناء الدرس .

وفي نهاية هذا الكتاب يعرض الكاتب لما يحتاج إليه في كتابة الإملاء ، وآلاتها، وكيفية الكتابة ، وهو ما يطلق عليه آدابية أدوات التعليم ، ومن ذلك استعمال الحبر والمحبرة ، والقلم والمقلمة ، والاستعمال الأمثل للخط ، حيث يجب على الطالب أن يبالغ في تحسين الخط وتجويده .

كما يشير إلى التعاون بين الطلاب وآداب إعارة الكتب ، ويوصي الطلاب بأن يعارضوا ما كتبوه ، فالمقارنة والمراجعة ، ومعارضة ما عند هذا بما هو عند ذاك ، طرائق تقرب كل واحد إلى الاتجاه الأصح .

وبعد أن عرضنا للتحليل الذي قام به المحقق لكتاب : أدب الإملاء والاستملاء ،

موضحًا المذهب التربوي عند مؤلفه وهو عبد الكريم السمعاني ، نلاحظ أن هذا التحليل ذو فائدة كبرى في مجال التعلم Learning في إطار علم النفس العام ، وكذلك في مجال علم النفس التعليمي أو التربوي Educational Psychology (ص ٢٢ : ٥٠) .

الكتاب الثاني : أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني :

يتضمن هذا الكتاب خمسة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول : آداب النفس في طلب العلم ومجالس التعلم :

يتناول هذا الفصل عددًا من الموضوعات المختلفة التي تدور حول آداب طلب العلم ، فيشير إلى ضرورة اقتران الأدب بطلب العلم ؛ حيث إن العلم بلا أدب كنار بلا حطب ، وأن الأدب بلا علم كروح بلا جسد ، ويتطرق المؤلف إلى علم الحديث ، مشيرًا إلى أنه أشرف العلوم بعد العلم بكتاب اللَّه ﷻ ؛ إذ الأحكام مبنية عليها ومستنبطة منها ، ويتحدث عن التحقيق في رواية الحديث من خلال الأستاذ ، فألفاظ رسول اللَّه ﷺ لا بد لها من النقل ، ولا تعرف صحتها إلا بالإسناد الصحيح ، والصحة في الإسناد لا تعرف إلا برواية الثقة عن الثقة . والعدل عن العدل ، مشيرًا إلى أهمية الإسناد في هذا الصدد ، وكذلك أهمية السماع في الحديث .

كما يتناول الإجازة في الحديث ، وإملاء المحدث وكتابة الحديث ، مشيرًا إلى أن النبي ﷺ أملى على علي بن أبي طالب ﷺ . وفي نهاية الفصل يتحدث عن الإملاء والكتابة ، ومجالس الإملاء ، ويذكر جماعة ممن حدثوا بالإملاء وعقدوا المجالس .

الفصل الثاني : في أدب المملي :

يتناول المؤلف في هذا الفصل من الجوانب التي تتصل بأدب المملي ، ومن ذلك أنه ينبغي على المحدث أن يصلح هيئته ، ويأخذ لرواية الحديث أهبته مستشهدًا بقول رسول اللَّه ﷺ : « **إن اللَّه جميل يحب الجمال ويحب أن تُرى نعمته على عبده ، ويبغض البؤس والتباؤس** » .

كما يستحب أن يكون المملي في حال الإملاء على أكمل هيئة وأفضل زينة ، ويتعاهد نفسه قبل ذلك بإصلاح أموره التي تجمله عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين .

ومن الجوانب التي يجب على المملي العناية بها ليحافظ على مظهره وهيئته ، نظافة الأسنان بالسواك ، وقص الأظافر ، والاعتناء بالشاربين ، وترتيب الشعر المشعث ، وارتداء الثياب البيض والعمامة ، وتسريح اللحية ، واستعمال الطيب ، والنظر في المرآة ،

والاقتصاد في المشي عند قصد المجلس ، والبدء بالسلام ، وأن يعم به كافة المسلمين حتى الصبيان غير البالغين ، وامتناع الجالس عن القيام للقادم .

ومن آداب المملي أيضًا ، يستحب له أن يصلي ركعتين قبل جلوسه ، وأن يجلس متربعًا متخشعًا ، ويستعمل لطيف الخطاب مع أصحابه ، ويحسن خلقه مع أصحابه وأهل حلقته ، كما ينبغي للمملى أن يعين لأصحابه يوم المجلس لئلا ينقطعوا عن أشغالهم ، وليستعدوا لإتيانه ويعد بعضهم بعضًا ، وإذا عين لهم اليوم ووعدهم بالإملاء فيه ، فلا ينبغي له إخلاف موعده إلى أن يقتطعه عن ذلك أمر يقوم عذره به : ويستشهد المؤلف على ذلك كله بأقوال وأفعال رسول اللّٰه ﷺ .

وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن عقد المجالس في المساجد وآدابه ، فيشير إلى أن المجالس في المساجد فعل مستحب ، ومن آداب الجلوس فيها الاتجاه نحو القبلة ، كما تجب طهارة البدن ونظافته العامة ، والاستناد إلى المكتوب لا إلى الذاكرة ؛ لأن الحفظ خوان ، والافتتاح بقراءة سورة من القرآن ، واستنصات الجالسين ؛ حيث ينبغي للعالم أن لا يعدو صوته مجلسه ، كما يجوز للمملى القعود على منبر أو موضع مرتفع ، وبخاصة إذا كثر عدد السامعين حتى يبدو للجماعة وجهه ويبلغهم صوته .

ويتناول المؤلف أيضًا في هذا الفصل ، شروط تقديم رواية الحديث وآدابها ، ومن ذلك الافتتاح بالتسمية ثم ذكر النبي ﷺ والصلاة عليه ، فإن اتباع ذكر اللّٰه بذكره ﷺ في تلك الحال أمر لازم . وينسب المملي شيخه حيث يقول : حدثنا فلان ، وينسب شيخه الذي يريد أن يروي عنه حتى يبلغ بنسبه منتهاه ، ويترحم كذلك على شيخه ، ولا يروي إلا عن الثقات فقط ، حيث يقول رسول اللّٰه ﷺ : « **هلاك أمتي في ثلاثة : في القدرية والعصبية والرواية من غير ثبت** » .

ومن هذه الآداب والشروط أيضًا ، استحباب رواية المشاهير ، والعدول عن الغرائب والمناكير حيث يقول مالك بن أنس : شر العلم الغريب ، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس .

كذلك لا يروي ما لا تحتمله عقول العوام ؛ حيث يقول مسعود : إن الرجل ليحدث بالحديث فيسمعه من لا يبلغ عقله فهم ذلك الحديث فيكون عليهم فتنة .

ويتضمن هذا الشرط إشارة إلى مراعاة القدرات العقلية ؛ كالفهم ، والتعلم ، وحدود هذه القدرات لدى المتلقين أو المتعلمين ، ويمكن أن يتصل هذا المعنى بمفهوم الفروق

الفردية في القدرات العقلية ، والذكاء ، والاستعداد لسرعة التعلم في علم النفس العام ، وعلم النفس التربوي Educational Psychology (ص ١٣٢ ، ١٣٣) .

ويشير المؤلف إلى أن من أنفع ما يلي الأحاديث الفقهية التي تفيد معرفة الأحكام الشرعية من العبادات ، وما يتعلق بحقوق المعاملات ، كما يستحب إملاء الأحاديث التي ترغب في فضائل الأعمال وتحث على الخير ، والذكر ، والزهد في الدنيا ، ويجب على المملي أن يفسر الكلام الغريب ويبين المعاني الغامضة ، ولا يجوز له أن يفسر إلا ما عرف معناه ، وأما ما لم يعرفه فيلزمه السكوت عنه . وإذا انتهى المملي في الإسناد إلى ذكر رسول الله ﷺ استحب له الصلاة عليه رافعًا صوته بذلك ، وهكذا يفعل في كل حديث عاد فيه ذكره .

ويستحب للراوي أن يقيم الحديث بعد روايته ، بمعنى أن يصفه بالصحة والثبوت وغير ذلك من الصفات والنعوت .

ويتناول المؤلف في نهاية هذا الفصل الجوانب المتعلقة باختتام المجالس ؛ ومنها تجنب إملال السامع ، واضجاره بطول الإملاء وإكثاره ، ويتصل هذا المعنى عن الملل والضجر بمفهوم التدريب الموزع ، والتدريب المتصل في موضوع التعلم في علم النفس (ص ١٤٣) .

واختتام المجالس بالحكايات والنوادر ؛ حيث يقول الإمام علي بن أبي طالب ﷺ : روحوا القلوب وابتغوا لها ظرف الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان .

وهذه الإشارة عن اختتام المجلس والملل تتصل بمفهوم الكف Inhibition ومفهوم التعب Fatigue النفسي والبدني ووسائل تبديدهما ص ١٤٥ : ١٤٧ ، ويتبع الحكايات بالأناشيد والأشعار ويختم بها المجلس ، وإذا ذكر كلمة فإلى أن يعيدها المستملي ويكتبها الطلبة يستغفر الله ﷺ كي لا يكون فارغًا ، ويستغفر الله تعالى عند انقضاء المجلس أيضًا كما كان يفعل رسول الله ﷺ .

وعلى المملي مراجعة المكتوب قبل الاختتام لإصلاح ما أفسد منه زيغ القلم وطغيانه ، وليتجنب التكرار والإعادة لما فيها من ثقل على النفس ، وربما يقصد المؤلف هنا التكرار غير المفيد في عملية التعلم ، والذي يأتي بعد تثبيت واستيعاب المتعلم للحقائق والمعلومات المراد تحصيلها ، بما يمكن أن يؤدي إلى الشعور بالملل منه ؛ حيث تذهب نتائج بحوث ودراسات التعلم Learning إلى أن التكرار Frequency يؤدي إلى مزيد من التعلم لدى الكائن (ص ١٥٧ : ١٥٩) (التكرار والتعلم) ، كما أن زيادة التكرار

كثيرًا بعد استقرار العلم ، يؤدي إلى الإضرار بعملية التعلم . وينبغي لمن أراد سماع الإملاء البكور خوفًا من فوات المجلس بتأخير الحضور ، وأن يتعذر عليه مع ذلك إعادته من قِبل شيخ لعل التمنع من عادته .

الفصل الثالث : وظيفة المستملي وأدبه :

يتناول هذا الفصل بيان وظيفة ومهام المستملي وأدبه ، ويقصد المؤلف بالمستملي - كما أشرنا - الشخص الذي يقوم بمساعدة المملي أو المحاضر ، وتتمثل وظيفته في إبلاغ الإملاء عن المملي إلى من بعد عن حلقة الدرس ، كما يقوم المستملي بالإشراف على الناس ، ويستحب له أن يجلس على موضع مرتفع مثل دكة أو كرسي ، فإن لم يجد استملى قائمًا ؛ لأن المقصود من الاستملاء أن يبلغ جميع الحاضرين .

وينبغي أن يكون المستملي جهوري الصوت ، متيقظًا محصلًا ، ولا يكون بليدًا مغفلًا . كما ينبغي أن يتخير للاستملاء أفصح الحاضرين لسانًا ، وأوضحهم بيانًا ، وأحسنهم عبارةً ، وأجودهم أداءً .

وإذا كثر الزحام فينبغي أن يوجد أكثر من مستملٍ واحد في المجلس حتى يبلغ بعضهم بعضًا .

وأول شيء يفعله المستملى أنه يستنصت الناس وهو في هذا مثل المملي ، ويكره منه أن يدعو للشيخ بطول البقاء ، ودوام العمر ، فإن السلف كرهوا ذلك ، وإن عرف اسم الشيخ وكنيته ونسبته ذكره للحاضرين .

وبعد أن يفرغ المستملي من المقدمة السابقة ، أقبل على المملي وقال : من حدثك رحمك اللَّه ، أو من ذكرت رضي اللَّه عنك ، فيقول المملي : أخبرنا أبو فلان فلان بن فلان ويروي الحديث ، ويذكر كلمة كلمة ويحاكيه المستملي ويرفع صوته بما يذكره ويمليه ، ويستحب للمستملي أن لا يخالف لفظ المملي في التبليغ عنه بل يلزمه ذلك ، وخاصة إذا كان الراوي من أهل الدراية والمعرفة بأحكام الرواية .

وإذا لم يسمع الكاتب حرفًا سأل المستملي عن ذلك حتى يسمعه ، أو شك في شيء راجعه حتى يستثبته فيجيبه ، فالصلة بين الكاتب والمستملي . ويستحب للمستملي إذا فرغ من الاستملاء أن يدعو للحاضرين ولمن كتب بالرحمة والمغفرة ، ويبدأ بالدعاء لنفسه ثم للحاضرين .

الفصل الرابع : في آداب الكاتب ؛ ومنها أنه ينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة

أموره عن طرائق العوام باستعمال آثار رسول اللَّه ﷺ ما أمكنه ، وتوظيف السنن على نفسه فإن اللَّه تعالى يقول : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] ومنها أيضًا البكور إلى مجالس الحديث ، والمشي على تؤدة من غير عجلة ، وتشمير الثياب لكي لا يعثر فيها ، وعدم التكلف في اللباس ، وتقديم الأكبر سنًّا عند الدخول على المملي لأن ذلك من السنة .

وإن قَدم الأكبر سنًّا من كان أعلم منه على نفسه جاز ذلك وكان مستحسنًا ، كما أنه إذا دخل الطالب على المملي فوجد عنده جماعة فيستحب أن يعمهم بالسلام ، وأن يخلع نعليه قبل دخوله عليه ، ويستحب أن يبتدئ بنزع اليسرى من نعله دون اليمنى ، وإذا خلعهما وضعهما عن يساره ، ويجلس حيث ينتهي به المجلس ، وإن كان المجلس غاصًّا بأهله لا يتخطى الرقاب إلا إذا استدناه المملي ، ويدنو منه بمقدار ما يدنيه ، كما أنه إذا أكرمه المملي بمخدة فلا يردها وليجلس عليها ، ويكره أن يقيم رجلًا من مجلسه ويجلس في مكانه ، أو أن يجلس في وسط الحلقة ، وكذلك في صدر المجلس ، ولا يجلس بين اثنين إلا بعد إذنهما (ص ٢١١) .

ويستحب لمن كان جالسًا في الحلقة أن يوسع للداخل ويتزحزح له عن مكانه ، كما يستحب لمن جلس بين اثنين إذا فسحا له وأكرماه بذلك ، أن يجمع نفسه ولا يتربع ، ويجلس الطالب جاثيًا على ركبتيه بين يدي الحديث ، ويبالغ في تعظيم المملي وتبجيله . كما أنه إذا خاطب الطالب المملي أو راجعه في شيء عظمه مثل أن يقول له : أيها الأستاذ ، أو أيها العالم ، أو أيها الحافظ ، ونحو ذلك ويكنيه في خطابه ولا يسميه ، ويجوز القيام له وتقبيل يده .

وعلى الطالب توقير مجلس المملي ، ولا ينام فيه ، وأن يحسن الاستماع والإصغاء بين الإملاء ويستقبل المملي بوجهه ويتواضع له ، ويداريه ويرفق به ويحتمله .

ويستشهد المؤلف على ذلك كله بأقوال وأفعال رسول اللَّه ﷺ وأصحابه .

ويورد المؤلف في نهاية الفصل آداب الكتابة ؛ حيث يشير إلى ما يحتاج فيه إلى كتابة الإملاء وآلاتها وكيفية الكتابة ، فيذكر أنه ينبغي للطالب أن يكتب الحديث بالسواد ، ثم بالحبر خاصة دون المداد ؛ لأن السواد أصبغ الألوان ، والحبر أبقاها على مرِّ الدهور والزمان ، وهو آلة ذوي العلم ، وعدة أهل المعرفة والفهم .

وإن حفظ ثوبه عن المداد وصانه عن السواد كان أولى .

الفصل الخامس : في أدوات النسخ وشروط الخط :

يتناول المؤلف في هذا الفصل جانبين من عملية الإملاء والكتابة ، يختص أحدهما بأدوات النسخ ويختص الآخر بشروط الخط ؛ حيث يعرض في القسم الأول ، للمحبرة ، والقلم ، والمقلمة والسكين ، والحبر ، ويرى أن هذه الأدوات من لوازم الكتابة في مجلس الإملاء وينبغي أن تكون جيدة الصناعة لكي تؤدي وظيفتها بفاعلية وكفاءة .

أما القسم الثاني : فيتناول شروط الخط ؛ ومنها : أن يبالغ الطالب في تحسين الخط وتجويده ، ويستحب أن يكتب خطًّا غليظًا ويجتنب الدقيق منه إلا في حال العذر كالفقر والسفر ، وأن يبدأ الإملاء بكتابة « بسم اللَّه الرحمن الرحيم » ثم يكتب بعد التسمية في السطر اسم الشيخ الذي يسمع منه الإملاء ، أو يكتب عنه وكنيته ونسبه ، ثم يتبع لفظ المملي ويكتب ما يمليه ، مع مراعاة ترك فاصل بين كل حديث وآخر للتمييز بينهما .

ويتناول المؤلف في الفصل موضوع إعارة الكتب ؛ حيث يشير إلى أنه إذا فرغ الطلاب من الكتابة يقرأ المستملي الإملاء ، وهم يعارضون كتابهم ، وإن فات لبعض الطلبة شيء من المجلس ، فيعيره بعض من حضر كتابه حتى ينسخه منه ، ويغتنم الثواب في ذلك ، وعلى المستعير أن يرده عاجلًا وألا يحبسه عنه لكي يعيره ولغيره بعد ذلك . وإذا أراد الطالب أن ينصرف قبل أهل المجلس سلم عليهم فإن ذلك من السنة .

* * *

السهروردي (ت ٥٦٣هـ)
آداب المريدين [(١)]

عرض : د. أسامة سعد أبو سريع

التعريف بالمؤلف :

هو عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه بن سعد السهروردي القرشي ، الصديقي ، البكري (أبو النجيب ضياء الدين السهروردي) ، وهو فقيه ، شافعي ، واعظ ، من أئمة المتصوفين ، ومحدث ومؤرخ ، وكان يدرس الحديث بالمدرسة النظامية ببغداد .

ولد سنة (٤٩٠هـ - ١٠٩٧م) بسهرورد ، وهي قرية من قرى إقليم الجبال في جنوب زنجان في الطريق إلى همزان ، ثم انتقل إلى بغداد واشتغل بتلقي العلم هناك ، ودرس فقه الإمام الشافعي بالمدرسة النظامية ببغداد ثم اشتغل بالتصوف ، وصحب إمامين من أئمة الصوفية ؛ وهما : الشيخ حماد الدباس ، والشيخ أحمد الغزالي ، واعتزل الناس فترة تفرغ فيها للعبادة ثم خرج من عزلته لوعظ الناس وإرشادهم - وبني له في بغداد رباط للصوفية على شاطئ دجلة سكنه أصحابه . وندب للتدريس في المدرسة النظامية ببغداد في علوم التفسير ، والحديث ، والفقه ، وأصول الحديث ، وولي المدرسة النظامية .

انتقل إلى دمشق لزيارة بيت المقدس ولكن لم تتيسر له الزيارة لانقطاع الهدنة بين المسلمين والفرنج ، فأقام مدة قصيرة في دمشق ، وهناك استقبله الملك العادل نور الدين الشهيد وأحسن ضيافته ، ثم عاد إلى بغداد وكانت له كرامات تكشف عن جلاء

---

(١) تأليف أبي النجيب ضياء الدين السهروردي ، تحقيق محمد فهيم شلتوت . القاهرة : دار الوطن العربي (د.ت) .

بصيرته وشدة تقواه .

ومن تصانيفه : شرح الأسماء الحسنى (غريب المصابيح) ، (طبقات الشافعية) ، و(آداب المريدين) الذي نعرض له في تلك الصفحات .

توفي في بغداد سنة (٥٦٣هـ - ١١٦٨م) ، ودفن برباطه على شاطئ دجلة ويقصد الناس قبره للزيارة

مصادر التعريف بالمؤلف :

١ - مقدمة الكتاب : آداب المريدين وكتبها المحقق فهيم محمد شلتوت .

٢ - خير الدين الزركلي ، الأعلام ، بيروت ، دار العلم للملايين ، المجلد الرابع ، ١٩٨٦م .

٣ - عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، بيروت ، مكتبة المثنى ، المجلد الخامس .

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ١٨٣ صفحة من القطع الصغير ، ويهدف إلى التعريف بالتراث الصوفي وطريقة معالجته لأمور العقيدة ، والآداب ، والسلوك ، وتوضح الأساس الذي يقوم عليه الفكر الصوفي وهو : مقارنة الشهوات وملذات الدنيا ، والتطلع إلى عالم روحاني عبر الزهد ، وجهاد النفس .

ويشير المحقق في المقدمة إلى أن أسلوب الكتاب يتميز بالسهولة كما يخلو من الإشارات والرموز الغامضة التي لا يقبلها العقل ، كما أن صاحبه من أعلام الصوفية ، جاء في أعقاب أبي القاسم القشيري ، وقد عالج قضايا مهمة في كتابه ؛ منها ما يتفق عليه أتباع المذهب الصوفي ، وسماح أهل الطريقة الصوفية ، وآراؤهم في علوم الشريعة ، ودعوتهم لتحصيل العلم ، وآدابهم في الصحبة ، والسفر ، وحال المرض والموت والابتلاء والرخص ومدى إباحتها .

ويستهل السهروردي كتابه ببيان أهمية العلم بعقائد أهل الصوفية وآدابهم واصطلاحاتهم ، وبدأ بذكر مذهبهم في أصل الاعتقاد ، فذكر أن الصوفية قد اجتمعوا على أن اللّه تعالى واحد لا شريك له وعلى جواز رؤية اللّه يوم القيامة ، وعلى الإيمان بكتاب اللّه وسنة رسوله ، ويرون الخلافة في قريش ويؤمنون بالكتب المنزلة ، وبالأنبياء وأنهم أفضل البشر ، وأن محمدًا سيد المرسلين وأفضل البشر ، ويأتي بعده أبو بكر ،

ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ثم العشرة المبشرون بالجنة ، وأباحوا الكسب والتجارة والصناعة باعتبارها تعاون على البر والتقوى ، وأجمعوا على أن الفقر من الغنى إذا كان مقرونًا بالرضا والصبر وشكر اللَّه على كل حال ، وأجمعوا على أن خصال العباد ليست سببًا للسعادة والشقاوة وأن السعادة والشقاوة مقدرة للمرء قبل ولادته ، ويرون الرضا بالقضاء ، والصبر على البلاء ، والشكر على النعماء ، وأن الخوف والرجاء يمنعان العبد من سوء الأدب ، وأن الحب في اللَّه والبغض في اللَّه من أوثق دلائل الإيمان ، وأجمعوا على إباحة لبس سائر أنواع الثياب إلا ما حرمته الشريعة ، ويفضلون المرقع منها لدلالتها على التواضع ، وأحب الألوان إلى أنفسهم الأبيض والأخضر ، وأجمعوا على استحباب تحسين الصوت بالقرآن دون إخلال بالمعنى ، وسماع ما كان من الشعر في المواعظ والحكم ، وأباحوا سماع الصوت الحسن والنغمة الطيبة ، ويبين السهروردي أن الناس يتعاونون في تعبيرهم عن الإعجاب والاندماج فيه فمنهم من يظهر الفرح ، والطرب وعلامته ثلاث ؛ وهي : الرقص ، والتصفيق ، والفرح ، أو الوجد وعلاماته الغيبة وقطع أعضاء الجسم كالأذن والصرخات ، أو الخوف وعلاماته البكاء ، واللطم ، والزفرات ، وأن من شروط مكان السماع أن يكون طيب الرائحة مع الالتزام بالوقار .

ومن المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الفصل الرضا Satisfaction (ص ٢١) ، والخوف Fear (ص ٢٥) والسعادة Happiness (ص ٢٤) ، والانفعالات Emotions خاصة الحب Liking (ص ٢٦) ، والقيم Values وسمات الشخصية Personality Traits ؛ ومنها : التواضع Modesty (ص ٢٧) والتفضيلات الجمالية Aesthetic Preferences فيما يتعلق بتفضيل اللونين الأبيض والأخضر (ص ٢٧) ، وإباحة سماع الصوت الحسن وردود الأفعال Reactions للسماع ومنها للنشوة Elation أو الحزن Sadness أو الخوف Fear والبيئة الفيزيقية الملائمة للسماع Physical Environment .

ويمضي السهروردي ليبين ما يجب العلم به من علوم الدين وأحكام الشريعة ، ثم يتعرض لاقاويلهم في التصوف فيوضح أن ظاهر مذهب الصوفية استعمال الأدب مع الخلق وفي رأيه أن التصوف كله أدب ، فلكل وقت أدب ولكل حال أدب ، ولكل مقام أدب ، ومن لزم الأدب بلغ مبلغ الرجال ، ويعرف أدب النفس : بأن تعرفها الخير وتحثها عليه وتعرفها الشر وتزجرها عنه ، ومن آداب أهل الدين يذكر : رياضة النفس ، وتأديب الجوارح ، وتهذيب الطباع ، وترك الشهوات ، واجتناب الشبهات ، والمسارعة في الخيرات ، ويبين أن العارفين يتفاضلون بالهمة وهي ما يبعث النفس على طلب المعالي .

ويفصل بعد ذلك خصالهم فيذكر منها : الحلم ، والوفاء ، والتواضع ، والنصيحة والإحسان ، والخدمة والكرم ، والمودة ؛ والتلطف ، والبشر، والعفو ، وتوقير الإخوان ، والوفاء والحياء .

ثم يقدم بعد ذلك فصلًا في المقامات وهي الحال التي يكون العبد عليها مع ربه ، وفصلًا تاليًا في معاملات القلوب وما يحل من الأذكار ، وفصلًا في ذكر اختلاف المسالك الموصلة للعبادة الصحيحة : ومنها لزوم العبادة ، أو رياضة النفس ، أو الخلوة والعزلة ، أو السياحة أو الخدمة وبذل الجاه للإخوان وإدخال السرور عليهم ، أو طريق العجز والانكسار ، أو طريق التعليم والمساءلة ومجالسة العلماء .

ومن المفاهيم النفسية هنا القيم Values وحسن الخلق Morals (ص ٣٩) ومراقبة الذات Self - Monitor وكبت الشهوات والرغبات Repression . والدافعية Motivation كما يتبين في الحرص على طلب المعالي (ص ٤٠) ، وهناك مفاهيم مرتبطة بسمات الشخصية Personality والتفاعل الاجتماعي مع الآخرين Social Interaction حيث يؤكد أهمية تقديم النصيحة Advice والخدمة Service والمساعدة Help والاحترام Respect والتقدير Recognition وإدخال السرور Pleasure على الإخوان ، أو الانسحاب Withdrawal إذا عجز الإنسان عن القيام بواجبات المخالطة (ص ٤٢ - ٤٦) .

وفي فصل آداب المحاورة يقدم الآداب الآتية :

١ - أن يقصد من الكلام النصح والإرشاد ونفع الكل .

٢ - كلام الناس على قدر عقولهم وعلى قدر السائل وعدم الحديث فيما لا يسأل فيه .

٣ - ألا يتكلم العبد أمام من هو أعلم منه ، وألا يتكلم في العلم قبل أوانه .

٤ - ألا يطلب الجاه والمنزلة بعلمه .

٥ - محاولة استعمال ما سمعه وتعلمه حتى يصير ذلك العلم حكمة في قلبه ولا ينساه .

وفي فصل الشطحات المحكية يفرق السهروردي بين العقل أو العلم وبين المعرفة ، فالعالم يقتدي به والعارف يهتدي به والعلم يتحدد في ضوء ما يشاهد خبرًا ، أما المعرفة فهي ما يشاهد حسًا ويغيب العقل إذا غاب الهوى ، والفرق بين العاقل والأحمق هو أن الأحمق يقبل المحال .

وفي فصل حال البداية والفصل الذي يليه يتعرض لمناهج تأديب النفس ، وتتلخص

في معرفة النفس ومجاهدتها ومنعها عن مألوفاتها ومخالفة أهوائها ، ودفعها عن شهواتها ، وإنهاكها بكثرة الأذى ، والأوراد ، والصوم ، والصلاة ، والسهر ، وتجويعها ، والندم على المخالفات ، والعزم على التوبة ، والاجتهاد في تبديل أخلاق النفس كالكبر ، والبخل والحرص ، والأمل ، والحيرة ، والحسد ، والرياء والمنازعة ، والغيبة ، وسوء الظن بأضدادها من الأخلاق الحميدة .

وتقترب أفكار هذا الفصل من بعض المفاهيم السيكولوجية هي التواصل اللفظي Verbal Communication والطلاقة اللفظية Verbal Fluency والقدرة على الإغراء Persuasion وشروط الرسالة Message الجيدة والتي يسهل فهمها عند التخاطب بين الأشخاص ومنها مراعاة طبيعة المتلقي Receiver وقدرته على الفهم Understanding (ص ٤٨ - ٥٠) .

ومن المفاهيم أيضًا ما يتصل بدور التدريب Training والممارسة Practice واستعمال المعلومات المكتسبة في تنشيط الذاكرة Memory وتسهيل الاستدعاء Recall (ص ٤٨ - ٥٠) .

وهناك أفكار أخرى تقترب من مفهوم العقل Mind والمعرفة والتفرقة بين الخبرة الإمبيريقية Empirical أو الواقعية والإحساس Sensation كوسائل للتعلم Learning وأهمية القدرة على الحكم Judgement في الكشف عن درجة الذكاء Intelligence فقد ذكر السهروردي أن الفرق بين العاقل والأحمق هو أن الأحمق يقبل المحال (ص ٥١) .

وهناك مفاهيم أخرى مرتبطة بالذات والضبط الذاتي والتنشئة الاجتماعية Socialization وسبل تربية النفس ؛ ومنها : الكبت Repression والدوافع الأولية Primary Drives والإنهاك بكثرة العبادة والحرمان Deprivation من الرغبات والإحساس بالذنب Guilt Feeling بالإضافة إلى التمسك ببعض القيم Values وسمات الشخصية ؛ مثل : التواضع والكرم وتجنب النزاع والصراع Conflict (ص ٥٢ - ٦٠) .

ومن آداب الصحبة بين الناس يذكر : حفظ الحرمات ، وحسن العشرة ، والنصيحة ، وترك مصاحبة من ليس في طبقتهم ، وملازمة الإيثار والمعاونة في الدنيا والدين ، والتأني في اختيار الصديق ، والصبر على الإيذاء عملًا بحديث رسول الله ﷺ : « **المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم وفي الكل خير** » كما يرغب الرسول في حسن المعاشرة كما يتبين من حديثه .. لا خير

فيمن لا يألف ولا يؤلف ..

ويضيف السهروردي أن من شروط الصحبة الموافقة في الاعتقاد وفي الدين ، ويوضح أن آداب الصحبة تعتمد على قدر المصاحب ، فالصحبة مع المشايخ والكبراء تقوم على الاحترام والخدمة والتوقير ، والصحبة مع الأقران بالبشر والانبساط والموافقة وبذل المعروف والإحسان ، ومع الأصاغر بالشفقة والإرشاد والتأديب والنصح بما ينفع ، والصحبة مع الأستاذ باتباع الأوامر والنواهي وخدمته وقبول قوله واحترامه ، والصحبة مع الخدم بالتلطف والدعاء ، ومع الغرباء بالبشر وطلاقة الوجه والصبر عليهم وخدمتهم ، ومع السلطان بالسمع والطاعة إلا في معصية والدعاء له .

ويدعو السهروردي إلى التأني في اختيار وتجنب أصدقاء السوء ؛ لأن المرء على دين خليله ، ويذكر أن هناك ثلاثة أصناف من الناس ، فمنهم صنف كالغذاء لا يستغنى عنه ، وصنف كالدواء يحتاج إليه بعض الأحيان ، وصنف كالداء ننفر منه في كل حين .

وتمر الصداقة بعدة مراحل تمضي على النحو التالي : معرفة ثم مودة ثم ألفة ثم عشرة ثم محبة ثم صحبة (وهي اتفاق البواطن) ثم أخوة . ومن آداب الصوفية إذا اجتمعوا أن يقدموا عليهم أحدًا ليكون مرجعًا لهم ، والشروط في هذا الشخص هي : رجاحة العقل ثم علو الهمة ثم علو الحال ثم العلم بالمذهب ثم كبر السن ثم حسن الخلق ثم قدم الهجرة ثم تمام الأدب ثم كونه أسبقهم بلقاء الشيخ ثم كونه أحسنهم خلقًا .

ومن المفاهيم النفسية الواردة هنا الصداقة Friendship والمهارات الاجتماعية Social Skills والتفاعل الاجتماعي Social Interaction والعلاقات بين الأشخاص Interpersonal Relations (ص ٦٢ – ٧٠) وشروطها مثل التشابه Similarity في المكانة أو المركز الاجتماعي Social Status والديانة Religion والمواءمة القيمية Value Congruence أي تشابه القيم والمعتقدات Beliefs and Values (ص ٦٤) بالإضافة إلى واجبات الصداقة ومنها الإيثار Altruism والتعاون Cooperation وتقديم النصيحة Advice والتوجيه Guidance والاحترام Respect وقد أشار السهروردي إلى تباين تلك الواجبات باختلاف طبيعة العلاقة الاجتماعية بين صديقين من نفس الجنس ، أو مع الشيخ الكبير إلى الصغير أو السلطان (ص ٦٤) .

ومن المفاهيم المتعلقة بموضوع الصداقة أيضًا مفهوم الفروق الفردية Individual Differences بين الأفراد ، وتباين الرغبة في عقد صداقة معهم تبعًا لذلك حيث أشار

السهروردي إلى أن بعض الأشخاص كالغذاء لا يمكن الاستغناء عنه ، وبعضهم كالدواء تحتاج إليه أحيانا ، والبعض الثالث كالداء يجب الاحترز منه . ومن المفاهيم السيكولوجية أيضًا ارتقاء الصداقة Development of Friendship أو النفاذ الاجتماعي Social Penetration والذي يكشف عن تقدم وتوطد الصداقة مع الوقت ، والتفاعل من التعارف السطحي Superficial Acquaintance وحتى الصداقة الحميمة Intimate Friendship (ص ٧٦) .

علاوة على مفاهيم متصلة بالقيادة Leadership أو الرئاسة Headship وشروطها الذكاء Intelligence والدافعية Motivation والخبرة Experience والعمر Age (ص ٧٧) .

ويتناول السهروردي بعد ذلك آدابهم في عدد من الأحوال والمعاملات . ففي الأسفار يبين الحالات التي يستحب فيها السفر ، وكيفية السير في السفر وما يستحب في اللباس ، ومن آدابهم عدم التكلفة أو المبالغة في الشراء ، والاقتصار على ما يستر العورة مع النظافة وتجنب لباس الشهرة وتفضيل ارتداء ثوب واحد .

ومن آداب الأكل يذكر : عدم الإسراف أو الشره والرضا بالطعام وتفضيل القليل النظيف الطيب على الكثير الرديء ، والأكل مما يعرف أصله والامتناع عن طعام الفاسقين ، ومن آداب الطعام أيضًا تصغير اللقمة وإجادة المضغ وتفضيل الاجتماع على الأكل ، وعدم الإمساك عن الطعام قبل الضيف ، ويكره انتظار الأكل وتضييع الوقت بالاشتغال بالطعام .

ومن آداب الضيافة يذكر : أن على المضيف ثلاثة واجبات ، وهي : إطعام الضيف بالحلال وحفظ أوقات الصلاة عليه ، وتقديم ما يقدر عليه من الطعام ، وعلى الضيف ثلاثة واجبات هي : أن يجلس حيث يجلس وأن يرضى بما يقدم إليه ، وألا يخرج إلا بعد الاستئذان .

ومن آداب النوم : تجنب النوم حتى الصباح ، وتجنب النوم بين جماعة متيقظين ، وعدم الإفراط في النوم للتقوية على القيام وفعل الطاعات ، ويستحب النوم وقت القيلولة للمعاونة على قيام الليل .

ثم يعود السهروردي لاستعراض آداب الاستماع على النحو الذي بيناه من قبل ، ومن آدابهم في التزويج يذكر : الرغبة في المرأة المتدينة ، وعلى الرجل كفاية حاجات البيت فإذا عجز أو طلبت الزوجة فوق الطاقة خيرها بين الوفاق في حدود المتاح

أو الطلاق ، وإذا لم يستطع الإنسان النكاح فعليه بالصوم والرياضة والجوع والسهر والسفر وبنصح بعدم المغالاة في المهور لتيسير الزواج .

ومن آداب السؤال يذكر : عدم الإلحاح في السؤال عند الضرورة والحاجة ، والأخذ بقدر الكفاية فقط ويكرهون السؤال لأنفسهم ويستحبونه للأصحاب ، ويشير إلى أن من يتعود السؤال يبتلى بالطمع والخيانة .

ومن آدابهم عند المرض : الصبر وطلب الدواء عملًا بحديث رسول الله ﷺ عن التداوي ؛ لأن اللّه لم يخلق داء إلا وخلق له الدواء . ومن آدابهم وقت الابتلاء الصبر وذلك لأن الابتلاء ترك الجزع والشكوى والعجز .

ومن المفاهيم الواردة في هذا الجزء التطبيع أو التنشئة الاجتماعية Socialization والتدريب Training على عادات Habits الأكل واللبس والسفر والضيافة (ص ٨٤ - ١٢٩) ، فمن آداب الأكل يذكر الرضا Satisfaction وتفضيل القليل النظيف على الكثير الرديء وإجادة المضغ وتفضيل الأكل في جماعة (ص ٩٣ - ٩٨) وفي فصل النوم يستثير الدافعية Motivation والنشاط (ص ١٠٠ - ١٠٢) وفي فصل الزواج يتعرض لطرق ضبط الدافع الجنسي ؛ ومنها : الصوم ، والرياضة ، والجوع ، أي الإنهاك Exhaustion عمومًا (ص ١١٣ - ١١٥) وفي فصل آداب السؤال (ص ١١٦ - ١١٨) تظهر مفاهيم طلب المساعدة Help وشروطه ومنها عدم الإلحاح وأن يكون لضرورة وأن يكون الأخذ بقدر الكفاية . وفي فصل الابتلاء (ص ١٢٥ - ١٢٩) تقترب أفكاره من مفهوم الاتزان الوجداني Emotional-Stability والقدرة على تحمل المشقة Stress وأحداث الحياة Life-Events وتجنب الشعور بالعجز Helplessness .

أما الفصل الأخير فيختص بذكر آدابهم في الرخص : والمبدأ الأساسي هنا هو حديث رسول اللّه ﷺ : « **إن اللّه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه** » ، وذكر السهروردي من تلك الرخص الاشتغال بالكسب لصاحب العيال أو الوالدين ، والمزاح الذي يخلو من الكذب والغيبة والسخف دون إكثار خاصة لذوي المكانة ، والمعانقة عند اللقاء لإثبات المودة ، وحب الرياسة مع ضرورة أن يعرف العبد مقدار نفسه فلا يرفعها فوق قدرها ولا يحطها ولا يطلب ما لا يناله ، وإظهار الطاعات والعبادات إذا كان الهدف أن يقتدي بها مقتدٍ دون رياء ، وتناول الأطعمة الطيبة ولكن ليس على سبيل العادة ولكن بين فاقة سابقة ورياضة لاحقة ، ومن الرخص : الهرب من الهوان ومن تحمل

الأذى والجفاء، واجتناب المعاداة، والانبساط إلى الأصدقاء وزيارتهم دون استدعاء إذا كانت الزيارة تسرهم، والمعاتبة للإخوان بهدف إزالة الخلاف وتطهير القلب من الغل والحقد، ومن آدابهم قبول العذر ومدح الممدوح وذم المذموم ومراعاة الصدق في الحالتين دون اتباع الهوى، ومن آدابهم البكاء عند المصيبة من غير نوح أو رفع صوت، ومنها أيضًا نهب النثار وهو ما يفرق في الأفراح والمناسبات السعيدة دون شره لإدخال السرور على صاحبه.

ومن المفاهيم هنا الاعتدال في العمل Work والمرح Fun خاصة لذوي المكانة الاجتماعية المرتفعة High Social Status حرصًا على احترام الآخرين لهم (ص ١٣٤ ، ١٣٥).

ومن المفاهيم أيضًا التعبير عن الحب Expression of Love (ص ١٣٦) وحب القيادة Leadership أو الرئاسة Headship (ص ١٣٦) واحترام الذات Self-Respect واعتدال في مستوى الطموح Level of Aspiration من خلال عدم التطلع إلى ما لا ينال (ص ١٣٦)، وكذلك أهمية التعليم بالعبرة Vicarious Learning أو التعليم بالمشاهدة Observational Learning (ص ١٣٧) وهو تعلم ناشئ من مشاهدة شخص آخر يسمى القدوة Model يصدر الاستجابة المرغوبة مما يغري الشخص الذي يجرى تعليمه بإصدار نفس الاستجابة المرغوبة، ومن المفاهيم السيكولوجية أيضًا تجنب النزاع والصراع Conflict والحث على التفاعل الاجتماعي Social Interaction والاتصال ومودة الأصدقاء Friends وفاعلية العتاب وشروطه كأسلوب لحل الصراع Conflict Resolution بين الأصدقاء (ص ١٤٠)، وأخيرًا تقترب أفكار هذا الجزء من الصدق Truth والموضوعية Objectivity وتجنب الذاتية Subjectivity في الحكم على الأمور من خلال حثه على مدح الممدوح وذم المذموم دون اتباع الهوى (ص ١٤١)، وكذلك التعبير المعتدل على الحزن عند المصيبة كوسيلة للتفريغ الانفعالي والتخفيف النفسي Psychological Relief لتفادي الاضطراب النفسي الناجم عن كبت الانفعالات (ص ١٤٤)، ثم مفهوم المشاركة الاجتماعية والمجاملة Courtesy في الأفراح والمناسبات السعيدة لإدخال السرور على الآخرين (ص ١٤٨ ، ١٤٩).

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس.

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس الاجتماعي.

* * *

ابن ظفر الصقلي ، أبو عبد الله (ت ٥٦٥هـ)
السلوانات في مسامرة الخلفاء والسادات [(١)]

عرض : د. إبراهيم شوقي عبد الحميد

التعريف بالمؤلف :

هو ابن ظفر الصقلي المنعوت بحجة الدين أحد الأدباء الفضلاء ، عاش في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ، وتوفي عام (٥٦٥هـ) .

عرض الكتاب :

- يندرج هذا الكتاب ضمن كتب سياسة المجتمعات .
- ألف هذا الكتاب على صورتين ، الأولى عام (٥٤٥هـ) ، والثانية عام (٥٥٤هـ) . وهو موجه من كاتبه إلى محمد بن أبي القاسم علي القرشي (القائد الصقلي) .
- طبع الكتاب بالقاهرة ١٢٧٨هـ ، وبتونس ١٢٧٩هـ ، وبيروت ١٣٠٠هـ ، وترجم إلى الإنجليزية ١٨٥١م في مجلدين ، وترجم أيضًا إلى اللغة التركية بواسطة قرة خليل زاده . وطبعت الترجمة في إستانبول ١٢٨٥هـ .
- يضم الكتاب خمس سلوانات تمثل خمسة أبواب ؛ هي :

١ - التفويض .

٢ - التأسي .

٣ - الصبر .

---

(١) حرره وراجعه وقدم له أبو نهلة أحمد بن عبد المجيد . (الرياض) : أسعد طرابزوني الحسيني ، ١٩٧٨م .

٤ - الرضا .

٥ - الزهد .

ويعرض لكل سلوانة بعض الأشعار والأخبار النبوية والحكايات الواقعية والخيالية ، والتي تخرج عن نطاق هدفنا من التقرير الحالي .

السلوانة الأولى : سلوانة التفويض :

ويقصد به التسليم لأحكام الله تعالى وأمره . ويبعث على التفويض الاعتقاد أن لا يكون من الخير والشر إلا ما أراد الله تعالى .

وأما ثمار التفويض فهي الوقاية ، قال تعالى : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴾ [غافر : ٤٥] ويتصل مفهوم التفويض بمفهوم فلسفي وهو القدرية Fatalism والحتمية Determinism (انظر ص ١٨ - ٢٣) .

ويشير في موضع آخر (٢٩ - ٣٠) أن التدبير يفسده ثلاثة أسباب ؛ هي :

١ - أن يكثر الشركاء فيه .

٢ - أن يكون الشركاء في التدبير متحاسدين متنافسين ، فيدخل الهوى والبغي فيفسد .

٣ - أن يملك التدبير من غاب عن الأمر المدبر دون من باشره وشاهده . يتصل ما ورد بشأن ذلك السلوك الجماعي Group Behavior ومناظرته بالسلوك الفردي Individual Behavior من حيث التعاون Cooperation والمنافسة Competition .

ويتحدث الكاتب عن الرأي Opinion في (صفحة ٣١ وما بعدها) ومما ذكره أن (الرأي مرآة العقل فمن أردت أن ترى صورة عقله فاستشره) ، وإن (كل رأي لم تتمحص فيه الفكرة ليلة كاملة فهو مولود لغير تمام) (انظر ص ٣٧ ، ٣٨) .

ويشير الكاتب في موضوع آخر (ص ٣٩) إلى أنواع الحب أو الرق وهو ما يتصل بمفهوم الوجدان Affection والخضوع Submission ، والتبعية Dependence .

وهذه الأنواع كالتالي :

١ - رق الاختراع (رق الله صانع الأشياء ومخترعها) .

٢ - رق الاصطناع (رق المنعم عليه للمنعم) .

٣ - رق الاتباع وهو نوعان :

(أ) رق الحب (وهو أقربها إلى رق الاختراع) .

(ب) ورق الرعية لراعيها ورق العبيد لساداتها .

ويذكر الكاتب في مواضع متفرقة ما يشير إلى دور الحالة الانفعالية (كشهوة أو غضب) في إفساد الرأي ، وهو ما يشير إلى دور الجوانب المزاجية والنفسية في التأثير على الرأي (انظر ص ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٥٥) .

وفي صفحة (٤٣) نجد إشارة إلى دور التخيل Imagination في التأثير على الرأي Opinion والتفكير Thinking حيث يذكر (من قوى فكره فهو سلطان الرأي غالب ، ومن ضعف فكره فهو سلطان الهوى غالب) .

السلوانة الثانية : سلوانة التأسي :

يعرض لآيات قرآنية تختص بالتأسي ، ثم يعرض نقدًا لمعنى التأسي عند الأئمة ، وهو أن تنظر إلى أسى غيرك ، أي حزنه ، وأنه مثل أساك - أي حزنك - فتصبر ، والأسى هو الحزن . ويذكر أن التأسي هو التطيب والتداوي بالصبر ، أسوت الجرح ، أي داويته . (انظر ص ٤٨) .

ويشير الكاتب في (ص ٥٩ ، ٦٠) إلى أن هناك صراعًا دائمًا بين العقل Mind والنفس Self فإذا سيطر العقل على النفس صلح حال الإنسان (أي يقترب من السواء Normality أما إذا سيطرت النفس على العقل ، كان سعيها فاسدًا وميولها مذمومة (أي يقترب من الشذوذ Abnormality) . ويلاحظ هذا التصور الدينامي للصراع النفسي Psycho Conflict وعدم التوافق الشخصي Personal maladjustment .

السلوانة الثالثة : سلوانة الصبر :

يعتبر الصبر ثمرة التأسي ، وهو يعنى الثبات والحبس والإمساك . والصبر يكون بالثبات على ما قد يتحلى به الإنسان من صفات طيبة ، كما يشير إلى أن من يتصف بأطيب الصفات ويفتقر إلى الصبر فهو كمن لم يتصف بها (انظر ص ٧٥) ويرتبط أحد معاني الصبر وهو الصبر على موقف أو رأي معين بمفهوم المثابرة Persistence في علم النفس .

وفي موضوع آخر (ص ٧٩) يشير مفهوم الشره حيث يذكر أن (الشره أعرق الخصائل في اللؤم ، فالحرص أبوه الذي يولده ، والبغي ابنه الذي يلده ، والطمع شقيقه والذل رفيقه) . كما يذكر أنه : (كان يقال من شره وقع فيما كره . وإن الشره شدة

ينتجها طبع ويهيجها طمع) .

السلوانة الرابعة : سلوانة الرضا :

يشير الكاتب في هذا الفصل إلى قول الرسول ﷺ : « **اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء** » ، أي أن الرضا لا يتحقق إلا بعد حصول القضاء (انظر ص ١٠١) .

وعن تعريف الرضا ، أورد الكاتب ما كتبه عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري ، وهذا نصه : « أما بعد فإن الخير كله في الرضا ، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر . اعلم – رحمك الله – أن الرضا هو إطراح الاقتراح على العالم بالإصلاح ، إذا كان القدر حقًّا ، كان سخطه حمقًا ، من رضي حظي ، ومن ترك الاقتراح أفلح واستراح ، كن بالرضا عاملًا قبل أن تكون معمولًا ، وسر إليه عادلًا وإلا صرت إليه معدولًا » (انظر ص ١٠٢) ويتصل هذا المفهوم (الرضا) Satisfaction بالتوافق النفسي Psychological Adjustment .

ويشير الكاتب (في صفحة ١١٨) إلى أن « أصل المؤدبين سعيًا من رام من المتأدب أن يعاونه على نفي طبعه عنه ، وكيف وطبعه أولى به وأقرب إليه ، ولآثر عنده من مؤدبه ، ولكن المؤدب الماهر من طالب المتأدب بستر المذموم من طباعه وتعميمه والتورية عنه » ، ويتصل هذا المعنى بأحد المفاهيم الأساسية في علم النفس الاجتماعي وهو التنشئة الاجتماعية Socialization وتعديل السلوك Behavior Modification .

السلوانة الخامسة : سلوانة الزهد :

ويعرض الكاتب لأشعار ، وخبر نبوي ، ومنثورات عن الزهد في الدنيا ومتاعها الفاني ، وهو ما يتصل بقمع الدوافع الفطرية الأولية Suppression of Innate Motives أو قمع الغرائز Suppression of Instincts .

* * *

ابن طفيل (ت ٥٧١هـ)
حي بن يقظان [1] : قصة تربوية فلسفية

عرض : د. شعبان جاب الله رضوان

التعريف بالمؤلف [2] :

ولد أبو بكر عبد الله بن طفيل في « قادس » من إقليم « غرناطة » ، درس الطب والرياضيات والتنجيم والفلسفة ، عمل حاجبًا لحاكم « غرناطة » ، ثم انتقل إلى « مراكش » في عهد دولة الموحدين وقدمه « ابن رشد » إلى الخليفة « أبي يعقوب يوسف » فأصبح وزيرًا وطبيبًا له . وتوفي بمراكش عام (٥٧١هـ) .

عرض الكتاب :

يبدأ المؤلف هذا الكتاب ببيان الباعث على تأليف الرسالة ، ورأيه في عدد من الفلاسفة ؛ وهم : ابن ماجه ، والفارابي ، وابن سينا ، والغزالي ، ثم يعرض لقصة حي بن يقظان ، فيشير إلى أن حي بن يقظان قد نشأ في جزيرة من جزائر الهند التي تقع تحت الاستواء ، وهي الجزيرة التي يتولد بها الإنسان من غير أم ولا أب ، وهي أعدل بقاع الأرض هواء ، وقد نما حي وتربى بين الظبية التي تكفلت به وألفها ، وشرب لبنها ، إلى أن تم الحولان ، كما كانت ترفق به وتطعمه وتحمله إلى مواضع فيها شجر مثمر ، وظل الطفل مع هذه الظباء على تلك الحال يحاكي نغمتها بصوته حتى لا يكاد يفرق بينهما ، وأكثر ما كانت محاكاته لأصوات الظباء في الاستصراخ والاستئلاف والاستدعاء

---

(١) تحقيق عبد الأمير شمس الدين . ط. ٢ : بيروت : دار اقرأ ، ١٩٨٦م (ص ١٠٠) .

(٢) تاريخ الفكر الفلسفي ، د. محمد علي أبو ريان ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، (١٩٨٠م) .

والاستدماغ ؛ إذ للحيوانات في هذه الأحوال المختلفة أصوات مختلفة .

ويتصل هذا المعنى بمفهوم المحاكاة أو التقليد Imitation ، ص ٨٨ ، ويندرج مفهوم المحاكاة تحت موضوع التعليم Learning في علم النفس العام .

وتميزت حياة حي بين الظبيان بالميل نحو التجربة ومعرفة ما يحيط به من أشياء ، والتفكير والنظر فيها ، فعندما ماتت الظبية نظر إلى جميع أعضائها الظاهرة فلم ير فيها آفة ظاهرة ، وعندئذ وقع في خاطره أن الآفة التي نزلت بها إنما هي في عضو غائب عن العيان ، مستكن في باطن الجسد ، وأن ذلك العضو لا يغنى عنه في فعله شيء من هذه الأعضاء الظاهرة فلما نزلت به الآفة عمت المضرة ، وطمع لو أنه عثر على ذلك العضو وأزال عنه ما نزل به لكي تعود الأفعال إلى ما كانت عليه .

وظل يفكر في موضع هذا العضو من الجسد حتى جزم الحكم أنه في الصدر ، فأجمع على البحث عنه لعله يظفر به ويزيل الآفة ، وعزم على شق صدر هذه الظبية وتفتيش ما فيه ، واتخذ من كسور الأحجار الصلدة آلة كالسكينة وشق بها ما بين أضلاعها ، فما زال يفتش في وسط الصدر حتى وجد القلب وهو مجلل بغشاء قوي ، فجرده ليبحث عن الآفة التي به ، وظل « حي » يتتبع ذلك كله بتشريح الحيوانات الأحياء والأموات ، ولم يزل يمعن النظر فيها ويجيد الفكرة حتى بلغ في ذلك كله مبلغ كبار الطبيعيين ، فتبين له أن كل حيوان ، وإن كان كثيرًا بأعضائه وتفنن حواسه وحركاته فإنه واحد بذلك الروح الذي مبدؤه من قرار واحد ، وانقسامه في سائر الأعضاء منبعث منه ، وأن جميع الأعضاء إنما هي من خادمة له أو مؤدية عنه ، فالروح الحيواني واحد ، وإذا عمل بآلة العين كان فعله إبصارًا ، وإذا عمل بآلة الأذن كان فعله سمعًا ، وإذا عمل بآلة الأنف كان فعله شمّا وإذا عمل بآلة اللسان كان فعله ذوقًا وإذا عمل بالجلد واللحم ، كان فعله لمسًا ، وإذا عمل بالعضد كان فعله حركة ، وإذا عمل بالكبد كان فعله غذاءً واغتذاءً ولكل واحد من هذه أعضاء تخدمه ، ولا يتم لشيء من هذه إلا بما يصل إليها من ذلك الروح ، عن الطريق التي تسمى عصبًا ، ومتى انقطعت تلك الطرق أو انسدت تعطل فعل ذلك العضو ، وهذه الأعصاب إنما تستمد الروح من بطون الدماغ ، والدماغ فيه أرواح كثيرة ، لأنه موضع تتوزع فيه أقسام كثيرة .

وتتصل هذه الإشارة عن الأعصاب والدماغ بفرع علم النفس الفسيولوجي (ص ٩٩) Physiological Psychology .

وقد بلغ « حي : من العمر في هذه المرحلة واحدًا وعشرين عامًا ، وقد اهتدى في هذه المدة إلى استعمال الآلات ، فاكتسى بجلود الحيوانات التي كان يشرحها واحتذى بها ، كما اهتدى إلى البناء وعدد كبير من الحيل والمهارات التي استطاع من خلالها أن يتكيف مع بيئته ؛ وذلك بفضل التأمل والتفكير والنظر ، والملاحظة لعناصر ومكونات هذه البيئة من حيوان ونبات وجماد وهواء وماء ونار وغيرها ، وأدرك أوجه الشبه والاختلاف بينها .

وقد خلص إلى أن حقيقة الروح الحيواني مركبة من معنى الجسمية ، ومعنى آخر زائد على الجسمية يعبر عنه بالنفس ، كما أنه علم أن السماء وما فيها من الكواكب أجسام ؛ لأنها ممتدة الأقطار الثلاثة : الطول والعرض والعمق ، لا ينفك شيء منها عن هذه الصفة ، وكل ما لا ينفك عن هذه الصفة فهو جسم فهي إذًا كلها أجسام ، وأن كل جسم متناهٍ ومحدود بحدود لا تنقطع عندها ولا يمكن أن يكون وراؤها شيء من الامتداد .

وبالإضافة إلى الملاحظات السابقة ، نظر حي إلى الشمس والقمر وسائر الكواكب فرآها تطلع من جهة المشرق وتغرب من جهة المغرب ، فتبين له أن الفلك على شكل الكرة ، وقوّى ذلك في اعتقاده ، ما رآه من رجوع الشمس والقمر وسائر الكواكب إلى المشرق بعد مغيبها بالمغرب ، وما رآه أيضًا من أنها تظهر لبصره على قدر واحد من العظم في حال طلوعها وتوسطها وغروبها ، وأنها لو كانت حركتها على غير شكل الكرة لكانت لا محالة في بعض الأوقات أقرب إلى بصره منها في وقت آخر ، ولو كانت كذلك لكانت مقاديرها وأعظامها تختلف عند بصره ، فيراها في حال القرب أعظم مما يراها في حال البعد لاختلاف أبعدها عن مركزه حينئذ بخلافها عن الأول ، فلما لم يكن شيء من ذلك ، تحقيق عنده كروية الشكل .

وأخذ يتساءل أيضًا عن العالم بجملته : هل هو حديث أم قديم ؟ وذلك لعدة سنين ، فتتعارض عنده الحجج ولا يتراجح عنده أحد الاعتقادين على الآخر ، ولكنه مع هذا التشكك في قدم العالم أو حدوثه ، صح له على الوجهين جميعًا وجود فاعل غير جسم ولا متصل ولا منفصل بجسم عنه ولا داخل فيه ولا خارج عنه ، حيث إن الاتصال والانفصال والدخول والخروج هي كلها من صفات الأجسام وهو منزه عنها ، وتفتقر الموجودات في وجودها إلى هذا الفاعل ، وإنه لا قيام لشيء منها إلا به فهو إذًا علة لها ، وهي معلولة له ، وهو ﷻ يتسم بصفات الكمال والجمال ولا سبيل إلى إدراج الموجود

الواجب الوجود (اللّه) إلا بشيء ليس بجسم وهو الذات ، فحقيقة الذات هي الشيء الذي يدرك الموجود المطلق الواجب الوجود وهذه الذات لا يمكن أن تبيد أو تفسد أو تضمحل .

ويشير ابن طفيل في هذا السياق إلى أن الذات الحقيقية التي تعرفت بهذا الموجود الواجب الوجود ، وعلمت ما هو عليه من الكمال والعظمة والقدرة ، وذلك قبل مفارقتها للبدن ، فإنها تبقى بعد مفارقة البدن في لذة لا نهاية لها ، وغبطة وسرور ، وأما من يعرض عن هذا ويتبع هواه حتى توافيه المنية وهو على ذلك الحال فيحرم المشاهدة ، وتبقى في عذاب طويل وآلام لا نهاية لها .

كما يشير ابن طفيل إلى أنه عندما تبين لحي بن يقظان أن كمال ذاته ولذتها إنما هو بمشاهدة ذلك الموجود الواجب الوجود على الدوام ، مشاهدة بالفعل أبدًا ، أخذ يتفكر كيف يتأتى له دوام هذه المشاهدة بالفعل ، فجعل يتصفح أنواع الحيوانات كلها وينظر أفعالها وما تسعى فيه ، لعله يتفطن في بعضها أنها شعرت بهذا الموجود وجعلت نحوه فيتعلم منها ما يكون سبب نجاته ، فرآها كلها إنما تسعى في تحصيل غذائها ومقتضى شهواتها من المطعوم والمشروب والمنكوح إلى حين مماتها ، فبات له بذلك أنها لم تشعر بذلك الموجود ، وعلم أن هذا الحكم على النبات أولى ؛ إذ ليس له من الإدراكات إلا بعض ما للحيوان . ولكنه رأى أن الأجسام السماوية تختلف عن ذلك ، فهي تعرف ذلك الموجود لواجب الوجود وتشاهده على الدوام بالفعل ؛ لأن العوائق التي قطعته عن دوام المشاهدة من العوارض المحسوسة لا يوجد مثلها للأجسام السماوية . ولما كان قد اعتبر أحوال الحيوان ، ولم ير فيها ما يظن بها أنها شعرت بالموجود الواجب الوجود ، وقد علم من ذاته أنها قد شعرت به ، قطع بذلك على أنه هو الحيوان المعتدل الروح ، الشبيه بالأجسام السماوية ، وتبين له أنه من نوع مباين لسائر الحيوان ، وإنه إنما خلق لغاية أخرى وأعد لأمر عظيم ، وأدرك حي من خلال هذا التفكر أنه بجزئه الأشرف الذي عرف به الموجود الواجب الوجود ، فيه شبه ما منه من حيث هو منزه عن صفات الأجسام ، كما أنه الواجب الوجود منزه عنها ، فرأى أنه يجب عليه أن يسعى في تحصيل صفاته لنفسه من أي وجه أمكن ، وأن يتخلق بأخلاقه ويقتدي بأفعاله ويجد في تنفيذ إرادته ، ويسلم الأمر له ، ويرضى بجميع حكمه ، رضًا من قلبه ظاهرًا وباطنًا ، بحيث يسر به وإن كان مؤلما لجسمه ، وضارًا به ومتلفًا لبدنه بالجملة .

وكذلك رأى أيضًا أن فيه شبهًا من سائر أنواع الحيوان بجزئه الخسيس الذي هو من

عالم الكون والفساد ، وهو البدن المظلم الكثيف الذي يطالبه بأنواع المحسوسات من المشروب والمنكوح ، كما رأى أن ذلك البدن لم يخلق عبثًا ولا قرن به لأمر باطل ، وأنه يجب عليه أن يتفقده ويصلح من شأنه ، وهذا التفقد لا يكون منه إلا بفعل يشبه أفعال سائر الحيوان ، فاتجهت عنده الأعمال التي يجب عليه أن يفعلها نحو ثلاثة أغراض :

١ - إما عمل يتشبه به بالحيوان غير الناطق .

٢ - وإما عمل يتشبه به بالأجسام السماوية .

٣ - وإما عمل يتشبه به بالموجود الواجب الوجود .

وكان حي قد وقف على أن سعادته وفوزه من الشقاء إنما هي في دوام المشاهدة لهذا الموجود الواجب الوجود ، حتى يكون بحيث لا يعرض عنه طرفة عين ، ثم إنه نظر في الوجه الذي يتأتى له به هذا الدوام ، فأخرج له النظر أنه يجب عليه الاعتماد في هذه الأقسام الثلاثة من التشبهات .

فالتشبه الأول : لا يحصل له به شيء من هذه المشاهدة ؛ لأنه يختص بالأمور الحسية ، وأما الثاني : فيحصل له به حظ عظيم من المشاهدة على الدوام ، لكنها مشاهدة يخالطها شوب ، وفيما يتعلق بالتشبه الثالث : فتحصل به المشاهدة الصرفة والاستغراق المحض الذي لا التفات فيه بوجه من الوجوه إلا إلى الموجود الواجب الوجود ، والذي يشاهد هذه المشاهد قد غلبت عنه ذات نفسه وفنيت وتلاشت وكذلك سائر الذوات ، كثيرة كانت أو قليلة ، إلا ذات الواحد الحق الواجب الوجود ، جل تعالى وعز .

ويشير ابن طفيل في هذا السياق إلى ما شاهده « حي بن يقظان » في مقام أولي الصدق ، فيذكر أنه بعد الاستغراق المحض والفناء التام وحقيقة الوصول ، شاهد الفلك الأعلى الذي لا جسم له ورأى ذاتًا بريئة عن المادة ، ليست هي ذات الواحد الحق ولا هي نفس الفلك ولا هي غيرهما ، كأنها صورة الشمس التي تظهر في مرآة من المرائي الصقيلة ، فإنها ليست هي الشمس ولا المرآة ولا هي غيرهما . ورأى لذات ذلك الفلك المفارقة من الكمال والبهاء والحسن ، ما يعظم من اللذة والسرور والغبطة والفرح بمشاهدة ذات الحق ﷻ .

وظل يشاهد لكل فلك ذاتًا مفارقة بريئة عن المادة ، ليست هي شيئًا من الذوات التي قبلها ولا غيرها ، وكأنها صورة الشمس التي تنعكس من مرآة على مرآة ، على رتب مرتبة بحسب ترتيب الأفلاك . وشاهد لكل ذات من هذه الذوات من الحسن والبهاء

واللذة والفرح ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، إلى أن انتهى إلى عالم الكون والفساد .

وهناك مشاهد أخرى يعرضها ابن طفيل في هذا السياق .

وظل « حي بن يقظان » يشتاق العودة إلى هذا المقام الكريم ، حتى وصل إليه بأيسر من المرة الأولى وكان دوامه فيها أطول ، ثم عاد إلى عالم الحس ، وتكلف الوصول إلى مقامه بعد ذلك فكان أيسر عليه من الأولى والثانية وكان دوامه أطول .

وظل على هذا النحو ، حتى صار بحيث يصل إليه متى شاء ، وحينئذ بلغ عمره خمسين عامًا ، وقد اتفقت له صحبة « أسال » الذي نشأ في جزيرة قريبة من تلك التي نشأ بها حي بن يقظان ، وقد انتقلت إليها ملة من الملل الصحيحة المأخوذة عن بعض الأنبياء المتقدمين صلوات اللّٰه عليهم ونشأ مع « أسال » فتى آخر يسمى « سلامان » وقد قَبلا تلك الملة أحسن قبول ، وأخذا على أنفسهما بالتزام جميع شرائعها والمواظبة على أعمالها ، واصطحبا على ذلك . ولكن « أسال » كان أشد غوصًا في الباطن وأطمع في التأويل وكان « سلامان » أكثر احتفاظا بالظاهر وأشد بُعدًا عن التأويل . وتعلق « أسال » بطلب العزلة ، وفضل « سلامان » ملازمة الجماعة ؛ حيث كانت ملازمة الجماعة عنده مما يدرأ الوسواس ويزيل الظنون المعترضة ، وكان اختلافهما في هذا الرأي سبب افتراقهما ، وجدير بالذكر أن هذه الإشارة إلى أن وجود الفرد في ظل جماعة يدرأ الوسواس ، تتصل بمفهوم الوسواس Obsession (ص ١٥٥) في علم النفس الإكلينيكي Clinical Psychology .

ويشير ابن طفيل بعد ذلك إلى أن « أسال » قد سمع عن الجزيرة التي نشأ بها « حي ابن يقظان » وما تتمتع به من خصب وهواء معتدل ، وأن الانفراد بها يتأتى لملتمسه ، فعزم أن ينتقل إليها ويعتزل الناس بها بقية عمره ، فودع صاحبه « سلامان » وركب متن البحر حتى وصل إلى تلك الجزيرة وبقي بها يعبد اللّٰه ﷻ حتى قابل « حي بن يقظان » فهرب منه خيفة أن يشغله عن العبادة ، لكن « حي بن يقظان » ظل يتبعه حتى قرب منه ، وسمعه يقرأ ويسبح بصوت وحروف منظمة لم يعهد مثلها من الذوات العارفة بالحق ، فتشوق إليه وأراد أن يرى ما عنده وما الذي أوجب بكاءه وتضرعه ، فدنا منه وظل يتقرب إليه حتى سكن جأش « أسال » وعلم أنه لا يريد به سوءًا ، فأخذ « أسال » يسائله عن شأنه ، وحي بن يقظان في ذلك كله يتعجب مما يسمع ولا يدري ما هو ،

غير أنه يظهر له البشر والقبول فاستغرب كل واحد من أمر صاحبه ، وشرع « أسال » يعلمه الكلام بأن يشير له إلى أعيان الموجودات وينطق بأسمائها ، ويكرر ذلك عليه ويحمله على النطق بها مقترنًا بالإشارة ، حتى علمه الأسماء كلها ، ودرجه قليلًا قليلًا حتى تكلم في أقرب مدة ، فجعل « أسال » يسأله عن شأنه ومن أين صار إلى تلك الجزيرة ، فأعلمه « حي بن يقظان » أنه لا يدري لنفسه ابتداءً ولا أبًا ولا أمًّا أكثر من الظبية التي ربته ، ووصف له شأنه كله وكيف ترقى بالمعرفة حتى انتهى إلى درجة الوصول .

وتجدر الإشارة إلى أن ما ذكره ابن طفيل حول كيفية تعلم « حي بن يقظان » للكلام بموضوع التعلم Learning (ص ١٥٧) في علم النفس العام .

وفي نهاية هذه القصة ، يشير ابن طفيل إلى أنه لا تعارض بين ما ورد في الشريعة من وصف العلم الإلهي ، والجنة والنار ، والبعث والنشور ، والحشر والحساب ، والميزان والصراط ، وبين ما شاهده « حي بن يقظان » في مقامه الكريم « أي بين حقائق الدين وحقائق المشاهدة .

* * *

ابن رشد ، أبو الوليد (ت ٥٩٥هـ)
فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة [١] والحكمة من الاتصال

عرض : د. معتز سيد عبد الله

التعريف بالمؤلف :

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد ولد في قرطبة (في الأندلس) (٥٢٠هـ - ١١٥٦م) في بيت اشتهر بالعلم والفقه : فكان جده من أشهر زمانه تضلعًا في الفقه ، وقد ولي منصب قاضي القضاة في الأندلس ، وكان والده قاضي قرطبة .

وقد درس ابن رشد العقيدة على الطريقة الأشعرية ، والفقه على المذهب المالكي ، ثم درس الطب والرياضيات والحكمة ، وفي عام (٥٤٧هـ/١١٥٣م) دعاه عبد المؤمن ، أول الملوك الموحدين ، إلى مراكش ليعاونه على إنشاء معاهد العلم هناك . ثم اتصل بأبناء زهر ، من مشاهر الأطباء ، ووضع ابن رشد كتابًا في الطب اسمه « الكليات » . وفي مراكش اتصل عن طريق ابن طفيل بالخليفة أبي يعقوب يوسف عبد المؤمن ، الذي كان ذا ثقافة واسعة ومحبًا للعلم وأهله ، وكان هذا الخليفة قد أظهر رغبة أمام ابن طفيل ، في أن تفسر كتب أرسطو وتلخص لدفع الشك الذي كان يحوم حولها . ولما كانا ابن طفيل متقدمًا في السن طلب من ابن رشد أن يقوم بهذه المهمة ، فأكب على دراسة أرسطو بكل جهد ، وكان له علم سابق بفلسفته .

وفي عام (٥٦٤هـ/١١٦٩م) عينه الخليفة قاضيًا في أشبيلية ، فلخص ابن رشد في هذه السنة « كتاب الحيوان » لأرسطو . وفي عام (٥٦٦هـ/١١٧١م) عينه أبو يعقوب

---

(١) قدم له وعلق عليه : ألبير نصري نادر ط. ٥ بيروت : دار المشرق ، ١٩٨٦م . (ص ٦٧) .

قاضيًا في قرطبة ، وبقي في هذا المنصب مدة تزيد على العشر سنوات ، شرح فيها كتاب « ما بعد الطبيعة » لأرسطو وعدة كتب أخرى . وفي عام (٥٧٧هـ/١١٨٢م) استدعاه الخليفة إلى مراكش وجعله طبيبه الخاص ، ثم عاد إلى قرطبة بوظيفة قاضي القضاة .

وبعد وفاة أبي يعقوب خلفه أبو يوسف الملقب بالمنصور (٥٧٩هـ/١١٨٤م) فلقي ابن رشد في بادئ الأمر ، ما لقي على يدي والده من حظوة وإكرام ، وأصبح في ذلك الزمان « سلطان العقول والأفكار » لا رأي إلا رأيه ولا قول إلا قوله ، الأمر الذي أثار حسد الفقهاء والملتزمين وحقدهم الذين رموه بالكفر والزندقة فتمكنوا من قلب الخليفة عليه ، وانتهى الأمر إلى نفيه إلى قرية تدعى اليسانة قرب قرطبة .

إن نقمة الخليفة على ابن رشد كانت إرضاء « لخصومه » ، وذلك أن هذه النقمة اقتصرت على النفي دون الإعدام . وبعدما عاد الخليفة إلى مراكش وتحرر من ضغط علماء الأندلس ، عفا عن ابن رشد ، واستقدمه إليه وأعاده إلى سالف نعمته ، وكأن هذه النكبة كانت قد أثرت تأثيرًا عميقًا في ابن رشد . فلم يعمر طويلًا بعد العفو عنه ؛ إذ توفي في مراكش عام (٥٩٥هـ/١١٩٨م) ، (أي بعد بضعة أشهر من العفو) ودفن في مدافن عائلته بقرطبة .

ويذكر ابن أبي أصيبعة أن مؤلفات ابن رشد بلغت خمسين كتابًا ، ولكن رينان يقول - معتمدًا على مخطوط محفوظ في خزانة السكوريال - : إنها تمثل ثمانية وسبعون كتابًا ورسالة ، المطبوع منها قليل ، ولا يزال القسم الأكبر منها مخطوطًا ، ومنها ما ضاع أصله العربي ، ولم يصل إلينا إلا في ترجمة عبرية أو لاتينية ، وتنقسم هذه المؤلفات إلى قسمين كبيرين :

١ - شروحات لكتب الأقدمين ، ولا سيما كتب أرسطو وأفلاطون والأفروديي ، وبعض كتب فلاسفة الإسلام ؛ مثل : الفارابي وابن سينا والغزالي ، وأهمها شرح ما بعد الطبيعة ، وشرح كتاب النفس ، وتلخيص كل من كتب الأخلاق ، وكتاب السماع الطبيعي ، وكتاب الكون والفساد ، والبرهان وكلها لأرسطو .

٢ - كتب من تأليفه ؛ ومنها : الكتاب الحالي « فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » ، كتاب « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والبدع المضلة » في علم الكلام و « تهافت التهافت » وهو نقض لكتاب الغزالي « تهافت الفلاسفة » .

مصدر الترجمة : كتاب فصل المقال لابن رشد ، ترجمة المحقق ألبير نصري نادر

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٦٧ صفحة من القطع المتوسط ، يدور مضمونها حول بعض القضايا والمسائل الخاصة والمنطق والشريعة . وينهي المحقق الكتاب بتقديم فهرس مفصل لموضوعات الكتاب .

وقد استهل ابن رشد كتابه بسؤال : هل الشرع يبيح البحث الفلسفي أو يأمر به أم يحظره ؟ ويجيب على هذا السؤال مستشهدًا بعدد من الآيات القرآنية التي تحث على البحث المنطقي ؛ مثل ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢] . وعلى هذا الأساس اعتبر ابن رشد البحث الفلسفي مشروعًا وواجبًا على أهل البرهان . ولما كان التفكير الفلسفي يقوم على المنطق ، وللمنطق أقسامه وقواعده ، كان علينا أن ندرسها أولًا حتى نحسن استخدام المنطق وأهم أقسام المنطق البرهان والقياس ، ولكل منها أنواع وشروط ولا يعتبر استخدام القياس العقلي (المنطق) بدعة . ومن الضروري على مستخدم القياس العقلي أن يبحث عن أنواعه وقواعده عند من سبقه في هذا المجال ؛ إذ يستحيل على شخص واحد أن ينشئ علمًا كاملًا بمفرده . وهذا واضح جلي من جميع العلوم . فهل يستطيع شخص واحد بمفرده أن ينشئ مثلًا علم الهندسة والفلك ويقدر المسافة بين القمر والأرض ؟ وعلينا أن نرجع إلى كتب من سبقنا ، وبحث في المنطق فما كان منها موافقًا للحق قبلناه منهم وسررنا به ، وشكرناهم عليه ، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه ، وحذرنا منها وعذرناهم .

ويلاحظ أن المنطق آلة يمكن أن نحسن استخدامها ، فيفيدنا حينئذ ، أو نسيء استخدامها فيضرنا ، تمامًا مثل من لا يحسن شرب الماء فيختنق به ، لا لأن الماء مميت في ذاته ، ولكن لسوء استخدام الإنسان له أصبح الماء مميتًا . ولكن هل يستطيع جميع الناس أن يستعملوا المنطق ؟ كلا ؛ إذ إن فطر الناس متفاوتة ، فمنهم من يصدق بالبرهان ، ومنهم من يصدق بالجدل ، ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية ؛ لذلك جاء الشرع ليرضي هذه الفئات الثلاث من الناس : فمنهم من يأخذ الشرع على ظاهره ، ومنهم من يحاول فهمه ، ومنهم من يبحث عن معناه الباطن . وواجب على هذه الفئة الثالثة ألا تأخذ الشرع على ظاهره لما لها من استعداد للنظر فيه ، كما وإنه واجب على الفئة الأولى أن تأخذ الشرع على ظاهره ؛ لأنها لا تستطيع خلاف ذلك ، غير أن الشرع

لا يجب أن يؤول كله ، كما وإنه لا يجب أن يؤخذ كله على ظاهره ، وأهم المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها الجزء السابق من الكتاب هي : التفكير Thought (ص ٢٨) والقياس Measurement وبوجه خاص القياس العقلي (ص ٢٨ - ٣٢) والإدراك الحسي Perception (ص ٣٢ ، ٣٣) . والمعرفة Knowledge (ص ٣٣ - ٣٥) ، والفروق الفردية Individual Differences (ص ٣٦) .

ولما كانت فطر الناس متباينة ، وجاء الشرع وفيه الظاهر والباطن ، فقد ثبت حق التأويل لأهل البرهان ، فكيف يقطع إذًا الغزالي بتكفير الفارابي وابن سينا في كتاب « التهافت » وفي ثلاث مسائل اجتهدوا فيها ، وهي قولهم بقدم العالم ، وبأن اللّٰه لا يعلم الجزئيات ، وتأويلهم مسألة حشر الأجساد وأحوال المعاد ؟ يلاحظ ابن رشد أن تكفير الغزالي للفارابي وابن سينا لم يكن قطعًا ؛ لأن الغزالي صرح في كتاب « التفرقة » أن التكفير بخرق الإجماع فيه احتمال وبعد أن أثبت ابن رشد حق الفلاسفة في التأويل ، قام باستعراض المسائل التي كفر بها الغزالي في كتاب « التهافت » ، وحلل كلًّا منها تحليلًا منطقيًّا ، وأهم المفاهيم السيكولوجية في هذا الجزء : العلم : (ص ٣٩ ، ٤٠) ، والفروق الفردية (ص ٤٦ ، ٤٧) .

وينتقل ابن رشد بعد ذلك إلى مقصود الشرع ، فيقول : إن هذا المقصود هو تعليم العلم والحق والعمل الحق ، أما العلم الحق فإنه ينحصر في معرفة الموجودات على حقيقتها ، ومعرفة السعادة الأخروية والشقاء الأخروي ، والعمل الحق هو عمل ما يفيد السعادة ويجنب ما يفيد الشقاء . والعمل ينقسم إلى أفعال ظاهرة ، هي موضوع الفقه ، وإلى أفعال نفسانية ؛ مثل : الشكر والصبر ، وهي موضوع الزهد . فيستعرض ابن رشد طرق التعليم ويردها إلى قسمين : التصور والتصديق . والتصديق يكون إما بالبرهان ، وإما بالجدل ، وإما بالخطابة ، والتصور إما أن يكون بتصور الشيء وإما مثاله . ولما كان الناس يختلفون بطباعهم ؛ لذلك جاء الشرع مشتملًا على جميع أنحاء طرق التعليم هذه ، حتى يجد كل واحد ما يلائم طبعه واستعداده .

ويلاحظ ابن رشد أن أكثر الناس يصدقون بالخطابة والجدل ، والقليل جدًّا منهم يصدقون بالبرهان ؛ لذلك جاء الشرع متفقًا مع الأغلبية ، أي أن في ظاهره ما يرضي هذه الفئة الغالبة في الناس . وهذا لا يعني أن الشرع يؤخذ كله على ظاهره ، بل على الخواص أن يؤولوه حتى يدركوا حقيقته التي تتناسب واستعدادهم .

ولما كان الناس على ثلاثة أصناف : خطابيين ، وجدليين ، وبرهانيين ، يجب أن يحفظ التأويل في نطاق رجال البرهان ، وفي مؤلفاتهم ، مخالفة أن يؤدي التصريح به لمن هو ليس أهلًا إلى الكفر . فالمصرح بالتأويل كافر لذلك . ويأسف ابن رشد لما صرحت به بعض الفرق الإسلامية ، من المعتزلة والأشاعرة ، من تأويلات وكان بعضها يكفر البعض الآخر ، حتى إنهم أوقعوا الناس في حيرة من أمر الشارع ، وكانوا سببًا في تمزيق المؤمنين إلى فرق ؛ وفي ختام هذا الكتاب يوجز ابن رشد ما جاء فيه وهو ليرجع إلى الكتاب العزيز (أعني القرآن) ، وألا يؤول منه إلا ما يحتاج إلى التأويل ، وألا يقوم بهذا التأويل إلا من هو أهل البرهان ، وأهم المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الجزء الأخير من الكتاب ؛ هي : العلم (ص ٤٩ ، ٥٠) والمعرفة Knowledge (ص ٤٩) والمنهج العلمي Scientific Method (ص ٥٠ - ٥٢) والإدراك الحسي Perception (ص ٥٢) ، والفروق الفردية Individual Differences (ص ٥٢ ، ٥٣) ، وبنية الجسم Constitution (ص ٥٤ ، ٥٥) والشك Suspiciousness (ص ٥٩ - ٦٢) .

* * *

تلخيص كتاب النفس [1]

عرض : د. طريف شوقي

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ١٨٧ صفحة من القطع المتوسط ، فيه يبين المؤلف أن كتاب النفس الذي بين أيدينا بعيد عن كتاب النفس لأرسطو ، حيث إن ابن رشد يحذف بعض الأجزاء ، ويأخذ عن المفسرين ويرجح بعضهم على بعضهم الآخر ، ويناقش آراء فلاسفة المسلمين ، ثم يعرض آخر الأمر رأيه الخاص .

يبدأ ابن رشد كتابه ببيان جوهر النفس من واقع كتابات أرسطو ولكنه يناقشها مناقشة نقدية ، ويقسم النفس إلى خمسة أقسام مرتبة زمنيًا من الأقدم إلى الأحدث حين يقول :

« وأولها في التقدم بالزمان ، وهو التقدم الهيولاني : النفس النباتية ثم الحساسة ثم المتخيلة ، ثم الناطقة ، ثم النزوعية » (ص ١٣) . ويعرف في الفقرات التالية كل منها على حدة على النحو التالي :

١ - القول في القوة الغاذية :

حيث يشرح طبيعة القوة الغاذية وكيف تتم عملية التغذية وأهدافها (الحفظ ، التعويض ، والنمو ، وتزويد الجسم بالطاقة) (ص ١٣ - ١٨) .

---

(١) الطبعة الأولى القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، (١٩٥٠م) .

٢ - القول في القوة الحساسة :

والنفس الحساسة تتكون من الحواس الخمس أقدمها اللمس وبعدها الذوق ، ثم الشم فالسمع والإبصار ، وهي لا توجد مجتمعة في كل الكائنات (٢٥ ، ٢٦) ، ويذكر أن المحسوسات تدرك على نحو مختلف عما هي عليه في الخارج وفي هذا إشارة إلى الفرق بين عملية الإحساس والإدراك perception ، وعن دور العوامل الذاتية في التأثير في عملية الإدراك ، يقول : « وأما قوة الحس فليس الأمر فيها كذلك ، فإنه ليس وجود اللون مثلًا في هذه القوة هو بعينه وجوده خارج النفس » (ص ٣٤) ، ويمضى قدمًا في شرحه للحواس الخمسة على نحو من التفصيل حيث يعرف كل حاسة على حدة ، وشروط عملية الإحساس التي تقوم بها والكيفية التي تحدث بها هذه العلمية (ص ٢٩ - ٤٥) .

٣ - القول في التخيل :

يوضح الفرق بين التخيل والقوى الحساسة بقوله : « أما إن هذه القوى مغايرة للقوة الحسية فذلك يظهر عن قريب ؛ ذلك لأنهما وإن اتفقا في أنهما يدركان المحسوس ، فهما يختلفان في أن هذه القوة ، تحكم على المحسوسات بعد غيبتها » (ص ٥٩) ويمكننا أن نركب بهذه القوة أمور لم تحس بعد ، وفيما يتصل بالمحرك لقوة التخيل يقول :

« فالمحسوسات تحرك الحس المشترك ، والآثار الحاصلة عنها في الحس المشترك تحرك هذه القوة ، أعني قوة التخيل » (ص ٦٤) .

٤ - القول في النفس الناطقة :

يعرفها بأنها : « قوة يدرك بها الإنسان المعاني المجردة من الهيولي ، ويركب بعضها إلى بعض ، ويستنبط بعضها من بعض ، حتى يلتئم عن ذلك صنائع كثيرة هي نافعة في وجودي وهذه المعقولات العملية ، إنما تحصل بالتجربة ، والتجربة إنما تكون بالإحساس أولًا ، والتخيل ثانيًا (ص ٦٨ - ٦٩) ويشير إلى مفهوم التجريد Abstraction بقوله :

« وذلك أن التصور بالعقل إنما هو تجريد الصور من الهيولي (ص ٧٦) ، ويفرد جزءًا من هذا الكتاب للحديث عن عملية تحصيل المدركات والمعارف ويطرح بعض التصورات عن التعلم Learning يدحض فيها رأي أفلاطون القائل بأن التعليم تذكر » (ص ٧٧ - ٨٧) .

ويرى أن القوة الناطقة تنقسم إلى قسمين : العقل العملي ، والعقل النظري .

٥ - القول في القوة النزوعية :

وتتقدمها كل من القوة الحاسة ، والمتخيلة ، والناطقة ، فليس يمكن أن تنزع دون

التخيل والحس ، بل قد توجد القوة الناطقة أيضًا متقدمة لها في المعارف النظرية ؛ وذلك أنه لا بد أنه قد ننزع (نسلك) عن التصور الذي يكون بالعقل ، وقد ننزع أيضًا عن الصور المتخيلة بالفكر والرؤية ، وذلك من الأمور العقلية (ص ٩٦) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام .

* * *

رسالة الاتصال [1]

عرض : د. طريف شوقي

عرض المقالة :

يناقش ابن رشد هذه المسألة ويشير إلى أنه يمكن بيانها بثلاثة طرق ، أولها الذي بينه الإسكندر في مقالة في العقل حيث شبه الأمر في العقل بالأمر في الحس . فكما أن في الحس ثلاثة أشياء : قوة قابلة وهي القوة الحاسة (يقابلها العقل الهيولاني) ، وشيء آخر يحصل في هذه القوة ، وهو نظير المعنى الذي يحصل في القوة الحسية من الشيء المحسوس ، وهذا هو العقل النظري وهو العقل الذي بالملكة (ص ١٢٠) . وشيء ثالث خارج النفس بالفعل وهو الذي يتنزل من هذا الإدراك العقلي منزلة المحسوس من الإدراك الحسي ، حتى يكون ذلك الإدراك الذي للعقل الهيولاني إنما هو لذلك العقل الذي هو نظير المحسوس (ص ١٢٠) . وهذا الشيء خارج النفس الذي ينظر إليه العقل الهيولاني هو العقل الفعال (ص ١٢١) .

ويلاحظ أن الكتاب يميز بوضوح بين الإحساس Sensation والإدراك Perception (الذي ينطوي على إضفاء معنى على المحسوس) ، والطريق الثاني يعتمد على ما ورد في كتاب النفس ؛ حيث أشار إلى وجود ثلاثة عقول : عقل بالقوة ، وعقل بالملكة ، وعقل فعال وهو الذي يتصل بالإنسان وهو الذي يعقل المعقولات . والطريق الثالث وهو مأخوذ من القوة والفعل (ص ١٢١ ، ١٢٢) .

---

(١) الطبعة الأولى القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠م (ص ١٨٧) .

ابن الصائغ ، أبو بكر (ت ٥٩٧هـ)
رسالة الاتصال [١]

عرض : د. طريف شوقي

التعريف بالمؤلف :

هو أبو الفتح أحمد بن أبي الوفاء بن عبد الرحمن بن عبد الصمد البغدادي ، الحنبلي ، الإمام المفتي ، عرف بغلام أبي الخطاب ؛ لأنه خدمه ، واشتغل عليه ، ولد (٤٩٠هـ) ، وتوفي (٥٩٧هـ) .

عرض الرسالة :

يبدأ ابن الصائغ رسالته بتعريف مفهوم الواحد ، وكيف أن فقدان الواحد لبعض خصائصه لا ينفي عنه أنه واحد « كما أنه حين تُقطع يد إنسان أو رجلاه ، أو انُتزعت عيناه ، وبالجملة فانتُزعت جميع أعضائه التي ليس بها قوام الحياة ، قيل : إنه واحد بعينه (ص ١٠٤) ، ويشير إلى استحالة القول بالتناسخ ، وإلى حالات الإنسان أو مراحل ارتقائه Stages of Development بقوله : « حين يكون في الرحم ، وحين يكون وليدًا ، ثم حين يحدث له القوة الفكرية إنما حصلت المعقولات ، فبحصول المعقولات تحدث الشهوة المحركة إلى الفكر ، وما يكون عنه » (ص ١٠٦) ، وهذا التصور مما يدخل في مبحث مراحل الارتقاء النفسي في مجال علم النفس الارتقائي Developmental Psychology . وينوه إلى أن العقل هو المحرك الأول الإنساني ، ثم يشرح كيفية اتصال (تحصيل) الإنسان بالمعقولات « فالجمهور ومن يشاركهم إنما يشعرون بالصور الروحانية (المعقولات) من أجل أنها إدراكات لموضوعات هي أجسام محسوسة إلا من حيث لها هذا الوجود » (ص ١١١) ، ويعتقد أن الناس تقع في مراتب ثلاث في تحصيلها لتلك المعقولات .

---

(١) نشرت هذه الرسالة كملحق رقم (١) لكتاب النفس لابن رشد .

أبو الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) [١]
صيد الخاطر

عرض : د. الحسين محمد عبد المنعم

التعريف بالمؤلف :

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي ، التميمي ، البكري ، البغدادي ، الفقيه الحنبلي ، الحافظ ، المفسر ، الواعظ ، المؤرخ ، الأديب المعروف بابن الجوزي ، ولد ببغداد ، سنة ثمانٍ أو عشر وخمسمائة . حرم نعمة ورعاية أبيه ، لكنه نعم في حنان أمه وعمه ، كانت عائلته إلى جانب من الثراء . كان لا يخالط أحدًا ، ولا يأكل ما فيه شبه ، ولا يخرج من بيته إلا للجمعة ، وكان يلعب مع الصبيان ، اعتنى به خاله وأسمعه الحديث ، وحفظ القرآن الكريم على جماعة من أئمة القراء ، وسمع بنفسه الكثير وعني بالكتب ، واتصف بالطموح وسعة الاطلاع ، فترجم لشيوخه في كتابه « مشيخة ابن الجوزي » وعددهم ست وثمانون شيخًا وثلاث نسوة .

له العديد من المؤلفات ؛ منها : الأذكياء وأخبارهم ، وروح الأرواح ، والمدهش ، وشذوذ العقود في تاريخ العهود ، وصولة العقل على الهوى ، وهو في الأخلاق ، والناسخ والمنسوخ في الحديث ، وتلبيس إبليس ، وفنون الأفنان في علوم القرآن ، وعجائب البدائع ، ومناقب عمر بن الخطاب ، ومناقب أحمد بن حنبل ، وغريب الحديث ، والمقتبس ، وبر الوالدين . توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، ودفن بباب حرب بالقرب من مدفن أحمد بن حنبل ، وترك من الأولاد ثلاثة ذكور وثلاث إناث .

---

(١) بيروت : دار الكتب العلمية ، (د.ت) (ص ٤٩٥) .

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٤٩٥ صفحة من القطع المتوسط شاملة ترجمة المؤلف ، والفهرس ويحتوي الكتاب على ٣٦٢ فكرة خطرت في فكر ابن الجوزي ؛ حيث أراد حفظ ما يخطر لكيلا ينسى وسنعرض لهذه الأفكار بترتيب ورودها في الكتاب « صيد الخاطر » .

قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة ، فإذا انفصل عن مجلس الذكر عادت القسوة والغفلة ، وهذه حالة تعم الخلق ، إلا أن أرباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الأثر .

جواذب الطبع إلى الدنيا كثيرة ، ثم هي من داخل ، وذكر الآخرة أمر خارج عن الطبع ، ثم هي غيب .

من عاين بعين بصيرته تناهي الأمور في بداياتها فقد نال خيرها ، ونجا من شرها ، من تفكر في عواقب الدنيا ، أخذ الحذر ، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر . من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة . ومن ادعى الصبر وكل إلى نفسه . ورب نظرة لم تناظر ، وأحق الأشياء بالضبط اللسان والعين . ويرتبط الحديث هنا بمفهوم ضبط النفس في علم النفس الاجتماعي (ص ١٤) .

أعظم المعاقبة أن لا يحس المعاقب بالعقوبة ، وأشد من ذلك أن يقع السرور بما هو عقوبة ، كالفرح بالمال الحرام ، والتمكن من الذنوب .

من علامة كمال العقل علو الهمة ! والراضي بالدون دنيء !!

سبحان من سبقت محبته لأحبابه فمدحهم على ما وهب لهم ، واشترى منهم ما أعطاهم ، وقدم المتأخر من أوصافهم ، لموضع إيثارهم ، فباهى بهم في صومهم ، وأحب خلوف أفواههم .

الواجب على العاقل أخذ العدة لرحيله ، فإنه لا يعلم متى يفجؤه أمر ربه ، ولا يدري متى يستدعى ؟

يقول ابن الجوزي : رأيت كثيرًا من الناس وجودهم كالعدم ، لا يتصفحون أدلة الوحدانية ، ولا ينظرون في أوامر اللّه تعالى ونواهيه ، بل يجرون - على عاداتهم - كالبهائم .

تأملت التحاسد بين العلماء ، فرأيت منشأه من حب الدنيا ، فإن علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون ، والأمر الفارق بين الفئتين : أن علماء الدنيا ، ينظرون إلى

الرياسة ويحبون كثرة الجمع والثناء ، وعلماء الآخرة بمعزل من إيثار ذلك . ويرتبط هذا الحديث بمفهوم القيم الدينية والقيم المادية (ص ١٧) .

مَن أحب تصفية الأحوال ، فالاجتهاد في تصفية الأعمال ، قال ﷻ : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ [الجن : ١٦] .

تفكرت يوما في التكليف ، فرأيته ينقسم إلى سهل وصعب ، فأما السهل ، فهو من أعمال الجوارح ؛ كالوضوء ، والصلاة ، والصوم ، والزكاة ، وأما الصعب فمنه النظر والاستدلال الموصلان إلى معرفة الخالق وغلبة الهوى وقهر النفوس . ويرتبط الحديث هنا بسيكولوجية التفكير (ص ١٩) وضبط النفس (ص ٩) .

ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه ، وقدر وقته ، فلا يضيع منه لحظة في غير قربه . رأيت من أعظم حيل الشيطان ومكره ، أن يحيط أرباب الأموال بالآمال والتشاغل بالذات القاطعة عن الآخرة وأعمالها . والواجب على العاقل أن يحفظ ما معه ، وأن يجتهد في الكسب ليربح مدارة ظالم أو مداهنة جاهل (ص ٢١ ، ٢٢) .

تأملت أحوال الفضلاء فوجدتهم - في الأغلب - قد نجوا من حظوظ الدنيا ، ورأيت الدنيا - غالبًا - في أيدي أهل النقائص ؛ فنظرت في الفضلاء ، فإذا هم يتأسفون على ما فاتهم مما ناله أولو النقائص ، وأوضحت لهم خطأهم . ويرتبط الحديث هنا بالقيم الدينية ، وتأثيره في سلوك الأفراد الذي يتسم بضبط النفس عن الشهوات ، وبالقيم المادية وتأثيره في سلوك الأفراد الذي يتسم بالإقبال على ملذات الدنيا وشهواتها (ص ٢٣) .

تأملت إقدام العلماء على شهوات النفس المنهي عنها ، فرأيتها مرتبة تزاحم الكفر ، لولا تلوح معنى : هو أن الناس عند مواقعة المحظور ينقسمون ، فمنهم جاهل بالمحظور ، ومنهم من يظن المحظور مكروهًا لا محرمًا ، ومنهم من يتأول فيغلط ، ومنهم من يعلم التحريم ، ومنهم من يعلم الحظر ويذكره . ويرتبط الحديث بمفهوم الدوافع ، والشهوات ، والأهواء ، وتأثيرها في تعطيل التفكير (ص ٢٤) .

من تأمل أفعال الباري سبحانه ، رآها على قانون العدل ، وشاهد الجزاء مرصدًا ، ولو بعد حين فلا ينبغي أن يغتر مسامح فالجزاء قد يتأخر .

تأمل ابن الجوزي أحوال الصوفية والزهاد ، فوجد أكثرها منحرفًا عن الشريعة بين جهل بالشرع ، وابتداع بالرأي ، ودلل على ذلك بمواقف كثيرة .

النفس تخرج بعد الموت إلى نعيم أو عذاب ، وأنها تجد ذلك يوم القيامة ، فإذا كانت القيامة ، أعيدت إلى الجسد ليتكامل لها التنعيم بالوسائط وقوله : في حواصل طير خضر - دليل على أن النفوس لا تنال اللذة إلا بواسطة ، وهي لذة المطعم والمشرب ، أما لذة المعارف والعلوم فيجوز أن تنالها بذاتها ، مع عدم الوسائط .

يشقى أصحاب العقول باستقصائهم لكل فنون المعرفة ، ويقول ابن الجوزي : الزمان لا يسع ، والعمر أضيق ، والشوق أقوى ، والعجز يظهر فيبقى وقوف بعض المطلوبات حسرات .

تأملت أمر الدنيا والآخرة ، فوجدت حوادث الدنيا حسية طبيعية ، وحوادث الآخرة إيمانية يقينية ، والحسيات أقوى جذبًا لمن لم يقو علمه ويقينه . ويرتبط الحديث هنا بوجود مكونين أو جانبين في شخصية الإنسان ، المكون المادي وهو يميل إلى الملذات الحسية ، والمكون الروحي وهو يميل إلى الملذات الروحية ، والفكرية ، والعلمية (ص ٤٠) .

تأملت حرص النفس على ما منعت منه ، فرأيت حرصها يزيد على قدرة قوة المنع . ويرتبط الحديث هنا بالدافعية ، وبتأثر المنع والحرمان في تقوية الدافع (ص ٤٠ - ٤١) .

ينبغي أن تكون العزلة عن الشر لا عن الخير ، والعزلة عن الشر واجبة على كل حال ، وأما تعليم الطالبين ، وهداية المريدين ، فإنه عبادة للعالم .

تأملت المراد من الخلق فإذا هو الذل ، واعتقاد التقصير والعجز .

تأملت قوله تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤] فإذا النفس تأبى إثبات محبة للخالق ، وتوجب قلقًا وقالت : إن محبته طاعته ، فتدبرت ذلك فإذا بها قد جهلت ذلك لغلبة الحس .

أن اللّٰه ﷻ قد بنى الأجسام متقنة على قانون الحكمة ، فدل بذلك المصنوع على كمال قدرته ، ولطف حكمته .

تأملت في فوائد النكاح ومعانيه وموضوعه ، فرأيت أن الأصل الأكبر في وصفه وجود النسل وجعلت الشهوة تحث عليه ليحصل المقصود . ويرتبط الحديث هنا بسيكولوجية الجنس والدوافع في علم النفس العام (ص ٤٦) .

المعصية بعد المعصية عقاب المعصية ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة .

نظرت في الأدلة على الحق ﷻ ، فوجدتها أكثر من الرمل ورأيت من أعجبها أن الإنسان قد يخفي مالا يرضاه اللّٰه ﷻ ، فيظهره اللّٰه سبحانه عليه ولو بعد حين ، وينطق

الألسنة به وإن لم يشاهده الناس .

تأملت الأرض ومن عليها بعين فكري ، فرأيت خرابها أكثر من عمرانها ، ثم نظرت في المعمور منها ، فوجدت الكفار مستولين على أكثره ، ووجدت أهل الإسلام في الأرض قليلًا بالإضافة إلى الكفار ، أي أن هناك شرًّا طافحًا وخيرًا قليلًا .

رأيت ميل النفس إلى الشهوات زائد في المقدار ، حتى إنها إذا مالت بالقلب والعقل والذهن ، فلا يكاد المرء ينتفع بشيء من النصح .

النفس متيقظة والقلب عارف ، غير أن القواطع كثيرة ، والفكر الذي ينبغي استعماله في معرفة اللَّه ﷻ قد كَلَّ مما يستعمل في اجتلاب الدنيا ، وتحصيل حوائج النفوس ، والقلب منغمس في ذلك ، والبدن أسير مستخدم .

تفكرت فرأيت أن حفظ المال من المتعين ، وما يسميه جهلة المتزهدين توكلًا من إخراج ما في اليد ليس بالمشروع - وهذا من أخطاء الصوفية .

تأملت في شهوات الدنيا فرأيتها مصائد هلاك ، وفخوخ تلف فمن قوي على طبعه وحكم عليه يسلم ، ومن غلب طبعه فيا سرعة هلكته .

يرى ابن الجوزي أن زهد الصوفية زهد مغشوش .

تأملت جهاد النفس ، فرأيته أعظم الجهاد ؛ ورأيت خلقًا من العلماء والزهاد لا يفهمون معناه ؛ لأن فيهم من منعها حظوظها على الإطلاق ، وذلك غلط من وجهين : أحدهما : أنه رب مانع لشهوة أعطاها بالمنع أدنى منها والثاني : أننا قد كلفنا حفظها ، ومن أسباب حفظها ميلها إلى الأشياء التي تقيمها ، فلا بد من إعطائها ما يقيمها .

المؤمن يدعو فلا يجاب ، فيكرر الدعاء فتطول المدة ولا يرى أثر للإجابة ، فينبغي له أن يعلم أن هذا من البلاء الذي يحتاج إلى الصبر .

من نزلت به بلية ، فأراد تمحيقها ، فليتصورها أكثر مما هي تهن ، وليتخيل ثوابها ، وليتوهم نزول أعظم منها ، ير الربح في الاقتصار عليها .

حدثنا ابن الجوزي عن خطر العلم مع قلة العمل .

مما يزيد العلم فضلًا ، أن قومًا تشاغلوا بالتعبد عن العلم ، فوقفوا عن الوصول إلى حقائق الطلب .

لماذا يزعم البعض أن اللَّه فضل الملائكة على البشر - ألهم مرتبة يحبهم بها ،

أو فضيلة يباهي بهم غيرهم ؟ وكيف دار الأمر فقد سجدوا لنا ؛ وهو صريح في تفضيلنا عليهم .

رأيت كثيرًا من الخلق وعالمًا من العلماء ، لا ينتهون عن البحث عن أصول الأشياء التي أمروا بجهل علمها وترك البحث عن حقائقها .

رأيت أكثر الخلق في وجودهم كالمعدومين ، فمنهم من لا يعرف الخالق ، ومنهم من يثبته على مقتضى حسه ، ومنهم من لا يفهم المقصود من التكليف .

دعا إلى التعلق بالله وحده ، والتبتل إلى الله .

الحذر ، الحذر من فساد التأويل ، فإن الله تعالى لا يخادع . ولا ينال ما عنده بمصيبة .

رأيت نفسي كلما صفا فكرها ، أو تعطلت بدراج ، أو وارت قبور الصالحين ، تتحرك همتها في طلب العزلة ، والإقبال على معاملة الله تعالى .

عجبت من أقوام يدعون العلم ، ويميلون إلى التشبيه بحملهم الأحاديث على ظواهرها ، فلو أنهم أمروها كما جاءت سلموا ؛ لأن من أمَّر ما جاء ومر من غير اعتراض ، فما قال شيئًا لا له ولا عليه . ويرتبط هذا الحديث بمفهوم التفكير العيانى ، أو المحسوس في سيكولوجية التفكير (ص ٨٣) .

الحذر الحذر من أفعال أقوام وقعوا فمرقوا عن الأوضاع الدينية ، وظنوا أن كمال الدين بالخروج عن الطباع ، والمخالفة للأوضاع .

حدثنا ابن الجوزي أيضًا عن ضرورة النظافة وعن الجمال .

لا خير في لذة تعقب ألمًا . وليس في التكليف أصعب من الصبر على القضاء ، ولا فيه أفضل من الرضا به ، فأما الصبر : فهو فرض . وأما الرضا فهو فضل .

إن الرضا من جملة ثمرات المعرفة ، فإذا عرفته رضيت بقضائه ، وقد يجري في ضمن القضاء بعض طعمها الراضي ، وأما العارف فتقل عنه المرارات لقوة حلاوة المعرفة .

ما زال جماعة من المتزهدين يزرون على كثير من العلماء إذا انبسطوا في مباحات ، والذي يحملهم على هذا الجهل ، فلو كان عندهم فضل علم ما عابوهم .

ليس في الوجود شيء أشرف من العلم ، كيف لا وهو الدليل ، فإذا عدم وقع الضلال .

رأيت الإنسان قد حمل من التكليف أمورًا صعبة ، ومن أثقل ما حمل مداراة نفسه ، وتكليفها الصبر عما تحب وعلى ما تكره .

تأملت أشياء تجرى في مجالس الوعظ ، يعتقد العوام قربة ، وهي تعكر ، وذلك أن المقرئ يطرب ويخرج الألحان إلى الغناء ، وهو ما يوجب طربًا للنفوس ونشوة ، والتعرض لما يوجب النفس غلط عظيم .

من أضر الأشياء على العوام كلام المتأولين ، والنفاة للصفات والإضافات .

حدثنه نفسه بحاستي السمع والبصر وعلاقتهما بالإدراك والقلب . ويرتبط الحديث بسيكولوجية الإدراك (ص ١٠٤) .

في العشق : إن طباع المتيقظين تترقى فلا تقف مع شخص مستحسن ، وسبب ترقيها التفكير في نقص ذلك الشخص وعيوبه ، أو في طلب ما هو أهم منه .

الاعتراف في التقصير أنجح في الحوائج .

الإشارة إلى تدبير اللّه ﷻ في خلقه .

حدثنا عن ثمرة الحياة التي جنى بها أدلة الوحدانية ، وارتقى عن حضيض التقليد ، إلى يفاع البصيرة واطلع على علوم زاد بها قدره .

قلوب العارفين يغار عليها من الأسباب وإن كانت لا تساكنها ؛ لأنها لما انفردت لمعرفته انفراد لها بتولي أمورها .

المؤمن لا يبالغ في الذنوب ، وإنما يقوى الهوى وتتوقد نيران الشهوة فينحدر ، وله من إيمانه ما يبغض إليه الإثم فلا يعزم على مواقعته ، ولا على العود بعد فراغه . ويرتبط بمفهوم الإحساس بالذنب في علم النفس الاجتماعي (ص ١١١) .

أفضل الأشياء التزيد من العلم ، فإنه من اقتصر على ما يعلمه فظنه كافيًا استبد برأيه ، وصار تعظيمه لنفسه مانعًا في الاستفادة .

لما وهبت لهم العقول فتدبروا عيب الأصنام ، وعلموا أنها لا تصلح للعبادة ، فوجهوا العبادة إلى من فطر الأشياء .

الآفة تدخل من المبتدعين في الدين ، أو الجهال .

حدثنا عن تقلب الليالي فتارة فقر ، وتارة غنى ، وتارة عز ، وتارة ذل ، وتارة يفرح الموالي ، وتارة يشمت الأعادي .

كما حدثنا عن انهيال الابتلاء على المؤمن . وعرض صورة اللذات عليه مع قدرته على نيلها .

وحدثنا أيضًا عن إجابة المضطر إذا دعا . وحكمة الغرائز في الأبدان ، وهي إبقاء الجنس ودفع الفضلة المحتقنة المؤذي احتقانها ، ويرتبط هذا الحديث بمفهوم الدافعية ، وبدور الدوافع في توافق الإنسان وصحته البدنية والنفسية (ص ١٢٤) .

من تأمل عواقب المعاصي رآها قبيحة .

ينبغي للعاقل أن يلازم باب مولاه على كل حال ، وأن يتعلق بذيل فضله إن عصى وإن أطاع .

ينبغي لمن تظاهرت نعم الله ﷻ عليه ، أن يظهر منها ما يبين أثرها ، ولا يكشف جملتها ، وهذا من أعظم لذات الدنيا التي يأمر الحزم بتركها فإن العين حق .

كما حدثنا ابن الجوزي عن ثمرة التقوى . ويرتبط الحديث هنا بتأثير الإيمان بالله في التخلص من القلق والهم (ص ١٢٨) .

وقيل : لا ينال لذة المعاصي إلا سكران بالغفلة .

يكرر ابن الجوزي هجومه على الزهاد ، ويقدم مثالًا لزهد يهدم الدين والدنيا .

ينبغي لكل ذي لب وفطنة أن يحذر عواقب المعاصي . فإنه ليس بين الآدميين وبين الله تعالى قرابة ولا رحم ، وإنما هو قائم بالقسط ، حاكم بالعدل .

كثير من الناس يتسامحون في أمور يظنونها قريبة ، وهي تقدح في الأصول ؛ كاستعارة طلاب العلم جزء لا يردونه .

رأيت من نفسي عجبًا ، تسأل الله ﷻ حاجاتها ، وتنسى جناياتها (ص ١٣٤) .

من عاش مع الله ﷻ طيب النفس في زمن السلام ، لا يوصف بالبطولة إلا إذا خفت عليه ألوان التقلب في زمن البلاء ، فهناك المحك .

ليس في الدنيا ولا في الآخرة أطيب عيشًا من العارفين بالله ﷻ ، فإن العارف به مستأنس به في خلوته .

كما حدثنا المؤلف عن حلاوة الكفاح في سبيل الحق ، وأسرار الحكمة وسياسة النفس . وحدثنا أيضًا عن إضاعة الوقت . وتفاوت العلماء في العلم .

من أظرف الأشياء إفاقة المحتضر عند موته ، فإنه ينتبه انتباهًا لا يوصف ، ويقلق قلقًا لا يحد ويتلهف على زمانه الماضي .

ربما أخذ المتيقظ بيت شعر فأخذ منه إشارة فانتفع بها .

حدثنا عن الحذر مهما كبرنا وعلت مناصبنا فإن العقوبة بالمرصاد .

اجتهاد العاقل فيما يصلحه لازم له بمقتضى العقل والشرع .

من أفكار ابن الجوزي أيضًا : أنه للبلايا نهايات معلومة الوقت عند الله ﷻ ، فلا بد للمبتلى من الصبر إلى أن ينقضي أوان البلاء .

وليس في الوجود شيء أصعب من الصبر ، إما على المحبوب ، أو على المكروهات .

وينبغي لمن وقع في شدة ثم دعا أن لا يختلج في قلبه أمر من تأخير الإجابة أو عدمها (ص ١٥٦) .

كما حدثنا عن أقرب الخلق من الله العلماء ، وليس العلم بمجرد صورته وهو النافع بل معناه ، وإنما ينال معناه من تعلمه للعمل به .

من أعمل فكره الصافي دله على طلب أشرف المقامات ، ونهاه عن الرضا بالنقص في كل حال .

ليس في الدنيا أنفع للعلماء من جمع المال للاستغناء عن الناس ، فإذا ضم إلى العلم حيز الكمال .

أعظم دليل على فضيلة الشيء النظر إلى ثمرته . ومن تأمل ثمرة الفقه علم أنه أفضل العلوم .

وحدثنا المؤلف أيضًا عن نقائض سببها استمكان الهوى كالإكثار من الصدقة وعدم المبالاة بمعاملات الربا .

ومن أعظم الغلط الثقة بالناس والاسترسال إلى الأصدقاء . ويرتبط بالعلاقات الإنسانية (ص ١٦٤) .

كما حدثنا عن سقطات بعض أهل العلم . وسعة الثقافة ونفاذ البصيرة .

إن للخلوة تأثيرات تبين في الجلوة ، وكم من مؤمن بالله ﷻ يحترمه عند الخلوات فيترك ما يشتهي حذرًا من عقابه ، أو رجاءً لثوابه .

ومن عرف جريان الأقدار ثبت لها . وسبحان المتصرف في خلقه بالاغتراب والإذلال ليبلو صبرهم ويظهر جوارحهم في الابتلاء .

والحذر الحذر من فعل يمنع منه الشرع أو من ارتكاب ما يظن عزيمة وهو خطيئة ، أو من إظهار ما لا يقوى عليه المظهر فيرجع القهقرى .

وأجهل الجهال من آثر عاجلًا على آجل لا يأمن سوء مغبته .

اللذات كلها بين حسي وعقلي ، فنهاية اللذات الحسية وأعلاها النكاح ، وغاية اللذات العقلية العلم ، فمن حصلت له الغايتان في الدنيا فقد نال النهاية . ويرتبط هذا الحديث بالدوافع البيولوجية والدوافع العقلية ، وما يصاحب إشباعها من لذة وتوافق (ص ١٧٥) .

اعلم أن المتعلم يفتقر إلى دوام الدراسة ، ومن الغلط الانهماك في الإعادة ليلًا ونهارًا ، فإنه لا يلبث صاحب هذه الحال إلا أيامًا ثم يفتر ويمرض .

من أراد دوام العافية والسلامة فليتق اللّٰه ﷻ ، فإنه ما من عبد أطلق نفسه في شيء ينافيه التقوى وإن قل ، إلا وجد عقوبته عاجلة أو آجلة .

أعظم البلايا أن يعطيك همة عالية ويمنعك من العمل بمقتضاها ، فيكون من تأثير همتك الأنفة من قبول إرفاق الخلق استثقالًا لحمل منهم ، ثم يبتليك بالفقر فتأخذ منهم .

من خاف العقوبة ترك المشتهى ، ومن رام القرب استعمل الورع ، وللصبر حلاوة تبين في العواقب .

حدثنا أيضًا ابن الجوزي عن الهزيمة أمام الشهوة ، وحرب الشيطان ، والحذر من الوقوع وقال : إن للذنوب تأثيرات قبيحة ، مرارتها تزيد على حلاوتها أضعافًا مضاعفة .

والتعلق باللّٰه فوز ، كما قدم لنا حكمة الإبطاء في إجابة الدعاء ، ودعانا إلى الاستعداد دائمًا للموت ، وحذرنا من المعاصي فإن عواقبها سيئة ، وبقدر إجلالك للّٰه يجلك اللّٰه ، أما جزاء العصيان فقد يطول ، والواجب على العاقل أن يحذر مغبة المعاصي ، فإن نارها تحت الرماد . وأن يتقي اللّٰه في كل الأحوال .

وحدثنا أيضًا عن جزاء الاستعفاف لوجه اللّٰه ، وذهاب العاجلة ، وحلاوة الطاعة ، وحقوق المنعم ، وأن سكرة الهوى حجاب .

ودعانا ابن الجوزي إلى استغلال الوقت في الأنفسَ من العلوم ، وإذا صح قصد العالم استراح من كلف التكلف .

كما ضرب لنا أمثلة وحكمة في الحرمان وقال : الغنى عافية للعلماء .

يقول ابن الجوزي أيضًا : تأملت وقوع المعاصي من العصاة فوجدتهم لا يقصدون العصيان ، وإنما يقصدون موافقة هواهم ، فوقع العصيان تبعًا .

يقول ابن الجوزي أيضًا : عفة العالم من تمام دينه ، والعقل أصل الدين ، وثمرة العقل

فهم الخطاب . والواجب على العاقل فهم الخطاب . والواجب على العاقل أن يتبع الدليل ثم لا ينظر فيما لا يجني من مكروه . والعاقل من يزن بين الأمرين . ويرتبط الحديث هنا بالقدرة على الفهم كأحد القدرات العقلية (ص ٢١١) .

يقول أيضًا : العلم النظري لا يكاد يكفي في صلاح القلب ، إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالحين .

وقيل : الورع أحوط .

كما حدثنا ابن الجوزي عن اللذات المشوبة ، وكيف نناجي الحق ﷺ ، والسعيد من ذل اللّه وسأل العافية لتغلب على جمهور أحواله ، فيقّرب الصبر على يسير البلاء .

ويكرر ما قاله عن الصوفية بأنهم ينحرفون عن الجادة وعن العلم . وحذرنا من صحبة البطالين . ودعا إلى الاشتغال بالتأليف واغتنام العمر .

يقول أيضًا : انبعاث الناس عن العادات لا عن الأمان .

ويقول : ما أعرف للعالم قط لذة ولا عزًا ولا شرفًا ولا راحة ولا سلامة أفضل من العزلة . وحدثنا ابن الجوزي عن حياته .

يقول أيضًا في اللذة : أصلحها التوسط ، وهو اختيار ما تميل النفس إليه ولا يرتقي إلى مقام العشق ، فإن العاشق في عذاب . وإنما يتخايل الفارغ من العشق تلذذ العاشق وليس كذلك . ويرى أن الناس يتفاوتون في الهمم والآمال . وينصحنا بالترويح عن النفس بين الحين والآخر . ويرتبط الحديث هنا بمفهومي الفروق الفردية ، ومستوى الطموح في علم النفس الحديث (ص ٢٣٨) .

كما حدثنا عن حسن التدبير ، والحفاظ على المرأة المدبرة . والويل كل الويل للمفرط في ماله أو معاشه . كما حدثنا عن بعض هواجسه المقلقة .

ثم انتقل بنا إلى الحديث عن الأشياء البديهية التي وضعها فينا الخالق ﷺ ؛ مثل : أن المصنوع لا بد له من صانع ، وأن الاثنين أكثر من واحد .

ثم حدثنا بعد ذلك عن الإيقاظ والغافلين وقال : صلاح الأخيار النظر ، وسبب فساد الأشرار إهمال النظر .

ثم حدثنا عن همته وقال : لي همة عالية تطلب الغايات . ويرتبط هذا بمفهوم مستوى الطموح (ص ٢٥٠) .

ثم انتقل بنا للحديث عن فساد التصوف ، ودلل على ذلك بمواقف كثيرة .

ثم حدثنا عن القدر السابق ، فاللَّه ﷻ إذا أراد شخصًا رباه من طفولته وهداه إلى الصواب .

وكذلك حدثنا عن الأدلة على وجود اللَّه ؛ وأهمها النفس الناطقة المميزة المحركة للبدن على مقتضى إرادتها واكتسبت ما أمكن تحصيله من العلوم ، وهذا كله يوجب عليها أن لها مدبرًا وخالقًا .

ويعود فيحدثنا عن زهد الصوفية في العلم والقدح في المتشاغلين به .

ويقول أيضًا : العاقل من يحفظ اللَّه ﷻ وإن غضب الخلق . كما ينبغي على العاقل أيضًا أن ينظر إلى الأصول فيمن يخالطه ويعاشره ، ويشاركه ويصادقه ، ويزوجه أو يتزوج إليه ، ثم ينظر بعد ذلك في الصور ، فإن صلاحها دليل على صلاح الباطن ، أما الأصول فإن الشيء يرجع إلى أصله ، وبعيد ممن لا أصل له أن يكون فيه معنى مستحسن .

ومن تجارب ابن الجوزي في الحياة قوله : ينبغي أن يكون شغل العاقل النظر في العواقب والتحرز مما يمكن أن يكون ، ومن الغلط الاستغراق في الحالة الحاضرة الموافقة لمعاشه ولصحة بدنه . وكذلك ينبغي النظر في لذة تفنى وتبقى تبعتها وعارها . وإيثار الكسل والدعة . وإياك أن تساكن من آذيته ، ومن الحذر إظهار العداوة للعدو . ومن أحسن التدبير التلطف بالأعداء إلى أن يمكن كسر شوكتهم . وكفى بالذهن النظر إلى العواقب والتأمل لكل ممكن متأدبًا . وكذلك أوصانا بحفظ السر وعدم إفشائه .

ثم حدثنا ابن الجوزي بعد ذلك عن طريق الاستذكار وأهمها الإعادة والتثبيت . ويرتبط هذا الحديث بسيكولوجية التعليم (ص ٢٦١) .

كما نصحنا بالعزلة واستغلالها استغلالًا نافعًا حتى نستطيع مناجاة اللَّه ﷻ . ولم ينس ابن الجوزي المسنين ، فأسدى لهم النصح مؤكدًا على الاستعداد الدائم للقاء اللَّه ﷻ .

كما نهانا عن الاشتغال بفلسفة الكلام . وعلى العاقل أن يكف عن التطلع إلى ما لا يطيق النظر إليه .

ويرى أن السعادة الحقة في شرف العلم وزهرة العفة وأنفة الحمية ، وعز القناعة ، وحلاوة الإفضال على الخلق . ويرى أن أصل كل محنة في العقائد قياس أمر الخالق على أحوال الخلق .

كما حدثنا عن ثمن العلياء ، ويرى أن كل شيء نفيس خطير يطول طريقه ويكثر

التعب في تحصيله ، فإن العلم لما كان أشرف الأشياء لم يحصل إلا بالتعب ، والسهر ، والتكرار ، وهجر اللذات والراحة .

ويرى أيضًا أن هناك صراعًا بين اليقين وأحداث الحياة ويقول : إنما المؤمن الكامل الإيمان ومن لا يختلج في قلبه اعتراض ، ولا يساكن نفسه فيما يجرى من وسوسة . وكلما اشتد البلاء عليه زاد إيمانه وقوي تسليمه . ونلمح الإشارة هنا إلى موضوع « الصراع » في علم النفس (ص ٢٧٠) .

كما يرى أن أضر ما على العوام المتكلمين ، فإنهم يخلطون عقائدهم بما يسمعونه منهم ، ويرى أن حقيقة الموت والرحيل هو الراحة ، وأن هذا البدن ليس بشيء ؛ لأنه مركب تفكك وفسد وسيبنى جديدًا يوم البعث ، فلا ينبغي أن يفكر في بلاه ، ولتسكن النفس إلى أن الأرواح انتقلت إلى راحة فلا يبقى كبير حزن ، وأن اللقاء للأحباب عن قرب .

ويتحدث ثانية عن الكتمان ، ويقول : ينبغي للعاقل أن لا يتكلم في الخلوة عن أحد بشيء حتى يتمثل ذلك الشيء ظاهرًا معلنًا به ثم ينظر فيما يجني .

ويتحدث أيضًا عن فقه الحكمة العليا ، ويقول الحق ﷻ هو المالك ، وللمالك الحق أن يتصرف كيف يشاء .

والسعيد من وفق لاغتنام العافية ، ثم يختار تحصيل الأفضل في زمن الاغتنام . وقيل : صلاح الدين بصلاح الدنيا . أما الإخلاص التام فهو شغل القلب بالحق .

وقال أيضًا : كل المعاصي قبيحة ، وبعضها أقبح من بعض ، أي هي مراتب .

ويرى أن الكبر من علل العلماء التي يجب التخلص منها .

كما نصحنا ابن الجوزي بمحالمة الغاضب . والعاقل يصور في نفسه كل ممكن ، ويستر ما في قلبه من البغض والود ، ويداري من يكنون له الغيظ والحقد ، هذه مشاورة العقل إن قبلت .

ومن لم يتلمح العواقب ولا يستعد لما يجوز وقوعه فليس بكامل العقل . وبقدر صعود الإنسان في الدنيا تنزل مرتبته في الآخرة ، وعلماء الآخرة ملوك . ونلمح هنا إشارة إلى مفهوم « التروي » Reflection كأحد مفاهيم علم النفس الحديث (ص ٢٨٣) .

وإذا أراد الإنسان أن يعرف قدر نفسه فليعرف الشرع كما ينبغي ، وسيعرف أن أكثر الناس على غير الجادة .

وعن كمال الظاهر والباطن قال ابن الجوزي : أول أسباب الكمال : تناسب أعضاء البدن وحسن صورة الباطن ، فصورة البدن تسمى خلقًا ، وصورة الباطن تسمى خُلقًا . ودليل كمال صورة البدن حسن السمت ، واستعمال الأدب ودليل صورة الباطن حسن الطبائع والأخلاق ، والطبائع : العفة ، والنزاهة ، والأنفة من الجهل ، ومباعدة الشره . والأخلاق : الكرم ، والإيثار ، وستر العيوب ، وابتداء المعروف ، والحلم عن الجاهل .

ونصحنا ابن الجوزي أيضًا بالصبر ، ويرى أيضًا أن الجمادات خير من علماء يعبدون المال ويرى أن أنفس الأشياء في الدنيا معرفة الحق ﷻ .

ويعود فيقول : أيها الشيوخ استعدوا للرحيل ، ويضرب مثلًا أعلى لنا بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام . ويحذرنا في أكثر من موضع من خداع الشهوات ، وخاصة شهوات الحس (النساء) ويقترب هذا الحديث من موضوع « قمع الدوافع الأولية » (ص ٢٩٤) .

وحدثنا أيضًا عن أصناف الناس ، وسبحان من شغل كل شخص بفن لتنام العيون في الدنيا . ويتحدث المؤلف هنا عن « المهن الاجتماعية » وتدرجها (ص ٢٩٧) .

ونصحنا بعدم الغفلة عن علم الحديث « الشريعة » وقال : سبحان من حفظ هذه الشريعة بأحبار أخيار ينفون عنها تحريف الغالبين ، وانتحال المبطلين .

ويعود ثانية فيحذرنا من اتباع الشهوات البهيمية . ويتحدث هنا عن الدوافع والأهواء واللذات الحسية ، وأهمية التحكم فيها وقمعها (ص ٣٠٠) .

ويقول : العاقل من إذا فعل خطيئة بادرها بالتوبة ، فكم مغرور بإمهال العصاة لم يمهل ، وأسرع المعاصي عقوبةً ما خلا عن لذة تنسي النهي ، فإن كانت توجب اعتراضًا على الخالق أو منازعة له في عظمته ، فتلك التي لا تتلافى .

والاستغناء عن الناس دين ، فالآدمي خُلق لأمر عظيم .. وهو مطالب بمعرفة خالقه بالدليل ، ولا يكفيه التقليد .

ونصحنا بالتجمل مع الناس وقال : ما زال العقلاء يظهرون التجلد عند المصائب ، والفقر والبلاء ؛ لئلا يتحملوا مع النوائب شماتة الأعداء ، وأنها لأشد من كل نائبة ، وكان فقيرهم يظهر الغنى ، ومريضهم يظهر العافية . وقال أيضًا : الحياة مدرسة تخرج للآخرة والناس فيها معادن ومراتب .

كما أوضح لنا الحكمة من وجود اليهود والنصارى .

وعاد ابن الجوزي ونصحنا بحسن الاطلاع حيث ثبت بالدليل شرف العلم وفضله . وحسن الاطلاع يعنى التجويد ، والحفظ ، والتثبيت . وقال أيضًا : ينبغي أن نحذر ظلمة الحسد ، وغيابة الكبر ، وحماقة الهوى والتي تغطي على نور العقل . ويقترب الحديث هنا من « التحصيل والعوامل الميسرة له » (ص ٣٠٩) .

وقال أيضًا : إن هناك درجات للعابدين ، ودرجات للعلماء (علماء القشور - علماء اللباب) . ودائما يقول : الآخرة خير وأبقى ، والعاقل من علم أن الدنيا لم تخلق للتنعيم ، فقنع بدفع الوقت على كل حال ، وقيل : الأعذار بالأقدار سخف .

والصراط المستقيم هي السير على الشريعة ، والشريعة هي الطريق ، وإنما تعرف شريعة رسول اللّه ﷺ إما بأفعاله أو بأقواله .

قال ابن الجوزي أيضًا : النفس طامعة إذا أطمعتها ، وتسويف الخير حمق .

كما حدثنا عن البحث في ذات اللّه والتعسف في فهم أفعاله . وقال : ينبغي للمؤمن باللّه سبحانه أن لا يعترض على اللّه سبحانه في شيء لا في باطنه ولا في ظاهره ، ولا يطلب تعليلات أفعاله كلها .

وقال أيضًا : الآخرة بما فيها من دخول الجنة ودوام الإقامة ، والنعيم المتجدد .

كما حدثنا عن عشاق الدنيا وعشاق الآخرة وقال : سبب الهموم والغموم الإعراض عن اللّه ﷻ والإقبال على الدنيا ، وكلما فات منها شيء وقع الغم لفواته ، فأما من رزق معرفة اللّه تعالى استراح ؛ لأنه يستغني بالرضا بالقضاء فمهما قدر اللّه له رضي .

وقيل : راحة المؤمن في الآخرة والاعتماد على الخالق سبحانه وعلى إنعامه .

ومن تجارب ابن الجوزي في الحياة قوله : الحذر من الطمأنينة إلى أحد ، خصوصًا من عدو آذيته أو قتلت له قريبًا فربما أظهر الجميل شبكة لاصطيادك كحديث الزباء .

كما حذرنا من التقصير في الشيخوخة - وقدم لنا علاجًا شافيًا للرغبة في سن الشيخوخة - كما نصحنا بالنظر في عواقب الأمور .

ويعجب المؤلف من طلب الاطلاع على تحقيق العرفان لذات اللّه ﷻ وصفاته وأفعاله ، وهيهات ، ليس إلا المعرفة بالجملة .

كما حدثنا ابن الجوزي أيضًا عن أسس اختيار الأصحاب . ويرى أن من رزقه اللّه ﷻ النظر في سير السلف ، ودفعه للاقتداء بهم آثر أن يعتزل عن أكثر الخلق

ولا يخالطهم أوذي . ونصحنا بالمداراة والحلم خاصة مع الأعداء والحساد . وهنا نلمح إشارة صريحة إلى مفهوم « الصداقة الاجتماعية » وخصائصها .

كما حدثنا عن آداب الدعاء .

وحدثنا أيضًا عن صنوف أهل الجهل وصنوف أهل العلم ، وقيل : وسيلة الجنة هي العلم ، وهو الذي يدل على الطريق ويعرف ما يصلح لها ويحذر من فظاظتها .

وقيل أيضًا : كتمان العطفة حزم ، كما حذرنا من خدمة الظالمين . ويقترب الحديث من مفهوم ضبط النفس (ص ٣٤٥) .

وقدم وصية للشباب تقول : ينبغي للصبي إذا بلغ أن يحذر كثرة الجماع ليبقى جوهره فيفيده ذلك في الكبر ؛ لأنه من الجائز كبره ، والاستعداد للجائز حزم .

وحذرنا أيضًا من خبط الوعاظ . وحدثنا عن تتبع اللذائذ المباحة منها والمحظورة . وتعجب من طغيان الأهواء ، فبعد أن يسمع الإنسان المواعظ وتذكر له الآخرة ، فيبكي وينزعج على تفريطه ، ويعزم على الاستدراك ، ثم يتراخى عمله بمقتضى ما عزم عليه . وحذرنا من الآفات .

ونصحنا بالإقبال على الله ﷻ .

وحدثنا عن أناس أنار الله بصائرهم واختارهم . وتعجب من أمر أناس أعجبوا بأبدانهم ونسوا أرواحهم وهي التي عليها العمل . كما حدثنا عن فضول العيش ، والاهتمام بالدنيا حتى تتشتت همته .

وقال أيضًا : الوحدة خير من جليس السوء . وحدثنا عن أوصاف المختارين لمولاة الله وقال سبحانه لا يختار شخصًا إلا كامل الصورة ، لا عيب في صورته ولا نقص في خلقته ، فتراه حسن الوجه معتدل القامة سليمًا من آفة في بدنه ، ثم يكون كاملًا في بطنه .

كما حدثنا عن طبائع الدهماء الذين غاية همتهم حصول بغيتهم من أغراضهم ، ويقترب الحديث هنا من مفهوم « السمات » في سيكولوجية الشخصية (ص ٣٢٩) .

وقال : صدقات الظلمة لا تثاب . ونصحنا بالإخلاص لله وحده .

كما حدثنا عن بعض صفات علماء السوء وقال : قلة علمهم بسيرة السلف وما كان عليه رسول الله ﷺ .

وقال : التسليم للحكمة أولى من البحث في الذات .

وقال أيضًا : ذو العقل يشقى في النعيم ؛ لأنه متى تكامل العقل فقدت لذة الدنيا ، فتضاءل الجسم وقوي السقم ، واشتد الحزن ؛ لأن العقل كلما تلمح العواقب أعرض عن الدنيا ، والتفت إلى ما تلمع ولا لذة عنده بشيء من العاجل ، وإنما يتلذذ أهل الغفلة عن الآخرة ، ولا غفلة لكامل العقل .

كما رد على مزاعم الطبائعيين في أصل الموجودات . وقدم دلائل على الوجود الأعلى .

كما حدثنا عن التدين الفاسد . وقال أيضًا : قوام الأنفس في البدن ، الدم ، والمني ، وأشياء تتقوى بها ، فإذا فقدت الذخائر لم يبق منها شيء ذهبت ، ومن ذخائرها التقوى بالمال والجاه وما يوجب الفرح .

كما حدثنا عن رياء الزهاد ، بقولهم ما لا يفعلون .

وقيل أيضًا : تدبير العيش دين ؛ حيث ينبغي للمؤمن أن يتشاغل بمعاشه ويرفق في نفقته (ص ٣٧١) .

وقيل : الاحتراز واجب ؛ حيث ينبغي للعاقل أن يحترز غاية ما يمكنه . فإذا جرى القدر مع احترازه لم يلم .

وحذرنا من الجري وراء اللذات الحسية ، فالسعيد من اهتم لحفظ دينه ، وأخذ من ذلك بمقدار الحاجة .

ونصحنا بالفقه (الحفظ والفهم) قبل الكتابة . ويحدثنا هنا عن الحفظ والفهم كأساس لعملية التحصيل (ص ٣٧٣) ، والتثبت قبل مواجهة العقاب ، والتوسل إلى الله بالله (ص ٣٧٣ - ٣٧٧) .

وقال أيضًا : سبحان من جعل الخلق بين طرفي نقيض ، والمتوسط منهم يندر منهم من يغضب فيقتل ويضرب ، ومنهم من هو أبله بقوة الحلم لا يؤثر عنده السب وهكذا من ينفق المال بكثرة ومن يقتر . فسبحان من أعدم هؤلاء العقول والفهوم ، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلًا ، وتساءل أين الخِل الوفي والذي تتوافر فيه شروط الصداقة والأخوة ؟

وقال أيضًا : القناعة راحة . ونصحنا بالخشية من مقدار العلم .

وقيل : ينبغي للعاقل أن يكون على خوف من ذنوبه وإن تاب منها وبكى عليها .

كما حدثنا ثانية عن مواقف لزهاد كذبة . وقال أيضًا : إنه لا استقرار في الدنيا ، وإنما

المستقر في الآخرة .

وحذرنا من وجود العالم في حاشية الحاكم ، خوفًا من الرزق الحرام والانخراط في سلكهم .

كما حدثنا عن متاعب العيلة ووجود الأولاد بكثرة خوفًا من مد اليد إلى الحرام .

ونصحنا بالجمع بين الاستغفار ، والتوبة من الذنوب ، والصبر على القضاء ، وسؤال الفرج ، لنحصل ثلاثة فنون من العادة نثاب على كلٍّ منها .

وينصحنا دائمًا المؤلف بقمع النفس عن الشهوات . ونهانا عن سب الدهر وقال : هو خروج عن الإيمان . ويقترب الحديث هنا من مفهوم قمع الدوافع الأولية (ص ٣٩٤) .

وقال : العمر فرصة يجب اغتنامها في زيادة الثواب . وقال : الكتمان مناجاة . ونصحنا بالتسبيح والاستغفار على الحقيقة .

وقيل : العزلة دواء ، ونصحنا بالمحافظة على صفاء القلب . قال أيضًا : طالب الآخرة دائم اليقظة . ومن مظاهر الاصطفاء : كمال الصورة واعتدالها ، وكمال الأخلاق ، وزوال الأكدار ، ولا يرى في باطنه خبثًا ، ولا كدرًا ، بل قد حسن باطنه كما حسن ظاهره . ويحدثنا هنا عن سمات الشخصية (ص ٣٩٩ ، ٤٠٠) .

وقال أيضًا في وعظ السلاطين : ينبغي لمن وعظ سلطانًا أن يبالغ في التلطف ولا يواجهه بما يقتضي أنه ظالم .

كما حدثنا عن أدعياء النبوة ورسالة الإسلام ، وسفالة الإلحاد .

وقال : مخالطة المحجوبين عن اللَّه غشاوة ، وما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح ، فإن الطبع يسرق ، فإن لم يتشبه بهم ولم يسرق منهم فتر عمله . ويقترب الحديث هنا من التطبيع الاجتماعي (ص ٤١١) .

وقال أيضًا : أنعم اللَّه لا تحصى . وحدثنا كذلك عن علماء القشور . وحقيقة الشهوات (زوال اللذة وبقاء إثمها) .

وحدثنا عن الحكمة في خلق ما يؤذي ، وقال : ربما بها نفع وشفاء من كثير من الأمراض .

وقال أيضًا : العقل ينمو بالتعليم ، والتحصيل ، والدربة ، والمران ، كالجارحة التي تكتسب المهارة من دوام العمل . ويحدثنا هنا عن موضوع « نمو القدرات العقلية وسلوك

التدريب » (ص ٤١٩) .

كما حدثنا ابن الجوزي عن ميزان الرجولة وقال هو : حفظ الحدود ، وإخلاص العمل . وحدثنا أيضًا عن حقيقة الحسد وقال : إن الإنسان لا يجب أن يرتفع عليه أحد .

وحذرنا مرارًا وتكرارًا من الإسراف الجنسي . ونصحنا بالاحتراز من كل ما يجوز أن يكون . كما حذرنا من الضجر من قدر اللّٰه تعالى .

وقال أيضًا : اللذة عملة زائفة وخدع ليست بشيء وفي ضمنها من الأقدار ما يصيرها نقصًا تخرج عن كونها لذات .

وقال أيضًا : من وقف على موجب الحس هلك ، ومن تبع العقل سلم ؛ لأن مجرد الحس لا يرى إلا الحاضر وهو الدنيا . وأما العاقل فإنه ينظر إلى المخلوقات ، فيعلم وجود الخالق ويعلم أنه قد منح ، وأباح ، وأطلق ، وحذر .

وفسر لنا ابن الجوزي معنى رؤية الرسول ﷺ وهو أن الشخص يرى في منامه مثال الذي يعرفه الصواب وتحصل به الفائدة المطلوبة . ويرتبط هنا بموضوع « الأحلام » (ص ٤٢٨) .

وقال أيضًا بحاجة الدين إلى سلامة الجسم وصحة الدنيا . ومعرفة اللّٰه سبحانه لا تحصل إلا لكامل العقل ، صحيح المزاج ، والترقي إلى محبته .

وكذلك قال : ما رأيت أظرف من لعب الدنيا بالعقول وهي في مدة إقامتها معجونة بالنقص .

ويتساءل ابن الجوزي ثانية : أين الأصدقاء ؟ ويقول : أكثرهم حساد على النعم ، وأعداء لا يسترون زلة ، ولا يعرفون لجليس حقًّا ، ولا يواسون من مالهم صديقًا .ويرجع هذا إلى أن الحق سبحانه يغار على قلب المؤمن أن يجعل له شيئًا يأنس به ، فهو يكدر عليه الدنيا وأهلها ليكون أنسه به . ويتحدث هنا عن مفهوم الصداقة (ص ٤٥٠) .

ويعود فيحدثنا عن علماء السوء ويقول : منهم المشتغلون بصورة العلم دون فهم حقيقته ومقصوده . ونصحنا بسعة الثقافة وبتعمق .

وقال أيضًا : ما يتناهى عن طلب العلم إلا عاشق العلم . والعاشق ينبغي أن يصبر على المكاره . ومن ضرورة المتشاغل به البعد عن الكسب .

وقال : لا ينبغي للإنسان أن يحمل على بدنه ما لا يطيق ، فإن البدن كالراحلة إن

لم يرفق بها لم تصل بالراكب .

وإذا تكامل العقل قوي الذكاء والفطنة . ونصحنا بالتحلي بالصبر ، والعفة ، والعزلة . وقال أيضًا : العقل سياج الدين والدنيا . وينبغي أن يكون العمل كله للَّه ومعه ومن أجله ، وقد كفاك كل مخلوق وجلب لك كل خير . وقيل أيضًا : الإسراف شر .

ويعجب ابن الجوزي من مخالطة الأمراء ويقول : إنه بالمخالطة لهم أو العمل معهم يكون قطعًا خائفًا من عزل ، أو قتل ، أو سم ، ولا يمكنه أن يعمل إلا بمقتضى أوامرهم .

ومن الغلط العظيم أن يتكلم في حق معزول بما لا يصلح ، فإنه لا يأمن أن بلي فينتقم . وفي الجملة لا ينبغي أن يظهر العداوة لأحد أصلًا . ويقترب الحديث هنا من مفهوم القيادة التسلطية في علم النفس الاجتماعي (ص ٤٥٣) .

ومن رزقه همة عالية يعذب بمقدار علوها ، وبيان هذا : أن من علت همته طلب العلوم كلها ولم يقتصر على بعضها ، وطلب من كل علم نهايته ، وهذا لا يحتمله البدن . ويقترب الحديث هنا من مفهوم مستوى الطموح (ص ٤٥٦) .

ويقول أيضًا : المصيبة العظمى رضا الإنسان عن نفسه واقتناعه بعلمه ، وهذه محنة قد عمت أكثر الخلق .

وليعلم الإنسان أن الجزاء بالمرصاد إن كانت حسنة أو سيئة ؛ فليحاسب كل منا نفسه . ونهانا عن عداوة الأقارب بأن نتواضع لهم ونرفق بهم ، وأن نصلهم . ويقترب الحديث هنا من مفهوم العلاقات الإنسانية في علم النفس الحديث (ص ٤٦٤) .

والمؤمن العاقل لا يلتفت إلى حاسده ولا يعده شيئًا ؛ إذ هو في وادٍ وذاك في وادٍ ، ذاك يحسده على الدنيا ، وهذا همته الآخرة ، فيما بعد ما بين الواديين .

ويقول أيضًا : ينبغي لمن آمن باللَّه تعالى أن يسلم له في أفعاله ، ويعلم أنه حكيم مالك وأنه لا يعبث .

وشبه ابن الجوزي يوم العيد بيوم القيامة .

كما قدم النصيحة للعلماء ، والزهاد في أكثر من موضع في الكتاب . وبين لهم طريق العلم والعمل . وقال : إن اللَّه ﷻ جعل لأحوال الآدمي أمثلة ليعتبر بها ؛ منها : القمر ، ودودة القز .

ويعود فيقول : إنما فضل العقل بتأمل العواقب ، فأما القليل العقل فإنه يرى الحال

الحاضرة ، ولا ينظر إلى عاقبتها .

كما يحدثنا ابن الجوزي عن تفاوت الناس في الذكاء والمقدرة ، حتى العلماء يتفاوتون التفاوت الكثير في الأصول والفروع . ويقترب الحديث هنا من موضوع الفروق الفردية (ص ٤٧٥) .

ويحدثنا أيضًا عن اللذات المدخولة ، والبدع المهلكات ، وفضل الوقت .

كما قدم لنا فقرة في معاشرة النساء وقال : ينبغي للعاقل أن يتخير امرأة صالحة من بيت صالح يغلب عليه الفقر لترى ما يأتيها به كثيرًا ، وليتزوج من يقاربه في السن . ولا ينبغي للمرأة أن تقترب من زوجها كثيرًا فتمل ، ولا تبعد عنه فينساها . ويرتبط الحديث هنا بموضوع العلاقات الزوجية (ص ٤٨١) .

كما حذرنا المؤلف من المتاجرة بالدين . وقال أيضًا : من تلمح أحوال الدنيا علم أن مراد الحق سبحانه اجتنابها ، فمن مال إلى مباحها ليلتذ وجد مع كل فرحة ترحة ، وإلى جانب كل راحة تعبًا ، وآخر كل لذة نقصًا يزيد عليها . وما رفع شيء من الدنيا إلا ووضع . العاقل يدير بعقله عيشته في الدنيا ، فإن كان فقيرًا اجتهد في كسب وصناعة تكفه عن الذل للخلق ، وقلل العلائق ، واستعمل القناعة فعاش سليمًا من منن الناس عزيزًا بينهم .

وإن كان غنيًا فينبغي له أن يدبر في نفقته خوف أن يفتقر فيحتاج إلى الذل للخلق . وينبغي التوسط في الأحوال ، وكتمان ما يصلح كتمانه (ص ٤٨٥ ، ٤٨٦) وإنما التدبير حفظ المال والتوسط في الإنفاق ، وكتمان ما لا يصلح إظهاره .

* * *

الطب الروحاني [1]

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

عرض الكتاب :

يتكون الكتاب من ثلاثين بابًا ، نعرض لها على النحو الآتي :

● **الباب الأول** : في فضل العقل . فمن ثمرات العقل معرفة الخالق ﷻ ، وبه فضل الآدمي على جميع الحيوان الذي فقده ، وبه تأهيل الآدمي لخطاب الله وتكليفه .

– ويرتبط هذا الباب بأهمية القدرات العقلية Mental Abilities (ص ٥) .

● **الباب الثاني** : في ذم الهوى ، والهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه . فلا يذم هذا المقدار إذا كان المطلوب مباحًا وإنما الإفراط فيه . وتحدث عن النفس فقال : إن منها جزءًا عقليًا فضيلته الحكمة ورذيلته الجهل ، وجزءًا غضبيًا فضيلته الحدة ورذيلته الجبن ، وجزءًا شهوانيًا فضيلته العفة ورذيلته إطلاق الهوى .

– ويرتبط هذا الباب بمفهوم النفس وموضوع التفكير والذكاء ، وموضوع الدوافع والانفعالات Motives and Emotions (ص ٦ ، ٧) .

● **الباب الثالث** : في الفرق بين ما يرى العقل وما يرى الهوى ، فالهوى يدعو إلى اللذة من غير فكر في عاقبته . أما العقل فإنه يراقب العواقب وينظر في المصالح .

– ويرتبط ذلك بالمقارنة بين الحالة العقلية والانفعالية وبيان أوجه الاختلاف بينهما

---

(١) دمشق : مكتبة القدس ، (١٩٢٩م) (ص ٥٤) .

كما يرتبط بكف الدوافع ومقاومتها (ص ٧ ، ٨) .

● **الباب الرابع** : في دفع العشق عن النفس ، وهو مرض أصيب به خلق كثير وتحدث عنه تفصيلًا في كتاب « ذم الهوى » عن علاجه وكيفية التخلص منه عن طريق غض البصر وكف النظر .

- ويرتبط هذا الباب بموضوع انفعال الحب (ص ٨ ، ٩) .

● **الباب الخامس** : في دفع الشره ، فالشره إذا أطلق انصرف إلى موافقة الهوى في المطاعم . وهي علة تتولد عن قوة النفس الشهوانية ، وقد يكون الشره في الأكل ، أو الجماع ، أو جمع المال . وقد يقع الشره في فنون ما يلتذ به من الأبنية المنقوشة ، والخيل المسومة ، والملابس الفاخرة . وتحدث عن علاج كل نوع من هذه الأنواع .

- ويرتبط هذا الباب بموضوع قمع الدوافع ومقاومتها (ص ١١ ، ١٢) .

● **الباب السادس** : في رفض رياسة الدنيا ، فالنفس تحب الرفعة والعلو على جنسها فتؤثر الإمارة والولاية لمكانة الأمر والنهي .

- ويرتبط هذا الباب بموضوع الدوافع Motives خاصة الدافع إلى السلطة والتملك والسيطرة . (ص ١٣) .

● **الباب السابع** : في دفع البخل . إن مجرد الإمساك للمال لا يسمى بخلًا ؛ لأن الإنسان قد يمسك فاضل المال لحاجته ، ولحوادث دهره ، ولأجل عياله وأقاربه ، وهذا كله من باب الحزم ، فلا يذم وإنما يقع اسم البخل على مانع الحق الواجب .

● **الباب الثامن**: في النهي عن التبذير . فالتبذير مما يأمر به الهوى وينهى عنه العقل ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٦] .

● **الباب التاسع** : في بيان مقدار الاكتساب والإنفاق . فينبغي العاقل أن يكتسب أكثر مما يحتاج إليه ويقتني ما يعلم أنه لو حدث به حادثة كان في المقتنى عوض عما ذهب ، ولو عرض له مانع من الاكتساب قام المقتني بحاجته بقية عمره ، وبوجه عام ينبغي أن تكون النفقة أقل من الكسب .

● **الباب العاشر**: في ذم الكذب ، فهو من العوارض التي يدعو إليها الهوى . وعلاج هذا المرض أن يعلم عقوبة الله للكاذب ، وأن يتيقن أنه مع استدامة الكذب لا بد أن يطلع على حاله فينقص نقصًا لا يتلافى ، فيربو حياؤه ، وخجله ، واحتقار الناس له ، وتكذيبهم إياه .

– ويرتبط هذا الباب بموضوع تغيير القيم والاتجاهات السلبية Negative Attitudes من خلال الإرشاد والتوجيه الديني Religious Counseling (ص ١٦) .

● **الباب الحادي عشر** : في دفع الحسد . الحسد تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها ، وسبب ذلك حب الميزة على الجنس وكراهته المساواة فإذا حصلت للغير نعمة تميز بها تألم هذا الإنسان لتلك الميزة أو بمساواته له فيها ، فلا يزيل ذلك الألم إلا زوال تلك النعمة عن المحسود ، والحسد يوجب طوال السهر ، وقلة الغذاء ، ورداءة اللون ، وفساد المزاج ، ودوام الكمد أو الحزن . ثم عرض المؤلف لبعض الأحاديث المتعلقة بذم الحسد .

– ويرتبط هذا الباب بانفعال الحسد ، وتأثيره في سلوك الحاسد (ص ١٧ – ١٩) .

● **الباب الثاني عشر** : في دفع الحقد ، والحقد هو بقاء أثر القبيح من المحقود . وعلاجه بالعفو والصفح ، وأن يرى الإنسان الأشياء من المقدر .

– ويرتبط هذا الباب بانفعال الكراهية والغضب والحقد (ص ٢٠) .

● **الباب الثالث عشر** : في دفع الغضب . وهو في طبع الآدمي ليحثه على دفع الأذى عنه والانتقام من المؤذى له ، والمذموم منه الإفراط فيه ، قال رسول الله ﷺ : « **ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب** » .

– ويرتبط هذا الباب بموضوع الانفعالات Emotions ، خاصة انفعال الغضب Anger ، والأضرار المترتبة على الانفعالات (ص ٢١ – ٢٣) .

● **الباب الرابع عشر** : في دفع الكبر . وهو تعظيم شأن النفس واحتقار الغير . وعلاج ذلك نوعان : جملي وتفصيلي فأما الجملي فنوعان : علمي (من خلال الأدلة السمعية والعقلية على رذائل الكبر) وعملي فصحبة المتواضعين وسماع أخبارهم . وأما التفصيلي فأن ينظر إلى رذائل النفس وأن يعلم ، أن ما يتكبر به وإن كان مالًا فهو مأخوذ منه عن قريب ، وإن كان علمًا فقد سبقه خلق كثير أعلم منه .

ويرتبط ذلك بموضوع العلاج النفسي – لمثل هذه الصفات السلبية ، من خلال الإرشاد والتوجيه ، أما من خلال الاقتداء Modeling بالنماذج الجيدة (ص ٢٣ – ٢٥) .

● **الباب الخامس عشر** : في دفع العجب . العجب ينشأ من حب النفس ، وعلاج العجب البحث عن عيوب النفس ، وسؤال الغير عن قبائحها والنظر في أحوال من سبقه .

- ويرتبط ذلك بموضوع حب النفس والزهو بها ، وهو يدخل في موضوع الانفعالات (ص ٢٥) .

● **الباب السادس عشر** : في دفع الرياء . يقع الرياء من قلة المعرفة بالله ﷻ ، وعلاجه معرفة الله سبحانه فمن عرفه أفرد القصد له ، وأقام نفسه في مقام العابد الذليل للمعبود لا في مقام معبود ممدوح .

- ويرتبط ذلك بموضوع سمات الشخصية السليمة (ص ٢٦) .

● **الباب السابع عشر** : في دفع فضول الفكر . فالفكر يراد لاستدراك فارط والنظر في مصلحة مستقبلة ، فإذا كان فيما لا يثمرهما كان ضررًا وإذا كثر أنهك البدن .

الباب الثامن عشر : في فضول الحزن . فالعاقل لا يخلو من الحزن ؛ لأنه يتفكر في سالف ذنوبه فيحزن على تفريطه .

- ويرتبط ذلك بموضوع الانفعالات خاصة الحزن (ص ٢٩ ، ٣٠) .

● **الباب التاسع عشر** : في دفع فضول الغم والهم . الغم يكون للماضي ، والهم للمستقبل ، فمن اغتنم لما مضى من ذنوبه نفعه غمه على تفريطه ؛ لأنه يثاب عليه ، ومن اهتم بعمل الخير نفعته همته . فأما إذا اغتم للمفقود من الدنيا ، فالمفقود لا يرجع والغم يؤذى ، فكأنه أضاف إلى الأذى أذًى .

- ويرتبط هذا الباب بسيكولوجية الانفعالات Emotions وكيفية مواجهتها أو التغلب عليها .

● **الباب العشرون** : في دفع فضول الخوف والحذر من الموت . الخوف والحذر إنما هما للمستقبل ، والحازم من أعد للخوف عدته قبل وقوعه ، ونفى فضول الخوف مما لا بد منه . وتحدث المؤلف قائلا : إنه لا ينبغي للعاقل أن يشتد خوفه من نزول المرض .

- ويرتبط هذا الفصل أيضًا بموضوع الانفعالات (خاصة الخوف) وبموضوع قلق الموت (ص ٣٣ - ٣٧) .

● **الباب الحادي والعشرون** : في دفع فضول الفرح ، فإذا اشتد الفرح التهب الدم ، وفي ذلك أضداد كثيرة .

فالفرح يجب أن يكون بمقدار ليعدل الحزن ، والإفراط فيه دليل على الغفلة القوية .

- ويرتبط هذا الباب بموضوع الانفعالات (الفرح أو السرور) ، وخاصة ما يسمى بالحالة

المتوسطة أو المثلى من الانفعال المؤدية إلى العمل والأداء الخلاق والمبدع (٣٧ ، ٣٨) .

• **الباب الثاني والعشرون** : في دفع الكسل . الموجب للكسل حب الراحة وإيثار البطالة وصعوبة المشاق . وعلاج الكسل تحريك الهمة بخوف فوات القصد ، وبالوقوع في عقاب اللوم أو الحصول في بيد التأسف .

• **الباب الثالث والعشرون** : في تعريف الرجل عيوب نفسه . فالنفس محبوبة وعيوب المحبوب قد تخفى على المحب ، وفي الناس من يقوي نظره وجهاده للنفس ، فينزلها منزلة العدو في المخالفة فيظهر له عيوبها ، ومن لم يعرف عيوب نفسه فهو أحمق .

• **الباب الرابع والعشرون** : في تنبيه الهمة الدنيا . فإذا كانت الهمة الدنية مكتسبة بصحبة الأدنياء أو لغلبة الطبع والهوى ، فعلاجها يكون من خلال مقاطعة أهل الدناءة ومواصلة أرباب الهمم العالية ثم التفكير بالعواقب ، ومآل الدناءة ومصير أولي الجد والاجتهاد .

- ويرتبط هذا الباب بموضوع الاقتداء Modeling والعلاج من خلال الاقتداء بالنماذج (ص ٤١ ، ٤٢) .

• **الباب الخامس والعشرون** : في رياضة النفس . فالرياضة للنفس تكون بالتلطيف والتنقل من حال إلى حال ، ويعين على الرياضة صحبة الأخيار والبعد عن الأشرار .

- ويرتبط هذا الباب بموضوع تعديل السلوك (ص ٤٣) .

• **الباب السادس والعشرون** : في ذكر رياضة الأولاد . وفيه توجيه وحث على توجيه الآباء وإرضائهم لتعليم أولادهم الرياضة والمواظبة عليها .

- ويرتبط ما ورد في هذا الباب بموضوع التنشئة الاجتماعية للأبناء في المراحل العمرية المختلفة Socialization (ص ٤٥ - ٤٧) .

• **الباب السابع والعشرون** : في رياضة الزوجة ومدارتها . وفيه يقول المؤلف : إنه من أصلح الأمور أن يتزوج الرجل البكر التي لم تعرف سواه ، وإنه ينبغي على الرجل ألا يمزح مع المرأة فتطمع فيه طمعًا يخرجها عن طاعته ، وأن أكثر العلاج في إصلاح المرأة منعها من محادثة جنسها .

- ويرتبط هذا الباب بموضوع التفاعل الاجتماعي Social Interaction بين الرجل والمرأة ، والحياة الزوجية (ص ٤٧ ، ٤٨) .

• **الباب الثامن والعشرون** : في رياضة الأهل والمماليك ومدارتهم . فالأهل إذا رأوك قد فقتهم بمالٍ أو جاهٍ حسدوك ، ومقاطعتهم محرمة فالمدارة لازمة ، وذلك بالبر لهم مع كتمان بواطن الأحوال عنهم وأما المماليك فإنهم مالكون على الحقيقة لمالكيهم ؛ لأن المطاعم والمشارب إليهم فينبغي أن يتلطف بهم لئلا يحتالوا على قتله . ويتحدث المؤلف بعد ذلك عنهم قائلًا : إن من أعظم الغلط دخول المملوك المراهق إلى البيت ، خصوصًا إن كان حسن الصورة وفي البيت نسوة فإن الشر لا يؤمن . كذلك من المخاطرات ترك الولد البالغ بين الجواري .

- ويرتبط هذا الباب بسيكولوجية مرحلة المراهقة Adolescence Stage ومظاهرها (ص ٤٩ ، ٥٠) . وبالعلاقات الاجتماعية والأسرية .

• **الباب التاسع والعشرون** : في معاشرة الناس ومدارتهم نظرًا لاختلاف طباع الناس وأحوالهم فإن مداراتهم تعتبر صعبة ؛ لذا فالعزلة عنهم راحة عظيمة . وإن ابتلى العالم بمخالطة العوام فينبغي أن يكون حذرًا .

- ويرتبط هذا الباب بسيكولوجية التفاعل بين الأفراد عام (ص ٥٠) .

• **الباب الثلاثون** : في ذكر السيرة الكاملة . علامة الكامل تربية القدوة له من الطفولة وإعطاؤه الرأي التام والعقل الوافر من الصغر كما قال اللَّه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ [الأنبياء: ٥١] .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعي .

* * *

ذم الهوى [1]

عرض : د. الحسين محمد عبد المنعم

عرض الكتاب :

الكتاب يقع في ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط ويضم الكتاب - بالإضافة إلى ترجمة المؤلف ، وخطبته - خمسين بابًا .

أما الباب الأول : ففي ذكر العقل ، وفضله ، وماهيته ؛ حيث ينقل لنا ابن الجوزي عن آخرين بأن العقل ضرب من العلوم الضرورية ، أو هو غريزة يتأتى معها إدراك العلوم ، أو هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات . أما محله فقد اختلف البعض بين من يقولون محله القلب ومحله الدماغ .

ويرى أيضًا أن العقل يزين صاحبه ويزوده بالحجة الواضحة . وأن اللّه ﷻ يميز بين الناس بالعقل ، وعدد لنا فوائده وثماره فقد دلنا العقل على وجود اللّه وأمر بطاعته وامتثال أمره . وأثبت معجزات الرسل ، وقاوم الهوى ، وحث على الفضائل ونهى عن الرذائل وغير ذلك .

ونلمح من هذا الحديث بداية أولية مبكرة لأحد الموضوعات التي تهم الدارسين في مجال علم النفس العام وهو « الذكاء الإنساني » Human Intelligence (ص ١٣ - ١٧) .

وأما الباب الثاني ففي ذم الهوى والشهوات ؛ حيث سمي هوى ؛ لأنه يهوي

---

(١) صححه وضبطه أحمد عبد السلام عطا . ط١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م .

بصاحبه ، ويدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبة ، ويخرج صاحبه من دار العقل إلى دار الجنون ، وعدد لنا سبعة أمور نأمن بها شر الهوى ، وأيد ذلك بآيات قرآنية ، وأحاديث نبوية كثيرة ، وأخبار أخرى علاوة على أشعار ذكرت في ذم الهوى . ونلمح هنا الإشارة لأحد موضوعات علم النفس العام وهو « العواطف والانفعالات » (ص ١٨ - ٣٥) .

ويتحدث الباب الثالث عن مجاهدة النفس ومحاسبتها وتوبيخها ، وهنا يؤكد ابن الجوزي على محاولة كبح جماح الشهوات ، ومحاسبة النفس في كل خطوة . ودلل على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأقوال الفقهاء ، والتي تدور كلها في فلك وقاية النفس من اتباع الشهوات .

ولعل حديثه عن محاسبة النفس في كل خطوة يعد سبقًا لدراسة أحد الأبعاد التي تدرس الآن في إطار علم النفس المعرفي Cognitive Psychology وهو بعد « الاندفاعية - التروي » Impulsivity-Reflectivity كأحد الأساليب المعرفية (ص ٣٦ ، ٤٧) .

ويقدم لنا ابن الجوزي في الباب الرابع علاج مخالفة النفس وترك هواها بالصبر والحث عليه وقسمه إلى قسمين : صبر عن المحبوب ، وصبر على المكروه ، كما عدد جزاء الصابرين . وهذا الموضوع يدخل ضمن موضوع سمات الشخصية وخاصة المثابرة persistence (ص ٥٢ - ٥٥) .

وتتحدث الأبواب من الخامس إلى العاشر بالترتيب عن القلب وحراسته من التعرض للشواغل والفتن ، وذلك بسد الطريق أمامه من خلال الحواس الخمس الموصلة إليه ، وشغله بالتدبر في اللّه وآياته ،كما بيّن لنا أن القلب يصدأ من الذنوب . وعلاج هذا الصدأ هو تلاوة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل ، والتضرع إلى اللّه ، ومجالسة الصالحين ، وتقليب القلوب ، والرغبة إلى اللّه تعالى في إصلاحها ، وبصيرة القلب ، ومحاولة تفريغ القلب من كل ما يلهي عن ذكر اللّه تعالى .

ونلمح هنا إشارة إلى دور الحواس في استقبال التنبيهات وهو ما يدخل ضمن موضوع « الإحساس » Sensation كما نجد إشارة لموضوع الاسترخاء العضلي العميق ، والذي يعد أحد تكنيكات العلاج السلوكي في علم النفس الإكلينيكي (ص ٥٦ - ٥٩ ، ٦٩ - ٧٢) .

ثم ينتقل بنا المؤلف في الأبواب من الحادي عشر - العشرين بالترتيب إلى غض البصر ؛ لأنه صاحب خبر القلب ينقل إليه خبر المبصرات ، وينقش فيه صورها فيجول

فيها الفكر ، فيشغله بما أبصره ، ثم يذم فضول النظر ، ويحذر من شره ، حيث يصفه بأنه سهم مسموم يورث الشهوة في القلب ، وينهي نهيًا شديدًا عن النظر إلى الغلمان (المردان) وصحبتهم ومجالستهم ويعتبره أعظم أبواب الفتن ؛ حيث يعتبرهم أشد فتنة من العذارى .

ويقترب ذلك من الحديث عن موضوعات الإحساس والانتباه والإدراك في علم النفس العام ، كما يقترب موضوع التحذير من النظر إلى الغلمان من الحديث عن أحد موضوعات الطب النفسي وهو (اضطرابات الشخصية) وخاصة اضطراب « الجنسية المثلية » واللواط . (ص ٧٣ - ٧٥ ، ٩٠ - ١٠٤) .

ثم ينتقل بنا الحديث عن إثم النظر وعقوبته ، فيؤكد أنه يذهب الحسنات ويروي لنا مواقف على من عاقب نفسه على النظر ففتق عينيه ودعا اللَّه ﷺ أن يأخذ بصره خوف الفتنة ، ويرتبط هذا الموضوع بمفهوم الشعور بالذنب Guilt Feeling في علم النفس الاجتماعي (ص ١٠٥ - ١٠٨) .

وعاد بنا ابن الجوزي ، فعدد لنا ثواب من غض بصره عن الحرام حيث وعده اللَّه ﷻ بالجنة ، وزاده اللَّه إيمانًا يجد حلاوته في قلبه ، وزاده في حبه . وقدم علاجًا للهم والفكر المتولد عن النظر بقطع أسبابه ، أي غض بصره ، ومراقبة اللَّه في خطرات قلبه ، وحينئذ يسهل علاج ما حدث في القلب بتقليل الشهوة بقضاء أمره من حلاه . ونجد هنا بداية أولوية لأحد أساليب العلاج النفسي Psycho - Therapy (ص ١١٥ - ١١٩) .

ويحذرنا ابن الجوزي في الباب الحادي والعشرين من الخلوة بالأجنبية حتى ولو كان لتعليمها القرآن خشية الفتنة وانشغال القلب ،كما يحذرنا في الباب الذي يليه من فتنة النساء ؛ لأنهن مصيدة الشيطان ويؤكد حديثه بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة .

ثم يحدثنا في الباب الثالث والعشرين عن التخويف من الفتن ومكايد الشيطان . ويروي عن رسول اللَّه ﷺ بأن كل إنسان يلازمه شيطان يأمره بالمعاصي وعليه مقاومته ، ويقترب هذا من الحديث عن الصراع النفسي ، وضبط النفس ، والسيطرة على أهوائها وشهواتها (ص ١٤٣ - ١٤٦) .

كما يحذرنا في الباب الرابع والعشرين من المعاصي وقبح أثرها ، وذلك بهجر ما حرم اللَّه علينا وأداء ما فرضه علينا كما عدد ثواب من اتقى اللَّه وأدى فرائضه واجتنب حرماته . ويرتبط هذا الموضوع بأساليب الثواب والعقاب في تعديل السلوك (ص ١٤٧ - ١٥٢) .

ثم يقدم لنا بابًا في ذم الزنى باعتباره من أكبر الذنوب . وقدم تحذيرًا لمن يرتكب هذا الذنب ، ودلل على ذلك بآيات قرآنية وأحاديث نبوية .

ويستطرد ابن الجوزي فيقدم بابا في التحذير من عمل قوم لوط ، ألا وهو مخالطة الرجال للرجال والنساء للنساء ، وعدد عقابهم في الدنيا والآخرة ، ويرتبط هذا بموضوع اضطرابات الشخصية في الطب النفسي (ص ١٦٢ - ١٦٦) .

ثم حدثنا في الباب السابع والعشرين وما يليه تفصيلًا عن عقوبة اللوطي في الدنيا والآخرة ، وأما عن عقوبتهم في الدنيا فهي الرجم بالحجارة ، والحرق ثم القتل علاوة على كفرهم . أما عن عقوبتهم في الآخرة فهي جهنم وبئس المصير .

ثم يقدم لنا ابن الجوزي بابًا في التحذير من العقوبات فيعجل بها تارة وتتأخر تارة أخرى ، وأشد العقوبات سلب الإيمان ، والمعرفة ، وموت القلوب ، ومحو لذة المناجاة ، وقوة الحرص على الذنب ونسيان القرآن ، وإهمال الاستغفار ، غالبًا ما تعمى البصيرة . ويمكن الاستفادة من هذا الموضوع في مجال الإرشاد النفسي وتعديل السلوك (١٦٩ - ١٧١) .

ويستدرك ابن الجوزي فيقدم لنا بابًا في الحث على التوبة والاستغفار ، ويسوق أدلة من القرآن الكريم والحديث الشريف تؤكد على أن باب التوبة مفتوح لمن أراد . ويمكن الاستفادة من الموضوعين السابقين في عملية تغيير الاتجاهات Attitude Change والسلوك (ص ١٧٢ - ١٧٥) .

ثم يدعونا في الباب الحادي والثلاثين إلى الافتخار بالعفاف ، وساق لنا مواقف تدل على العفة والترفع عما نهى اللّٰه واتباع أوامره . ويقابل هذا الموضوع ما نجده في الدراسات الحديثة عن التعلم عن طريق « النمذجة والمحاكاة » ، أو التعلم بالعبرة (ص ١٧٦ - ١٩١) .

كما يقدم بابًا آخر في فضل من ذكر ربه فترك ذنبه ؛ حيث يؤمنه اللّٰه يوم الفزع الأكبر ، ويحرمه على النار ، ويدخله الجنة ، ويفرج كرباته .

ثم ينتقل بنا ابن الجوزي إلى الحديث عن الحث على النكاح ، فهو كما روى في الحديث أفضل لغض البصر ، وحفظ الفرج ، ونجد في هذا الحديث أسلوبًا عمليًا ناجحًا في السيطرة على الدافع الجنسي وخفض ما يرتبط به من قلق (ص ٢٢١ - ٢٢٤) .

كما يقدم لنا بابًا في ذم من أفسدوا امرأة على زوجها ، حيث وعدهم اللّٰه بأشد العذاب ويرتبط هذا الموضوع بالقيم والتصورات الأخلاقية في علم النفس الاجتماعي (ص ٢٢٥ - ٢٢٧) .

ثم ينتقل أيضًا إلى الحديث في الأبواب من الخامس والثلاثين إلى التاسع والثلاثين إلى الحديث عن العشق .

ويذكر لنا بداية ماهية العشق وحقيقته ؛ حيث اختلف كلام الناس فيه ، والرأي الغالب أنه شدة ميل النفس إلى صورة تلائم طبعها ، فإذا قوي فكرها فيها تصورت حصولها وتمنت ذلك ، فيتجدد من شدة الفكر مرض . ويرتبط هذا التعريف بأحد موضوعات علم النفس العام ، وهو انفعال الحب وما يرتبط به من صور عقلية وخيال (ص ٢٢٨ ، ٢٢٩) .

وللعشق مراتب تبدأ بالاستحسان للشخص ، ثم يجلب إرادة القرب منه ، ثم المودة ، ثم يقوى الود فيصبح محبة ، ثم يصير خلة ، ثم يصير هوى من غير تمالك ، ثم يصير عشقًا ، ثم يصير تتيمًا ، ويميز بين الحب والعشق . ويعتبر هذا بداية لموضوع العواطف في علم النفس العام وكذلك موضوع الانفعالات (ص ٢٣٠ - ٢٣٢) .

أما عن أسباب العشق ؛ فمنها : مصادقة النفس ما يلائم طبعها ، فتستحسنه ، وتميل إليه ، ومنها أيضًا سماع الغزل والغناء ، ويتأكد العشق بإدمان النظر وكثرة اللقاء وطول الحديث .

ويرتبط هذا بموضوع الانفعالات والدوافع في علم النفس العام (ص ٢٣٣ - ٢٤٠) .

وقد اختلف الناس في العشق أيضًا ، هل هو ممدوح أو مذموم ؟ والرأي الغالب أنه مذموم ؛ وذلك بتأمل عواقبه ، فهو يضعف القلب ويعتري النفوس العاطلة والقلوب الفارغة ، وإذا كان مراد النفس الشهوانية اللذة فهي أيضًا مذمومة بما يزيد في ذم العشق . وذكر أيضًا أن العشاق قد جاوزوا حد البهائم في عدم ملكة النفس في الانقياد إلى الشهوات .

ويرتبط هذا بموضوع الدافع الجنسي كدافع أولي (ص ٢٤١ - ٢٤٣) . كما ذكر أيضًا أن للعشق ضررًا في الدين والدنيا ، فأما في الدين فإنه يشغل القلب عن الفكر فيما خلق له ، وبالتالي فهو يخسر آخرته ، فكلما قرب من هواه بعد عن مولاه . وأما عن ضرر العشق في الدنيا فإنه يورث الهم والفكر ، والوسواس والأرق ، وقلة المطعم ، وكثرة السهر ، وتنشأ الصفرة في البدن ، والرعدة في الأطراف ، واللجلجة في اللسان ، والتحول في الجسد ، وتعطيل الرأي ، وغياب القلب ، وتتابع الحسرات ، وربما يودي بصاحبه إلى الجنون . ويرتبط هذا بموضوع الاضطرابات النفسية في الطب النفسي (ص ٢٤٤ - ٢٤٨) .

ثم ينتقل بنا المؤلف إلى ذكر ثواب من عشق وعف وكتم . فقد أكد رسولنا الكريم في أكثر من موضوع على أن ثوابه الشهادة .

ثم عاد ابن الجوزي ففصل في ذكر الآفات التي تصيب العاشق فقال : إنه يورث السل والخرس والأرق ، والوسوسة ، وتحول الجسم ، والشلل ، وخراب الديار ، والجنون ، وساق لنا مواقف عددية تشهد على ذلك . وكما سبق يرتبط هذا الموضوع بالاضطرابات النفسية وأعراضها في الطب النفسي المعاصر (ص ٢٥٩ - ٢٧٦) .

كما ذكر لنا أيضًا بعض الحيل والمخاطرات بالنفوس وإلقائها في الهلاك لأجل المحبوب ، فمن العشاق من فسدت حيلته في الوصول إلى معشوقته فعقل ، ومنهم من ألقى بنفسه من مكان مرتفع فمات ، ومنهم من أدمن الخمر حتى مات . ويعتبر هذا الموضوع على صلة بموضوع « الانتحار » الذي يعد أحد اضطرابات الشخصية في الطب النفسي (ص ٢٧٧ - ٢٩٣) .

وهناك أيضًا من ضربت به الأمثال في العشق ، وقال الشعر وقيلت فيه الأشعار ، ومن أشهرهم : مجنون ليلى ، وعروة بن حزام ، والعباس بن الأحنف ، وذو الرمة ، وتوبة الخفاجي وجميل بثينة . ويرتبط هذا أيضًا بموضوع الانفعالات في علم النفس العام وكذلك الإبداع في الشعر (ص ٢٩٤ - ٣٠٦) .

ثم ينتقل بنا ابن الجوزي إلى الحديث عن من حمله العشق على الزنى بمحارمه ، ويروي لنا مواقف لأم هامت حبًا بابنها أنجبت منه حرامًا بحيلة أو من عشق أخته فتزوجها .

ثم يستطرد أيضًا فيروي لنا مواقف لمن كفر بسبب العشق ، فمنهم من تنصر وبرئ من الإسلام حتى يحظى بمعشوقته .

ويورد أيضًا في أمر من حمله العشق على قتل الناس حتى يصل إلى معشوقته ، انتقامًا أو غيرة عليها .

ومنهم من قتل معشوقته انتقامًا ممن تزوجها ، أو قتلها بسبب عشقها لآخر ، أو قتلها بسبب إفراطه في الشراب ، أو قتلها شكا في علاقة بينها وبين جاريتها ، وعدد لنا ابن الجوزي مواقف تشهد على ذلك .

كما يروى لنا أخبار من قُتِل من العشاق بسبب العشق فمنهم من قتلته زوجته ، ومنهم من قتل رجلًا عشق زوجته .

واستطرد فروى لنا عمن مات بسبب العشق ، فمنهم من اصفر لونه ونحل جسمه وامتنع عن الطعام والشراب حتى مات حزنًا على فراق معشوقته . ومنهم من مات لشدة شجنه على محبوبته حتى لو عادت إليه . وربما يموت من شدة الفرح بلقاء معشوقته .

ويصف لنا مواقف وصلت إلى حد قطع أجزاء من جسد العاشق فلا يحس بالألم ما دام يسمع حديث معشوقته . وكلها مواقف تدل على علة أصابته من جراء حبه وعشقه .

ووصل الأمر ببعض العشاق على قتل أنفسهم بسبب عشقهم . ويرتبط هذا بموضوع الاضطرابات النفسية في الطب النفسي كما يرتبط بموضوع شدة الانفعالات في علم النفس العام (ص ٣٤٩ - ٤٣٦) .

ثم يقدم لنا ابن الجوزي ما ذُكر في أدوية العشق ، وذلك بعد أن عرفنا أسباب المرض . فيكرر لنا بداية أن أمراض العشق تختلف ؛ ولذلك يختلف علاجها . وعلاج من في بداية المرض ليس كعلاج من انتهى به المرض نهايته ؛ لأنه إذا بلغ المضر غايته أحدث الجنون والذهول ، وتلك حالة لا تقبل العلاج ، والحالة الأخيرة يمكن التغلب عليها بتحذير الشخص من الأسباب التي تزيده قوة .

ومن الأسباب التي تضعف العشق وتوهنه : طول النظر إلى المعشوق فيزول التخيل والتوهم فيبرد قلب المحب لزوال التوهم ، وربما يؤدي تكرار النظر إلى عكس ذلك وهذا هو العشق المتمكن .

ومن علاجات العشق أيضًا غض البصر والتحذير من شره ، والعزم القوي على البعد عن المحبوب وتوطين النفس على اليأس منه ، والنظر فيما تقدم من ذم الهوى . وأهم شيء التحلي بالحياء والتفكير في آيات اللَّه وعقابه حين العرض عليه ، وتذكر النار وتصور نفاذ اللذة وبقاء العار والعذاب .

أما علاج القلق الناجم عن الهجر ، فباللجوء إلى اللَّه ﷻ في تسهيله ، وليعامله بالصبر على ما نهى عنه فربما عجل اللَّه له مراده . وساق لنا ابن الجوزي مواقف لجماعة حصلوا على مرادهم فتزوجوا النساء المحبوبات وملكوا الجواري ، وذلك بالصبر، والصلاة ، والخضوع إلى اللَّه ﷻ .

وقدم علاجًا لمن عشق ولا سبيل إلى تحصيله كذات الزوج والمحرمات ، والعلاج يكون بالعزم الجازم على هجر المحبوب ، واللجوء إلى اللَّه ﷻ ، والإكثار من الدعاء ، ثم التعالج ، فإن الأسباب لا تنافى التوكل والدعاء .

كما قدم علاجًا للجوانب الظاهرة :

مثلًا : تحول الجسد يكون باستعمال المرطبات كشم البنفسج ، ودخول الحمام للاستحمام والنوم الطويل ، والتغذي بالأغذية الرطبة ، والفظر إلى الماء الصافي ،

والتحدث بالنوادر المضحكة .

ومن ذلك أيضًا البعد عن ما يشغل القلب بالعمل والصناعة . وأيضًا باستعراض النساء للتزويج والجواري للتسري . وكذلك يكون العلاج بعيادة المرضى وتشييع الجنائز وزيارة القبور ، والنظر إلى الموتى ، والتفكير في الموت وما بعده ، ومجالسة الزهاد ، وسماع أخبار الصالحين والمواعظ .

أما عن معالجة الباطن : فيكون بقوة العزم على قهر الهوى ، واليأس والهمة الأبية ، وأن يعلم أن زوجته المحبوبة إن مات عنها مالت إلى غيره ونسيته أسرع شيء لأنه لا وفاء للنساء .

ومن الممكن أن تكون مخالطة المعشوق والوقوف على عيوبه الآدمية أيضًا علاج . ومما يداوي به الباطن تصوير فقد المحبوب ، إما بموته أو بفراق يحدث عن غير اختيار ، وأن يعلم أن الابتلاء والصبر عليه خير ، وأن يتحلى بصفات أرباب الفطنة وأن يعشق الفضائل .

ومن أدوية النفس أيضًا أنفة النفس الأبية أن تكون مقهورة .

ومن أدوية الباطن أيضًا إعمال الفكر في قبح هذا الحال ، والإصغاء إلى سماع العظة من واعظ القلب . وأخيرًا فالصبر خير علاج .

وفي النهاية يحدثنا ابن الجوزي في الباب الخمسين عن وصايا ومواعظ وزواجر . وتتلخص في : أن يعلم الفرد أن من زرع شرًا فيوشك أن يحصد ندامة . وأن يجعل الدنيا كصيام يوم عن الشهوات ، وأن يعلم أن رأس ماله قلبه ووقته فمن خسرهما خسر رأس ماله ، وأن يعلم تمام العلم أن الله ساخط على المعصية والغفلة ، وأن يعلم أن الدنيا حلم ، والآخرة يقظة ، والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام .

ويعتبر هذا الحديث إشارة واضحة لبعض أنماط العلاجات النفسية المختلفة . وبخاصة : العلاج بالعمل ، العلاج الاجتماعي ، العلاج عن طريق التعلم بالعبرة ، العلاج الديني في إطار الطب النفسي وعلم النفس الإكلينيكي (ص ٤٣٧ – ٥٠٠) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام .

* * *

الأذكياء [1]

عرض : د. الحسين محمد عبد المنعم

عرض الكتاب :

الكتاب يقع في ٢٩٥ صفحة من القطع المتوسط ، ويضم الكتاب بالإضافة إلى ترجمة المؤلف ومؤلفاته ، ثلاثة وثلاثين بابًا .

والباب **الأول** ، **في فضل العقل** وفيه أوضح المؤلف قيمة العقل مدللًا بالأحاديث القدسية والأحاديث النبوية ، وأن العقل يلي الإيمان في المرتبة ، فبه لا يستطيع الشيطان أن يكابد المؤمن العاقل ، وأن المؤمن يتلذذ في الجنة بقدر عقله .

أما الباب الثاني فبعنوان ماهية العقل ومحله ، حيث يروي لنا المؤلف عن آخرين أنه نور ، وأنه قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات ، أو أنه نوع من العلوم الضرورية ، وفي سياق آخر قيل : إنه غريزة أو إنه لب اغتنم بالتجريب ، وأما اشتقاق الاسم فأصله من الامتناع ، يقال : عقلت الناقة إذا منعتها من السير ، وقيل : محل العقل الدماغ . ولعل التعريفات التي وردت للعقل تعد سبقًا لدراسة أهم الموضوعات التي تدرس الآن في إطار علم النفس العام ، وهو موضوع « سيكولوجية التفكير » و « الذكاء الإنساني » أما الحديث عن محل العقل فيعد سبقًا حقيقيًا لما يدرس الآن في إطار أحد فروع علم النفس الأساسية وهو علم النفس الفسيولوجي (ص ٢٩ - ٣١) .

---

(١) حققه وقدم له أسامة عبد الكريم الرفاعي . دمشق : مكتبة الغزالي ؛ بيروت : مؤسسة مناهل العرفان ، ١٩٨٥م .

وموضوع الباب الثالث عن معنى الذهن ، والفهم ، والذكاء ؛ حيث يرى أن الذهن قوة للنفس تشمل الحواس الظاهرة والباطنة المستعدة لاكتساب الآراء ، والفهم جودة تتهيأ لهذه القوة وهو العلم بمعنى القول عند سماعه ، أما الذكاء فهو جودة حدس من هذه القوة تقع في زمن قصير جدًّا ، وقال البعض : حد الذكاء سرعة الفهم وحدته ، وذكر أن الذكاء في اللغة هو تمام الشيء وبذلك يكون الذكاء في الفهم هو أن يكون فهمًا تامًّا سريع القبول . ونلمح أيضًا في هذا الموضوع بداية أولية مبكرة لأحد الموضوعات التي تهم الدارسين في مجال علم النفس المعرفي ، وعلم النفس العام والقياس النفسي وهو « الذكاء وماهيته » (ص ٣٢ ، ٣٣) .

وينتقل بنا ابن الجوزي ليحدثنا في الموضوع الرابع عن العلامات التي يستدل بها على عقل العقلاء وذكاء الأذكياء ، ويقسمها إلى قسمين ، أحدهما من حيث الصورة ، والثاني من حيث المعنى ، والأحوال ، والأفعال . أما القسم الأول فيرى أن الخلق المعتدل ، والبنية المتناسبة دليل على قوة العقل وجودة الفطنة ، ومن ناحية الاستدلال على عقل العاقل بالأفعال والأحوال فيذكر أنه بالسكون والسكوت ، وخفض البصر ، والحركات اللائقة ، ومراقبة العواقب ، والخوف من الضرر . ونلمح أيضًا في هذا الموضع بداية لأحد النقاط الفرعية لأحد الموضوعات التي تدرس في إطار علم النفس العام وهو « خصائص السلوك الذكي » ويمكن أن يستفيد بها الدارس في مجال علم النفس الإكلينيكي عند تعرضه لدراسة القدرات العقلية (ص ٣٤ ، ٣٥) .

أما الموضوع الخامس فيبدأ المؤلف في ذكر مواقف للأنبياء المتقدمين مما يدل على الفطنة والذكاء أمثال إبراهيم عليه السلام ، وسليمان عليه السلام ، وعيسى عليه السلام ، وكلها مواقف تدل على الردود الصائبة وحل المشكلات بمقدرة فائقة ، وبأفكار تتميز بالندرة والطرافة .

وهنا نلمح إشارة مبدئية إلى أحد الموضوعات التي تدرس في إطار علم النفس الاجتماعي والمعرفي وهو سيكولوجية الإبداع وخاصة أحد جوانب السلوك الإبداعي ، وهو الأصالة Originality وتعني أن يأتي الفرد بأفكار تتميز بالجدة والندرة والطرافة (ص ٣٦ ، ٣٧) .

وينقل لنا الجوزي في الموضع السادس ما نقل في وصف السلوك الذكي عن الأمم السابقة ، وكلها قصص نخرج منها بأن أصحابها يتميزون بالحكمة والحنكة وتدبر الأمور .

وينقل لنا ابن الجوزي في الموضوع السابع عن ما نُقل عن نبينا ﷺ من مواقف تدل

على القدرة على الاستدلال والتجريد وحل المشكلات بمهارة فائقة . ثم ينتقل بنا الموضوع الثامن إلى ما نقُل عن الصحابة ﷺ أجمعين ، ومنها مواقف تدل على حسن التصرف في الأمور والحيل الذكية ، والذكاء الواضح ، والفراسة والطلاقة في التعبير ، وحل المشكلات بمهارة فائقة علاوة على الخدع الذكية أثناء الحروب ، ويدلل على ذلك بمواقف وأحاديث شريفة تعرض لها الصحابة الذين ورد ذكرهم .

ثم ينقل أيضًا عن الخلفاء ﷺ ، حيث يروي لنا مواقف تدل على الفطنة والقدرة على تجنب الوقوع في الخطأ ، وتدبر الأمور بكفاءة عالية ، وبقدرة فائقة على حل المشكلات ، كما يذكر مواقف تدل على حسن الحيلة ، والقدرة على الاستدلال .

ونخرج من كل هذه المواقف التي ذكرت من الباب السادس إلى التاسع بوصف للسلوك الذكي ، وجوانب للعمليات العقلية مما يصلح مرجعًا يهم الدارسين في مجال القياس النفسي ، وخاصة عند البحث عن مواقف تساعد في تصميم مقاييس للذكاء ، كما يفيد أيضًا الدارسين في مجال علم النفس العام وخاصة في موضوعي الذكاء Intelligence والشخصية الإنسانية Human Personality (ص ٣٨ - ٤٢) . واستكمالًا للحديث السابق يحدثنا في الموضوعات من العاشر إلى الثالث عشر فيما نُقل عن الوزراء والسلاطين والأمراء ، والحجاب والشرطة ، والقضاة حيث يروي لنا مواقف لهؤلاء تدل على المهارة في كشف المجرمين ، والقدرة على الاستدلال لمعرفة الجاني ، وكيفية الخلاص من المعتدين ، والمقدرة الفائقة على سبر أغوار الآخرين ومعرفة ما بداخلهم من خلال استبطانهم ، وحل المشكلات أيضًا والقدرة على التجريد من خلال المحاكاة ، والقدرة على الفهم ، وإجراء ملاحظات دقيقة ، والحيلة الذكية ، وسرعة البديهة . وهذه الموضوعات في مجملها تدخل أيضًا في إطار موضوع الذكاء في علم النفس العام . كما تعد مرجعًا في أحد فروع علم النفس التطبيقية وهو علم النفس الجنائي Criminal Psychology (ص ٧٠ - ٩٨) .

ويستمر ابن الجوزي في ذكر مواقف لعلماء الأمة وفقهائها في الموضوع الثالث عشر ، كل هذه المواقف تؤكد أيضًا على الأفكار المبدعة لهؤلاء العلماء ؛ حيث نجد في مواقفهم الأفكار الأصلية التي تتميز بالندرة والطرافة ، والطلاقة في التعبير ، كما نجد اللغة الحاضرة أيضًا والمهارة في حل المشكلات ، والخطوات المتبعة في حلها .

ويعد أيضًا هذا الموضوع سبقًا لدراسة التفكير التغييري أو العملية الإبداعية

Divergent Thinking or Creative Process (ص ٩٩ - ١١٣) .

ويستمر ابن الجوزي أيضًا في سرد مواقف لعلماء العربية من خلال الموضوع الخامس عشر ، كما سرد لنا موقفين للزهاد في الفصل الذي يسبقه ، حيث تتميز مواقفهم بالطلاقة اللغوية والاستدلال للوصول إلى الحقيقة ، والمهارة في استخدام الألفاظ والدهاء والقدرة على حل المشكلات وحل الألغاز ، والقدرة على فهم المفردات ، وحسن الردود والسرعة في الإجابة ، والمرونة العقلية عند حل بعض الألغاز . ونلمح في هذا الفصل إشارة إلى اعتباره مرجعًا في أحد موضوعات سيكولوجية اللغة وهو « اللغة والمعنى » كما يعد مرجعًا في سيكولوجية الإبداع والقياس النفسي حيث يعد بداية لسرد جوانب السلوك الذكي بشقيه التقريري Convergent والتغييري Divergent مما يساعد الدارسين في تصميم مقاييس لهذا الغرض .

ثم ينتقل بنا إلى ذكر بعض الحيل الذكية لبلوغ الأهداف من خلال الموضوع السادس عشر (ص ١١٥ - ١٢٤) ، ومن أهم المواقف التي ذكرها قدرة الشخص على الإيحاء للآخرين بتخيل مواقف معينة لبلوغ هدف معين ، ويعد هذا الموضوع أحد موضوعات علم النفس الحديث داخل ما يسمى بسمات الشخصية خاصة ما يعرف بالقابلية للإيحاء Suggestibility (ص ١٢٥ - ١٣٨) .

أما موضوعي الباب السابع عشر والثامن عشر فيركزان أيضًا على ذكر مواقف تدل على فطنة وذكاء واضح للتغلب على موقف معين ، أو الهروب منه والمدقق في هذه المواقف يخرج بأفكار مبدعة وأصيلة ، وتدل على استبصار واضح بالمشكلات مما يعد مرجعًا في سيكولوجية الإبداع (ص ١٣٩ - ١٥٦) .

ونجد في الموضوع التاسع عشر إشارة واضحة إلى مهارة في استخدام الألفاظ في مواضع مختلفة ، وإلى طلاقة لفظية وتعبيرية ، وأفكار تتميز بالندرة (ص ١٥٧ - ١٦٢) .

كما يشير الموضوع العشرون إلى الانتصار على الخصم بالمناظرة بالجواب المسكت ؛ حيث نرى مواقف كلها تدل على حسن الردود والرأي الصائب وسرعة البديهة وحضورها ، والإجابات الجادة والطريفة في نفس الوقت ، ويعد هذان الموضوعان مرجعًا في وصف جوانب العملية الإبداعية أيضًا (ص ١٦٣ - ١٧٢) .

ونخرج من خلال الفصلين الحادي والعشرين والثاني والعشرين بمواقف تدل على غلبة العوام بذكائهم كبار الرؤساء ، وأيضًا أفعال صدرت من أوساط الناس وعوامهم

تدل على قوة الذكاء ونلمح من خلالها إشارة إلى وصف آخر مماثل لجوانب العملية الإبداعية من : طلاقة تعبيرية وطلاقة تفكيرية ، ومرونة تلقائية ، وفراسة ، ومهارة في تفسير الرؤى ، وفطنة وجودة خاطر ، ولباقة في الرد وسرعة فيه ، مما يعد أيضًا وصفًا لجوانب العملية الإبداعية (ص ١٧٣ - ١٨٦) .

ثم ينتقل بنا المؤلف من خلال الفصل الثالث والعشرين إلى سرد عدد من طرائف الأذكياء ، وكلها تدل على حسن الحيلة خشية الوقوع في مأزق .

ومن خلال الفصل الرابع والعشرين نلمح إشارة إلى المهارة اللغوية وحسن استخدام الألفاظ من جانب الشعراء والمداحين ، مما يعد مرجعًا في أحد موضوعات علم النفس الحديث « وهو علم نفس اللغة » ومادة خصبة لدراسة الإبداع في الشعر (ص ١٩٠ - ١٩٥) .

أما الموضوع الخامس والعشرون فيتحدث عن حيل المحاربين ، وخططهم للوقيعة بين الأعداء وحيلهم لبث الرعب فيهم وبعض الحيل للقصاص من الأعداء ، وذكاء القادة وفطنتهم . وللمدقق في هذه المواقف أن يجد مادة يستفيد منها من خلال دراسته لأحد فروع علم النفس التطبيقية وهو علم النفس الحربي (ص ١٩٦ - ٢١٧) .

أما الفصل السادس والعشرون فيتحدث عن فطن المتطببين ، فنجد فطنة الأطباء وحسن تصرفهم في الأمور عند علاج المرضى ووصف العلاج ، كما نلمح بداية لعلاج أحد الأمراض النفسية « وهو الهستريا التحولية » مما يعد مرجعًا في الطب النفسي المعاصر ، وعلم النفس الإكلينيكي (ص ٢٠٨ - ٢١٧) .

ويتحدث الموضوع السابع والعشرون وما يليه عن فطن المتطفلين والمتلصصين ، وكلها مواقف تدور حول ذكاء البعض منهم ، وحسن حيلهم لبلوغ الهدف وحسن التصرف ، وكيفية التخلص من المواقف المحرجة ، وإشباع الرغبات ، واحتيال اللصوص على بعضهم البعض ، ووضع الخطط المحكمة التي تدل على الذكاء والفطنة .

ويدور الموضوع التاسع والعشرون حول فطن الصبيان ، فيتحدث عن فراستهم وجرأتهم وسرعتهم في الرد ، وحسن استخدامهم للألفاظ ، وحضور البديهة ، وحسن إدراكهم للأمور .

ثم يتحدث المؤلف أيضًا في الموضوع الثلاثين عن فطن عقلاء المجانين ، ويذكر مواقف تدل على قدرتهم على الإجابات المقنعة وحسن الردود ، وبعض الحيل الطريفة التي تدل على قدر من الحكمة والذكاء ، ويرتبط هذا بموضوع العبقرية والجنون ، والذي

يعتبر أحد موضوعات علم النفس الحديث (ص ٢٤٧ - ٢٥٠) .

كما يتحدث الموضوع الحادي والثلاثون عن أخبار النساء المتفطنات ، وتدل مواقفهن على مقدرتهن على الاستدلال ، وحسن التصرف في الأمور ، وحسن استخدام الألفاظ وحضور البديهة ، والحيلة لبلوغ هدف معين ، وحسن تفسيرهن للمشكلات ، ويذكر لنا مواقف كثيرة تؤكد هذه الجوانب ، وكل هذه المواقف تصف جوانب السلوك الذكي ، والتفكير المبدع بما يعد بحق مرجعًا في علم النفس العام وسيكولوجية الإبداع (ص ٢٥١ - ٢٧٧) .

أما الموضوعان الأخيران فيتحدثان عن ما ذكر على لسان الحيوان مما يدل على الذكاء ، ويعدد المؤلف مواقف تدل على ذكاء القرد ، والكلب ، والفأر ، والدب ، والسمك ، والهدهد ، والعصافير ، والثعلب ، والظبي ، والنسر ، والعقاب . ومن المواقف التي تدل على ذكاء الكلب على سبيل المثال تفانيه في خدمة صاحبه ومحاولته الثأر له . وكذلك روى لنا حكاية الفأرة التي حاولت إنقاذ فأرة أخرى .

ويرتبط هذا الحديث بأحد فروع علم النفس الحديث وهو علم نفس الحيوان Animal Psychology حتى إن ثورانديك أحد أعلام علم النفس الحديث له كتاب بعنوان Animal Intelligence (ص ٢٧٨ - ٢٩٥) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في علم النفس العام .

* * *

بر الوالدين [1]

عرض : د. الحسين محمد عبد المنعم

عرض الكتاب :

المقدمة : وهو بعنوان حرص القرآن والسنة على تأكيد بر الوالدين . وتتضمن الحديث عن الزواج والحث عليه ، فهو السكن النفسي والهدوء ، واستجماع الشتات ، وإسكان صرخات الجسد على صورة مطمئنة لا يزعجها الخوف . ثم عرض لصلة الرحم ، فالمودة والرحمة بين الزوجين من مقاصد الزواج الرئيسية ، ومن الرحمة تكون الرحم وهي القرابة في الآباء والأمهات . وقطيعة صلة الرحم معصية كبيرة حيث قال رسول الله ﷺ : « **لا يدخل الجنة قاطع رحم** » . كما شملت المقدمة الحديث عن حقوق الوالدين وبرهما ، فإذا تأكد حق القرابة والرحم ، فأخص الأرحام وأمسها الولادة ، فيتضاعف تأكد الحق فيها . فطاعة الوالدين من أوجب الواجبات وأفضل القربات ، وعقوقهما من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب . كما تناولت المقدمة : حقوق الأبناء على الآباء فقد حرص الإسلام على ألا يتسبب الآباء فيما يعكر صفو الحب والبر من الولد لأبيه ، فحد حدودًا تضمن صفاء الحب والود بين الأصل وفروعه .

فهناك واجب على الوالدين يتمثل في : الرعاية ، والتربية الدينية ، وتهيئة الولد لاستقبال الحياة ، والعدل بين إخوته . ويتضمن هذا الكتاب الموضوعات التالية :

ذكر المعقول في بر الوالدين وصلة الرحم : فمن الأمور التي يدركها كل عاقل أنه لا

---

(١) تحقيق محمد عبد القادر عطا – ط١٠ ، بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٩٨٨م (١٠٤٠ ص) .

منعم بعد الحق ﷻ على الإنسان كالوالدين ، فقد تحملا الكثير في تربية الأبناء . وأنه مهما بذل الأبناء في بر الوالدين فلن يفوا بشكرهما .

ويرتبط ذلك مباشرة بمفهوم التربية وعمليات التنشئة الاجتماعية للأبناء Socialization ، وقيمة الاعتراف بحقوق الوالدين ، وهي من القيم الأخلاقية المهمة Moral Values في تنشئة الأبناء (ص ٢٧ ، ٢٨) .

ذكر ما أمر اللّٰه به من بر الوالدين وصلة الرحم : قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] فقد جعل اللّٰه ﷻ بعد عبادته مباشرة الإحسان والبر بالوالدين . مما يدل على عظمة قدرهما . فيجب على الأبناء احترام الآباء والتحدث معهم بلطف وحسن . ومن بيان حق الوالدين أيضًا قوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤] . فقد قرن ﷻ شكره بشكرهما .

ويقترب هذا الموضوع من بعض المفاهيم السيكولوجية ، مثل : التفاعل الاجتماعي Social Interaction ، والتخاطب اللفظي وغير اللفظي Verbal & Non Verbal Communication بين الآباء والأبناء والقواعد التي يجب على الأبناء اتباعها في ذلك ، فالتخاطب اللفظي يقترب من قوله وتعالى : ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، وكذلك قوله : ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ أما التخاطب غير اللفظي فيقترب من قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [الإسراء: ٢٣] (ص ٢٩ ، ٣٠) .

هذا فيما يتعلق بذكر ما أمر به اللّٰه من بر الوالدين وصلة الرحم . أما ذكر ما أمرت به السنة من بر الوالدين ، فنعرض له على النحو الآتي :

ذكر ما أمرت به السنة من بر الوالدين : ويندرج تحت هذا العنوان عدد من الأحاديث النبوية الشريفة ، التي تحث على طاعة الوالدين ، وعدم معصيتهما ، والبر بهما ، وهناك من الأحاديث ما يشير إلى تقديم بر الوالدين على الجهاد والهجرة ، وأن أحب الأعمال إلى اللّٰه بر الوالدين ، ومن ثمرات البر على المرء أنه يطيل العمر ؛ حيث قال رسول اللّٰه ﷺ : « **من بر والديه طوبى له وزاد اللّٰه في عمره** » ، كما قال ﷺ : « **من أحب أن يمد اللّٰه في عمره ؛ ويزيد في رزقه ؛ فليبر والديه وليصل رحمه** » .

أما عن كيفية بر الوالدين : فيكون بطاعتهما فيما يأمران به ما لم يكن بمحظور ، وتقديم أمرهما على فعل النافلة ، والاجتناب لما نهيا عنه ، والإنفاق عليهما ، والمبالغة في خدمتهما ، واستعمال الأدب والهيبة لهما ، فلا يرفع صوته ، ولا يحدق إليهما ، ولا

يدعوهما باسمهما ، ويصبر على ما يكره مما يصدر منهما .

– **تقديم الأم في البر** : فهناك من الأحاديث النبوية الشريفة ما يشير إلى وجوب تقديم الأم في البر ، فعن أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رجلٍ يا رسول اللّه ، أي الناس أحق مني بحسن الصحبة ؟ قال : « **أمك** » ، قال : ثم مَن ؟ قال : « **أمك** » ؛ قال : ثم مَن ؟ قال : « **أمك** » قال : ثم مَن ؟ قال : « **أبوك** » .

– **ما يجزي به الولد والديه** : حيث قال رسول اللّه ﷺ : « **لا يجزي ولد والديه إلا أن يجدهما مملوكين فيشتريهما فيعتقهما** » .

– **ثواب بر الوالدين** : حيث عرض المؤلف لمجموعة من الأحاديث النبوية التي تشير إلى أن ثواب بر الوالدين دخول الجنة والتمتع بنعيمها .

– **من كان يبالغ في بر الوالدين** : فهناك من الأحاديث والأقوال التي تؤكد الحرص على معاملة الوالدين بأرق وأفضل ما يمكن ، سواء عند الحديث معهم ، أو تناول الطعام ، أو المشي معهم ، أو عند التحية ، أو عند النوم .... إلخ .

– **إثم عقوق الوالدين** : تشير الأحاديث في ذلك إلى عقوق الوالدين من أكبر الكبائر ، فلا يدخل الجنة عاق ، ولا مدمن خمر ، ولا من يكذب بالقدر ، وقال رسول اللّه ﷺ : « **ثلاثة لا ينظر اللّه إليهم يوم القيامة ؛ العاق لوالديه ، ومدمن الخمر ، والمنان بما أعطى** » . كما قال رسول اللّه ﷺ : « **كل الذنوب يؤخر منها ما شاء اللّه إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإنه يعجله لصاحبه في الحياة الدنيا** » .

ويستدل من ذلك أن العاق لوالديه يعاقبه اللّه ﷻ في دنياه وآخرته .ونصح بعض الحكماء بعدم إقامة علاقات صداقة مع العاقين للوالدين .

– **أما شؤم العاق لوالديه** : فيتمثل في عدم رضا اللّه ﷻ عليه ، وكذلك في غضب الوالدين منه .

أما كيفية العقوق فتتضمن عددًا من العلاقات والإرشادات منها مثلًا :

المشي بين يدي الأب ، دفع يد الأب عند ضرب الابن ، شدة النظر إليهما ، وإيجاب الحجة على الوالدين عقوق ، وعدم طاعتهما .

– **أما إجابة دعوة الوالدين على الولد** : فهذا صحيح كما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة ؛ حيث قال رسول اللّه ﷺ : « **ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهم : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالدين على ولدهما** » .

- **ثم الحديث بعد ذلك حول من تبرأ من والديه أو ولده** : وتشير مضامين الأحاديث النبوية الشريفة في ذلك إلى أن من تبرأ من والديه لا يكلمه اللّٰه يوم القيامة ولا ينظر إليه . أما إثم من تسبب في شتم الأبوين ، فهو من أكبر الكبائر . وعن صلة الوالدين بعد موتهما ، تشير الأحاديث إلا أنه من الضروري أن يدعو الابن لوالديه بعد موتهما ، فقد نصح الرسول ﷺ بالدعاء لهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم ... كما قال رسول اللّٰه ﷺ : « **هدية الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم ، وأن اللّٰه يدخل على أهل القبور من أهل الدور مثل الجبال** » .

- ثم تحدث المؤلف بعد ذلك عن ضرورة صلة أقارب الوالدين وأصدقائهما بعد موتهما وذلك في ضوء ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة ، وكذلك زيارة قبور الوالدين بعد موتهما وقراءة القرآن لهما . ثم عرض بعد ذلك لثواب صلة الرحم وعقوبة قطعه . فالرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم كما قال « أبو أوفى » ، وكما قال رسول اللّٰه ﷺ : « **من أحب أن يمد اللّٰه في عمره ، ويزاد له في رزقه ، فليتق اللّٰه وليصل رحمه** » .

ويرتبط هذا الموضوع (ذكر ما أمرت به السنة من بر الوالدين) بعدد من المفاهيم والموضوعات في مجال علم النفس :

١ - التخاطب اللفظي Verbal & Non-Verbal Communication فالإشارة إلى التخاطب اللفظي واضحة في الأحاديث التي تناولت طريقة وأسلوب الحديث والكلام مع الوالدين (ص ٣١ - ٨٨) .

أما التخاطب غير اللفظي فيتمثل في أسلوب التعامل مع الوالدين ، سواء في شكل النظرة إليهما مثلًا يعتبر من العقوق ، كما يجب أن لا يحدق إليهما .

٢ - المسافة الاجتماعية Social Distance فهناك - كما أوضحت الأحاديث النبوية الشريفة - عدد من العلامات التي يستوجب على الأبناء اتباعها ، منها ما يتعلق بالمشي مع الوالدين ، فيجب ألا تمشي بين يدي الأب ، ولكن خلفه أو عن يمينه ... إلخ (ص ٣١ - ٨٨) .

٣ - القيم الأخلاقية Moral Values وهي الطاعة ، واحترام الوالدين ، والصداقة . فهناك مثلًا إشارة إلى عدم تكوين صداقة مع العاقين لوالديهم (ص ٣١ - ٨٨) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس الاجتماعي .

* * *

روح الأرواح [1]

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

التعريف بالكتاب :

ويتضمن ثمانية عشر فصلًا نعرض لها على النحو التالي :

الفصل الأول : ويتوجه فيه المؤلف بالحمد والشكر إلى اللَّه ﷻ ، وعن قدرته وحكمته وعظمته وما إلى ذلك من الصفات . كما أن به إشارة لأهمية الدعاء إلى اللَّه ﷻ والتوجه إليه في كل شيء .

الفصل الثاني : ويتحدث فيه المؤلف عن أولياء اللَّه الذين عرفوه بنعوت الجلال فوافقهم بالأنس ، وبذكره لهم ذكروه يباهى بأحوالهم الملائكة ، وقد أحبهم اللَّه وأحبوه . ومن صفات هؤلاء الأولياء الصالحين أنهم خافوا الفضيحة يوم الحساب فحفظوا الأمانة فيما ائتمنوه .

وهناك إشارة بهذا الفصل لموضوع الانفعالات Emotions (خاصة انفعال الحزن) (ص ١٨) ، كذلك (ص ١٩) . فهناك ذكر لأبيات من الشعر تكشف عن ذلك ؛ مثل :

سلام على قلب تعرض للهوى ... سلام عليه أحرقته شجون

وعذبه هم يهيج حزنه ... فللهم والأحزان فيه فنون

الفصل الثالث : ويتحدث فيه المؤلف عن قدرة اللَّه وحكمته وتنزهه في كمال عن

---

(١) ط١ – القاهرة : المطبعة العلمية ، (١٩٨٢م) (٩٦ ص) .

التشبيه والتمثيل والمثال ، وتوحد وحدانيته عن المؤانس والمؤازر ، وتغير الحال ، وتعاظم قدرته عن الصاحب والصاحبة ، وتفرد أزليته ... إلخ .

الفصل الرابع : ويرتبط ما جاء به بموضوع الانفعالات والزهد « حب الله ﷻ » والبعد عن الدوافع والشهوات الدنيوية (٢٧ - ٣٢) .

الفصل الخامس : ويتحدث فيه عن مغفرة الله ﷻ عن عباده . وتقرب العبد إلى ربه لدرجة تأثره في انفعالاته ومشاعره ووصوله إلى ما يسمى بالحب الإلهي وهو أرقى أنواع الحب وأسماها .

الفصل السادس : ويتحدث فيه عن الموت والجنازة وما يصاحب ذلك من تغيرات انفعالية (كالبكاء والحزن) . ويرتبط هذا الفصل بموضوع الانفعالات (ص ٤٠) .

الفصل السابع : وبه عدد من الحكايات التي ترتبط بموضوع سيكولوجية الأحلام (ص ٤٣) . فهناك حكاية : حيث ذكر عن عمرو بن مالك عن أبيه قال : كان بيني وبين علي بن السامري مواخاة فلما مات رحمه الله كنت أتمنى رؤيته في المنام فرأيته في هيئة حسنة .

الفصل الثامن : ويرتبط ما ورد به بموضوع سيكولوجية الجماعة الصوفية والعلاقة بين أفرادها (ص ٤٨) .

الفصل التاسع : ويرتبط بموضوع الوعظ والإرشاد والتوجيه الديني Religious Counselling (ص ٥٠ - ٥٤) .

الفصل العاشر : ويتحدث فيه عن عزلة الجاهل وعزلة العالم . ويرتبط بموضوع الصداقة والعلاقات بين الأفراد (ص ٥٦ ، ٥٧) .

الفصل الحادي عشر : ويتحدث فيه عن الدنيا وما بها من متاع قد يدفع البعض إلى الاستمتاع به ونسيان المتع والجزاء في الآخرة والعمل لها .

الفصل الثاني عشر : ويوضح فيه المؤلف إلى ضرورة التوجه إلى اللّٰه والتفكير فيه وذكره والعمل للآخرة . كما أشار إلى ضرورة الاقتصار في تفكير العبد على ذكر ملذات ومحاسن الدنيا .

الفصل الثالث عشر : وفيه إشارة واضحة لمغفرة اللّٰه ﷻ عن عباده الذين تابوا عما فعلوا من أخطاء ، وما وقعوا فيه من إثم وذنوب .

الفصل الرابع عشر : ويتحدث فيه عن مجموعة من الحكايات التي توضح التوبة والرجوع إلى الله ﷻ .

الفصل الخامس عشر : ويرتبط ما جاء به بموضوع الانفعالات وخاصة انفعال الندم والقلق (ص ٨٢) ، ففي أحد الحكايات التي أوردها المؤلف يذكر « ... لو رفعت إلى عالم المعاني في ركب الفكر لرأيت أعلام المعرفة في أقرب مدة يا حبيبي ، خوف السابقة شق قلوب السابقين حتى قلقل القلق قلوبهم بذكر المحبوب لولا نسيم السحر ينم لهم بنفحات الاستغفار ...) .

الفصل السادس عشر : ويتحدث فيه المؤلف عن سبل الهداية والبعد عن الشهوات .

الفصل السابع عشر : ويتحدث فيه عن عبادة اللّه ﷻ والوصول إلى حالة الزهد في محبته ﷺ . وذلك من خلال ذكره لعدد من الروايات الموضحة لذلك .

الفصل الثامن عشر : ويتحدث فيه عن يوم القيامة وصفات أهل الجنة ، وأهل النار .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام .

* * *

أخبار الظرفاء والمتماجنين [1]

عرض : د. إبراهيم شوقي عبد الحميد

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٣٠٤ صفحة من القطع المتوسط ، ويضم تعريف ابن الجوزي ومقدمة المؤلف ، ثم فصول الكتاب وأبوابه وأقسامه ، وأخيرًا المراجع ، ومجموعة الفهارس ، ومنها الأعلام ، والأماكن ، والكتب والأيام والآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والشعر ، والفهرس العام .

يعتبر هذا الكتاب أحد الفنون الأدبية التي تتضمن خصائص معينة تختلف في بعض جوانبها عن خصائص الفنون الأدبية الأخرى . ولابن الجوزي نفسه من هذا النوع من الأدب بعض الكتب كالأذكياء ، وأخبار الحمقى ، والمغفلين .

يعرض الكتاب الحالي لروايات تتسم بروح الفكاهة والطرافة . والتي تنم عن فطنة قائليها كما تحتاج أيضًا لقدر عالٍ من الفهم والذكاء من قبل من يسمعها . بمعنى أنه يعرض لأشكال من التواصل Communication الخصب الذي يتطلب العديد من القدرات اللفظية Verbal Abilities وقدرات عقلية أولها القدرة على التجريد Abstraction ، ويتبع المحقق بعض الأخبار ببعض التعليقات حسبما تيسر له . ويذكر أنه قام بذلك دون محاولة إلى تتبع كل خبر بالمعارضة والتعليق ؛ لأن ذلك أمر يطول ويحتاج إلى وقت طويل . وقد استخدم المحقق أسلوب المقارنة بين الروايات الواردة

---

(١) ضبطه وحققه وقدم له محمد أنيس مهران . دمشق ؛ بيروت : دار الحكمة ، ١٩٨٧م (٣٠٣ ص) .

في الكتاب الأصلي والروايات في الكتب الأخرى . ويثبت الفرق إن كان له أهميته . وحرص المحقق على تعريف جميع الأعلام التي وردت في الكتاب ، كما تناول بالشرح الكلمات القرآنية مشيرًا إلى مصادره ، معتمدًا على أهم المعاجم العامة وبعض المراجع الخاصة .

ويختتم الكتاب بعدد من الفهارس الفنية ؛ منها : فهرس الأعلام ، والقبائل ، والجماعات ، والفرق والأماكن ، والبلدان ، والكتب ، والأحاديث ، وكذلك فهرس الأشعار والأمثال والأقوال .

ويبدأ المؤلف الكتاب بفصل عن معنى الظرف والمجون . ويشير إلى أن الظرف يكون في صباحة الوجه ، ورشاقة القد ، وبلاغة اللسان ، وعذوبة المنطق ، وطيب الرائحة ، وخفة الحركة ، وقوة الذهن وملاحة الفكاهة والمزاح . والظريف : من لديه بعض هذه الخصال (ص ٤٥) .

أما عن المجون : فهو صرف اللفظ عن حقيقته إلى معنى آخر ، وهو بذلك نوع من خلط الجد بالهزل . مما يدل على قوة الفطنة (ص ٤٤) .

بعد هذا الفصل يعرض الكتاب لروايات وحكايات عن الظرف والمجون وفقًا لمن يذكرها أو يرويها ، وتم ذلك على النحو الآتي :

- **الباب الأول** : فيما ذكر عن الرجال .
  - القسم الأول : فيما يروى عن الأنبياء عليهم السلام .
  - القسم الثاني : فيما يروى عن الصحابة .
  - القسم الثالث : فيما يروى عن العلماء .
  - القسم الرابع : فيما يروى عن العرب .
  - القسم الخامس : فيما يروى عن العوام .
- **الباب الثاني** : فيما يذكر عن النساء .
- **الباب الثالث** : فيما يذكر عن الصبيان .

ثم المراجع ، يليها الفهارس كما أسلفنا القول .

– وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب يضم العديد من الروايات والأخبار التي تمس الظرف والمجون بشكل عام ولا يمكن حصرها أو حصر أنماطها ، وإنما يمكننا ذكر بعضها

على سبيل المثال :

فمن الطرائف : بكت عجوز على ميت فقيل لها : بما استحق هذا منك ؟ فقالت : جاورنا وما فينا إلا من تحل له الصدقة ، ومات وما فينا إلا من تجب عليه الزكاة (ص ٢٣١) .

ومن أمثلة المجون : قال محمد بن القاسم : سئل بعض المجان فقيل له : كيف أنت في دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصي وأرقعه بالاستغفار (ص ١٤٦) .

- وإذا نظرنا إلى أخبار الظرف والمجون بصرف النظر عن قائليها ، يمكننا أن نطالع عددًا من الدلالات النفسية .

فمما لا شك فيه أن الفكاهة ، والمزاح ، وخلط الجد بالهزل ، يدل على قوة الذكاء ، وسماع تلك الملح والطرائف يشحذ الذهن ، وينبه القدرة على الفهم Comprehension Ability . وعند التعرض لأشكال من الطرائف والمجون نجدها تعتمد على درجة عالية من الرمزية والتجريد في إنتاجها . وهي بذلك تحتاج لمهارات وقدرات لفظية مرتفعة لدى قائلها . وكذلك تتطلب من المستمع أن يفك هذه الشفرة أو الرموز بعد أن يركز انتباهه لسامعها وإدراكها ثم فهم معناها .

وحيث أن الطرافة والدعابة تعتمد على علاقة غير مباشرة بين الرمز Symbol والمرجع Reference فلا يمكن استنتاج هذه العلاقة إلا من خلال التفكير العقلي الذي يعتمد على التجريد Abstraction أو على القدرة على تكوين تصور عام ومفهوم ، ويندرج هذا ضمن اهتمامات النظرية العقلية التي تهتم بدراسة المعنى Meaning Theory في مجال علم النفس اللغوي Psycholinguistics .

وتعتمد كذلك الطرافة والدعابة على فكرة المعنى السياقي Contextual Meaning التي تؤكد أن معاني الكلمات تتشكل بواسطة السياق الذي ترد فيه ، وأن الكلمة قد تتخذ معاني مختلفة باختلاف سياقات الحديث ، وأن محاولة استخدام الكلمة ونقلها من سياق إلى سياق مختلف أمر يثير استجابة الفكاهة لدى المستمع .

وبذلك يشتمل كل من المجون والظرف على عناصر معرفية وانفعالية (وجدانية) وسلوكية Cognitive Emotional & Behavioural Elements وهي تقابل حالات النفس الثلاث : النزوع ، والوجدان ، والإرادة . والقصد منها جميعًا إيجاد حالة من التكيف مع الذات Personal Adjustment أو مع البيئة الاجتماعية Social Adjustment والطرائف بهذا المعنى : ظواهر إنسانية اخترعها الإنسان ليواجه حالات اليأس ، والحزن ، والقلق .

بمعنى أن الضحك : ظاهرة بشرية تميز الإنسان دون سواه من المخلوقات . وله وظيفة نفسية مهمة وهي التكامل النفسي والاجتماعي Personal & Social Integration بذلك يرتبط هذا الكتاب بسيكولوجية الضحك ضمن إطار موضوع الانفعالات Emotions . ووفقًا لنظرية جيمس لانج في الانفعالات نجد أنها تؤكد أننا لا نضحك لأننا مسرورون بل نحن مسرورون لأننا نضحك ، بمعنى أن الظواهر العضوية لانفعال السرور هي العلة الحقيقية . وهو نفس ما استخلصه العالم النفسي مكدوجال .

بذلك فسماع تلك الطرائف والمجون أمر يجلب السرور والتحرر من شتى مظاهر العناء والمعاناة ، وهو أيضًا لب قضية الضحك عند كثير من علماء النفس الذين يرونه على أنه نوع من تفريغ الطاقة . بل إن الضحك عند إيزنك نوع سام من أنواع التكيف فأسماه التكيف السامي . على اعتبار أنه انفعال نفسي يهدف إلى التوازن مع الذات ومع الآخرين .

ويشبه فرويد « عالم التحليل النفسي » النكتة بالأحلام ؛ لأنها تفتقد الواقعية رغم ما تتضمنه من تورية ، وتلميح ، واستعارة ، وكناية . ففيها يتحرر الإنسان من جدية الواقع ، ويحرر نفسه من أعباء الحياة والقيود الاجتماعية ، وكذلك قيود العقل والمنطق .

وبذلك فالظرف والمجون نوع من الصحة النفسية بجانب أنه أحد الفنون الأدبية التي تحتاج إلى قدرات خاصة أشرنا إليها .

* * *

أخبار الحمقى والمغفلين من المفسرين والرواة (1)

عرض : د. إبراهيم شوقي عبد الحميد

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط ، ويتكون من ٢٤ بابًا مضمونها حول أخبار الحمقى والمغفلين . وفيما يلي نعرض لتفصيل ذلك :

- **الباب الأول** : في ذكر الحماقة ومعناها :

وفيه يعرض المؤلف للمقصود بمفهوم الحماقة ، ثم يعرض للتفرقة ين هذا المفهوم ومفهوم الجنون أو ما يطلق عليه اسم المرض العقلي Mental Illness في علم النفس الحديث . باعتبار أن الحمق والتغفيل هو خطأ في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة المقصود ، بخلاف الجنون ، فإنه عبارة عن الخلل في الوسيلة والمقصود جميعًا (ص ٢٢) .

- **الباب الثاني** : في أن الحمق غريزة :

ويذكر في هذا الباب أن سلوك الأخرق غريزة لا ينفعه التأديب . وفي هذا إشارة إلى ما يؤكده علم النفس الحديث من أن التأخر العقلي حالة من التأخر في النمو العقلي أثناء فترة الارتقاء العقلي ، وهي بذلك حالة لا تكتسب وإنما تبدأ مع مولد الطفل وربما يولد بها لعيوب خلقية في مخه قد يزيدها عوائق بيئية تحول دون نموه في حدود إمكاناته الوراثية .

---

(١) تحقيق لجنة إحياء التراث العربي . ط٥ مصححة – بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨٣م .

كذلك يشير في هذا الباب إلى المآل Prognosis للمتأخرين بأنها حالة لا تشفى وهو بذلك حالة وليس مرضًا (ص ٢٣ ، ٢٤) .

● **الباب الثالث** : في ذكر اختلاف الناس في الحمق :

يرى أنه ليس هناك إنسان تام الذكاء ويخلو من أي نقص أو حمق . وإن الأفراد يختلفون في مقدار حماقتهم وكذلك ذكائهم .

وفي هذا إشارة إلى ظاهرة الفروق الفردية Individual Differences التي نجدها في كل القدرات والسمات البشرية والتي تتخذ في الغالب توزيعًا سويًّا يعبر عنه بفكر « المنحنى الاعتدالي » ، والتي تؤكد أن معظم الناس يمتلكون قدرات متوسطة في حين أن قلة منهم متطرفة في اتجاه تزايد هذه القدرة ، يقابلها قلة متطرفة أيضًا في اتجاه النقص في هذه القدرة . وبجانب تلك الفروق الفردية بين الأفراد في كل قدرة ، ثمة فروق بين القدرات وبعضها داخل الفرد نفسه (ص ٢٥ ،٢٦٠) .

● **الباب الرابع** : في ذكر أسماء الحمقى : ويعرض فيه مسميات من تراثنا العربي للحمق والحمقى ، وتصنيفات لهما (ص ٢٧) .

● **الباب الخامس** : في ذكر صفات الحمقى :

ويعرض فيه لأقوال الحكماء والشعراء في موضوع خصائص الحمقى .

وهي تعكس ما يشير إليه علم النفس في هذا المضمار ، ومؤداه أن خصائص المتأخرين عقليًا يمكن تصنيفها على النحو الآتي :

١ - **خصائص جسمية** : صغر حجم الدماغ ، وعدم التناسب بين أجزاء الجسم .

٢ - **خصائص شخصية** : منها اللامبالاة ، ونقص الدافعية للتعلم ، وعدم الضبط الانفعالي .

٣ - **خصائص سلوكية** : كالتأخر الدراسي ، كثرة الكلام ،أو عدم القدرة على الكلام ، الاندفاعية Impulsivity ، الإفراط في الضحك ، أو السؤال بإلحاح ... إلخ (ص ٢٨ - ٣٥) .

● **الباب السادس** : في التحذير من صحبة الحمقى :

وفيه يعرض لأقوال تحذر من صحبة الأحمق . فهي تجلب الأذى سواء النفسي أو الاجتماعي للشخص المصاحب . بل ربما تحدث نوعًا من الأذى العقلي متمثلًا في نوع من الارتداد Regression أو التدهور العقلي Menal Deterioration نتيجة الاحتكاك

بالحمقى ، وذلك لعدم توفر مناخ مثير عقليًا ويفتقر إلى الخبرة أثناء صحبتهم خاصة إذا طالت .

وفي مجال علم النفس يزخر تراثه بعديد من حالات المتخلفين عقليًا عاشوا في بيئات محرومة Deprived Environment تفتقر إلى الخصوبة المعرفية (تربوا في غابة ، أو بدروم مظلم أو بصحبة أم بكماء عمياء) (ص ٣٦ - ٣٨) .

● **الباب السابع** : في ضرب للمثل بمن عرف حمقه :

وفيه استخدام أنماط السلوك الفطري لدى الحيوان والطير في ضرب الأمثلة بالحمقى . مثل : أحمق من نعامة .

وكذلك استخدام أسماء بعض الحمقى في تلك الأمثلة ؛ مثل : أحمق من جحا (ص ٣٩ ، ٤٠) .

● **الباب الثامن** : في ذكر أخبار من ضرب المثل بحمقه وتغفيله :

ويعرض لأخبار عن خصال الحمقى وسلوكياتهم . منها ما يشير إلى عيانية تفكيرهم Concreteness والسلوك الشاذ Bizarre behaviour وعدم التوافق الاجتماعي Lack of Social Skills (ص ٤١ - ٦٠) .

● **الباب التاسع** : في ذكر أخبار جماعة من العقلاء صدرت عنهم أفعال الحمقى ، وأصروا عليها مستصوبين لها فصاروا بذلك الإصرار حمقى ومغفلين .

وفيها يعرض لنماذج شخصيات تتسم بالجمود والتصلب في الفكر والسلوك Rigidity أو التعصب Prejudice مثل رفض إبليس السجود لآدم وإصراره على ذلك . وموقف النصارى من عيسى عليه السلام ، ونماذج أخرى من الخلفاء والأمراء والأئمة (ص ٦١ - ٧١) .

● **الباب العاشر** : في ذكر المغفلين من القراء المصحفين :

ويعرض فيها عن أخطاء في القراءة وتبديل الكلمات ، وأخطاء في تشكيل الحروف وهو أمر يهم دارسي اضطرابات اللغة وأخطائها ، باعتبار أن اللغة وسيلة اتصال بين المتحدث (المرسل) والمستمع (المستقبل) وإذا اختلت هذه الوسيلة لا تفهم الرسالة .

● **الباب الحادي عشر** : في ذكر المغفلين من رواة الحديث الصحفيين :

ويعرض لأخطاء كالتي عرض لها في الباب السابق . بجانب أخطاء في رواية الأحاديث وفي نسبها لأصحابها .

- **الباب الثاني عشر** : في ذكر المغفلين من الأمراء والولاة :

ويعرض لأخبار عن أخطاء في الحكم ، وفي تقدير الأمور ، وفي السلوك اللفظي ، أو الفعلي لدى الأمراء والولاة .

- **الباب الثالث عشر** : في ذكر المغفلين من القضاة .

- **الباب الرابع عشر** : في ذكر المغفلين من الكتاب والحجاب .

ويعرض لطرائف عن أخطاء في المراسلات .

- **الباب الخامس عشر** : في ذكر المغفلين من المؤذنين .

- **الباب السادس عشر** : في ذكر المغفلين من الأئمة .

- **الباب السابع عشر** : في ذكر المغفلين من الأعراب .

- **الباب الثامن عشر** : في ذكر المغفلين من المتحذلقين .

ويهتم بمخاطبة الناس بما لا يفهمون وإن كان صوابًا تظاهرًا بالبراعة ؛ (مثل مخاطبة العامة بالنحو والبلاغة) .

- **الباب التاسع عشر** : في ذكر من قال شعرًا من المغفلين :

ويعرض لأخطاء الوزن والقافية وأخطاء في المدح وغيره .

- **الباب العشرون** : في ذكر المغفلين من القصاص .

- **الباب الحادي والعشرون** : في ذكر المغفلين من المتزهدين .

ويعرض لأخطاء يرتكبها المتزهدون في أفعالهم ، وفي أدعيتهم ، وفي استخدامهم لآيات قرآنية في غير مواقفها ، وفي عدم تقدير بعضهم للأنبياء .

- **الباب الثاني والعشرون** : في ذكر المغفلين من المعلمين :

ويعرض فيه لأخبار عن الحمقى من المعلمين الذين تزداد حماقتهم من كثرة احتكاكهم بالصبية وقليلي الخبرة والعامة .

- **الباب الثالث والعشرون** : في ذكر المغفلين من الحاكة .

- **الباب الرابع والعشرون** : في ذكر المغفلين على الإطلاق :

ويعرض لأخبار الحمقى من رجال ونساء وشيوخ من عامة الناس : منهم جحا ، وأقاصيص يرويها عدد من الأئمة ، والولاة ، والفقهاء .

أوجه الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الباب في مجال سيكولوجية الشخصية والتأخر العقلي .

* * *

تلبيس إبليس [1]

عرض : د. معتز سيد عبد الله

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٣٩٧ صفحة من القطع الكبير ، ويتكون من ثلاثة عشر بابًا يدور مضمونها حول التحذير من فتنة إبليس ، والتخويف من محنه ، والكشف عن مستوره ، وذلك حتى ينكشف تلبيسه ، ويتبين للفطن تدليسه ، فمن انتهض عزمه للعمل بها ضج منه إبليس . وهو ما نعرض لتفاصيله على النحو التالي :

● **الباب الأول** : الأمر بلزوم السنة والجماعة :

عن ابن عمر بن الخطاب ﵄ أنه خطب بالجابية فقال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال : « **من أراد منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد** » . وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي : المجاراة Conformity (ص ٨ - ١٢) ، والجماعة Group (ص ٨ - ١٠) ، والوسواس Obsession (ص ٨ - ١٢) .

● **الباب الثاني** : في ذم البدع والمبتدعين :

عن عائشة ﵂ قالت : قال رسول الله ﷺ : « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد** » . وعن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « **من رغب عن سنتي فليس مني** » . وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : المجاراة Conformity (ص ١٤ ، ١٥) والتوجيه والإرشاد Counseling (ص ١٤) ، والوسواس Obsession

---

(١) دار القلم ، بيروت ، ط. ١ ، (١٩٨٢م) .

(ص ١٨ - ٢١) ، والجماعة Group (ص ١٩ - ٢١) ، والخوف Fear (ص ١٥ ، ١٦ ، ٢٤) ، والثواب Reward (ص ١٥ - ٢٤) ، والعقاب (ص ٢١ - ٢٤) .

● **الباب الثالث** : في التحذير من فتن إبليس ومكايده :

قال الشيخ أبو الفرج رحمة اللّٰه عليه : اعلم أن الآدمي لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه . ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه . وأعطي العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب ، وخلق الشيطان محرضًا على الإسراف في اجتلابه واجتنابه ، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عدوانه من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم . وقد أمر اللّٰه تعالى بالحذر منه فقال ﷺ : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٨ ، ١٦٩] .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي : الوساوس Obsessions (ص ٢٤ - ٣٧) ، والعدوان Aggression (ص ٢٤ ، ٢٥) ، والنفس Psychic (ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٧) ، والدوافع البيولوجية (ص ٢٤ ، ٢٥) ، والخوف Fear (ص ٢٧ - ٢٩) ، والغضب Anger (ص ٢٤ ، ٣١ ، ٣٣) .

● **الباب الرابع** : في معنى التلبيس والغرور :

قال المصنف : التلبيس إظهار الباطل في صورة الحق ، والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحًا والرديء جيدًا : وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك ، وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه ويزيد تمكنه منهم ، ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم ، وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي : الوسواس Obsession (ص ٣٨ ، ٣٩) ، والصراع النفسي Self-Conflict .

● **الباب الخامس** : في ذكر تلبيسه في العقائد والديانات :

ويشمل ذلك ذكر تلبيس إبليس على كل من السوفسطائية ، والدهرية ، والطبائعيين ، والثنوية ، والفلاسفة وتابعيهم ، وأصحاب الهياكل ، وعبَّاد الأصنام ، والجاهلية ، وعابدي النار ، والشمس والقمر ، وجاحدي البعث ، والقائلين بالتناسخ ، وكذلك تلبيسه على أمتنا في العقائد والديانات ، والخوارج ، والرافضة ، والباطنية ، وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي : الوساوس Obsessions (ص ٣٩ - ١٠٩) ، والاعتقاد (معتقد Belief) (ص ٣٩ - ١٠٩) ، والشك Suspiciousness (ص ٤٠ ، ٤٢ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٨٣) ، والإحساس Sensation

(ص ٤٠ ، ٤٢ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٩١) . كما يتضمن هذا الباب أيضًا كيف تؤثر الدوافع والشهوات في كل من الإدراك الحسي والتفكير مما يسبب أخطاءهما ، وهذا هو مما يستعين به إبليس في التلبيس على الناس .

● **الباب السادس** : في ذكر تلبيس إبليس على العلماء في فنون العلم :

ويشمل ذكر تلبيس إبليس على أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والوعاظ والقصاص ، وأهل اللغة والأدب ، والشعراء ، والكاملين من العلماء . وذلك في سائر الجوانب والقضايا الخاصة بعلمهم . وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي الوساوس Obsessions (ص ١٠٩ - ١٢٨) . والنية أو المقصد Intention (ص ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٧) . وأخطاء كل من الإدراك الحسي والتفكير تحت تأثير الدوافع والشهوات والانفعالات التي يستعين بها إبليس في التلبيس على الناس .

● **الباب السابع** : في تلبيس إبليس على الولاة والسلاطين :

ويشتمل تلبيس إبليس على الولاة والسلاطين في وجوه كثيرة ؛ منها : أنه يريهم أن الله ﷻ يحبهم ولولا ذلك ما ولاهم سلطانه ، وأنه يقول لهم أن الولاية تفتقر إلى هيبة فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء ، وأنه يخوفهم الأعداء ويأمرهم بتشديد الحجاب . فلا يصل إليهم أهل المظالم ، وأنه يحسن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لا يجوز قطعه ، ويقتلون من لا يحل قتله . هذا بالإضافة إلى جوانب أخرى عديدة يتم تلبيسها للولاة والسلاطين . وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : الوساوس Obsessions (ص ١٢٨ - ١٣٠) .

● **الباب الثامن** : ذكر تلبيس إبليس على العباد في العبادات :

إن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل . فهو يدخل منه على الجهال بأمان . وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة . وفي ضوء ذلك يتمكن إبليس من التلبيس على قليلي العلم في فنون التعبد . ويشمل ذلك الاستطابة والحدث ، والوضوء ، والأذان ، والصلاة ، وقراءة القرآن ، والصوم ، والحج ، وعلى الغزاة وعلى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : الوساوس Obsessions (ص ١٣٠ - ١٤٥) ، والمقصد أو النية Intention (ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤١) ، والجماعة Group (ص ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤١) ، والخوف Fear (ص ١٣٥) .

● **الباب التاسع** : في ذكر تلبيس إبليس على الزهاد والعبّاد :

ويشتمل ذلك على تلبيسه لهم في جوانب عديدة ؛ منها إعراضهم عن العلم شغلاً بالزهد ، وإيهامهم أن الزهد يعني ترك المباحات ، وأن الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب . وأكثر ما يلبس به على العبّاد والزهاد خفي الرياء . أما الظاهر من الرياء فلا يدخل في التلبيس مثل إظهار النحول ، وصفار الوجه ، وشعث الشعر ، ليستدل به على الزهد .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : الوساوس Obsessions (ص ١٤٥ - ١٥٥) ، والعزلة Isolation (ص ١٤٥ - ١٥٥) .

● **الباب العاشر** : في ذكر تلبيسه على الصوفية في جملة الزهاد :

ذكرنا في الفصل التاسع تلبيس إبليس على الزهاد ، إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وتوسموا بسمات تطلبت إفرادهم بالذكر . ومن ثم شمل تلبس إبليس الصوفية في جوانب متعددة ؛ منها الطهارة ، والصلاة ، والمساكن ، والخروج عن الأموال والتجرد عنها ، واللباس ، ومطاعمهم ومشاربهم ، وفي السماع والرقص والوجد ، وفي ادعاء التوكل وقطع الأسباب وترك الاحتراز في الأموال ، وفي ترك التداوي ، وفي ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة ، وفي ترك النكاح ، وفي الأسفار والسياحة ، وفي دخول الفلايا بغير زاد ، وإذا قدموا من السفر ، وإذا مات لهم ميت ، وفي ترك التشاغل بالعلم ، وفي إنكارهم على من تشاغل بالعلم ، وفي كلامهم في العلم ، وفي الشطح والدعاوى .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي : الوساوس Obsessions (ص ١٤٥ - ١٥٥) والعزلة Isolation (ص ١٤٥ - ١٥٥) ، والجماعة Group (ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣١٥) ، والمجاراة Conformity (ص ٢٨٠ - ٢٨١) . والدافع الجنسي Sex Motive (ص ٢٨٤ - ٢٨٧) ، والشطط Circumestantiality (ص ٣٣٠ - ٣٣٨) ، والاختلاق Fabrication (ص ٣٣٠ - ٣٣٨) ، وأنماط الشخصية الأربعة (السودوي والصفراوي ، والبلغمي ، والدموي) (ص ٢٠٦) ، والرغبة Desire (ص ٢٠٠ - ٢١١) ، والاعتقاد (المعتقد Belief) (ص ١٦٤ - ١٦٨) واعتقاد خاطئ Misbelief (ص ١٦٤ - ١٦٨) ، وسوء فهم Misunderstanding (ص ١٧٢ ، ٢٥٤ ، ٣٢٤ ، ٣٣٠) .

● **الباب الحادي عشر** : في ذكر تلبيس إبليس على المتدينين بما يشبه الكرامات :

بينا فيما تقدم أن إبليس يتمكن من الإنسان على قدر قلة علمه ، فكلما قل علم

الإنسان كثر تمكن إبليس منه ، وكلما كثر العلم قل تمكنه منه ، ومن العبّاد من يرى ضوءًا أو نورًا في السماء ، فإن كان رمضان قال : رأيت ليلة القدر وإن كان في غيره قال : فُتحت لي أبواب السماء . وقد يتفق له الشيء الذي يطلبه فيظن ذلك كرامة وربما كان ، اتفاقًا وربما كان من خدع إبليس . والعاقل لا يساكن شيئًا من هذا ولو كان كرامة .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب هي : الوساوس Obsessions (ص ٣٦٥ - ٣٧٥) .

● **الباب الثاني عشر** : في ذكر تلبيس إبليس على العوام :

قد افتن إبليس فيما يفتن به العوام ، وحصر ما فتنهم ولبس عليهم فيه ما لا يمكن ذكره لكثرته ، وإنما تذكر من الأمهات ما يستدل به على جنسه . فمن ذلك أنه يأتي إلى العامي فيحمله على التفكير في ذات الله ﷻ وصفاته فيتشكك . ومن العوام من يرضى عن العقل نفسه ، فلا يبالي بمخالفة العلماء ، فمتى خالفَتْ فتواهم غرضه أخذ يرد عليهم ويقدح فيهم ، ومن تلبيسه عليهم كذلك تقديمهم المتزهدين على العلماء ، وقدحهم في العلماء بتناول المباحات وذلك من أقبح الجهل ، وإطلاقهم أنفسهم في المعاصي فإذا وبخوا تكلموا كلام الزنادقة ... إلخ .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي : الوساوس Obsessions (ص ٣٧٥ - ٣٨٩) .

● **الباب الثالث عشر** : في ذكر تلبيس إبليس على جميع الناس بطول الأمل :

كم قد خطر على قلب يهودي ونصراني حب الإسلام ، فلا يزال إبليس يثبطه ويقول : لا تعجل وتمهل في النظر فيسوفه حتى يموت على كفره . وكذلك يسوف العاصي بالتوبة ، فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنيه الإنابة . وكم من عازم على الجد سوَّفه ، وكم ساعٍ إلى فضيلة ثبطه ... إلخ .

وأهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذا الباب ؛ هي : الوساوس Obsessions (ص ٣٨٩ ، ٣٩٠) ، والرغبة Desire (ص ٣٨٩) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعي .

* * *

فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)

لباب الإشارات [١]

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

التعريف بالمؤلف :

هو الإمام الجليل محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي ، ويكنى بأبي عبد الله وأبي المعالي ، وأبي الفضل واشتهر بين الناس بابن الخطيب ويلقب بفخر الدين ، وبشيخ الإسلام ، وأكثر المؤرخين ينسبونه إلى أبي بكر الصديق ﷺ . وقد ولد في مدينة الري وموقعها الآن شرقي طهران عاصمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . وهي توافق سنة ألف ومائة وتسع وأربعين من الميلاد ، ويقول القفطي : إنه انتقل إلى الدار الآخرة في ذي الحجة من سنة ست وستمائة من الهجرة . وكثيرون يقولون : إنه انتقل إلى الدار الآخرة في غرة شوال من سنة ست وستمائة في مدينة هراة .

وقد أثنى العديد من العلماء عليه ، فيقول صاحب الوافي بالوفيات ، عن الإمام فخر الدين : اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله في غيره - فيما علمته من أمثاله - وهي : سعة العبارة في القدرة على الكلام ، وصحة الذهن ، والاطلاع الذي ما عليه من مزيد ، والحافظة المستوعبة ، والذاكرة التي تعينه على ما يريده في تقرير الأدلة والبراهين ، ويقول صاحب طبقات الشافعية : إنه إمام المتكلمين .

---

(١) تصحيح محمد بدر الدين النسائي الحلبي - ط. ١ . القاهرة : مصطفى أفندي المكاوي ، محمد أمين الخانجي ، (١٩٠٨) ، (ص ١٣٦) .

ومن مؤلفات الإمام فخر الدين الرازي ما يأتي :

١ – التفسير الكبير .

٢ – الأربعين في أصول الدين .

٣ – أساس التقديس .

٤ – محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين .

٥ – شرح عيون الحكمة لابن سينا .

٦ – اعتقادات فرق المسلمين والمشركين .

وقد عدت له كتب كثيرة على أنها مستقلة ، وتبين أنها أبواب أو أجزاء من كتبه الكبيرة ؛ مثل : كتاب النبوات ، فإنه جزء من المطالب العالية . ومثل كتاب النفس ، فإنه الجزء السابع من المطالب ، ومثل القضاء والقدر ، وهو الجزء التاسع من المطالب (١) .

عرض الكتاب :

ويضم الكتاب الموضوعات التالية :

أولًا : في الجهات وأجسامها الأولى والثانية ، والكلام مرتب على قسمين :

القسم الأول : في الفلكيات وفيه مسائل :

المسألة الأولى : وهي في إثبات الفلك . **والثانية** : في أحكام كلية الأجسام . **والثالثة** : في صفات الفلك . **والرابعة** : في أحكام الميل ، **والخامسة** : في ذكر بقية صفات الفلك .

القسم الثاني : في العنصريات وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : الأجسام العنصرية تجد فيها قوى مهيأة نحو الفعل ، لكن إذا فتشنا وجدناها قد تعرى عن جميع القوى الفعالة إلا الحرارة والبرودة ، والمتوسط التي يستبرد بالقياس إلى الحار ويستحر بالقياس إلى البارد .

المسألة الثانية : في صفات هذه العناصر .

ثانيًا : في النفس الأرضية والسماوية ، والكلام فيها على أقسام :

القسم الأول : في البحث عن ماهية جوهر النفس .

---

(١) المصدر : كتاب المطالب العالية من العلم الإلهي – للإمام فخر الدين الرازي . تحقيق : د. أحمد حجازي السقا ، بيروت – دار الكتاب العربي ١٩٨٧م .

ويرتبط هذا القسم بمفهوم النفس والمزاج (ص ٧١ - ٧٣) .

القسم الثاني : فيما يتعلق بالقوة المدركة التي للنفس ، فالإدراك عبارة عن حضور صورة المشعور به في الشاعر ، ويمكن أن يكون الإدراك جزئيًا أو كليًا .

وتحدث عن أن النفس الإنسانية لها قوتان : عامة : وهي القوة التي باعتبارها يدبر البدن ، وعاقلة : ولها مراتب : فأولها : كونها مستعدة لقبول الصور العقلية ، وهذه المرتبة مسماة بالعقل الهيولاني . وثانيها : أن تحصل فيها التصورات والتصديقات البديهية وهي العقل بالملكة ، وثالثها : أن يحصل الانتقال من تلك المبادئ إلى المطالب الفكرية البرهانية ، ورابعها : أن تكون تلك الصور العقلية حاضرة بالفعل ينظر إليها صاحبها وهي المسماة بالعقل المستفاد .

ويرتبط ما ورد بالقسم الثاني بالإدراك العقلي (ص ٧٤ - ٨٤) .

القسم الثالث : في البحث عما يتعلق بالقوة المتحركة النفسانية . ويتحدث فيه عن حركات حفظ البدن ، والحركات الاختيارية ، والإرادة الكلية .

ويرتبط هذا الجزء بالأنشطة الفسيولوجية والحركية التي تقوم بها أعضاء الجسم وعضلاته المختلفة كما يرتبط بمفهوم الإدارة (ص ٨٢ - ٨٤) .

ثالثًا : في الوجود وعلله .

فمن الناس من ظن أن ما لا يكون محسوسًا مشارًا إليه لم يكن معقولًا، وهذا خطأ ؛ لأن القدر المشترك من الإنسانية بين الأشخاص المختلفة لا يكون محسوسًا ولا مشارًا إليه مع أنه معقول وأيضًا فأكثر الأحوال النفسانية كالعشق ، والخجل ، وغيرها من علائق الأمور المحسوسة غير محسوس بل الحس غير محسوس والوهم غير متوهم .

في العلم الإلهي :

ويتحدث فيه المؤلف عن الصنع والإبداع ، والغايات ومبادئها ، والنفس الناطقة . ويرتبط هذا الجزء بالقدرات العقلية Mental Abilities خاصة ما أسماه المؤلف بالتعقل الانفعالي (ص ١١٩) وهو أن تستفاد الصور العقلية من الصور الخارجية ، كما يرتبط بموضوع الإدراك الحسي والعقلي (ص ١١٦ - ١٢٢) .

كما تحدث أيضًا المؤلف عن البهجة والسعادة . وقارن بين اللذات الحسية النفسية والعقلية ، وقال : إن اللذات النفسية والعقلية أعظم من اللذات الحسية (ص ١٢٣) . وذكر أن « اللذة هي إدراك لما هو خير عند المدرك ، والألم إدراك لما هو شر عند المدرك ،

وقد يختلف الخير والشر بحسب القياس ، فالشر الذي هو عند الشهوة خير هو المطعم الملائم والملبس الملائم ، والذي عند الغضب خير فهو الغلبة . والذي هو عند العقل خير فبعد المفارقة باعتبار القوة النظرية هو الحق ، وقبل المفارقة باعتبار القوة العملية هو الجميل .. » (ص ١٢٣ ، ١٢٤) . وذهب إلى أن الإدراك العقلي أشرف من الإدراك الحسي ، وأن اللذة العقلية (التي تتمثل في جلبة الحق) أفضل وأعظم من اللذة الحسية (ص ١٢٤ ، ١٢٥) .

ويرتبط هذا الجزء بموضوع الإدراك الحسي ، والإدراك العقلي ، وكذلك بمفهوم اللذة والألم ، والانفعالات (ص ١٢٣ - ١٢٧) .

ثم تحدث بعد ذلك عن مقامات العارفين وأهم ما يتسمون به ويميزهم . ويرتبط هذا الجزء بسيكولوجية الجماعات المتصوفة (ص ١٢٧ - ١٣٠) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام ، وعلم النفس الاجتماعي .

* * *

الفراسة [1]

عرض : د. معتز سيد عبد الله

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ١٢٨ صفحة من القطع المتوسط ، ويتكون من ثلاث مقالات ، يشتمل كل منها على مجموعة من الفصول أو الأبواب . ويدور مضمون الكتاب بوجه عام حول الفراسة وكيفية معرفة أخلاق الناس وطبائعهم بسهولة . وينهي المحقق كتابه بعرض فهرس مفصل للموضوعات الخاصة بكل مقال . وهو ما نعرض لتفاصيله على النحو التالي :

المقالة الأولى :

وفيها يعرفنا المؤلف بالفراسة والمزاج ويبين فضيلة هذا العلم في القرآن والسنة والعقل ، موضحًا أقسام هذا العلم وذلك على النحو التالي :

الفصل الأول : في الفراسة والمزاج :

وفيه يعرف الفراسة بأنها عبارة عن « الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة » . وتقرير هذا الكلام : أن المزاج إما أن يكون هو النفس ، وإما أن يكون آلة للنفس في أفعالها .

---

(١) دليلك إلى معرفة أخلاق الناس وطبائعهم وكأنهم كتاب مفتوح / محمد الرازي فخر الدين . القاهرة : مكتبة القرآن ، ١٩٨٧م .

الفصل الثاني : في بيان فضيلة هذا العلم :

وفي هذا الفصل يدلل المؤلف على فضيلة هذا العمل من خلال بعض الآيات والأحاديث الشريفة وبعض الدلائل العقلية .

الفصل الثالث : أقسام هذا العلم :

وهما قسمان ؛ أحدهما : أن يحصل خاطر في القلب أن هذا الإنسان من حاله وخلقه كذا وكذا من غير أن يحصل هناك علامة جسمانية ، ولا أمارة محسوسة ، والثاني : هو الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة . فهو علم يقيني الأصول ظني الفروع .

الفصل الرابع : في تعديل الأمور التي لا بد من معرفتها في هذا العلم :

إن الاستدلال على حصول الشيء تارة : بما يكون علة له . وثانيًا : بما يكون معلولًا له . وثالثًا : بما يكون معلولًا لعلته ، وهذا هو المسمى « بالاستدلال بأحد المعلولين على المعلول الثاني . فهنا أيضًا الأمر الذي يتوصل إلى معرفة الأخلاق الباطنة التي في الإنسان تارة : يكون بعلته الموجبة له وهو المزاج البدني . وتارة : بمعلوله وأثره وهو الأفعال الصادرة عن الإنسان . وثالثًا : بسائر الأحوال التي كالمعلومات للمزاج الأصلي الإنساني .

الفصل الخامس : في الفرق بينه وبين العلوم القريبة منه :

إن هذا العلم يقرب منه أنواع أخرى كثيرة ؛ منها : النوع الأول : أمور لا يمكن ردها إلى الأصول العلمية ، بل لا يمكن الرجوع فيها إلى التجارب المروية عن المتقدمين ، وهي مثل ما يوجد في أبدان الناس من الشامات والخيلان ، وما يعرض في الأعين من اختلاج والضربات ... إلخ ، والنوع الثاني : الاستدلال بالخطوط الموجودة في الأكف والأقدام ، وهي التي تسمى أسرارًا ثم إنه يوجد لها في التقاطع ، والتباين ، والطول ، والقصر ، وفيما يوجد فيها من الفرج المتسعة تارة ، والمتضايقة أخرى أشكال مختلفة ، ويأخذ منها أصحاب علم الفراسة دلالات مختلفة . والنوع الثالث : هو النظر في أكتاف الضأن والماعز . والنوع الرابع : صناعة القيافة ومنها قيافة الأثر وقيافة البشر .

الفصل السادس : الطرق التي يمكن بها معرفة أخلاق الناس :

وهي ستة ؛ الأول : بحسب الشكل والهيئة ، والثاني : بحسب الأصوات ، والثالث : إذا رأينا إنسانًا يشابه حيوانًا في أمر من الأحوال الظاهرة فحينئذ نستدل بتلك المشابهة في الخلق الباطن استدلالًا بحصول أحد المعلولين على حصول المعلول الثاني . والرابع : أن

نقول : لا شك أن الإنسان نوع تحته أصناف ، وهم الأمم الكبار الأربع : وهم الفرس ، والروم ، والهند ، والترك ، ولكل واحد من هذه الأصناف خلق مخصوص في الظاهر وخلق مخصوص في الباطن ، وإذا رأينا الشكل الخاص ببعض الأصناف حاصلًا في إنسان ، حكمنا بأنه حصل الخلق الملائم لذلك الشكل فيه . والخامس : اعتبار حال الذكور والإناث . والسادس : إنا إذا عرضنا بشيء من الطرق المذكورة حصول خلق مخصوص في الباطن ، فقد يمكننا أن نستدل بحصول ذلك الخلق على حصول خلق آخر .

الفصل السابع : الأمور التي يجب رعايتها عند الرجوع إلى هذه الطرق :

وهي أمور ثلاثة ؛ الأول : أن كل واحد من هذه الدلائل ليس يقينا ، بل دليلًا يفيد الظن الضعيف ، فكلما كانت الدلائل المتطابقة على المدلول الواحد أكثر كانت في إفادة عدم الظن أقوى . والأمر الثاني : أن التعويل في هذا الباب على معرفة الصور الظاهرة . والأمر الثالث : أن هذه الدلائل إذا تعارضت فإنه لا بد من المصير إلى الترجيح وهو من وجوه ؛ الأول : أن الدلائل على حصول الخلق إن كانت حاصلة في العضو ، وهو المحك لذلك الخلق ، فهي أقوى من الدلائل الحاصلة في عضو آخر مثله . والثاني : أن هذه الدلائل إذا تعارضت ، فتعادلت في الكمية ، والكيفية وجب التوقف . أما إذا حصل الترجيح ، إما بحسب الكمية أو بحسب الكيفية أو بحسب ما يترك منهما ، فوجب الترجيح . والثالث : أن أقوى الأقسام دلالة على أن الأحوال الباطنة الاستدلال بأحوال الأخلاق والقوى والأجناس . والرابع : أن هذه الدلائل قد تكون مشتركة بين الأخلاق المختلفة .

أما أهم المفاهيم السيكولوجية التي اشتملت عليها هذه المقالة فهي :

المزاج Temperament (والأمزجة الأربعة) (من ص ٢٧ - ٤٩) والشكل الخارجي للجسم Morphology (كأحد سمات الشخصية) (من ص ٤٦ - ٤٨) الفرق بين الجنسين (الذكور والإناث) في سمات الشخصية (من ص ٥٢ - ٥٤) .

المقالة الثانية :

وفيها يعدد المؤلف علامات الأمزجة الكاملة حتى يتوصل بمعرفتها إلى المعرفة ، وذلك على النحو التالي :

- **الباب الأول** : في علامات الأمزجة الكاملة :

وفيه يقدم المؤلف وصفًا شاملًا لكل نمطٍ من أنماط الأمزجة . فيعرض في الفصل

الأول لعلامات المزاج الحار ، وعلامات المزاج البارد ، وعلامات المزاج الرطب ، وعلامات المزاج اليابس ، وعلامات المزاج الحار اليابس ، وعلامات المزاج الحار الرطب ، وعلامات المزاج البارد اليابس والبارد الرطب . وفي الفصل الثاني : يعرض المؤلف لعلامات المزاج المعتدل ، وعلامات المزاج غير المعتدل . وفي الفصل الثالث : يعرض لعلامات أمزجة الدماغ ، وهي من عدة وجوه : الأول : ما يتعلق بالقوة المصورة ، وخاصة شكل الرأس والنوع الثاني : من دلائل الدماغ ما يتعلق بأحوال فروعه وتوابعه ، وتلك الأعضاء هي العين ، واللسان ، والوجه ، ومجارى اللهاة ، والرقبة والأعصاب . وفي الفصل الرابع : يعرض المؤلف لعلامات أمزجة العين . وفي الفصل الخامس : يعرض لأحوال اللسان . وفي الفصل السادس : يعرض لأحوال الصوت . وفي الفصل السابع : يعرض لأحوال القلب .

● **الباب الثاني** : في مقتضيات الأسنان الأربعة :

ويعنى المؤلف بذلك :

١ - سن النمو .

٢ - الوقوف .

٣ - الكهولة .

٤ - الشيخوخة .

وفي كل مرحلة من هذه المراحل يقدم المؤلف وصفًا شاملًا لخصائصها وصفاتها .

● **الباب الثالث** : في مقتضيات سائر الأحوال :

وفيه يقول المؤلف : إن أرباب النسب الشريف راغبون جدًّا في الكرامة ، ومتشبهون بأوائلهم لكنهم لا يتحملون متاعب العلم ، ومن ثم لا تبقى هذه الآثار الفاضلة فيهم لذلك يبقون في الآخرة عاجزين محتاجين . أما أخلاق الأغنياء فأمور : الأول : من عاداتهم التسلط على الناس والاستخفاف بهم . والثاني : أنهم يحكمون على كل من سواهم كونهم حاسدين لهم ، لما اعتقدوا في أنفسهم الكمال . والثالث : أن الذين صاروا أغنياء في قديم الزمان فهم أكثر مثالية من الذين صاروا أغنياء . والرابع : أن الأغنياء يكونون في الأكثر مجاهرين بالظلم .

● **الباب الرابع** : في الأخلاق الحاصلة بسبب البلدان والمساكن :

وفيها يقدم أوصافًا لأخلاق البلدان والمساكن الحارة والمساكن الباردة ، والمساكن اللاحامية ، والمساكن اليابسة ، والمساكن الحجرية ، والمساكن الشمالية ، والمساكن الجنوبية ، والمساكن الشرقية ، والمساكن الغربية .

أما أهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذه المقالة فهي :

المزاج Temperament (من ص ٦٣ - ٧٤) ، وأنماط الشخصية Personality (من ص ٦٣ - ٧٧) ، والانفعالات Emotions (من ص ٧٨ ، ٧٩) ، ومراحل الارتقاء Developmental Stage (من ص ٨٠ - ٨٥) ، مرحلة النمو الأولى (من ص ٨٠ ، ٨١) و مرحلة الوقوف (ص ٨٢) ، ومرحلة الكهولة (ص ٨٥) ، ومرحلة الشيخوخة (من ص ٨٢ - ٨٥) ، والتسلطية Authoritarianism (من ص ٨٦ ، ٨٧) والقيم الأخلاقية Moral Values (من ص ٨٩ ، ٩٠) .

المقالة الثالثة :

وفيها يتناول المؤلف دلالة الأعضاء الجزئية على الأحوال النفسية ، ويستوفي ذلك في سبعة عشر فصلًا على النحو التالي : الفصل الأول : في دلائل الجبهة . والفصل الثاني : في دلائل الحاجب . والفصل الثالث : في دلائل العين . والفصل الرابع : في دلائل الأنف . والفصل الخامس : في دلائل الفم والشفة واللسان . والفصل السادس : في دلائل الوجه . والفصل السابع : في دلائل الضحك . والفصل الثامن : في دلائل الأذن . والفصل التاسع : في دلائل العنق . والفصل العاشر : في دلائل الصوت والنفس والكلام . والفصل الحادي عشر : في دلائل السنان . والفصل الثاني عشر : في الصلب . والفصل الثالث عشر : في دلائل الحركات . والفصل الرابع عشر : في دلائل البطن . والفصل الخامس عشر : في دلائل الظهر . والفصل السادس عشر : في دلائل الذراع والكف . والفصل السابع عشر : في دلائل الصدور والورك والساق والقدم .

أما أهم المفاهيم السيكولوجية التي وردت في هذه المقالة فهي :

الانفعالات Emotions (من خلال علامات الوجه) (ص ٩٥ ، ٩٦) ، وبعض أشكال الانفعالات النوعية ؛ مثل : الحزن Sadness (ص ٩٨) ، والغضب Anger (ص ٩٧) والسرور (ص ١٠٨) ، والعلامات Signs (من ص ٩٣ - ٩٧) .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام .

المطالب العالية من العلم الإلهي [1]

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

عرض الكتاب :

ويشتمل الكتاب على مقدمة وتسعة أجزاء ونعرض لها على النحو التالي :

موضوع « المطالب العالية » هو الكلام في ذات اللّٰه تعالى وصفاته .

مقدمة الكتاب :

(وتشتمل على أربعة فصول نعرض لها على النحو الآتي) :

الفصل الأول :

في بيان أن هذا العلم أشرف العلوم على الإطلاق ، وذلك من عدة وجوه ؛ الأول : شرف الأمر المبحوث عنه في ذلك العلم ، وهو ذات اللّٰه تعالى وصفاته ، وهو أشرف الموجودات على الإطلاق ، فهو غني عن الفاعل والقابل وغير محتاج إليه ، كما أنه فرد مطلق ، وأنه الواجب لذاته ، وكل ما سواه فهو ممكن لذاته محتاج إلى المؤثر ، وكل ما سواه فهو محتاج إليه . الوجه الثاني : في بيان شرف العلم الإلهي : إن الأمر المقصود بالذات هو الفوز بالسعادة والخلاص من الشقاوة . أما الوجه الثالث : أن الإنسان الكامل يجد من نفسه أنه كلما تعمق في هذه المعارف كان انجذابه إليها أفضل ، وانقطاعه عما سواها أوفى ، وكان ابتهاجه بذاته أفضل ، وقوة روحه أكمل . الوجه الرابع والأخير :

---

(١) تحقيق أحمد حجازي السقا . (ص ١) - بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٨٧م (٥/٩) .

أن المصالح إما خاصة بالمعاش أو المعاد . ومصالح المعاد لا يتم منها إلا بمعرفة الله تعالى وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الانفعالات Emotions (كالسعادة والبهجة) (ص ٣٧ - ٤٠) .

الفصل الثاني :

في أنه هل للعقول البشرية سبيل إلى تحصيل الجزم واليقين في هذا العلم ؛ حيث قال العديد من الفلاسفة : إن العناية القصوى في هذا الباب الأخذ (بالأولى والأخلق) ، والتمسك بالجانب الأفضل والأكمل ، وأما الجزم المانع من النقيض فقد لا يمكن تحصيله في بعض المباحث . وحجتهم في ذلك أن أظهر المعلومات لجميع العقلاء هو علم الإنسان بذاته المخصوصة ومعرفته بنفسه . ثم إن هذا العلم مع أنه أظهر العلوم وأجل المعارف ، قد بلغ في الصعوبة والخفاء إلى حيث عجزت العقول عن الوصول إليه ، وإذا كان الحال في أظهر المعلومات كذلك ، فالحال في أبعد الأشياء عن مناسبة الأمور المعلومة للخلق كيف يكون ؟

ومن المفاهيم السيكولوجية التي يرتبط بها هذا الفصل مفهوم صورة الذات Self Image ومعرفة الفرد بذاته وتصوره عنها (ص ٤١) ، ومفهوم القدرة على الاستدلال Reasoning (ص ٥١) .

الفصل الثالث :

في أن تحصيل هذه المعارف المقدسة . هل الطريق إليه واحد أم أكثر من واحد ؟ فقد انكشف لأرباب البصائر أن الطريق إليه من وجهين :

الأول : وهو طريق الحكماء الإلهيين ، فهو الاستدلال بأحوال الممكنات على إثبات موجود واجب لذاته

الثاني : وهو طريق أصحاب الرياضة ، فهو عجيب أكيد قاهر ، فإن الإنسان إذا اشتغل بتصفية قلبه عن ذكر غير الله ودوامه بلسان جسده ، ولسان روحه على ذكر الله ، وقع في قلبه نور وضوء وحالة قاهرة وقوة عالية .

يتضمن هذا النص الإشارة إلى وجود مصدرين للمعرفة الإنسانية بالله تعالى ؛ المصدر الأول : هو النظر في الكون وما فيه من كائنات ، أي استخدام الحواس والعقل في النظر إلى الوقائع الحسية والاستدلال منها إلى وجود الله تعالى . والمصدر الثاني : هو طريق

الإلهام والكشف عن طريق الرياضة ، وتصفية القلب عن مشاغل الحياة ، فيحصل للإنسان المعرفة عن طريق نور يقدمه اللّٰه تعالى في قلبه ، إن هذين المصدرين للمعرفة ، عن طريق الحواس والعقل ، وعن طريق الإلهام الإلهي قد تناولها كثير من المفكرين المسلمين عند تعرضهم لنظرية المعرفة .

الفصل الرابع :

في ضبط معاقد هذا العلم . فالإنسان له ثلاثة أحوال ؛ هي : الماضي والحاضر والمستقبل . ويتحدث فيه المؤلف عن معرفة الماضي ، والذات ، والصفات والأدلة المؤيدة لذلك .

• الجزء الأول : في الدلائل الدالة على إثبات الإله لهذا العالم المحسوس وإثبات كونه واجب الوجود لذاته .

– القسم الأول : من الجزء الأول من علوم هذا الكتاب في ذكر الدلائل القطعية اليقينية .

الفصل الأول : في مراتب مقدمات هذه الدلائل على الوجه المشهور عند الحكماء . ويعرض فيه المؤلف لإثبات وجود اللّٰه ، فثبت أنه لا بد من الاعتراف بوجود موجود ثابت ، وثبت أن كل موجود إما موجود واجب الوجود لذاته ، وإما موجود لذاته ممكن لذاته . وذكر بعد ذلك المقدمات التي تقف خلف هذه الأدلة .

الفصل الثاني : في بيان أن الممكن لا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا لمرجح . وللعقلاء في هذا الموقف قولان : الأول : أن هذه المقدمة بديهية . الثاني : أنها برهانية . ثم عرض بعد ذلك لعدد من الأسئلة والأدلة المؤيدة والمعارضة لهذين الجانبين .

يتضمن هذا الفصل التفكير الاستقرائي الذي يبدأ من المدركات الحسية وينتهي إلى مبانٍ كلية ، والتفكير الاستدلالي الذي يبدأ من مقدمات وينتهي إلى نتائج .

الفصل الثالث : في تقرير قول من يقول : هذه المقدمة استدلالية ، حيث يدعي أن أبا علي (ابن سينا) مضطرب القول في هذا الموضوع - إقامة البرهان على صحة ذلك . ثم يذكر تقسيمات طويلة خارجة عن المقصود ، ثم إذا انتهى إلى هذا القسم الذي هو المطلوب فإنه يدعي فيه البديهة .

الفصل الرابع : في حكاية شبهات القائلين بأن رجحان الممكن ، لا يتوقف على المرجح .

الشبهة الأولى : لو افتقر الممكن إلى المؤثر لافتقر الباقي حال بقائه إلى المؤثر ، وهذا باطل ، فذاك باطل . الشبهة الثانية : أن تأثير المؤثر في الأثر إما أن يكون حال وجود الأثر أو حال عدمه ، والقسمان باطلان . الشبهة الثالثة : حيث القول بالافتقار والاحتياج - وهما باطلان . كما أن القول بثبوت الافتقار والاحتياج باطلان أيضًا . الشبهة الرابعة : المفتقر إلى المؤثر يمتنع أن يكون هو الماهية ويمتنع أن يكون هو الوجود ، ويمتنع أن يكون هو موصوفية الماهية بالوجود . الشبهة الخامسة : المحكوم عليه بالافتقار والحاجة : إما أن يكون بسيطًا أو مركبًا ، والقسمان باطلان . الشبهة السادسة : لو أثر شيء في شيء لكان تأثير ذلك المؤثر في ذلك أثر : إما أن يكون نفس ذات المؤثر أو ذات الأثر ، أو يكون مفهومًا مغايرًا لهما ، والأقسام كلها باطلة . الشبهة السابعة : وهي في نفى التأثير والتأثر . الشبهة الثامنة : لو افتقر الممكن إلى المرجح لما كان الإنسان مختارًا في أفعاله وهذا باطل فذاك باطل وغير ذلك من الشبهات .

الفصل الخامس : في تقرير الجواب عن هذه الشبهات . ويرد المؤلف فيه على الشبهات المذكورة في الفصل الأول مؤيدًا بطلانها بالأدلة والحجج والبراهين .

الفصل السادس : في إيراد نوعين آخرين من السؤال على قولنا : الممكن لا بد له من مرجح . أحدهما : أن يكون قبول الماهية للوجود والعدم على السوية من غير تفاوت . والثاني : أن يكون قابلًا لهما ، إلا أن أحد الطرفين يكون أولى بتلك الماهية من الطرف الآخر .

الفصل السابع : وهو في بيان أن هذا البرهان المذكور في إثبات معرفة واجب الوجود لا يتم على أصول الحكماء إلا بعد إثبات إقامة الدلالة على أن العلة واجبة الحصول حال حصول المعلول . فلو لم يجب كون العلة المؤثرة موجودة حال وجود المعلول ، لم يمتنع أن يكون هذا الممكن إنما وجد لأجل شيء كان موجودًا قبله ، ولم يبق معه ، ولو جاز ذلك لجاز أن يقال : إن كل ممكن فإنه مستند إلى ممكن آخر قبله ، لا إلى أول ، والتسلسل على هذا الوجه ليس باطلًا عند الحكماء بل هو حق .

الفصل الثامن : في بيان إيراده هذا البرهان على وجه آخر . ويظن أن إيراده على ذلك الوجه ، يوجب سقوط أكثر هذه الأسئلة عنه ، وبيان أن ذلك الظن خطأ من الناس .

الفصل التاسع : في إقامة البرهان على أن القول بالدور باطل . حيث احتجوا على فساد القول بالدور بأن قالوا : ثبت أن العلة متقدمة على المعلول ، فلو كان كل واحد

منهما علة للآخر ، لكان كل واحد منهما متقدمًا على الآخر .

الفصل العاشر : في إبطال التسلسل ، خاصة فيما يتعلق بدليل العلة والمعلول ، والسبب ، والمسبب إلى ما لا نهاية

الفصل الحادي عشر : وهو في إبطال التسلسل سوى ما تقرر ذكره . ويقول فيه المؤلف : إنه افتقر إلى إبطال التسلسل في الفصل المتقدم ؛ لأنا جوزنا أن تكون علة وجود الممكن ممكنًا آخر ، فلما جوزنا هذا في الجملة افتقرنا إلى إبطال التسلسل ، ومن الناس من يقول : إن ما كان ممكن الوجود لذاته ، فإنه لا يصلح للعلية والتأثير ، واحتجوا على صحة هذه المقولة بعدة وجوه .

الفصل الثاني عشر : من إيراد سؤال على القائل المذكور في إثبات واجب الوجود لذاته ، وتحقق الجواب الحق عنه . وذلك في ضوء صحة مقدمات خمس ؛ أحدها : أن الممكن لا بد له من مرجح . وثانيها : أن العلة المؤثرة لا بد وأن تكون موجودة حال وجود المعلول . وثالثها : أن علة الموجود يجب أن تكون شيئًا موجودًا . رابعها : أن الدور باطل . وخامسها : أن التسلسل باطل .

الفصل الثالث عشر : ويتحدث فيه عن حكاية شبهات من يقدح في إثبات واجب الوجود لذاته .

الفصل الرابع عشر : في بيان أن العالم المحسوس ليس واجب الوجود لذاته . وقدم فيه عددًا من الحجج المؤيدة لذلك ؛ منها : أن كل جسم مركب من الهيولي والصورة ، والحجة الثانية : للفلاسفة في إثبات كون الأجسام ممكنة الوجود لذاتها والثالثة : في بيان أن الأجسام ممكنة الوجود لذاتها ، فواجب الوجود يجب أن يكون واحدًا ، والأجسام ليست واحدة فواجب الوجود لا يمكن أن يكون جسمًا ، فالجسم لا يمكن أن يكون واجب الوجود .

الفصل الخامس عشر : في إثبات إله العالم ﷻ بناءً على التمسك بإمكان الصفات .

الفصل السادس عشر : في بيان كيفية الاستدلال بإمكان الصفات على وجود الإله القادر . وتقرير هذه الطريقة أن يقال : الأجسام متساوية في الجسمية ومختلفة في الكيفيات والأحياز ، والمقادير ، فاختصاص كل واحد منها بحالته المعينة ، إما أن يكون لأمر أو لا لأمر . والقسم الثاني باطل ؛ لأن الأجسام لما كانت متساوية في تمام الماهية ، فكل ما صح على بعضها وجب أن يصح على الباقي .

الفصل السابع عشر : في تقدير الدلائل المستنبطة من إمكانية الصفات . وقد استعملها العلماء في الأجرام الفلكية والكوكبية الأخرى ، وأخرى في الأجرام العنصرية .

الفصل الثامن عشر : في إثبات العلم بوجود الإله - تعالى - بناءً على التمسك بحدوث الذوات . وجمهور المتكلمين لا يعولون إلا على هذا الطريق ؛ وذلك لأنهم يقيمون الدلالة على كون الأجسام محدثة : وحينئذ يقولون : كل جسم محدث ، وكل محدث فله علة وصانع . ينتج أن كل جسم له فاعل وصانع .

الفصل التاسع عشر : في تقرير طريقة للحدوث لا يحتاج فيها إلى ضم الإمكان . فاتفق جمهور المتكلمين على أن مجرد الحدوث يكفي في صحة الاستدلالات به على وجود الفاعل .

الفصل العشرون : في تقرير قول من يقول : الاستدلال بالحدوث على الفاعل لا يتم إلا بدليل منفصل . وهو مذهب : أبي علي ، وأبي هاشم وأصحابهم من المعتزلة .

الفصل الحادي والعشرون : وهو في إثبات العلم بالصانع بطريقة حدوث الصفات . والتي لا يقدر البشر عليها ؛ كالأفلاك والكواكب .

الفصل الثاني والعشرون : في الاستدلال على وجود الإله الحكيم الرحيم بكيفية تولد الإنسان من النطفة .

ويرتبط هذا الفصل بالنمو الجسمي للجنين وهو ما يدخل في مجال علم الأجنة وعلم نفس النمو والارتقاء Developmental Psychology .

الفصل الثالث والعشرون : في إقامة الدلالة على وجود إله العالم بناءً على حدوث الصفات من طريق آخر . وهو عالم الأفلاك وهو العالم الأعلى ، والاستدلال بوجود الإله من خلاله أوضح وأقوى . وقد اعتمد عليه قدماء الفلاسفة .

الفصل الرابع والعشرون : تقرير طريقة أخرى في إثبات الإله تعالى لهذا الخلق . وذلك من خلال العجائب التي أودعها الله تعالى في بدن الإنسان ، ونفس الإنسان ، وعجائب أحوال الحيوانات ، والنباتات ، والمعادن ، والأفلاك والكواكب وغير ذلك .

ويرتبط هذا الفصل في بعض النواحي من موضوع الدوافع Motives وخاصة صراع الدوافع Conflicts الدوافع الفسيولوجية والنفسية (ص ٢٥٦ ، ٢٥٧) .

- القسم الثاني : من الجزء الأول : في تفصيل الدلائل الدالة على وجود الإله القديم الدلائل الموجودة في عالم الأفلاك والعناصر .

الفصل الأول : في بيان الاستكثار من هذه الدلائل . حيث يعد ذلك من الأشياء المهمة ، فتقديم العديد من الأدلة الإقناعية قد ينتهي إلى إفادة القطع ؛ وذلك لأن الدليل الإقناعي الواحد قد يفيد الظن .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الإقناع Persuasion وتغيير الاتجاهات Attitude Change (ص ٢٣٩) .

الفصل الثاني : في حكاية كلمات منقولة عن أكابر الناس في هذا الباب . في ذكر لبعض الأحاديث النبوية الشريفة ، والأقوال التي تثبت وحدانية الله ﷺ .

الفصل الثالث : في تعديد الدلائل التي تذكرها أصناف طوائف العالم . فأصناف العلوم وأقسامها كثيرة ، ولكل واحد من أصناف العلماء طريق يختص به في إثبات معرفة الله . الطائفة الأولى : العلماء الباحثون عن تواريخ أهل الدنيا . ومعرفة الأحوال الماضية من أحوال هذا العالم . أما الطائفة الثانية ، فهم أصحاب الرياضيات وأرباب المكاشفات .

- القسم الثالث : من الجزء الأول : في الكلام في الوجوب والوجود ، والإرادات والتعين والماهية وما يشبهها من المطالب والمباحث .

المسألة الأولى : وفيها البحث عن معنى أنه واجب الوجود لذاته . ويمكن تفسيره بأمور ثلاثة : إحداها : أنه الذي يستحق الوجود من ذاته ، وهو مفهوم ثبوتي ، ويفيد كون ذاته علية لوجود نفسه . ثانيها : هو الذي لا يقبل العدم من حيث هو هو . وأما ثالثها : فهو الذي لا يكون وجوده معللًا لسبب منفصل (ص ٢٨١)

المسألة الثانية : أن واجب الوجود : هل هو مفهوم ثبوتي أم لا ؟ فمن الناس من قال : إن هذا المفهوم مفهوم وجودي محصل ؛ في حين احتج البعض على ذلك . ولكل جماعة منهم الأدلة والبراهين المؤيدة لوجهة نظرهم .

المسألة الثالثة : في أن وجود الله - تعالى - نفس ماهيته أو صفة زائدة على ماهيته .

المسألة الرابعة : في تحقيق القول في بيان أن المبدأ الأول هل هو تلك الحقيقة المخصوصة . فإذا قلنا إن الماهية الفلانية من حيث هي هي ، لا موجودة ولا معدومة ، فهذا الكلام يحتمل وجهين :

أحدهما : أن يكون المراد أن الماهية الفلانية من حيث إنها هي ، عبارة مغايرة لكونها موجودة أو معدومة .

الثاني : أن يكون المراد أن الماهية الفلانية خالية عن الوجود وعن العدم والمفهوم الأول حق ، والمفهوم الثاني باطل .

المسألة الخامسة : وهي في بيان أنه سبحانه - يخالف جملة الممكنات ؛ لذاته المخصوصة ، لا لصفة زائدة على الذات .

المسألة السادسة : وهي في بيان كونه - تعالى - قديمًا أزليًا .

المسألة السابعة : وترتبط بالمسألة السادسة ؛ حيث استقصاء الكلام في حقيقة الأزل والأبد .

• الجزء الثاني من الكتاب :

- القسم الأول : في بيان كونه ﷻ منزهًا عن التحيز والجهة .

الفصل الأول : في بيان أن إثبات موجود ليس بجسم ولا حال في الجسم : ليس بممتنع الوجود في بديهة العقل . فالجمهور الأعظم من العقلاء اتفقوا على أن إثبات موجود ليس بمتحيز ، ولا حال في المتحيز ، وليس في العالم ، ولا في خارج العالم : ليس معلوم الامتناع في بديهة العقل ، بل الأمر في إثباته ونفيه موقوف على الدليل . فإن دل الدليل على إثباته وجب القضاء به ، وإلا وجب التوقف في إثباته ونفيه . وهذا القول هو الذي نذهب إليه ونقول به .

الفصل الثاني : وهو في بيان أنه لا يجب أن يكون لكل موجود نظير وشبيه . وأنه ليس يلتزم من نفي النظير والشبيه نفي ذلك الشيء .

الفصل الثالث : في إقامة الدلائل على أنه ﷻ يمتنع أن يكون جسمًا . فهناك قولان : الجمهور الأعظم اتفق على تنزيه اللّٰه تعالى عن الجسمية ، والحصول في الحيز ، والباقون قالوا : إنه متحيز ، وحاصل في الحيز وهؤلاء هم المجسمة .

الفصل الرابع : في إقامة الدليل على أنه يمتنع كونه جوهرًا .

الفصل الخامس : في بيان أنه يمتنع أن يكون واجب الوجود مختصًا بمكان وحيز .

أما الفصل السادس : فيتضمن عرضًا لحكاية شبهات مثبتي الجسمية والمكان . أما الجواب عن تلك الشبهات فهو ما اشتمل عليه الفصل السابع .

الفصل الثامن : في أنه يمتنع أن يكون إله العالم هو هذا الفضاء الذي لا نهاية له .

وفي **الفصل التاسع** من الكتاب يعرض المؤلف لتفسير القول : بأن الإله تعالى غير متناه .

فهو منزه عن المقدار والحجمية والوضع والحيز فهو ذات غير متناهية وفق هذا التفسير .

الفصل العاشر : في أنه هل يصح أن نرى واجب الوجود لذاته ؟ فهناك القائلون بأنه تمتنع رؤية اللّٰه تعالى ، ومن حججهم في ذلك : أنه لو صحت رؤيته لوجب أن نراه الآن ، والثاني : باطل بالمتقدم باطل . وهناك من يثبت الرؤية للّٰه ﷻ ، وقالوا : إن اللّٰه تعالى موجود ، وكل موجود تصح رؤيته .

يرتبط هذا الفصل بموضوع الإدراك الحسي Sensory Perception معناه وطبيعته (ص ٨١ ، ٨٢) .

الفصل الحادي عشر : في أن هذه الحياة . هل نعرف ذات اللّٰه تعالى من حيث إنها هي : أعنى تلك الحقيقة المخصوصة . وبتقدير أن لا نعرفها . فهل يمكن حصول تلك المعرفة لأحد من الخلق ، أو لكلهم ، أم لا ؟ والإجابة أن هذه المعرفة غير حاصلة ، ويدل على ذلك عدة وجوه ؛ منها : أن المعلوم عندنا من الحق سبحانه ، إما الوجود ، أو كيفية ذلك الوجود أو الإضافات أو السلوب . والعلم بهذه المعلومات ليس نفس العلم بذات اللّٰه المخصوصة ، ولا أيضًا هذه العلوم توجب العلم بتلك الذات المخصوصة ، فوجب أن يقال : إنا لا نعرف تلك الحقيقة المخصوصة .

الفصل الثاني عشر : وهو في تنزيه اللّٰه تعالى عن الكيفيات .

الفصل الثالث عشر : ويتضمن إثبات أنه يمتنع كونه تعالى حالًا في غيره .

الفصل الرابع عشر : في نفي الاتحاد . فالقول بالاتحاد في حق اللّٰه تعالى محال ؛ لأن ذلك إنما يعقل إذا زال عنه الوجود القائم به ، وحصل لمجموع حقيقته مع حقيقة أخرى صفة الوجود (ص ١٠٥) .

الفصل الخامس عشر : في بيان أنه يمتنع كونه تعالى محلًا لغيره . وعرض فيه المؤلف رأي الكرامية ، والمعتزلة ، والفلاسفة .

الفصل السادس عشر : في بيان أن الألم واللذة محالان على اللّٰه تعالى ، أما الألم فقد اتفقوا على أنه محال على الله ، وأما اللذة فقسمان : لذة جسمانية ، ولذة روحانية .

أما اللذة الجسمانية : فقد اتفقوا على أنها محال على اللّٰه ، وذلك من عدة وجوه

أما اللذة العقلية : فيرى الفلاسفة إثباتها في حق اللّٰه تعالى . وهي مثل الالتذاذ بحصول صفات الكمال والجلال له .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الانفعالات Emotions (ص ١١٢ - ١١٤) .

الفصل السابع عشر : في أنه هل يصلح إطلاق لفظ الجوهر على اللّٰه تعالى أم لا ؟ وعرض فيه لمعاني الجوهر .. منها أنه المتحيز الذي لا يقبل القسمة ، ومنها أن الجوهر هو الذات القابلة لتوارد الصفات المتضادة عليه . وهنا خلاف في إطلاق لفظ الجوهر على اللّٰه تعالى ، فهناك من يثبت ذلك ، وهناك من ينفيه .

- **القسم الثاني : في بيان أنه ﷻ منزه عن الضد والند .**

ويتضمن الفصول الثلاثة الآتية :

الفصل الأول : ويعرض المؤلف فيه الدلائل على وحدانية اللّٰه تعالى وأنه واجب الوجود لذاته .

الفصل الثاني : في حكاية دلائل المتكلمين على أن الإله واحد .

الفصل الثالث : في أن وحدة اللّٰه تعالى هل هي عين الذات أو صفة قائمة بالذات ؟ فهناك من يقول : لو كانت الوحدة صفة ، لكانت تلك الصفة واحدة ، فيلزم أن يكون للوحدة وحدة أخرى إلى غير النهاية . وأنه محال .

ولقائل آخر أن يقول : الوحدة لا بد وأن تكون صفة زائدة على الذات ، وذلك من عدة وجوه .

- **الجزء الثالث : من كتاب المطالب العالية : (للإمام فخر الدين الرازي) .**

الصفات الإيجابية :

وهي كونه سبحانه : قادرًا ، عالمًا ، حيًا ، سميعًا ، بصيرًا ، متكلمًا ، باقيًا ، حكيمًا .

- **الباب الأول** : في أحكام الدواعي والصوارف :

الفصل الأول : في حد القادر . وأوضح فيه المؤلف أن ترك الفعل ليس عبارة عن الإتيان بفعل آخر ، بل هو عبارة عن البقاء على العلم الأصلي المستمر . ويبين أن إسناد العدم المستمر إلى القادر والفاعل محال ، فيثبت أن القادر لا قدرة له ألبتة على الترك ، وإذا كان الأمر كذلك كان القول بأن القادر هو الذي يصح منه الفعل والترك بحسب الدواعي المختلفة : قولًا باطلًا .

يفسر المؤلف الدواعي تفسيرًا يقرب جدًا من مفهوم دوافع السلوك Motives في علم النفس الحديث على أساس ما يتوقعه الإنسان من منفعة أو ضرر . فإذا توقع منفعة دعاه

ذلك إلى القيام بالفعل ، وإذا توقع ضررًا دعاه ذلك إلى تجنب الفعل . كما يتضمن علاقة الاعتقاد بالسلوك (ص ٩ - ١٢) .

الفصل الثاني : وهو في إثبات تحقيق القول في الدواعي والصوارف للقيام بأفعال معينة أو عدم القيام بها .

ويرتبط هذا الفصل بأسباب السلوك ودوافعه ، وعلاقة الاعتقادات بالسلوك وخاصة درجات الاعتقاد أو الظن (ص ١٣ - ١٦) .

الفصل الثالث : وهو في بيان أنه لا تأثير لغير الاعتقاد والظن في الدعاء إلى العقل . ويوضح فيه أهمية الاعتقادات كدوافع لسلوك وتصرفات الأفراد . فالاعتقاد بفائدة ما يترتب عليه القيام به ، والعكس صحيح ويرتبط هذا الفصل بالمعتقدات Beliefs وعلاقتها بالسلوك ومترتبات هذا السلوك (ص ١٧ - ٢٠) .

الفصل الرابع : في بيان تحقيق الكلام في المنفعة والمضرة ، والخير والشر والمصلحة والمفسدة .

ويرتبط بموضوع المعتقدات Beliefs (ص ٢١ - ٣٢) .

الفصل الخامس : في بقية الكلام في هذا الباب . ويتحدث فيه المؤلف عن أن الفعل لا يكون نفعًا من كل الوجوه ، ولا ضررًا من كل الوجوه .

الفصل السادس : في أن صدور الفعل هل يتوقف على الداعي أم لا ؟ وعرض فيه لوجهات النظر المختلفة بخصوص ذلك .

وهو هنا يربط بين الدواعي والدوافع Motives أو البواعث Incentives (ص ٣٧ - ٤٣) .

الفصل السابع : في تقرير دلائل القائلين بأن الفعل لا يصدر عن القادر إلا عند حصول الداعي .

الفصل الثامن : ويوضح فيه أن حصول الداعي يجب صدور الفعل بالضرورة ، ولا يبقى الجواز ألبتة . فمن الناس من قال : إنه عند حصول الداعي يصير الفعل أولى بالوقوع ، لكنه لا ينهي تلك الأولوية إلى حد الوجوب . وهذا القول باطل من عدة وجوه .

الفصل التاسع : في تقسيم الدواعي . التقسيم الأول : أن الدواعي التي تقع في القلوب على قسمين : منها ما يحصل في القلب بإيقاع العبد ، ومنها ما يحصل فيه

ابتداء بتخليق اللَّه تعالى . التقسيم الثاني للدواعي : إلى كلية وجزئية .

ويتضمن هذا الفصل الكلام عن دوافع وبواعث السلوك (ص ٦١ - ٦٤) .

الفصل العاشر : في تحقيق الكلام في تقسيم الدواعي إلى ما يكون داعية الحاجة . وإلى ما يكون داعية الإحسان . وهو رأي المعتزلة الذين أقاموا عليه الكثير من مباحثهم في علوم الإلهيات .

ويتضمن هذا الفصل الكلام عن تقسيم الدوافع والبواعث إلى نوع يدفع إلى القيام بالسلوك للحصول على إشباع حاجات فيها تقع للإنسان . وإلى نوع يدفع إلى السلوك للحصول على أشياء حسنة ؛ لأنها حسنة ، أو يتجنب أشياء لأنها قبيحة . وبمعنى آخر هي دوافع السلوك الخلقي ، أو القيم الخلقية (ص ٦٥ - ٧٢) .

الفصل الحادي عشر : في شرح أن العبد كيف يكون فاعلًا ؟ ويذهب المؤلف إلى القول بأن مجموع القدرة مع الداعية مستلزم لحصول الفعل .

● **الباب الثاني** : في البحث عن الفرق بين القادر وبين الموجب واستقصاء الكلام فيه . قالت الفلاسفة : القول بإثبات مؤثر يكون تأثيره على سبيل الصحة لا على سبيل الوجوب : قول مشكل من عدة وجوه .

أما الفلاسفة فقولهم في هذا المقام قولان : منهم من سلم أن الرجحان بدون المرجح محال . ومنهم من قال : إن الرجحان بدون المرجح في حق القادر غير ممتنع ، وضربوا لذلك بعض الأمثلة منها المخير بين شرب القدحين ، أو أكل الرغيفين .

وقال أهل الملل والنحل : المؤثر إما أن يقع مع جواز أن لا يؤثر وهو القادر ، أو يؤثر لا مع جواز أن لا يؤثر ، وهو الموجب ، وهذا التقسيم يدل على أن كل مؤثر ، فهو إما قادر وإما موجب .

فأرباب الملل والأديان اتفقوا على أنه تعالى كان عالمًا قادرًا في الأزل ، وكونه عالمًا قادرًا عين الذات المخصوصة ، كان القول بإثبات القدماء لازمًا عليهم .

● **الباب الثالث** : في كونه تعالى عالمًا :

ويتكون هذا الباب من سبعة فصول نعرضها كالآتي :

الفصل الأول : في تحقيق الكلام في حقيقة العلم والإدراك . وقد عرض المؤلف لذلك أيضًا في بداية الجزء الأول من الكتاب .

الفصل الثاني : ويعرض فيه لدلائل المتكلمين في كونه تعالى عالمًا . وعرض فيه لطريقة الإتقان والأحكام .

الفصل الثالث : وفيه تقرير لطريقة أخرى سوى طريقة الإتقان والأحكام تدل على كونه تعالى عالمًا بناء على كونه تعالى فاعلًا بالاختيار لا موجبًا بالذات .

الفصل الرابع : في تقرير الوجوه التي استدل بها الشيخ الرئيس أبو على بن سينا في سائر كتبه على كونه تعالى عالمًا بالمعلومات . وهي ثلاثة وجوه : الأول : بين فيه كونه تعالى عالمًا بذاته ، وأن علمه بذاته يوجب كونه عالمًا بما سواه . الثاني : بين فيه كونه تعالى عالمًا بغيره ، ثم بين أنه متى كان عالمًا بما سواه ، فإنه يكون عالمًا بذاته . الثالث : يذكر فيه أن الجوهر المجرد إذا اتحد بالصورة المجردة وحصل التعقل . فالذي يكون مجردًا لذاته أولى أن يكون عقلًا ومعقولًا وعاقلًا .

الفصل الخامس : وعرض فيه المؤلف للمسائل المفرعة على إثبات كونه تعالى عالمًا .

الفصل السادس : في البحث عن كونه تعالى عالمًا بالجزئيات . فمن الناس من يحكى عن الفلاسفة أنهم يقولون : إنه تعالى غير عالم بالجزيئات . وهذه الحكاية كما يرى المؤلف فيها نظر ؛ وذلك لأن المخصوصية ذات معينة وهو عالم بتلك الذات المعينة .

الفصل السابع : في بيان كونه تعالى عالمًا بالمعدومات . فالقائلون بكونه تعالى عالمًا بالجزئيات اختلفوا فمنهم من قال : إنه تعالى لا يعلم الجزئيات إلا عند دخولها في الوجود . والأكثرون اتفقوا على أنه تعالى عالم بهذه الجزئيات قبل دخولها في الوجود .

● **الباب الرابع** : في كونه تعالى مريدًا :

ويتكون هذا الباب من فصلين ونعرضهما كالآتي :

الفصل الأول : ويعرض فيه لمعاني الإرادة المختلفة ؛ منها : أنها صفة تقضي ترجيح أحد طرفي الممكن على الآخر من غير وجوب ومن غير تكوين . وقد اعترض على ذلك الفلاسفة من عدة وجوه .

الفصل الثاني : في اللذة والألم . وتحدث فيه عن أنواع اللذة ؛ منها : اللذة الجسمانية وهي خاصة بالبشر ، أما اللذة الروحانية فقد أطبقت الفلاسفة على إثباتها لواجب الوجود .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الانفعالات Emotions (ص ١٨٣ ، ١٨٤) .

• **الباب الخامس** : في كونه تعالى سميعًا بصيرًا :

وينقسم هذا الباب إلى ثلاثة أقسام أساسية : الأول : في البحث عن ماهية السمع والبصر . والثاني : ويختص بالبحث عن الدلائل الدالة على إثبات تلك الصفة للّٰه ﷻ . الثالث : البحث عن دلائل من ينكر ثبوتها للّٰه تعالى .

ويرتبط ما ورد في هذا الباب بموضوع سيكولوجية الإحساس والإدراك Psychology of Sensation & Perception (ص ١٨٥ - ١٩٧) .

• **الباب السادس** : في كونه تعالى متكلمًا :

ويتكون هذا الباب من مسألتين نعرضها كالآتي :

المسألة الأولى : في البحث عن حقيقة الكلام وأصوله .

المسألة الثانية : في إثبات كونه تعالى متكلمًا . وذلك على أساس كونه تعالى فاعلًا مختارًا ، وعلى كونه تعالى عالمًا بالجزئيات .

ويرتبط هذا الباب بموضوع سيكولوجية اللغة (ص ٢٠١ - ٢٠٧) .

• **الباب السابع** : في كونه تعالى قديمًا باقيًا :

فمن الناس من يقول : إن كونه قديمًا باقيًا عين الذات المخصوصة ، ومنهم من يقول : هما صفتان قائمتان بذات اللّٰه تعالى ، ولكل منهم براهينه المؤيدة لوجهة نظره .

• **الباب الثامن** : في كونه حيًا :

ويقضى بكونه تعالى حيًا : أنه يصح أن يعلم ويقدر ، ولما ثبت بالدليل كونه قادرًا عالمًا ، وكل ما كان موجودًا امتنع أن يكون ممتنع الوجود ، يثبت أنه تعالى يصح أن يعلم ويقدر .

• **الباب التاسع** : كلمات في الصفات :

ويشتمل على أحد عشر فصلًا هي كالآتي :

الفصل الأول : في حصر صفات اللّٰه تعالى . فقد حصر المتكلمون الصفات في هذه الثمانية : وهي كونه : حيًا ، عالمًا ، مريدًا ، سميعًا ، بصيرًا ، متكلمًا ، قديمًا ، باقيًا .

الفصل الثاني : في أنه تعالى عالمًا لذاته أو لمعنى . فمن المتكلمين من زعم أن العلم صفة قائمة بذات العالم ولها تعلق بالمعلوم ، ومنهم من زعم أن العلم صفة توجب العالمية . وأما المؤلف فيقول : « وأما نحن فلا نثبت إلا أمرين : الذات والنسبة ، والمسماة بالعالمية ، وندعي أن هذه النسبة ليست نفس الذات ، بلى هي أمر زائد على الذات ، موجود في

الذات . وهذا هو البحث عن المعقول الصرف » .

الفصل الثالث : في إحصاء صفات اللّٰه تعالى . أطبقت الفلاسفة على أن صفات اللّٰه تعالى إما سلوب (كأن نقول : إنه ليس بجسم ، ولا بجوهر ، ولا بمتحيز) ، وإما إضافات (كأن نقول إنه جواد موجد ، مفضل) . وأشار المؤلف أنه لا سبيل إلى إثبات ذلك الحصر إلا على سبيل الأولى والأخلق .

الفصل الرابع : في أن تكوين الشيء هل هو نفسه ، نفس المكون أو غيره ؟ وعرض فيه لوجهة النظر المؤيدة لذلك ، والأخرى المعارضة لذلك .

الفصل الخامس : في تقسيم أسماء اللّٰه تعالى على أساس عدة وجوه :

١ - الاسم الدال على الذات .

٢ - الاسم الذي يفيد جزء الماهية . فنقول في هذا حق واجب الوجود محال ؛ لأنه فرد منزه عن جهات الكثرة والتركيب .

٣ - الاسم الذي يفيد صفة خارجة عن الماهية . فنقول : هذا الاسم إما أن يدل على حقيقة عرية عن الإضافة أو يدل على إضافة فقط ، أو على سلب فقط ، أو على صفة حقيقية مع إضافة ، أو على صفة حقيقية مع سلب (ص ٢٣٩ ، ٢٤٠) .

الفصل السادس : في إثبات كونه تعالى حكيمًا . وللفلاسفة في ذلك طريق ، وللمعتزلة طريق آخر . أما طريق الفلاسفة ، فهو أنهم قالوا : إن العقل يحكم بأن الموجد إما أن يكون خيرًا محضًا ، وإما أن يكون مشتملًا على الخير والشر ، إلا أن الخير غالب ، وإما أن يكونا متساويين ، وإما أن يكون الخير مغلوبًا ، وإما أن يكون شرًا محضًا ، ولكن بديل من هذه البدائل تبريره الخاص لدى هؤلاء الفلاسفة .

أما طريق المعتزلة : فقالوا ثبت بالدليل : أن الحسن (إنما يحسن) لوجوه عائدة إليه ، وأن القبيح يصح لوجوه عائدة إليه . وإذا ثبتت هذه الأصول : أنه تعالى غنى عن كل الحاجات ، وأنه تعالى عالم بكل المعلومات . وإذا ثبتت هذه الأصول الثلاثة فإنه يتولد من مجموعها مقدمة واحدة هي أنه تعالى عالم بقبح القبيح ، وعالم بكونه غنيًا عنه (ص ٢٧٩ - ٢٨٧) .

الفصل السابع : في أن تحسين العقل وتقبيحه هل هو معتبر أم لا ؟ أطبقت المعتزلة والكرامية على إثبات تحسين العقل وتقبيحه . وأطبقت الفلاسفة والجبرية على إنكاره ، والمختار عندنا : أن تحسين العقل وتقبيحه بالنسبة إلى العباد معتبر ، وأما بالنسبة إلى اللّٰه

تعالى فهو باطل .

الفصل الثامن : في إثبات أن التكليف بما لا يطاق واقع ، وأنه متى كان الأمر كذلك امتنع أن يقال إنه تعالى يراعي مصالح العباد .

الفصل التاسع : في ذكر أنواع أُخر من الدلائل على فساد القول بتحسين العقل وتقبيحه في أفعال اللَّه وفي أحكامه .

الفصل العاشر : في حكاية كلمات المعتزلة في القول بتحسين العقل وتقبيحه . ولهم في ذلك نوعان من الكلام : الأول : ادعاء الضرورة في ثبوت الحسن والقبح في الشاهد . ثم بعد ذلك يزعمون : أنه لما ثبت ذلك في الشاهد وجب ثبوته في الغائب .

الثاني : إثبات أن الحسن يحسن لوجوه عائدة إليه . وأن القبح يقبح لوجوه عائدة إليه ، بالحجة والدليل .

الفصل الحادي عشر والأخير من الجزء الثالث : فيرد فيه المؤلف على هذه الوجوه التي قدمها المعتزلة في تحسين العقل وتقبيحه .

● الجزء السابع : من كتاب المطالب العالية في الأرواح العالية والسالفة (النفس) .

- المقالة الأولى : في المقدمات :

وتشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأول : في تفاصيل مذاهب الناس فيها . فالموجود : إما يكون واجبًا لذاته وإما أن يكون ممكنًا لذاته . أما الواجب لذاته : فهو اللَّه ﷻ . وأطبق المحققون على أنه يجب أن يكون لا متحيزًا ولا حالًا، وأما الممكن لذاته : فإما أن يكون قائمًا بالنفس ، وإما أن يكون قائمًا بالغير . والقائم بالنفس : إما أن يكون متحيزًا ، وإما أن لا يكون . والقائم بالغير : إما أن يكون قائمًا بالمتحيز ، وإما أن يكون قائمًا بغير المتحيز . وهذه أقسام أربعة .

ويعرض هذا الفصل لمفهوم النفس Psychic ، كما يرتبط بموضوع اعتقادات الناس (ص ٧ - ١١) .

الفصل الثاني : وهو في ذكر شرح آخر في تقسيم الأرواح . فالروحيات لها مراتب :

الأولى : وهي أعلاها رتبة : الذين يكونون مستغرقين في نور جلال اللَّه تعالى .

الثانية : النفس المدبرة للكرسي . وذلك كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

الثالثة : الأرواح المدبرة لفلك « زحل » وسائر أطباق السموات ، وأجرام الكواكب . ثم بعد هذه المراتب : الأرواح المدبرة لكرة الأثير ، ثم لكرة الهواء ، ثم الأرواح المدبرة لأقسام هذا العالم .

الفصل الثالث : ويعرض فيه لحكاية شبهات المنكرين للموجودات الروحانية والجواب عنها .

الفصل الرابع : في ذكر الدلائل على ثبوت هذا القسم من الموجودات على سبيل الإجمال . فثبت بالبرهان وجود موجودات مجردة في الأعيان ، وهي التي كان يقول بها أفلاطون ، وكان يسميها بالمثل المجردة .

- **المقالة الثانية** : في بيان أن النفس الإنسانية هل هي جوهر مجرد عن الحجمية والحلول في الحجمية أم لا ؟

وتشتمل على سبعة فصول :

الفصل الأول : في تفاصيل مذاهب الناس فيه .

الفصل الثاني : في حكاية دلائل القائلين بأن النفس يجب أن تكون جوهرًا جسمانيًا .

الفصل الثالث : في حكاية الحجة التي هي أقوى الوجوه في إثبات تجرد النفس .

الفصل الرابع : في حكاية الدلائل التي عول عليها الشيخ في إثبات أن النفس الناطقة مجردة .

الفصل الخامس : في حكاية الدلائل الإقناعية التي ذكروها في أن النفس الناطقة مجردة عن الجسمية .

ويرتبط هذا الفصل بمفهوم الذات ، والقدرات العقلية Mental Abilities .وسمات الشخصية Personality Traits وكذلك بموضوع العلاقة بين تقدم العمر Age ، وتدهور القدرات العقلية ، وسمات الشخصية (ص ٩١ - ٩٩) .

الفصل السادس : في الدلائل القوية المعتبرة في إثبات النفس . ومن الحجج المذكورة في ذلك : أن هذا الجسد أجزاؤه واقعة في التبدل . والمشار إليه لكل أحد ، بقوله : « أنا » : غير واقع في التبدل . ينتج : أن هذا الجسد ليس هو الشيء المشار إليه بقوله « أنا » .

الفصل السابع : في الدلائل السمعية على أن النفس غير البدن . فهناك ما يؤيد ذلك في الكتاب والسنة . فالقرآن دل أن السعداء أحياء بعد الموت ، والأشقياء أحياء بعد الموت . وذلك يدل على أن النفس غير البدن ، وعلى أنها باقية بعد موت البدن .

– **المقالة الثالثة** : في صفات النفوس البشرية :

وتشتمل على ثلاثة وعشرين فصلًا :

الفصل الأول : في أن النفوس هل هي متحدة في الحقيقة والماهية أم لا ؟ وعرض فيه لوجهة نظر قدماء الفلاسفة ، والشيخ الرئيس « أبي علي بن سينا » وغير ذلك من الآراء .

ويرتبط هذا الفصل والفصول التالية بمفهوم النفس Psychic والفروق الفردية بين الأفراد في طباعهم ، وسمات شخصيتهم وأخلاقهم (ص ١٤١ – ١٤٨) .

الفصل الثاني : في بيان ذكر جملة الأسباب الموجبة لاختلاف النفوس في الصفات . وهي نوعان : الأول : اختلاف النفوس في الماهيات والذوات . والثاني : الأمور الخارجة عن الذات والجوهر ، ويرتبط بأحوال الكواكب ، وأمزجة الأعضاء ، وظروف الطقس والبيئة .

ويرتبط هذا الفصل : بموضوع سيكولوجية الشخصية Personality واختلاف أنماط الشخصية باختلاف حالة الجسم والبيئة التي يعيش فيها الفرد .

كما يرتبط أيضًا بموضوع الفروق الفردية في التعلم Learning ، والذاكرة Memory والفهم Understanding .

وكذلك بالأسس العصبية والفسيولوجية للسلوك . فتحدث أن الدماغ تنقسم إلى ثلاثة تجويفات ؛ أحدها خاص بالتخيل Imagination والثاني خاص بالتفكير Thinking والثالث للذاكرة Memory كما يرتبط بالانفعالات Emotions وعلاقتها بالحالة الجسمية والنفسية للفرد (ص ١٤٩ – ١٥٧) .

الفصل الثالث : في بيان أن النفوس واحدة . ذهب أرسطاطاليس وأصحابه إلى أن النفس واحدة ، وتنبعث عنها قوى مختلفة كثيرة بحسب الأفعال المختلفة . وقال جالينوس : النفوس ثلاث هي النطقية ، ومتعلقها الدماغ ، والنفس الغضبية ومتعلقها القلب ، والنفس الشهوانية ومتعلقها الكبد . ويرى المؤلف أن الرأي الأول هو الصواب ، فلكل إنسان نفس واحدة .

ويرتبط هذا الفصل بمفهوم النفس Psychic وأقسامها (ص ١٥٩ – ١٦٢) .

الفصل الرابع : في بيان أن المتعلق الأول للنفس هو القلب ، وأن العضو الرئيسي المطلق هو القلب .

الفصل الخامس : في حكايات شبهات « جالينوس » على مذهبه والجواب عنها .

ويرتبط هذا الفصل بالأساس العصبي للسلوك ، وموضوع الإدراك والإحساس (١٧٥ - ١٨٤) .

الفصل السادس : في تلخيص مذهب أصحاب « أرسطاطاليس » في كيفية الأرواح القلبية والدماغية .

الفصل السابع : في أن النفوس الناطقة محدثة أو قديمة .

الفصل الثامن : وتحدث فيه عن التناسخ . وأن هناك من يثبته ، وهناك من ينفيه . فهناك من يقول : إنه يجوز انتقال النفوس البشرية إلى أبدان البهائم وبالضد . أما انتقالها إلى أجسام النبات والمعادن فاختلفوا فيه .

الفصل التاسع : في بيان أن النفس باقية بعد موت الجسد .

الفصل العاشر : في تقرير الوجوه الإقناعية في بيان أن النفس باقية بعد موت الجسد . أجمع الأولياء ، والأنبياء ، والحكماء الإلهيون ، على أن النفس باقية بعد موت البدن ؛ وذلك لأن هؤلاء الفرق الثلاث حرفتهم وطريقتهم : الإعراض عن الدنيا ، والإقبال على عالم الآخرة .

الفصل الحادي عشر : في بيان أن النفس لا تقبل الهلاك والعدم . ومن الحجج التي قدمها المؤلف في ذلك قوله : لو كانت النفس الناطقة قابلة للفساد لكانت مركبة من المادة والصورة . وهذا محال فذاك محال .

الفصل الثاني عشر : في أنه هل يعقل وجود نفس واحدة تكون متصرفة في بدنين ؟ ووجود نفسين يكونان متصرفين في بدن واحد ؟ وعرض المؤلف لوجهات النظر المختلفة في ذلك أو أن الاحتمالين جائزان بشروط معينة .

الفصل الثالث عشر : في بيان أن النفوس الناطقة مدركة للكليات والجزئيات معًا ، وأنها هي المباشرة لجميع الأفعال بنفسها ، وإن كانت تلك المباشرة موقوفة على استعمال الآلات .

ويرتبط هذا الفصل بسيكولوجية الإحساس والإدراك - وخاصة إدراك الكل والجزء (ص ٢٤٧ - ٢٥٤) . كما يرتبط بالأساس الفسيولوجي للسلوك .

الفصل الرابع عشر : في إقامة الدلالة على أن الموصوف بجميع أقسام الإدراكات والمباشر لجميع التحريكات والتدبيرات لهذا البدن هو النفس .

ويرتبط هذا الفصل بسيكولوجية الإحساس والإدراك (ص ٢٢٥ - ٢٥٩) .

الفصل الخامس عشر : في بيان أن النفس بعد مفارقة البدن تبقى عالمة مدركة بالجزئيات .

الفصل السادس عشر : في البحث عن علل النفوس الناطقة .

الفصل السابع عشر : في بيان أن اشتغال النفوس البشرية بالدعاء والتضرع هل يعقل أن يكون فيه فائدة أم لا ؟ فهناك من أنكر هذه التأثيرات ، واحتج على صحة ذلك الإنكار بوجوده . وهناك المعترفون بأن الاشتغال بالدعاء طريق نافع ، ومنهج مستقيم .

الفصل الثامن عشر : في بيان كيفية الانتفاع بزيارة الموتى والقبور .

الفصل التاسع عشر : في مراتب النفوس في المعارف والعلوم .

التقسيم الأول في ذلك على أساس المراتب :

١ - العقول الهيولانية .

٢ - العقل بالملكة .

٣ - العقل بالفعل .

٤ - أن تكون تلك العلوم حاضرة بالفعل .

التقسيم الثاني : الإدراكات للجزئيات والكليات .

التقسيم الثالث : أن يتوقف الإبصار على شرائط ، وتفكير .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الإدراك الحسي (ص ٢٧٩ - ٢٨٤) . والتفكير .

الفصل العشرون : ويتحدث فيه عن نسبة الأعضاء والقوى إلى جوهر النفس .

الفصل الحادي والعشرون : في تعديد خواص النفس الإنسانية ، ومنها : النطق ، والقدرة على استنباط الصنائع العجيبة ، والحكم بحسن بعض الأشياء وقبح بعضها ، وتذكر الأمور الماضية ، والفكر والروية .

ويرتبط هذا الفصل بالعمليات المعرفية ؛ كالتذكر والتفكير ، وبالقيم الخلقية .

الفصل الثاني والعشرون : في بيان أن اللذات العقلية أشرف وأكمل من اللذات الحسية .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع ارتقاء الدوافع الإنسانية The Development of Human Motives (ص ٢٩٧ - ٣٠٢) .

الفصل الثالث والعشرون : في البحث عن نفوس سائر الحيوانات - اتفق الفلاسفة المتأخرون على أنها قوى جسمانية . وليس لأحد أن يقول : لو كانت نفوسها مجردة لوجب كونها مساوية للنفوس البشرية في تمام الماهية ، ويلزم وقوع الاستواء في العلوم والأخلاق ، وهذا محال .

ويرتبط هذا الفصل بعلم النفس الحيواني Animal Psychology فهناك إشارة لأحوال النمل ورئاسته ، وذكاء النمل أيضًا في تدبير غذائه في فصل الصيف وقبل نزول المطر وهبوب الرياح (ص ٣٠٣ - ٣١١) .

- **المقالة الرابعة** :

في البحث عن أحوال الأرواح السفلية المسماة بالجن والشياطين .

وتشتمل على ثلاثة فصول نعرض لها على النحو الآتي :

الفصل الأول : في أن القول بالجن والشياطين هل هو ممكن أم لا ؟

ذهب جمهور أرباب الملل والنحل إلى أن فرق العقلاء المكلفين أربعة : الملائكة ، والبشر ، والجن ، والشياطين . واختلفوا في أنه هل الجن نوع والشياطين نوع آخر ؟ فقال قوم : الأمر كذلك . وقال آخرون : الجن هم الأرواح الطاهرة الخيرة ، والشياطين هم الأرواح المؤذية الشريرة (ص ٣١٥) .

الفصل الثاني : في الطرق الدالة على إثبات الجن والشياطين .

أوضح المؤلف أنه لا يوجد دليل يدل على نفيها وفساد القول بها . كما لا يوجد دليل عقلي يوجب الجزم بوجودهم .

الفصل الثالث : في البحث عن حقيقة الإلهام ، والوسوسة ، واستقصاء القول فيها .

ويرتبط هذا الفصل بمصدر المعرفة الذي يحصل عن طريق الإلهام ، كما يرتبط أيضًا بموضوع الوساوس Obsessions وأسبابها (ص ٣٢٩ - ٣٣١) .

- **المقالة الخامسة** : في تفاصيل الكلام في الأرواح العالية الفلكية :

وتشتمل على تسعة فصول نعرض لها على النحو التالي :

الفصل الأول : في إقامة الدلالة على أن الأفلاك والكواكب أحياء ناطقة .

الفصل الثاني : في بيان صفة النفس الفلكية .

الفصل الثالث : في تعديد مذاهب الناس في السبب الموجب لكون الفلك متحركًا بالاستدارة .

الفصل الرابع : في تتبع هذه المذاهب .

الفصل الخامس : في تعديد الطرق المذكورة في إثبات العقول الفلكية .

الفصل السادس : في البحث عن فروع القول بهذه العقول والنفوس .

الفصل السابع : في نقل كلمات أصحاب الطلسمات في صفات الأرواح الفلكية العالية .

الفصل الثامن : ويتضمن شرحًا لصفات الملائكة - حسب ما وردت في القرآن : فهم رسل اللّه ، وقريبون منه ، ومطيعون ، ويخافون ربهم ويخشونه ... إلخ .

الفصل التاسع : في المقارنة بين أفضلية الملائكة أم البشر .

- **الجزء الثامن : من كتاب المطالب العالية في النبوات وما يتعلق بها .**

- **القسم الأول من كتاب النبوات** : في تقرير القول بالنبوة عن طريق المعجزات : ويشتمل على خمسة عشر فصلًا نعرض لها على النحو الآتي :

الفصل الأول : في شرح مذاهب الناس في هذا الباب . فالمنكرون للنبوات فرق ، إحداها : الذين قالوا : إله العالم موجب بالذات لا فاعل بالاختيار . والثانية : الذين سلموا أن إله العالم فاعل مختار ولكنهم أنكروا الأمر والنهي والتكليف . والثالثة : الذين سلموا أن إله العالم أحل لعبادة أشياء ونهاهم عن أشياء . إلا أنهم قالوا : العقول وحدها كافية في معرفة تلك التكاليف .

الفصل الثاني : في حكاية شبهات من أنكر النبوات بناءً على نفي التكاليف . وتناول فيه أنواع المنكرين وحججهم في هذا الصدد .

الفصل الثالث : في تقرير شبهات من ينكر التكليف لا بالبناء على مسألة الجبر ، فقالوا: إن هذه التكاليف إما أن تكون مشتملة على فائدة ومصلحة ، وإما أن لا تكون . والقسمان باطلان . كما أنه مع بيان القول بتحسين العقل وتقبيحه وجب أن يكون التكليف قبيحًا .

الفصل الرابع : وهو في تقرير شبهات المنكرين للنبوات بالبناء على أن العقل كافٍ

في معرفة التكليف . وذلك يوجب سقوط القول بالبعثة والرسالة .

الفصل الخامس : في حكاية شبهات من يقول : القول بخرق العادات محال .

الفصل السادس : في شبهات القائلين بأن المعجزات لا يمكن أن يعلم أنها حدثت بفعل اللَّه وبتكليفه . وبيان أنه متى تعذر العلم بذلك ، امتنع الاستدلال بما هي على صدق المدعي .

الفصل السابع : ويعرض فيه المؤلف لحكاية شبهات القائلين بأن على تقدير أن يثبت أن خالق المعجزات هو اللَّه ﷻ إلا أن ذلك لا يدل على أنه تعالى إنما خلقها لأجل تصديق المدعي للرسالة .

الفصل الثامن : في حكاية دلائل من استدل بظهور المعجز على صدق المدعي .

الفصل التاسع : وهو في تقرير نوع آخر من الشبهات في بيان أن ظهور الفعل الخارق للعادة الموافق للدعوى مع عدم المعارضة : لا يدل على صدق المدعي .

الفصل العاشر : في أنه بتقدير أن يكون المعجز قائمًا مقام ما إذا صدقه اللَّه تعالى على سبيل التصريح . فهل يلزم من هذا كون المدعي صادقًا ؟

الفصل الحادي عشر : في الطعن في التواتر . حيث زعمت بعض الجماعات أنهم شاهدوا المعجزات . ويرى المؤلف أنه لا يوجد دليل يجعلنا نسلم بذلك على سبيل اليقين التام ، فاليهود والنصارى أطبقوا على صلب عيسى عليه السلام وقتله . والمسلمون أطبقوا على تكذيبهم فيه . وهذا أيضًا طعن في التواتر . كما أنهم يدعون إلى التثليث ، والمسلمون يكذبونهم فيه ، وهذا أيضًا طعن في التواتر .

الفصل الثاني عشر : في تقرير شبهة من يقول : إن اللَّه تعالى لو أرسل رسولًا إلى الخلق لوجب أن يكون ذلك الرسول من الملائكة . وهذه الشبهة قد ذكرها اللَّه تعالى في القرآن قال تعالى : ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٨٧] .

الفصل الثالث عشر : في البحث عن الطريق الذي يعرف الرسول كونه رسولًا من عند اللَّه عز وجل .

الفصل الرابع عشر : في الشبهات المبنية على أنه ظهر على الأنبياء أعمال تقدح في صحة نبوتهم .

الفصل الخامس عشر : في الإشارة إلى أجوبة هذه الشبهات ، فإذا عرف العاقل

أصولاً ثلاثة زالت عنه هذه الشبهات بأسرها : وذلك من كمال اللّه تعالى على العباد ؛ حيث هداهم إلى هذه الأصول الثلاثة . الأول منها : أن نقول : لا شكَّ أن القول بإثبات النبوات ، فرع على القول بإثبات الفاعل المختار ، فمن نازع في ذلك الأصل فإنه لا يجوز له الخوض في إثبات النبوات ألبتة ؛ بل يجب عليه الشروع في تلك المسألة .

– **القسم الثاني** : في تقرير القول بالنبوة عن طريق آخر ، وهو قدرة النبي على تكميل الناقص : ويشتمل على سبعة فصول . نتناولها على النحو التالي :

الفصل الأول : في تمييز هذا الطريق عن الطريق المتقدم . فالقائلون بالنبوات فريقان : أحدهما الذين يقولون : إن ظهور المعجزات على يده ، يدل على صدقه ، ثم إنا نستدل بقوله على تحقيق الحق ، وإبطال الباطل . وهذا القول هو الطريق الأول ، وعليه أرباب الملل والنحل . القول الثاني : أن نقول : إنا نعرف أولًا أن القول في الاعتقادات ما هو ؟ وأن الصواب في الأعمال ما هو ؟ فإذا عرفنا ذلك . ثم رأينا إنسانًا يدعو الخلق إلى الدين الحق ، عرفنا أنه نبي صادق واجب الاتباع ، وهذا الطريق أقرب إلى العقل ، والشبهات فيه أقل .

الفصل الثاني : في أن القرآن العظيم يدل على أن هذا الطريق هو الطريق الأكمل والأفضل في إثبات النبوة ، فالإقرار بالإلهيات يتبعه مباشرة الإقرار بالنبوات . وكمال حال الأنبياء يتمثل في حصول أمور أربعة ؛ هي : كمال القوة النظرية ، والقوة العملية ، قدرته على تكميل القوة النظرية لغيره ، قدرته على تكميل القوة العملية التي لغيره .

الفصل الثالث : في صفة هذه الدعوة إلى اللّه تعالى .

الفصل الرابع : وهو في بيان أن محمدًا عليه الصلاة والسلام أفضل من جميع الأنبياء والرسل .

الفصل الخامس : في بيان أن إثبات النبوة بهذا الطريق أقوى وأكمل من إثباتها بالمعجزات .

الفصل السادس : في تقرير طريقة الفلاسفة في كيفية ظهور المعجزات على الأنبياء عليهم السلام .

ويرتبط هذا الفصل بسيكولوجية الإحساس Psychology of Sensation والأحلام Dreams (ص ١٢٧ - ١٣٦) .

الفصل السابع : ويعرض فيه المؤلف لقول الفلاسفة في السبب الذي لأجله يقدر

الأولياء والأنبياء على الإتيان بالمعجزات والكرامات .

- **القسم الثالث : في الكلام في السحر وأقسامه :**

الفصل الأول : في بيان أنواع السحر ، وهي عشرة أنواع ؛ منها : السحر المبني على مقتضيات أحكام النجوم وهو أشدها تأثيرًا وأعظمها قوةً ، والسحر المبني على قوة الوهم وتصفية النفس ، والسحر المبني على خواص الأدوية المعدنية والنباتية ، والسحر المبني على العزائم والرقى ، والسحر المبني على الاستعانة بالأرواح الفلكية ، والسحر المرتب على علم الهندسة .

ثم تحدث المؤلف بعد ذلك عن تقرير الأصول الكلية المعتبرة في السحر المبني على طريق النجوم . وفيه تناول الفصول التالية :

الفصل الأول : في الطلاسم ، وهو كما يقول الفلاسفة والصابئة : عبارة عن تمزيج القوى الفعالة السماوية ، بالقوى المنفعلة الأرضية ، لإحداث ما يخالف العادة ، أو للمنع مما يوافق العادة .

الفصل الثاني : في بيان أن الوقوف على أصول هذا العلم عسر جدًّا .

الفصل الثالث : في الطريق الذي حصل به الوقوف على طبائع الأجرام الفلكية ؛ وهي ثلاثة أمور : القياس ، والتجربة ، والوحي .

الفصل الرابع : وتحدث فيه عن الشرائط الكلية المعتبرة في دعاية هذا النوع .

الفصل الخامس : في تلخيص الأصول المعتبرة في هذا الباب . وتحدث فيه عن أحوال المؤثرات العلوية : (أنواع الكواكب ، النقط الفلكية المؤثرة ومعرفة طبيعة الفلك) . كما تحدث عن الأمور التي يجب معرفتها عن الأجسام القابلة السفلية .

أما الفصل السادس والأخير من هذا الجزء : فهو في التنبيه على أصول أخرى يجب مراعاتها في هذه الأعمال . وهذه الأصول إما أن تكون معتبرة في الكواكب أو في البروج .

* * *

الطب الروحاني [1]

عرض : د. عبد اللطيف محمد خليفة

عرض الكتاب :

يشتمل الكتاب على عشرين فصلًا نعرض لها على النحو التالي :

الفصل الأول : في فضل العقل ومدحه : ويتلخص مضمونه : في أن اللّه قد ميز الإنسان عن سائر الكائنات بالعقل ، والذي من خلاله ندرك جميع ما يرفعنا ، ويطيب عيشنا ، ونصل إلى بغيتنا وقرارنا ، فمن خلاله ندرك مثلًا صناعة السفن ، والطب ، وسائر الصناعات ، ولولاه لكانت حالتنا مثل البهائم ، والأطفال ، والمجانين . ومن خلاله يمكن تصور أفعالنا العقلية قبل ظهورها للحس.

ويرتبط هذا بمفاهيم : الإحساس Sensation ، والإدراك Perception والذكاء Intelligence ، والمرض النفسي Mental Illness .

الفصل الثاني : في قمع الهوى وردعه وجملة من رأي أفلاطون الحكيم . ويدور حول قمع الهوى ومخالفة ما يدعو إليه الطباع . وتمرين النفس على ذلك بشكل تدريجي . فأهم ما يتميز به الإنسان عن الحيوان ملكة الإرادة ، وإطلاق العقل بعد الروية ؛ فالهوى والطباع يدعوان إلى اتباع اللذات الحاضرة دون فكر ولا تدبر في عاقبة .

---

(١) فخر الدين الرازي ؛ ضبطه وقدم له سليمان سليم البواب . دمشق ؛ بيروت : دار الحكمة ، (١٩٨٦م) ، (ص ١٢٦) .

ويعرض المؤلف للفرق بين الشعور باللذة لدى الإنسان والحيوان ، فالشعور باللذة لدى الحيوان قصير الأمد ويمكن بلوغه بسهولة ، أما الإنسان فطويل الأمد ويصعب تحققه بسرعة ، فالإنسان يتشوق ويتطلع دائمًا إلى المزيد . ويقسم أفلاطون الإنسان إلى ثلاث أنفس ؛ هي : النفس الناطقة ، والإلهية ، والنفس الغضبية والحيوانية ، والنفس النباتية والنامية والشهوانية . والتقصير في فعل النفس النباتية أن لا تغدو ولا تنمو بالكمية والكيفية المحتاجة إليها جملة الجسد ، حتى يغرق في اللذات والشهوات ، وتقصير فعل النفس الغضبية أن لا يكون عندها من الحمية والأنفة ما يمكنها أن تقهر النفس الشهوانية . أما تقصير فعل النفس الناطقة أن لا يخطر ببالها استغراب هذا العالم واستكباره ، والفكر فيه والتعجب منه ، والتشوق إلى معرفة جميع ما فيه .

ويرتبط هذا النص بالدوافع ، والغرائز ، وقمع الدوافع والسيطرة عليها . كذلك يرتبط بكلٍّ من : المرض العقلي Mental Illness ، والانفعالات Emotions (مثل السعادة Happiness) (ص ٤٧ - ٥٧) .

الفصل الثالث : جملة قُدِّمت قبل ذكر عوارض النفس الردية على انفرادها ، ويعرض فيه لما سبق الحديث عنه في الفصل السابق ، عن الأسباب التي نستقي منها جميع وجوه التلطف لإصلاح خلق ما ردى ، وتقديم لما سيأتي في الفصل الرابع عن معرفة الإنسان لعيوبه .

الفصل الرابع : في تعرف الرجل عيوب نفسه . ويتحدث عن معرفة الفرد لعيوبه وأخطائه من خلال الاستعانة بالآخرين من العقلاء أو المشرفين ، فيعرض عليهم عيوبه . ويطلب منهم النصيحة دون مجاملة . وألا يسخر أو يستهزئ به . وأن يصغي إليه جيدًا . وإن رأى المشرف الشخص قد كتم عنه شيئًا أخبره بأن ذلك غير صحيح ، وأنه يجب التصريح مباشرة بكل ما لديه ، وأن يتعاطف مع مشاكله وعيوبه .

يقترب هذا الفصل بما يسمى بالإرشاد Counseling ، وخاصة الإرشاد غير الموجه Non-Directive Psychotherapy . وهو أحد أساليب العلاج النفسي الذي قدمه كارل روجرز Rogers (ص ٥٩ ، ٦٠) .

الفصل الخامس : في العشق والإلف وجملة الكلام في اللذة . فاللذة بشيء سوى إعادة ما أخرجه المؤذي عن حالته إلى حالته التي كان عليها . ويعرف الفلاسفة الطبيعيون حد اللذة بأنها رجوع إلى الطبيعة ، فبمقدار أذى الجوع والعطش يكون

الالتذاذ بالطعام والشراب . ويخطئ من يتصور اللذة على أنها بعيدة من الألم والأذى ، كما هو الحال لدى العشاق ومن كلف بشيء وأغرم به ؛ فهم يحزنون من حيث يظنون أنهم يلذون ؛ وذلك لأنهم لا ينالون من ملاذهم شيئًا إلا بعد أن يمسهم الهم والجهد ، والكثير منهم يصل إلى حالة فقد الغذاء والجنون ، والوساوس . ويؤيد وجهة النظرة المعارضة لرأي الفلاسفة في العشق الذين يرون أنه شيء نبيل وسامٍ ، وأنه مظهر رقة الطبع ولطافة الذهن . ويقول المؤلف : إن اليونانيين على الرغم من أنهم من أرق الأمم إلا أننا نجد أن العشق عندهم أقل مما في جملة سائر الأمم . أما الإلف فهو ما يحدث في النفس عن طول الصحبة من كراهة مفارقة المصحوب .

يقترب هذا الفصل من : الانفعالات Emotion (مثل الشعور باللذة ، والفرح ، والألم ، والحب Love) ، والمرض النفسي Mental Illness والوساوس Obsessions كما يرتبط بالواقعية وما يصاحبها من حالات وجدانية (ص ٦١ - ٧٠) .

الفصل السادس : « في الحب » . ويتحدث فيه عن محبة الإنسان وإعجابه بنفسه ، فيكون استحسانه للحسن منها فوق حقه ، واستقباحه للقبيح منها دون حقه .فإذا كان للإنسان أدنى فضيلة عظمت عند نفسه ، وأحب أن يمدح عليها . وإذا تأكدت فيه هذه الحالة صار عجبًا . ومما يدفع به العجب أن يكل الرجل اعتبار مساويه ومحاسنه إلى غيره .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الانفعالات ؛ إذ إن العجب بالنفس حالة انفعالية . كما يرتبط بموضوع الحيل العقلية ؛ إذ إن العجب بالنفس كثيرًا ما يكون وسيلة دفاعية ضد الشعور بالنقص . (ص ٧١ ، ٧٢) .

الفصل السابع : في الحسد . ويذكر فيه إن الحسد يتولد من اجتماع البخل والشره في النفس والحسد أشرُّ من البخل ؛ لأن البخيل إنما لا يحب أن ينال أحد شيئًا مما يملكه ، والحسود يحب أن لا ينال أحد غيره ولو مما لا يملكه ، والحسد داء من أدواء النفس عظيم الأذى لها . وعرض المؤلف لوجود اختلاف بين الحسد والعداوة أو الكراهية بين الناس ، والحسد مضر بالنفس والجسد . أما بالنفس : فلأنه يذلها ، ويعذب فكرها ، ويسبب طول الحزن . وأما بالجسد فلأنه يسبب طول السهر وسوء الاغتذاء ، ورداءة اللون وسوء السحنة ، أو الهيئة وفساد المزاج . ويرى أنه يمكن الإقلاع عن الحسد عن طريق أن يتأمل العاقل أحوال الناس في ترقيهم في المراتب ووصوله إلى الطلب .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الانفعالات ؛ مثل : انفعال الحسد والحزن ، والسيرة

على انفعال الحسد ، والغضب Anger ، والكراهية أو العداوة Hostility ، والمزاج Mood ، والاقتداء Modeling ، أي وجود نموذج يمثل قدرة (ص ٧٣ - ٧٨) .

الفصل الثامن : في دفع الغضب . ويتناول فيه أضرار الغضب على الإنسان ، والتي تصل إلى أن يفقد معه العقل . ويرى أنه يمكن أن يتخلص الإنسان من غضبه عن طريق : تذكر الظروف التي أدت إلى غضبه ، وتصور نفسه في حالة الغضب . وينبغي أن يكون الفرد في وقت المعاقبة بعيدًا عن أربع خصال : الكبر ، والبغض للمعاقب ، ومن ضدي هذين ؛ فإذا زاد عنهما أو قل كان الضرر . وينبغي أن يكون بباله هذه المعاني حتى يكون غضبه بمقدار عدله .

ويرتبط هذا الفصل بموضوع الانفعالات وبخاصة انفعال الغضب ، وكيفية التحكم أو السيطرة على الانفعالات (ص ٧٩ ، ٨٠) .

الفصل التاسع : في اطراح الكذب ، وهو أحد الأعراض السيئة للهوى ، فهو يجلب من بعده ندمًا وهمًا وألمًا ، كما يسبب احتقار الناس واستصغارهم له وعدم ثقتهم به . والإخبار بغير الحق نوعان : نوع يقصد به المخبر إلى أمر جميل مستحسن ، ولا يترتب عليه فضيحة ولا ندامة بل شكر وثناء وجميل . أما النوع الثاني العديم الغرض ففي تكشفه الفضيحة والمذمة ويترتب عليه الضرر .

ويقترب هذا الفصل من « مفهوم الكذب » كما يستخدم في مجال علم النفس الإكلينيكي والانحرافات السيكوباتية . وخاصة الكذب بالمعنى الثاني والذي يستخدم كمؤشر للاضطرابات النفسية Mental Disorders (ص ٨١ - ٨٣) .

الفصل العاشر : في البخل ، وتحدث فيه بأن البخل ليس من أعراض الهوى إذا قصد به التمسك والتحفظ بما لدى الأفراد خوفًا من الفقر ، واستعدادًا للنكبات والمصائب . وأن هناك صعوبة في تحديد البخلاء لأسباب بخلهم .

الفصل الحادي عشر : في دفع الفضل الضار من الفكر والهم . فنظرًا لاختلاف طبائع الأفراد وعاداتهم تختلف مقادير احتمال الفكر والهم فيهم . وينبغي أن يكون ذلك استخدمًا للهوى والسرور ، واللذة استخدامًا إيجابيًا ، أي لكي نقوى من خلال ذلك على مواجهة العدو والوصول إلى أهدافنا ، وأن ذلك ينبغي أن يكون بدرجة معتدلة ، فالإفراط والتقصير كلاهما سيئ ؛ فالاعتدال في فكرنا وهمومنا يؤدي بنا إلى بلوغ مطالبنا .

المفاهيم والمجالات : يقترب من مفهوم الانفعالات وخاصة ما يسمى بالحد الأمثل من الانفعالات أو التوتر ، والذي يؤدي إلى الأداء والإنجاز بمستوى عالٍ من الكفاءة (ص ٨٧ – ٨٨) .

الفصل الثاني عشر : في دفع الغم . الغم : هو عرض عقلي أو هوائي ، يكدر الفكر والعقل ويؤذي النفس والجسد . ويتولد الغم غالبًا نتيجة فقد المحبوبات . ويجب على الشخص أن يتخيل دائمًا أنه يمكن أن يفقد محبوباته لأن ذلك من وقوع المصيبة ودرجة الغم الواقع ، وذكر أن الحياة متغيرة ولا ثبات فيها لشيء إطلاقًا ، ونصح بضرورة أن يعي الإنسان أسباب غمه حتى يمكنه إزالتها .

المفاهيم : التخيل Imagination ، والاكتئاب Depression (ص ٨٩ – ٩٣) .

الفصل الثالث عشر : في الشره والنهم ضرب من اتباع الهوى . ويتولد عن قوة النفس الشهوانية ، إذا ساعدها عمى النفس الناطقة ، أي قلة الحياء كان مع ذلك ظاهرًا مكشوفًا ، وهو من الأعراض الرديئة التي يترتب عليها الألم والضرر ، كسوء الهضم ، وتعريض النفس للألم والسقم .

المفاهيم : يقترب من حديث الأطباء عن الإضطرابات النفسية وخاصة إضطرابات تناول الطعام (ص ٩٥ – ٩٧) .

الفصل الرابع عشر : في السكر . يترتب على إدمان المسكرات عدد من الأعراض والأمراض السيئة ؛ كالسكتة والاختناق ، وانفجار شرايين الدماغ ، والحمى ، والأورام الدموية ، والصفراوية في الأحشاء ، وفقد العقل ، وإظهار السر . وذكر أن الإدمان والمثابرة على اللذات يسقط الالتذاذ بها ، ويجعله كالشيء الاضطراري في بقاء الحياة ، والسكر أشد ضراوة من الشره . ومن أسباب دفع الهم والانبساط .

المفاهيم : يقترب من موضوع الإدمان وتعاطي المخدرات ، والأضرار الناجمة من تعاطيها مثل فقدان الوعي ، واضطراب الذاكرة Memory وأسباب تعاطي المخدرات (ص ٩٩ ، ١٠٠) .

الفصل الخامس عشر : في الجماع . من الأعراض الرديئة التي يدعو إليها الهوى . والإكثار منه يضعف البصر ، ويهد البدن ، ويسرع بالشيخوخة ، والهرم ، ويضر بالدماغ ، والأعصاب ، ويسبب الكثير من الأمراض . أما الإقلال منه ، والإمساك عنه ، فيحفظ على الجسد قوته الأصلية للأعضاء ، فتطول مدة النماء ، وتبطئ الشيخوخة ،

والجفاف والهرم ، وتضيق أوعية المني فيقل تولد المني فيها ، ويتقلص الذكر وتسقط الشهوة . وفي نهاية الفصل يرى المؤلف أنه على العاقل أن يزم نفسه عن كثرة الجماع ، ويجاهدها على ذلك ليأمن عواقبه الرديئة .

المفاهيم : يرتبط هذا الفصل بالاضطرابات الجنسية Sexual Disorders وبعض المفاهيم مثل الباعث Incentive ، الدافع الجنسي (ص ١٠١ - ١٠٣) .

الفصل السادس عشر : في الولع والعبث والمذهب . ويتلخص في التوعية بترك الولع ، والعبث ، وبالاستحياء والبعد عنهما وذلك من خلال تذكر النفس لأوقات العبث والولع . فالتذكر والتيقظ من وسائل مقاومة ذلك . أما المذهب فهو عرض هوائي لا عقلي . وتحدث عن النظافة والطهارة وإدراكها بالحواس لا بالقياس ، وأن الحواس لا تعطي لصاحب المذهب شيء يحتج به .

المفاهيم: يقترب هذا من بعض المفاهيم ؛ مثل : بعض سمات الشخصية مثل الميل إلى اللهو والمرح والعبث . ومقاومة ذلك عن طريق التذكر ، واليقظة Vigilance ، وكذلك مفاهيم الإحساس Sensation ، والاستدلال Reasoning (ص ١٠٥ - ١٠٧) .

الفصل السابع عشر : في الاكتساب ، والاقتناء ، والإنفاق . فالاكتساب له طرفان أو حدان ، هما : الإفراط والتقصير ، وكلاهما غير مرغوب ، وضار . ويقصد به المقدار الموازي لمقدار الإنفاق وزيادة فضله تقتنى وتدخر للنوائب والحوادث المانعة من الاكتساب . أما الاقتناء والادخار فهو أحد الأسباب الاضطرارية في حسن العيش ، وينبغي الاعتدال فيه مثل الاكتساب ، فالتقصير في أيٍّ منهما يؤدي إلى عدمه مع الحاجة إليه ، والإفراط يؤدي إلى دوام الكد والتعب ، أما الاعتدال في الاقتناء فهو أن يكون لدى الإنسان من المقتنيات بمقدار ما يقيم به حالته . أما الإنفاق فينبغي أن يكون أقل من مقدار الاكتساب .

المفاهيم : مفهوم الحاجة Need ومفهوم الدافع Motive ، ومفهوم الشعور بالأمن Feeling of Security (ص ١٠٩ - ١١٢) .

الفصل الثامن عشر : في طلب الرتب والمنازل الدنيوية . ويتلخص في أن الفرد في حاجة مستمرة إلى التغيير والتنقل من الحالة التي يوجد عليها ، ويتم ذلك من خلال الجهد ، والحمل على النفس وإجهادها في الطلب . والعقل ، هو الذي يختار ويرى ويؤثر الشيء الأفضل عند العواقب . أما الهوى ، فإنه بالضد من هذا المعنى ؛ حيث يتم الاختيار ودون النظر فيهما يأتي من عواقب ؛ ولذا ينصح باتباع العقل دائمًا ، والبعد عن

الهوى في تقدير الرتب والمنازل .

المفاهيم : يقترب هذا الفصل من ارتقاء الدوافع والحاجات Development of Needs & Motives ، أو ما يسميه البعض بالتدرج لارتقاء الحاجات . (ص ١١٣ - ١١٨) .

الفصل التاسع عشر : في السيرة الفاضلة . ويدور حول أن الإنسان إذا لزم العدل ، والعفة ، وأقلَّ من مجادلة الناس سلم منهم . وإذا أضاف إلى ذلك الإفضال عليهم ، والنصيحة ، والرحمة لهم أوتي منهم المحبة . وهاتان الخصلتان هما ثمرتا السيرة الفاضلة .

المفاهيم : يقترب من مفهوم القيم الأخلاقية Moral Values ، والتفاعل بين الأفراد (ص ١١٩ ، ١٢٠) .

الفصل العشرون : في الخوف من الموت . ويحاول فيه إقناع من يعتقد أن النفس تفسد بفساد الجسد . ويبين أنه ليس للخوف من الموت - على رأي من لم يجعل للإنسان حالة وعاقبة يصير إليها بعد موته - وجه . كما يجب أيضًا في الرأي الآخر - وهو الذي يجعل لمن مات حالة وعاقبة يصير إليها بعد الموت - أن لا يخاف من الموت الإنسان الخير الفاضل المكمل لأداء ما فرضت عليه الشريعة المحقة ؛ لأنها قد وعدته بالفوز ، والراحة ، والوصول إلى النعيم الدائم .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من هذا الكتاب في مجال علم النفس العام والإرشاد النفسي .

* * *

شرح الإشارات [١]

عرض : د. معتز سيد عبد الله

عرض الكتاب :

يتكون الكتاب من جزأين ، يعرض المؤلف فيهما لشرح كتاب الإشارات والتنبيهات للشيخ الرئيس ابن سينا . وهو ما نعرض لتفاصيله على النحو التالي :

الجزء الأول :

ويقع في ٢٤٣ صفحة من القطع الكبير . ويتكون من خمسة أنماط ، يشتمل كل منها على مجموعة من المسائل ، التي تتكون بدورها من مجموعة من الفصول . وفي كل نمط من هذه الأنماط يقوم المؤلف بشرح بعض الإشارات والتنبيهات ، وذلك كما يلي :

النمط الأول : في تجوهر الأجسام :

ويشتمل على اثنتي عشرة مسألة قام المؤلف بشرح ما تشتمل عليه كل منها من إشارات وتنبيهات .

المسألة الأولى : في إبطال الجزء الذي لا يتجزأ ، والثانية : في بعض تفاريع نفي الجزء ، والثالثة : في إثبات الهيولي ، والرابعة : في أن الهيولي قابلة للمقادير المختلفة ، والخامسة : في استحالة خلو الصورة الجسمية عن الهيولي ، والسادسة : في استحالة خلو الهيولي عن الجسمية ، والسابعة : في استحالة خلو الهيولي عن الصورة النوعية ، والثامنة : في كيفية

---

(١) فخر الدين الرازي ط١ - (القاهرة) : السيد عمر حسين الخشاب ، (١٣٢٥هـ) ٢مج .

تعلق كلٍّ واحدةٍ من الهيولي والصورة بالأخرى ، والتاسعة : في أحكام المقادير ، والعاشرة : في امتناع تداخل المقادير ، والحادية عشرة : في امتناع الخلاء ، والثانية عشرة : في إثبات الجهة ، وقد ارتبط شرح الإشارات والتنبيهات التي وردت في كلٍّ مسألةٍ من المسائل السابقة ببعض المفاهيم السيكولوجية ؛ هي : بنية الجسم (ص ٥ - ٦٩) ، والوهم (ص ٧) ، والرأي (ص ٧) ، والصورة العقلية (ص ٣٩ - ٦٨) .

النمط الثاني : في الجهات وأجسامها الأول والثاني :

والكلام في هذا النمط على قسمين ؛ أحدهما : الكلام على الأفلاك والثاني : الكلام على العناصر ، **والقسم الأول** : الكلام على الأفلاك فيه سبع مسائل ؛ الأولى : في أن الجهات لا تتحدد إلا بأجسام كبرى ، والثانية : في أن الجسم المحدد للجهات لا تصح عليه الحركة المستقيمة ، والثالثة : في بيان أن المحدد هو الفلك الأعظم أو غيره ، والرابعة : في شرح أمور تعم الأجسام كلها ، والخامسة : في أن الجسم المحدد للجهات متحرك على الاستدارة ، والسادسة : في كيفية الحركة المستديرة للفلك المحدد ، والسابعة : في امتناع الكون والفساد على الفلك .

أما القسم الثاني من الكلام في الأجسام العنصرية ففيه ثمان مسائل : الأولى : في عدد الأسطقسات ، والثانية : في سبب ترتيب العناصر في أمكنتها ، والثالثة : في بيان جواز الكون والفساد على العناصر الأربعة ، والرابعة : في أن الأسطقسات والأركان ليست إلا الأربعة المذكورة ، والخامسة : في كيفية تولد المركبات عن هذه الأربعة ، والسادسة : في إثبات الاستحالة ، والسابعة : في أحكام النار ، والثامنة : في ذكر حكمة اللّٰه تعالى في خلق العناصر . ويرتبط مضمون الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية منها إدراك الحركة (ص ٦٩ - ٩٦) .

النمط الثالث : في النفس الأرضية والسمائية :

والكلام في هذا النمط على أقسام ثلاثة ، ويشتمل كل قسمٍ على مسائل :

القسم الأول : في بيان النفس ليست عبارة عن البدن ، ولا عن المزاج وأنها واحدة . وفيه ثلاث مسائل : الأولى : في بيان أنها ليست عبارة عن هذا البدن ، والثانية : في بيان أن النفس ليست بمزاج ، والثالثة : في وحدة النفس وكيفية تأثر البدن عنها .

أما القسم الثاني : (في أحكام الإدراك) ففيه ثمان مسائل : الأولى : في ماهية الإدراك ، والثانية : في بيان درجات الإدراكات في التجرد ، والثالثة : في الحواس

الباطنة ، والرابعة : في درجات النفس الإنسانية ، والخامسة : في الفرق بين الحدس والفكر ، والسادسة : في إثبات القوة القدسية ، والسابعة : في أن النفس الناطقة ليست بجسم ولا بجسماني ، والثامنة : في أن كل مجرد فهو عقل وعاقل ومعقول .

أما القسم الثالث : (في أحكام القوة المحركة من قوى النفس) ففيه أربع مسائل : الأولى : في أقسام القوى النباتية ، والثانية : في القوى المحركة الاختيارية ، والثالثة : في أن الفلك متحرك بالإرادة ، والرابعة : في إثبات النفوس الفلكية ، ويرتبط مضمون الجزء السابق بمجموعة من المفاهيم السيكولوجية ؛ هي : النفس (ص ١٢٠ - ١٨٩) ، وبنية الجسم (ص ١٢٠ - ١٨٩) ، والمزاج Temperament (ص ١٢٠ - ١٨٩) ، والإحساس (الحواس) (ص ١٢٠ - ١٨٩) ، واللذة (ص ١٢٠ - ١٨٩) ، والعلاقة بين النفس والجسم (ص ١٢٠ - ١٨٩) ، والصور العقلية (ص ١٢٠- ١٨٩) ، والتجريد (ص ١٢٠ - ١٨٩) ، والإرادة (ص ١٢٠ - ١٨٩) .

النمط الرابع : في الوجود وعلله :

ويشتمل على ثمان مسائل ؛ الأولى : في الرد على من زعم أن ما لا يكون محسوسًا لا يكون معلومًا ولا متصورًا . والثانية : في تفصيل القول في العلل الأربعة التي هي العلة المادية والصورة ، والفاعلية والغائية . والثالثة : في إثبات واجب الوجود . والرابعة : في وحدة واجب الوجود . والخامسة : في تنزيه واجب الوجود تعالى عن الكثرة . والسادسة : في نفي الضد والند عنه تعالى ، والسابعة : في أنه تعالى عالم بالأشياء . والثامنة : في أن الطريق الذي سلكه الشيخ ابن سينا في هذا الكتاب في معرفة ذات اللّٰه تعالى أجل من سائر الطرق ، ويرتبط مضمون الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية ؛ هي : مفهوم العلية Causality (ص ١٨٩ - ٢١٤) ، والإحساس (ص ١٨٩ - ٢١٤) .

النمط الخامس : في الصنع والإبداع :

ويشتمل على عشر مسائل ؛ الأولى : في أن علة الحاجة إلى المؤثر هي الإمكان ، وأن الشيء حال بقائه لا يستغني عن السبب . والثانية : في أن كل حادث مسبوق بزمان . والثالثة : في بيان أن الزمان هو مقدار الحركة . والرابعة : في أن كل محدث مسبوق بمادة . والخامسة : في أن كل ممكن محدث بالذات ، والسادسة : في أن العلة متى كانت مستجمعة جميع الأمور المعتبرة في عليتها فإنه يستحيل تخلف المعلول عنها . والسابعة : في تفسير لفظ الإبداع . والثامنة : في أن أحد طرفي الممكن لا يترجح على

الآخر إلا بعلة وأن حصوله واجب عند حصول العلة . والتاسعة : في أن الواحد حقًّا لا يصدر عنه إلا المعلول الواحد . والعاشرة : في مذاهب أهل العلم في إمكان العلم وحدوثه . ويرتبط مضمون الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية ؛ أهمها : مفهوم الإبداع Creativity (ص ٢١٤ - ٢٤٣) .

الجزء الثاني :

ويقع في ١٤٦ صفحة من القطع الكبير . ويتكون من خمسة أنماط يشتمل كل منها على مجموعة من المسائل ، التي تتكون بدورها من مجموعة من الفصول . وفي كل فصل من هذه الفصول يقوم المؤلف بشرح بعض الإشارات والتنبيهات ، وذلك كما يلي :

النمط السادس : في الغايات ومبادئها وفي الترتيب :

بدأ المؤلف بتوضيح أن غاية الشيء ما إليه يتحرك ، ومتى وصل إليه وقف ، أما المبدأ فهو المؤثر . ثم بين أن هذا النمط يشتمل على ثلاث مسائل : الأولى : في أن كل من فعل بالقصد والاختيار فإنه لا بد وأن يكون مستكملًا . والثانية : في الطرق الدالة على إثبات العقول المجردة والثالثة : في بيان كيفية ترتيب الوجود . ويرتبط مضمون هذا الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية ؛ هي : المقصد السلوكي Intention (ص ٣٦ - ٥٦) ، والرغبة Desire (ص ٣٦ - ٥٦) والانفعالات (٣٦ - ٥٦) ، وبنية الجسم (ص ٣٦ - ٥٦) ، والعقل (ص ٣٦ - ٥٦) ، والعلية (ص ٣٦ - ٥٦) .

النمط السابع : في التجريد :

وفيه ثمان مسائل : الأولى : في كيفية مراتب الموجودات . والثانية : في أن النفس الناطقة غنية في ذاتها وفي تعقلاتها عن هذا البدل . والثالثة : في الاتحاد وتعاريفه والرابعة : في أحكام العقلات وأحكامها . والخامسة : في كيفية علم اللّٰه بذاته وبالكليات . والسادسة : في كيفية علم اللّٰه تعالى بالجزئيات . والسابعة : في شرح عنايته تعالى . والثامنة : في كيفية دخول الشر في القضاء الإلهي . ويرتبط مضمون الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية ؛ هي : التجريد Abstraction (ص ٥٦ - ٨٥) ، النفس (ص ٥٦ - ٨٥) ، وبنية الجسم (ص ٥٦ - ٨٥) ، والصور العقلية (ص ٥٦ - ٨٥) ، والعقل (ص ٥٦ - ٨٥) ، والانفعالات (ص ٥٦ - ٨٥) ، والاعتقادات الخاطئة (ص ٨٢) .

النمط الثامن : في البهجة والسعادة :

وفيه مجموعة من المسائل ؛ الأولى : في أن اللذات الباطنة أقوى وأشرف من اللذات الحسية . والثانية : في بيان ماهية اللذة . والثالثة : في إثبات اللذة العقلية . والرابعة : في كيفية مراتب الموجودات المجردة في الابتهاج واللذة . ويرتبط مضمون الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية ، هي : الانفعالات (الابتهاج والسرور ... إلخ) ، (ص ٨٦ - ١٠٠) ، والنفس (ص ٨٦ - ١٠٠) ، الإدراك الحسي (ص ٨٦ - ١٠٠) ، وبنية الجسم (ص ٨٦ - ١٠٠) ، والعلاقة بين النفس والجسم (ص ٨٦ - ١٠٠) ، واللذة (ص ٨٦ - ١٠٠) ، والمحبة Liking (ص ٩٩ ، ١٠٠) .

النمط التاسع : في مقامات العارفين :

وهو مرتب على ثلاثة أقسام ؛ القسم الأول : في كليات هذا الباب ، ويشتمل على خمس مسائل ؛ هي : الأولى : في بيان فضيلة العارفين على الإجمالي . والثانية : في بيان ماهية الزاهد ، والعابد ، والعارف . والثالثة : في غرض العارف من الزهد والعبادة . والرابعة : في أنه لا بد من وجود النبي . والخامسة : في أن العارف يريد اللّٰه للّٰه تعالى لا لشيء غيره . أما القسم الثاني ، فهو في كيفية درجات العارفين . بينما يتناول القسم الثالث : شرح أحوالهم . ويرتبط مضمون الجزء السابق ببعض المفاهيم السيكولوجية ؛ هي : العقل (ص ١٠٠ - ١٢٤) ، والإدراك الحسي (ص ١٠٠ - ١٢٤) .

النمط العاشر : في أسرار الآيات :

والغرض من هذا النمط هو ذكر أسباب الخوارق في أمور أربعة هي المسائل التي يتكون منها هذا النمط :

فالمسألة الأولى : في سبب التمكن من ترك الغذاء مدة مديدة . والثانية : في سبب التمكن من الأفعال الشاقة . والثالثة : في سبب التمكن من الإخبار عن الغيوب . والرابعة : في سبب التمكن من التصرف في العناصر . ويرتبط مضمون هذا الجزء ببعض المفاهيم السيكولوجية ؛ هي : الانفعالات Emotions (ص ١٢٤ - ١٤٦) ، والنفس (ص ١٢٤ - ١٤٦) ، والعقل (ص ١٢٤ - ١٤٦) ، والرغبة (ص ١٢٤ - ١٤٦) .

* * *

عجائب القرآن [1]

عرض : د. جمعة سيد يوسف

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ١٧٦ صفحة من القطع المتوسط ، ويضم سبعة فصول وفهرسًا لموضوعات الكتاب .

والفصل الأول من الكتاب عن : أسرار كلمة لا إله إلا الله . قال الله ﷻ : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد: ١٩] ، وقد قدم الله تعالى الأمر بمعرفة التوحيد على الأمر بالاستغفار ؛ لأن معرفة التوحيد إشارة إلى علم الأصول ، والاشتغال بالاستغفار إشارة إلى علم الفروع ، والأصل يجب تقدمه على الفرع (ص ٧) .

وهناك وجوه كثيرة لإثبات ذلك وتأكيده كلها مستمدة من آيات الذكر الحكيم (ص ٨ – ١٥) . ومن خلال الوجه الأول للبرهنة على ذلك يقدم المؤلف كلامًا حول نمو الإنسان وتطور خلقه قبل الولادة ثم بعدها حتى يصل إلى أشرف المراتب ، وهو كلام نجد له صدًى لدى المهتمين بعلم النفس الارتقائي (ص ٩) .

يرى المؤلف في ثنايا براهينه التي يقدمها أن الترتيب الحسن المفيد في التعليم : أن يقع الابتداء في التعليم من الأظهر مرتقيًا إلى الأخص فالأخص ؛ وذلك أنه ﷻ قال : ﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١] فجعل استدلال كل عامل بنفسه مقدمًا على

---

(١) فخر الدين بن عمر بن الحسين الرازي . ط١ . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٤م .

جميع الاستدلالات ؛ لأن اطلاع كل واحد على أحوال نفسه أتم من اطلاعه على أحوال غيره ، فسيجد بالضرورة من نفسه أنه يكون مريضًا ، وتارة يكون صحيحًا ، وتارة ملتذًا ، وتارة متألمًا ، وتارة شابًّا ، وتارة شيخًا .

ونجد في ذلك مقدمات مهمة لدى علماء النفس ؛ مثل : صياغة بعض مبادئ التعلم وتحقيقها في ميدان التعليم أو التربية Education كذلك صورة الذات معرفة الفرد بنفسه وأحواله (ص ١٠ ، ١١) .

الفصل الثاني من فصول الكتاب : في فوائد كلمة لا إله إلا اللَّه ، ولها فضائل عديدة :

الفضيلة الأولى ؛ منها : أن هذا الذكر أفضل الأذكار ؛ لذا فزع إليه العدو لما جاءته المحنة (فرعون عند الغرق) والولي لما جاءته المحنة فزع إليه (يونس والحوت) (ص ٣٢) .

والفضيلة الثانية لهذه الكلمة : أن اللَّه تعالى أمرنا بطاعات كثيرة ، من الصلاة والصيام والحج ويستحيل أن يوافقنا اللَّه في شيء منها ثم أمرنا أن نقول : لا إله إلا اللَّه ثم إن اللَّه يوافقنا فيها فقال : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

وبالتالي كان لا بد لنا من المواظبة عليها طوال العمر ، حتى نفوز بالنجاة والسلامة (ص ٣٤ ، ٣٥) .

الفضيلة الثالثة لهذه الكلمة : أن كل طاعة يصعد بها الملك ، أما قول لا إله إلا اللَّه فإنه يصعد بنفسه .

والفضيلة الرابعة : أن يوم القيامة يتجلى نور كلمة لا إله إلا اللَّه فينمحق في ذلك النور نور الشمس والقمر ؛ لأن تلك الأنوار مجازية ونور لا إله إلا اللَّه ذاتي واجب الوجود لذاته والمجاز يبطل في مقابلة الحقيقة (ص ٣٧) .

والفضيلة الخامسة : أن جميع الطاعات تزول يوم القيامة ؛ مثل : الصلاة ، والصيام ، والحج ، فإن التكاليف الظاهرة تزول في عالم الغيب ، أما طاعة التهليل والتحميد فلا تزول عنهم ، وكيف يمكن زوالها عنهم والقرآن يدل على أنهم مواظبون على الحمد ، والمواظبة على الحمد تدل على المواظبة على الذكر والتوحيد (ص ٣٨) .

والفضيلة السادسة : ما روي في الآثار أنه قال : إذا قال العبد : لا إله إلا اللَّه فإنه تعالى يعطيه من الثواب بعدد كل كافر وكافرة على وجه الأرض (ص ٣٨) .

والفضيلة السابعة : أن اللَّه لا يعذب في النار من قال : لا إله إلا اللَّه (ص ٣٩) .

والفضيلة الثامنة : إذا كان آخر الزمان فليس لشيء من الطاعات فضل كفضل لا إله إلا الله (ص ٣٩) .

والفضيلة التاسعة : الأحاديث الكثيرة التي وردت في فضل هذه الكلمة .

الفصل الثالث : في أسماء كلمة التوحيد :

الأول : كلمة التوحيد تدل على نفي الشرك على الإطلاق ، وهي سبب لعمارة العالم وعمارة القلب الذي هو محل الوحدانية ، ولعمارة اللسان الذي هو محل ذكر الوحدانية ، وذلك يناسب عفو الله عن أهل التوحيد (ص ٤٤ ، ٤٥) ، والاسم الثاني : أن هذه الكلمة تسمى كلمة الإخلاص . ولا شك أن كل من أتى بفعل اختياري فلا بد له في ذلك الفعل من غرض ، فمتى كان الغرض في الفعل واحدًا سمي هذا الفعل إخلاصًا (ص ٤٥) .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك وتحت هذا الاسم عن الباعث على الفعل ، ويرى أنه إما أن يكون روحانيًا فقط وهو الإخلاص ، أو شيطانيًا فقط وهو الرياء ، أو مركبًا منهما وهو ثلاثة أقسام : إما متساويان ، أو يكون الروحاني أقوى ، أو النفساني أقوى .

والحديث عن الباعث على الفعل يشابه حديث علماء النفس عن دوافع Motives أو حوافز السلوك Incentives وتمييزهم بينها ونظرياتهم فيها وذلك في علم النفس العام (ص ٤٦) .

الاسم الثالث لهذه الكلمة « كلمة الإحسان » ويدل على صحة هذه التسمية القرآن ، والخبر والمعقول ، ومن القرآن : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] ، ومن الخبر ما رواه أبو موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] للذين قالوا : لا إله إلا الله الحسنى وهي الجنة والزيادة وهي النظر إلى وجهه الكريم » . وأما المعقول فهو أنه كلما كان الفعل حسنًا كان فاعله أكثر إحسانًا ، ولا شك أن أحسن الأذكار لا إله إلا الله ، وأحسن المعارف لا إله إلا الله (ص ٤٨ - ٥٠) .

الاسم الرابع : دعوة الحق ، ودعوة الحق تارة تكون من الحق ، للخلق إلى الحق وتارة تكون من الخلق للخلق إلى الحق (ص ٥٠ ، ٥١) .

والاسم الخامس : « كلمة العدل » ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل : ٩٠] ويقدم المؤلف وجوهًا للتدليل على سبب هذه التسمية والأول منها : أن العدل في كل

شيء : تحصيل ما هو سبب اعتداله وكمال حاله . ومن المعلوم أن كمال القوى الحساسة في إدراك المحسوسات ، وكمال القوى الشهوانية في طلب الأشياء النافعة الجسمانية ، وكمال القوى الغضبية في دفع الأشياء الجسمانية المنافية ، وأما القوى العقلية وكمال حالها وغاية سعادتها ، فبأن ترسم فيها صور الحقائق وأشباه المعقولات كما هي حتى تصير القوى العقلية كالمرآة التي تتجلى فيها صور الوجود بتمامها .

ونرى فيما سبق من حديث التقسيم لقوى النفس ووظائفها ، وكلها مقابلات لما يدرس في علم النفس الآن كالإحساس Sensation والإدراك الحسي Sensory Perception ، والدوافع خاصة الدوافع الفطرية ، والانفعالات Emotions (خاصة انفعال الغضب) ، والذكاء والتفكير والعمليات المعرفية وكلها من موضوعات علم النفس العام (٥٢ ، ٥٣) .

والاسم السادس : « الطيب من القول » قال الله تعالى في سورة الحج : ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [الحج : ٢٤] ، وأي كلمة توجد أطهر وأطيب من هذه الكلمة ؟! (ص ٥٤) .

والاسم السابع : « الكلمة الطيبة » قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم : ٢٤] (ص ٥٥) .

والاسم الثامن : « القول الثابت » قال الله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] (ص ٥٨) .

والاسم التاسع : « كلمة التقوى » (ص ٥٩) .

والاسم العاشر : « الكلمة الباقية » (ص ٦٠) ، والاسم الحادي عشر : « كلمة الله العليا » (ص ٦١) ، والاسم الثاني عشر : « المثل الأعلى » (ص ٨٢) ، والاسم الثالث عشر : « كلمة سواء » ، والاسم الرابع عشر : « كلمة النجاة » (ص ٦٣) ، والاسم الخامس عشر : « العهد » (ص ٦٥) ، والاسم السادس عشر : « كلمة الاستقامة » (ص ٦٧) ، والاسم السابع عشر : « مقاليد السماء والأرض » (ص ٦٨) ، والاسم الثامن عشر : « السديد » والاسم التاسع عشر : « البر » (ص ٦٣) ، والاسم العشرون : « الدين » ، والاسم الحادي والعشرون : « الصراط » (ص ٧٠) ، والاسم الثاني والعشرون : « كلمة الحق » ، والاسم الثالث والعشرون : « العروة الوثقى » (ص ٧١) ، والاسم الرابع والعشرون : « كلمة الصدق » (ص ٧٢) . فهذا جملة الكلام في لا إله إلا الله .

الفصل الرابع في الأشياء التي شبه الله تعالى بها كلمة التوحيد :

والأول : هو النار فالله تعالى شبه الإيمان بالنار : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة : ١٧] .

والثاني : النور ، فالله شبه الإيمان بالنور فقال تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ [النور : ٣٥] وعلى ذلك أدلة كثيرة من آيات الذكر الحكيم (ص ٧٣) . ويستمر المؤلف بعد ذلك في تفسير هذه الآية والمقارنة بين الشمس وبين المعرفة ، ويقدم لذلك وجوهًا كثيرة (ص ٧٤ - ٨٢) .

والنوع الثالث : التراب : فمن الأمور التي شبه الله تعالى الإيمان بها « التراب » قال تعالى : ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ﴾ [الأعراف : ٥٨] ، ووجه المشابهة أن التراب ذو أمانة ، من أودع فيه شيئًا سلم إليه أضعافًا ، وكذا المؤمن إذا عمل عملًا سلم إليه أضعاف ذلك العمل يوم القيامة (ص ٨٢ - ٨٣) .

والنوع الرابع : الماء : من الأشياء التي شبه الله تعالى بها الإيمان والقرآن : الماء فقال تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد : ١٧] .

وإذا كان الماء يزيل النجاسة عن الثوب ، فكذلك الإيمان يزيل نجاسة الفكر ، وإذا كان الله سمى الماء المنزل من السماء رحمة ، فقد سمى القرآن رحمة ، والماء مباركًا ، والقرآن مباركًا . وإذا كان الماء شفاءً للنفوس فالقرآن شفاء للقلوب (ص ٨٣ - ٨٦) .

والنوع الخامس : الحبل : من الأشياء التي شبه الله بها الإيمان الحبل قال الله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] وهناك وجوه للمشابهة ؛ منها : أن التمسك بالحبل يحمي من الانزلاق لمن يريد الصعود إلى أعلى وكذلك الإيمان (ص ٨٦ ، ٨٧) .

والنوع السادس : شجرة الزيتون ، قال تعالى : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٠] ؛ وذلك لأن هذه الشجرة تنبت في الأمكنة المطهرة وكذلك المعرفة لا تستقر إلا في القلوب المطهرة (ص ٨٧) .

ويختم المؤلف هذا الفصل بحديث عن تكريم المؤمنين ، ويذكر أن الله وعد المؤمنين بعشر كرامات ؛ وهي : المغفرة ، والأمن ، والهداية ، والزيادة ، والفلاح ، والثبات ، والشفاعة ، وإصلاح الأعمال ، والبشرى ، وكلام الله تعالى ، ورؤيته يوم القيامة (ص ٨٧ ، ٨٨) .

والفصل الخامس : في شرح المباحث المتعلقة بكلمة لا إله إلا اللّه ، وهي وجوه :

ويبدأ المؤلف في تقسيم كلامه هنا إلى بحوث ، ويناقش في البحث الأول : الخلاف مع النحويين حول كلمة لا إله إلا اللّه ويفند ادعاءاتهم ، ويبدأ بتفنيد قولهم بوجود حذف وإضمار في لا إله إلا اللّه .

والبحث الثاني : في قولهم : إن قولنا لا إله إلا اللّه ارتفع ؛ لأنه بدل من موضع « لا » مع الاسم .

والبحث الثالث : في اتفاق النحويين على أن محل « إلا » في هذه الكلمة محل « غير » أي لا إله غير اللّه .

وفي البحث الرابع : يناقش قول جماعة من الأصوليين : الاستثناء من النفي لا يكون إثباتًا . ويستمر في مناقشة هذه القضايا النحوية الجدلية في البحوث الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر (ص ٨٩ - ١٠٠) .

والفصل السادس : في فضل المؤمن ، فاللّه سمى المؤمنين ثالث نفسه في عشرة مواضع :

والمقام الأول : وهو في المراقبة ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥] (ص ١٠١) ، والمقام الثاني : الولاية ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [المائدة : ٥٥] . والمقام الثالث : الموالاة ، قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التحريم : ٤] . والمقام الرابع : الصلاة ، قال اللّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] . فجعل المؤمنين ثالث نفسه في الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام (ص ١٠٥) . والمقام الخامس : العزة ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] (ص ١٠٦) . والمقام السادس : الطاعة ، قال اللّه تعالى : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] (ص ١٠٨) . والمقام السابع : المشاقة ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء : ١١٥] (ص ١٠٨) . والمقام الثامن : في الأذى ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا

ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ [الأحزاب: ٥٧ ، ٥٨] فالله نهى عن إيذاء المؤمنين كما نهى عن إيذاء رسوله ﷺ (ص ١٠٩) . والمقام التاسع : الالتجاء ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ ﴾ [التوبة: ١٦] (ص ١١٠) . والمقام العاشر : في الشهادة على التوحيد (ص ١١١) .

والفصل السابع : في الأحكام الفقهية المتفرعة على قولنا : لا إله إلا الله .

فالإيمان لا بد له من أمرين ؛ أحدهما : هو أن الأصل حصول المعرفة بالقلب ، وثانيهما : الإقرار باللسان وبالتوحيد . وللإيمان أحكام بعضها يتعلق بالباطن وبعضها بالظاهر ، وما يتعلق بالباطن هو أحكام الآخرة ، وذلك متفرع عن العلم الذي هو باطن عن الخلق ، وما يتعلق بالظاهر هو أحكام الدنيا (ص ١١٦) .

وبعد أن فرغ المؤلف من الفصل السابع ، وهو فصل قصير ، بدأ في التعرض لبعض الموضوعات المتفرقة ، أحيانًا يبدأها بكلمة فصل دون عنوان ، وأحيانًا يضع للفصل عنوانًا . وأحيانًا ثالثة يتعرض لبعض الموضوعات دون أن يسبقها بكلمة فصل أو باب . وأحد هذه الفصول ، يدور حول حديث الرسول ﷺ القائل : « **ما من نفس تموت فتشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، يرجع ذلك إلى قلب مؤمن ، إلا غفر الله له** » (ص ١٢٠) . وقوله عليه الصلاة والسلام : « **من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، مخلصًا بها روحه ، مصدقًا بها قلبه ولسانه ، فتقت له السموات فتقًا ، حتى ينظر الرب إلى قائلها من أهل الدنيا** » (ص ١٢١) .

وفصل آخر يدور حول قول جعفر بن محمد الصادق : عجبت لمن ابتلي بأربع كيف يغفل عن أربع : عجبت لمن أعجب بأمر كيف لا يقول : ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ [الكهف: ٣٩] ، وعجبت لمن خاف قومًا كيف لا يقول : ﴿ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ، وعجبت لمن مُكِر به كيف لا يقول : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤] ، وعجبت لمن أصابه هم أو كرب لا يقول : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] (ص ١٢٣) .

ونجد هنا إشارات إلى ما يمكن – إذا استخدمناه – أن يعين في تحقيق الصحة النفسية Mental Health وتحقيق التوافق النفسي Adjustment والتخلص من المشقة Stress ألا وهو الاستعانة بالقرآن والحديث في علاج الهموم وكشف الكروب .

فصل ثالث في أن عقول الخلق قاصرة عن معرفة الله تعالى ، ولما كان كل ما تتصور

النفس فالله بخلافه ، فلم يتمكن العقل والنفس من الإشارة إلى حقيقة معلومة بأن حقيقة الإله هي هذه الحقيقة .

ويروى عن سهل بن عبد الله أنه سئل عن ذات الله تعالى فقال : ذات الله موصوفة بالعلم ، غير مدركة بالإحاطة ، وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ، ودلهم عليه بآياته ، والقلوب تعرفه ، والعقول لا تدركه ، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ، ولا إدراك نهاية (ص ١٢٤) .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن طلب الآخرة ، وترك التزيد من الدنيا فيحثنا على التعهد بأسباب الآخرة ، وتعريض القلب لذلك ، وصيانته من أسباب الدنيا ، ومن ذكر يجر إلى الحرص والرغبة . ومخرج الحرص والرغبة من الطمع ، وبناء الأنفس على قواعد الطمع . أما الطمع في الدنيا فيستعمل أداة الطمع في طلب الزيادة من أعمال الآخرين بالحرص عليها والرغبة فيها (ص ١٢٧) . وقال حكيم : إن آلة الطمع وجماع آفاته الشره والحرص ، وهيجان الرغبة ، فعلى أيها أوقعت طمعها أحضرت ذاتها وجمعت آلتها ، وجدت في طلبها ، فإذا قهرت صاحبها على موافقة هواها استعبدته ، فأذهلته ، وأذلته ، وأدهشته ، وأتعبته ، وطيشت عقله ، ودنست عرضه ، وأخلقت مروءته ، وفتنته عن دينه ، وإن كان عالمًا لبيبًا عاملًا كيسًا فطنًا مضحيًا حكيمًا فقيهًا لوثته وأسقطته ، وفضحته ، فاحتمل لها ذلك كله وهو الأريب العالم الأديب ، فصيرته بعد العلم جاهلًا سفيهًا أحمق خفيفًا (ص ١٢٨) .

ونلمح من حديثه عن الطمع ، مشابهًا لبعض ما يتحدث عنه علماء النفس المحدثون ؛ حيث يشيرون إلى الطمع أو الرجاء باعتبارهما من التنبيهات العقلية أو الذهنية أو النفسية Psychic or Mental or Intellectual Stimuli وهي تنبيهات داخلية ، وهو ما يدرس في علم النفس العام ،كما يشير هذا الحديث عن الحاجات ، أو الرغبات ، أو الشهوات ، وقهرها إلى حديث علماء النفس المحدثين عن الدوافع والحاجات وإشباعها وهو ما يدرسه الباحثون في علم النفس العام أيضًا (ص ١٢٧ - ١٢٩) .

والموضع الثاني الذي يتطرق إليه المؤلف هو الخوف ، والحزن ، وينصح بشغل القلب بالهم ، وإلزامه الفكر في أمر المعاد ؛ لأن خراب القلب إنما يكون من الخوف اللازم والحزن الدائم ، وعلى أي حال فالخوف والحزن من الانفعالات Emotions التي أولاها علماء النفس عنايتهم فدرسوها دراسة علمية للإحاطة بكافة جوانبها (ص ١٣٠ - ١٣١) .

وينتقل بنا المؤلف بعد ذلك لموضوع آخر ، وهو مراقبة القلب ؛ حيث يروي عن بعض الحكماء أنه قال : إن من أشرف المقامات وأفضلها المراقبة للّٰه ، ومن أحسن المراقبة أن يكون العبد مراقبًا بالشكر للنعم والاعتراف بالإساءة ، والتعرض للعفو عن إساءته ، فيكون قلبه لازمًا لهذا المقام في كل أعماله ، فمتى ما غفل ، رده إلى هذا بإذن اللّٰه .

ومن أعمال القلوب التي يزكو بها ، ولا يستغنى عنها ؛ الإخلاص ، والثقة ، والشكر والتواضع ، والاستسلام ، والنصيحة ، والحب في اللّٰه تعالى ، والبغض فيه ، وهذه الخصال الطيبة من خصال الشخصية التي كانت موضوع عناية علماء النفس باعتبارها سمات Traits إيجابية ، ومن ناحية أخرى باعتبارها من السمات التي تحدد اختيار الأصدقاء . وموضوع الصداقة وسمات الأصدقاء من موضوعات علم النفس الاجتماعي ، ومن ناحية ثالثة بها إشارة إلى موضوع الحب وهو من بين الانفعالات التي يعنى بها علماء النفس (ص ١٣٢) .

ويعطف على ذلك موضوعًا آخر هو : العدل والفضل ، والعدل عدلان : عدل ظاهر فيما بينك وبين الناس ، وعدل باطن فيما بينك وبين اللّٰه ، وطريق العدل : الاستقامة ، وطريق الفضل : طلب الزيادة (ص ١٣٦) .

وينتقل بنا بعد ذلك إلى الحديث عن التطهير والعمل ، والتطهير هو الانتقال عن الشر إلى الأساس الذي يبنى عليه الخير (ص ١٢٩) ، ومن الخصال التي يطلب منها الخير هي الصواب والصدق ، والشكر ، والرجاء (ص ١٤٠ - ١٤٢) . والرجاء - كما سبقت الإشارة - أحد أنواع التنبيهات النفسية التي تنتمي إلى التنبيهات الداخلية كما يدرسها علماء النفس المحدثون Internal Stimuli ، وأخيرًا الخوف (ص ١٤٣) .

ويزلف المؤلف بنا للحديث عن البلوى والاختبار والدنيا كلها ، كثيرها وقليلها ، حُلوها ومُرها ، أولها وآخرها وكل شيء من أمرها : بلوى من اللّٰه تعالى للعبد واختبار ، وبلواها وإن كثرت وتشعبت واختلفت ، فهو كله مجموع في خلتين : في الشكر والصبر . فإما أن يشكر على نعمه ، أو يصبر على مصيبته (ص ١٤٤ ، ١٤٥) . والبلاء والأحداث الشاقة يمكن أن تدرج فيما يدرسه علماء النفس المحدثون تحت اسم مثيرات المشقة Stressors وأحداث الحياة Life Events وعلاقتها بكثير من المتغيرات النفسية .

وفي نهاية هذا الكتاب يعالج المؤلف ثلاثة موضوعات باختصار ؛ هي : التوبة ، وحسن الظن بالنفس (وربما يقابل حسن الظن بالنفس عند علماء النفس الثقة بالنفس Self Confidence

وهو من مكونات صورة الفرد عن ذاته Self Image (ص ١٥٥ - ١٥٩) ، وينتقل إلى المدح والذم ، ثم يختتم كتابه باليقين والعزة ، واليقين يكون عند العمل والصدق فيه ومشاهدة الثواب والعقاب . ومفهوم الثواب (أو التدعيم والمكافأة) والعقاب من المفاهيم التي شاع استخدامها في علم النفس خاصة في موضوع التعلم Learning ونظرياته المختلفة (ص ١٦٧) . وحب العز أصل ومنه مخرج حب الرئاسة والجاه عند الناس (حب الرئاسة أو السيطرة من الدوافع الثانوية التي يهتم بها علماء النفس ص ١٦٧) ؛ ومنه : الكبر ، والفخر ، ومنه الغضب ، والحسد ، ومنه الحقد والحمية ، والعصبية .

أوجه الاستفادة من الكتاب في علم النفس :

يمكن الاستفادة من الكتاب في مجال علم النفس العام .

* * *

المقدسي ، ابن قدامة (ت ٦٢٠هـ)
كتاب التوابين [1]

عرض : د. الحسين محمد عبد المنعم

التعريف بالمؤلف :

هو الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد اللّٰه ابن أحمد بن محمد بن أحمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلى ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي صاحب « المغني » ، مولده بجماعيل من عمل نابلس سنة إحدى وأربعين وخمسمائة في شعبان .

هاجر مع أهل بيته وأقاربه ، وله عشر سنين ، وحفظ القرآن ، ولزم الاشتغال منذ صغره ، وكتب الخط المليح ، وكان من بحور العلم وأذكياء العالم . ورحل هو وابن خالته الحافظ عبد الغني في أول سنة إحدى وستين في طلب العلم إلى بغداد فأدركا نحو أربعين يومًا من حياة الشيخ عبد القادر ، فنزلا عنده بالمدرسة ، واشتغلا عليه تلك الأيام ، وسمعا منه ومن وهبة اللّٰه بن الحسن الدقاق ، وأبي الفتح بن البطي ، وأبي زرعة ابن طاهر ، وأحمد بن المقرب ، وعلي بن تاج القراء ومعمر بن فاخر ، وأحمد بن محمد الرحبي ، وحيدرة بن عمر العلوي وغيرهم . وسمع بدمشق من أبي المكارم بن هلال ، وعدة ، وبالموصل من خطيبها أبي الفضل الطوسي . وبمكة من المبارك بن الطباخ ، وتوفي سنة عشرين وستمائة .

ومن مصنفاته « المغني » عشر مجلدات و « الكافي » أربعة ، و « المقنع » مجلدًا ،

---

(١) حقق نصوصه وعلق عليه عبد القادر الأرناؤوط – ط٣ بيروت : دار الإيمان ، دار البيان ؛ ١٩٨٦م (ص ٣٣٥) .

و « العمدة » ، و « القنعة » و « الروضة » ، و « التوابين » ، و « نسب قريش » ، و « نسب الأنصار » ، و « مختصر الهداية » ، و « القدر » ، و « مسألة العلو » ، و « المتحابين » ، و « الاعتقاد » ، و « البرهان » ، و « ذم التأويل » ، و « فضائل الصحابة » ، وغيرها . ومن مصادر ترجمته « سير أعلام النبلاء » ، و « معجم البلدان » ، و « التقييد » ، لابن نقطة و « مرآة الزمان » ، و « تكملة » المنذري ، و « ذيل الروضتين » لأبي شامة ، و « تاريخ الإسلام » للذهبي ، وغيرها .

عرض الكتاب :

يستعرض المؤلف في الكتاب أخبار التائبين ، وقصص المنيبين ممن كانوا في مختلف العصور القديمة والحديثة ، من عهد آدم عليه السلام إلى أوائل القرن السابع الهجري الذي كان فيه المؤلف رحمه الله . وافتتحه المؤلف :

١ - بذكر توبة الملائكة عليهم السلام :

وسرد قصة هاروت وماروت على أنهما ملكان ، وهي ترتبط بموضوع تعاطي المسكرات Alcoholism وآثارها السيئة على القدرات العقلية (ص ١٩ - ٢٣) .

٢ - ذكر التوابين من الأنبياء عليهم السلام :

وتتضمن توبة آدم ، وتوبة نوح ، وتوبة موسى ، وتوبة داوود ، وتوبة سليمان ، وتوبة يونس عليهم السلام .

٣ - ذكر التوابين من ملوك الأمم الماضية :

وتتضمن توبة طالوت ، وابن ملك من ملوك بني إسرائيل ، وتوبة صاحب الخورنق ، وتوبة النعمان بن امرئ القيس الأكبر ، وامرئ القيس ، وملك من ملوك اليمن ، وملك من ملوك بني إسرائيل ، وتوبة رجل من بني إسرائيل كان يعبد الأصنام ، وتوبة الملك كنعان عن ظلمه وطغيانه .

٤ - ذكر التوابين من الأمم :

وتتضمن توبة قوم موسى عليه السلام ، وقوم يونس عليه السلام .

٥ - ذكر التوابين من آحاد الأمم الماضية :

وتشتمل على توبة أصحاب الفساد ، وتوبة الكفل من بني إسرائيل عن ذنوبه وأخطائه ، وتوبة العابد والمرأة البغي ، وتوبة راهب من بني إسرائيل ، وتوبة ذي الرجل ،

وتوبة برج العابد ، وتوبة العبد العاصي ، وتوبة شاب مسرف على نفسه ، وتوبة الخارج من القرية الطاغية ، وتوبة من قتل مائة نفس ، وتوبة لص من بني إسرائيل ، وتوبة ثلاث بنات من البغايا .

٦ - أخبار التائبين من أصحاب رسول الله ﷺ :

ومنهم توبة كعب بن مالك ﷺ ، وتوبة أبي حبشمة ، وتوبة أبي لبابة ﷺ ، وتوبة أبي هريرة عن فتواه في امرأة زانية ، وتوبة ثعلبة بن عبد الرحمن ، وتوبة مالك الرؤاس ، وتوبة أبي سفيان بن الحارث ، وتوبة عبد الله الزبعري الشاعر ، وتوبة هبار بن الأسود ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، وأبي حجمة الثقفي ، وطلحة بن خويلد .

٧ - ذكر التوابين من ملوك الأمة :

ومنها التلاع ، توبة أمير وتاجر ، وتوبة ملك من ملوك البصرة وجاريته ، وتوبة أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وهشام بن عبد الملك ، وتوبة الأمير حميد بن جابر ، وإبراهيم ابن أدهم ، وتوبة شقيق البلخي ، وعبد الله بن مرزوق ، وجعفر بن حرب ، وهارون الرشيد ، وابن هارون الرشيد ، وتوبة المأمون ، وموسى بن محمد بن سليمان الهاشمي ، وجعفر البرمكي ، وتوبة جارية من بنات الكبار على يد أبي شعيب الرائي ، وتوبة الواثق بالله .

٨ - ذكر سبب توبة جماعة من الأمة رحمة الله عليهم :

وتتضمن توبة مالك بن دينار عن تعاطي المسكرات ، وهي ترتبط بموضوع تعاطي المخدرات وآثارها السيئة من هلاوس Hallucinations سمعية أو بصرية (ص ٢١٨ - ٢٢٠) وتوبة داوود الطائي ، والفضيل بن عياض ، وعلي بن الفضيل بن عياض ، وبشر ابن الحارث الحافي ، وتوبة تاجر من تجار بغداد من الوقيعة في الناس ، وتوبة أبي عبد ربه ، وتوبة العفي عن تعاطي النبيذ ، وهي ترتبط بتعاطي المسكرات (ص ٢٣٥ - ٢٣٧) ، وتوبة عكبر الكردي ، وتوبة صدقة بن سليمان الجعفري ، وتوبة ذي النون المصري عن اللعب واللهو ، وتوبة سكران ، وتوبة المرتعش ، وتوبة عبد الرحمن العش ، وتوبة أبي الحارث الألوسي ، وتوبة أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي عن اعتقاد المبتدعة ، وتوبة أبي الحسن الهرفاني عن مذهب المتكلمين .

٩ - أخبار جماعة من التوابين :

وتشتمل على توبة مازل بن لاحق ، وتوبة امرأة من دومة الجندل عن عمل السحر ،

وتوبة شاب عن اللهو واللعب ، وتوبة شاب من الانهماك في الدنيا ، و توبة جندي عن الغناء والملاهي ، وتوبة رجل من أعوان السلطان عن الفواحش ، وتوبة امرأة وهي تطوف حول الكعبة ، وتوبة ملهي أهل المدينة عن اللهو على يد والدته ، وتوبة دينار العيار عن المعاصي ، وتوبة رجل عن حب مغنية شغلته عن اللّٰه ، وتوبة شاب وامرأته على يد سرى السقطي ، وتوبة امرأة بارعة الجمال أرادت أن تفتن الربيع بن خيثم ، وتوبة جار لأحمد ابن حنبل ، وتوبة أبي عمر بن علوان عن نظره إلى امرأة ، وتوبة فتى شاب وجارية جميلة أحب كل منهما الآخر ، ويقترب ذلك من الحديث عن موضوع الجاذبية الاجتماعية Social Attractiveness (ص ٢٨١ - ٢٨٤) وتوبة رجل عن الشراب والعود بسماع آيات من القرآن ، وترتبط بموضوع تعاطي المسكرات (ص ٢٨٤ - ٢٨٦) وتوبة شيخ مهلبي وجاريته عن الشراب والضرب بالعود ، وتوبة أعرابي لسماع آية من القرآن ، وتوبة لبيب العابد عن قتل الحياة ، وتوبة المعتصم ورجوعه عن قتل تميم ابن حميل ، وتوبة يوسف بن أسباط على يد شاب كان يعمل نباشًا ، وتوبة نباشين عن نبش القبور ، وتوبة شاب مسرف على نفسه على يد إبراهيم بن أدهم ، وتوبة عاصي في جوف الليل وموته لسماع آية من القرآن فيها ذكر النار ، وتوبة امرأة عن الغناء ، وتوبة مولاها على يدها .

١٠ - ذكر خبر جماعة من أسلم :

ومنها توبة أبي إسماعيل النصراني وإسلامه ، وتوبة شاب نصراني وإسلامه ، وتوبة عابد صنم وإسلامه ، وتوبة مجوسي وإسلامه ، وتوبة طبيب نصراني وإسلامه .

ويرتبط موضوع هذا الكتاب بصفة عامة ، بموضوع الشعور بالذنب وما يسببه من قلق وآلام نفسية وخوف من عذاب اللّٰه تعالى ، ويوضح أسلوب العلاج لهذا الشعور بالذنب عن طريق التوبة إلى اللّٰه تعالى .

* * *

ذم الموسوسين [1]

عرض : د. معتز سيد عبد الله

عرض الكتاب :

يقع الكتاب في ٤٨ صفحة من القطع المتوسط ، ويتكون من ستة فصول مضمونها حول ما يقوم به الشيطان من وسوسة للإنسان في كل جوانب حياته ، بشكل يجعله يبتعد عن الصراط المستقيم ؛ لذلك حذرنا اللَّه ﷻ ، ورسوله الكريم من اتباعه ، وأمرنا بمخالفته وعداوته ، واتباع ما جاء بكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ . وينهي المحقق الكتاب بتقديم فهرس للآيات القرآنية التي وردت في المتن ، وفهرس ثانٍ للأحاديث المرفوعة وفهرس ثالث للآثار الموقوفة ، وفهرس رابع وأخير لموضوعات الكتاب . وهو ما نعرض له على النحو التالي :

الفصل الأول : في النية في الطهارة والصلاة :

ويتلخص في أن الموسوسين يتشككون دائمًا في نيتهم ، سواء عند قيامهم للوضوء أو للصلاة بشكل يجعلهم يتبعون الشيطان ، ويتركون الصراط المستقيم ، فالنية : هي القصد والعزم على فعل الشيء ، ومحلها القلب ، لا تعلق لها باللسان ، كذلك لم ينقل عن النبي ﷺ ولا أصحابه في النية لفظ بحال ، ولا سمعنا عنهم ذكر ذلك ؛ فكل عازم على شيء فهو ناويه ، وكل قاصد لشيء فهو ناويه ، لا يتصور انفكاك ذلك ؛ لأنه

(١) تحقيق أبي الأشبال الزهيري حسن بن آل مندوه . ط١ - القاهرة : الفاروق الحديثة ، مكتبة التوعية الإسلامية (١٩٨٦م) .

حقيقتها ، فلا يتصور عدمها في حال وجودها .

ومن قعد ليتوضأ ، فقد نوى الوضوء ، ومن قام ليصلي فقد نوى الصلاة . ولا يكاد العاقل يفعل شيئًا من عباداته ولا غيرها دون نية .

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الفصل النية أو المقصد (١٥ - ١٨) Intention ، والوساوس (١٥ - ١٨) Obsessions والتشكك (١٥ - ١٨) Suspiciousness ، والمرض العقلي (الذهان) (١٥ - ١٨) Psychosis .

الفصل الثاني : في ترديد كلمات من الفاتحة أو التشهد أو التكبير ، أو تكرير حرف ، أو الجمع بين قراءتين ونحو ذلك :

ويتلخص في أن أحد مظاهر الوسوسة التي يعتقد الموسوسون في جدواها وضرورتها هي التوسوس في ترديد وتكرير الحروف والكلمات ؛ مثل : تكرير بعض الكلمات كقولك في التحيات أت أت التحى ، وفي السلام أس أس السلام . ومثل تكرير الحرف في الكلمة بحيث يخرجها عن موضوعها كقوله في التكبير : أكبر وفي إياك : إياكك . فهذا تكرير الكلمات غير ما في القراءة ، وإخراج اللفظ عن موضعه من غير ضرورة . فالظاهر بطلان الصلاة به .

فقد أفضت طاعة الشيطان إلى فساد صلاته ، واللكنة والعي . وربما كان إمامًا فأفسد صلاة المأمومين ، وصار إثمهم في عنقه ، وصارت الصلاة التي هي أقرب الطاعات ، أكثر تبعيدًا له من اللّٰه تعالى من الكبائر . وما كان من ذلك لا يبطل الصلاة فهو مكروه .

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الفصل الوساوس (١٩) Obsessions ، والترديد اللاإرادي للكلمات (١٩) Echolalia والقابلية لتشتت الانتباه (١٩) Distractibility .

الفصل الثالث : في الإسراف في ماء الوضوء والغسل :

ويتلخص في اعتقاد الموسوسين في ضرورة الإكثار من استخدام الماء ، سواء في الوضوء أو الغسل بصورة مبالغ فيها تصل في كثير من الأحيان إلى إعادة الوضوء والغسل مرارًا وتكرارًا ، لتشككهم في عدم إزالة الجنابة ، وهذا نهى رسول اللّٰه ﷺ عنه ، فقد روى الترمذي عن رسول اللّٰه ﷺ أنه قال : « **إن للوضوء شيطانًا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء** » . وهذه سنة النبي ﷺ وأصحابه والأئمة بعدهم ؛ فما في العدول عنهم فضل ، ولا لذي دين عنهم رغبة ، فإنهم كانوا على الصراط المستقيم ،

فمن أراد النجاة فليتبعهم يسعد ، ولا يفارق طريقتهم يتعد .

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الفصل التشكك (٢٠ - ٢٣) Suspiciousnes والوساوس (٢٠ - ٢٣) Obsessions ، والقوالب النمطية (٢٠ - ٢٣) Stereotypes والتصورات الخاطئة Misconceptions من (٢٠ - ٢٣) .

الفصل الرابع : في الزيادات على الغسلات الثلاث :

ويتخلص في اعتقاد الموسوسين أن الغسلات الثلاث لا تكفي للطهارة والنظافة ، ومن ثم يفضل أن يزيد الشخص عنها كيفما يشاء ، حتى يتأكد من وصوله إلى مستوى الطهارة والنظافة الذي يرضيه ؛ وقد نهانا رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلًا أتي النبي ﷺ فقال : يا رسول الله كيف الطهور ؟ فوصف له الطهور ثلاثًا ثلاثًا إلى أن قال : « **هكذا الوضوء فما زاد على هذا فقد أساء وظلم** » . وتسمية رسول الله ﷺ الزائد على الثلاث مسيئًا ظالمًا يلزم أن لا يكون ممن أحسن وضوءه ، فلا يدخل في من له ثواب من أحسن وضوءه . وهو خليق ألا ينال بركة الوضوء ؛ لغلوه في الدين ومخالفته سنة سيد المرسلين .

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الفصل التشكك (٢٤ - ٢٦) Suspiciousnes والوساوس (٢٤ - ٢٦) Obsessions والقوالب النمطية (٢٤ - ٢٦) Stereotypes والنموذج الاجتماعي (٢٤ - ٢٦) Social Model والتصورات الخاطئة (٢٤ - ٢٦) Misconceptions .

الفصل الخامس : في الوسوسة من انتقاض الوضوء بخروج خارج منه :

ويتلخص في اعتقاد الموسوسين في انتقاض الوضوء بخروج أي خارج منه ، وهنا روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا كان أحدكم في المسجد فوجد ريحًا بين أليتيه فلا ينصرف حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا** » .

وأكثر الفقهاء على أن من كان على طهارة فشك هل أحدث أو لا ، فهو على يقين الطهارة - وإن غلب على ظنه الحدث - وأنه لا يزول عن يقين إلا بيقين .

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الفصل التشكك (٢٧ ، ٢٨) Suspiciousness والوساوس (٢٧ - ٢٨) Obsessions والقوالب النمطية (٢٧ - ٢٨) Stereotypes والتصورات الخاطئة (٢٧ ، ٢٨) Misconceptions .

الفصل السادس : في أشياء سهَّل الشرع فيها ، وشدد هؤلاء فيها :

ويتلخص في تشديد الموسوسين لبعض الأشياء التي سهل الشرع فيها : ومن ذلك المشي حافيًا والصلاة من غير غسل قدميه . ومن ذلك الصلاة في الخفين والنعلين . ومن ذلك أن النبي ﷺ كان يصلى حيثما كان . وكان يصلي في مرابض الغنم ويأمر بذلك . ومن ذلك أن النبي ﷺ كان يلبس الثياب التي نسجها المشركون ، ويصلي فيها . ومن ذلك أن النبي ﷺ كان يجيب من دعاه فيأكل من طعامه . وأضافه يهودي بخبز شعير . وكان المسلمون يأكلون من طعام أهل الكتاب .

وفيما ذكرناه كفاية إن شاء اللَّه تعالى في الدلالة على مخالفة الموسوسين في كثير من الأمور التي تشددوا فيها ، على الرغم من تساهل الشرع بخصوصها . وهذا يتنافى مع طاعة اللَّه تعالى ، ورسوله الكريم ﷺ .

ومن المفاهيم السيكولوجية التي اشتمل عليها هذا الفصل التشكك (٢٩ - ٤٢) Suspiciousness والوساوس (٢٩ - ٤٢) Obsessions والنموذج الاجتماعي (٢٩ - ٤٢) Social Model والاقتداء (٢٩ - ٤٢) Modeling والتصورات الخاطئة (٢٩- ٤٢) Misconceptions .

* * *

الكتاب في سطور

أغفل مؤرخو علم النفس الغربيون الإشارة إلى إسهام علماء النفس المسلمين في تطور علم النفس وتقدمه ، وما وصلوا إليه من آراء ونظريات لم يسبقهم إليها أحد من العلماء قبلهم . ويرجع ذلك الإغفال إلى جهلهم بتراث المسلمين العلمي ، وبما يحتوي عليه من آراء ومفاهيم ونظريات نفسية ، ولعل مسؤولية ذلك إنما ترجع إلى عدم اهتمام علماء النفس المحدثين بدراسة تراثنا العلمي والتعريف به . وتأتي هذه الموسوعة - ذات الأجزاء الثلاثة - لتبرز الدور المهم الذي قام به علماء النفس المسلمون في تطور علم النفس وتوضح القيمة العلمية لما قدموه من آراء حول بعض موضوعات علم النفس ، فتمكن الباحثين المعاصرين من الإحاطة بموضوعات التراث العربي الإسلامي كخطوة لتأصيل هوية عربية إسلامية لعلم النفس المعاصر . وتتناول الموسوعة بالشرح والتفصيل عرض وتكشيف ٣٠٠ كتاب ومخطوط من أمهات الكتب في التراث العربي الإسلامي والمتضمنة مفاهيم ومصطلحات ونظريات وآراء نفسية . والموسوعة تسهم في ملء ثغرة كبيرة افتقدها التأريخ الموضوعي لعلم النفس وتبرز الدور العلمي للعلماء والمفكرين العرب والمسلمين في مجال الدراسات والنظريات النفسية .

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢
فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)
www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

ISBN : 977-342-650-5

9 789773 426507 >

Dar-Alsalam Designs